نهاية الأرب
في
فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري
٦٧٧ - ٧٣٣هـ

الجزء الثالث والعشرون

تحقيق
د. أحمد كمال زكي

مراجعة
د. محمد مصطفى زياده



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٠

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا هو الجزء الحادى والعشرون من « نهاية الأرب » بتجزئة النويرى ، والثالث والعشرون بالتجزئة التى يصدر بها اليوم . نختصر فى تقديمه مكتفين بما جاء قبلُ ، مقرين بأن الطريقة هنا هى تقريبا الطريقة هناك ، وأن الرجوع إلى المظان عندنا لا يختلف عن الرجوع عند غيرنا إلا فى ربط القديم بالجديد إيمانًا منا بأن للتاريخ فلسفة لم يبلورها الأولون !

ولقد كان العمل فى إخراج « نهاية الأرب » موكولا لأكفاء من غير شك غير أن صدور كل واحدٍ منهم بأسلوبه الخاص أتاح للجميع أن يبسطوا أدبهم ويكشفوا عن منهجهم ، ومن ثم تهيأ لنا أن نتقدم بما يبيّن دورنا فى نشر هذا الجزء ، وإذا كان علينا أن نقول شيئا بادئ ذى بدء قلنا إننا اعتمدنا فى نشر هذا الجزء على نسخة صوّرتها الجامعة العربية من نسخة محفوظة

تحت رقم ١٣٦٩ بأمانة خزينة فى استنبول ، وقد كتب فى نهايته أنه كمل « على يد مؤلفه الفقير إلى عفو ربه أحمد بن عبد الوهاب .... ووافق الفراغ منه فى يوم الثلاثاء لخمس ليالٍ بقين من صفر سنة أربع وعشرين ومئتين وألف » .

على أن احتمال كون هذا الجزء مع ذلك بخط المؤلف هو قدر احتماله ألا يكون ؛ فإن تحرّر الخط ، وجودته - برغم قلة النقط فيه - وعدم السقط ، وندرة الأخطاء التى تقع عادةً من الملخصين والنويرى واحدٌ منهم . . كل ذلك كان من غير شك حافزًا إلى أن نقابل هذه المصورة - وقد رمزنا لها بالحرف « ا » - بمصورتين أخريين إحداهما عن نسخة من كوبريللى بالآستانة ، والأخرى عن نسخة من الفاتيكان .

أما مصورة كوبريللى - ونرمز لها بالحرف « ك » وهى تحت رقم ٥٤٩ بدار الكتب - فهى فى جودة الخط الذى حررت به « ا » .. بل قد تفضلها بكثرة نقطها وإن يكن الخطأ فيها متعددًا ! وتمتاز بزيادات مفيدة لعل لناسخها فضل إضافتها - إن كان هذا فضلا - وتدل على حسن إدراك يرفع من قيمتها على نحو من الأنحاء ، ولعل هذا هو ما حدا بنا إلى أن نجعلها فى المرتبة الثانية بعد « ا » .

فإذا عرضنا لمصورة الفاتيكان ٧٣٩ - وهى محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٩٢ معارف عامة ورمزنا لها بالحرف « ف » - فكأننا نعرض للمصورة « ا » تماما .. فهى من الناحية التاريخية نسخت سنة

٧٣٩ للهجرة والنويرى مات سنة ٧٣٢ كما فى المنهل الصافى ، وهى من الناحية الفنية لا تخرج عن الإطار الذى حدّده المؤلف لأجزائه ، بل ربما وضّحت بعض الأعلام وضبطتها .

نقول إن المصورة «ف» هذه القيمة ، إلا أن رداءة خطها — بالنسبة إلى نسخة المؤلف — وصغر حروفها ، وعدم تحديد بدايات السنين ، وضياع العناوين فى سياق الكلام .. كل أولئك يقيم شتى صعوبات أمام القارىء العادى . ويحمّل ناسخها إبراهيم بن محمد ابن ناهض الحلبى بَعْضَ وِزْرِ ما كان يصرف أحدًا عن الانتفاع بها كما ينبغى أن يكون الانتفاع .

ومع ذلك فهى كاملة إذا قيست بغيرها من المخطوطات القديمة ، وهى فى ١٣٧ صفحة مزدوجة وقفنا إزاءها وقفتنا إزاء «ا» .. فكنا نذكر رقم الصفحة الواحدة متبوعًا بألف أو بباء على حسب وقوع الكلام فيها يمينا أو شمالا ؛ فذكر خلافة المتعصم بالله مثلا يقع فى صفحة ٩٤ — ا ، وذكر مقتله يقع فى ٩٤ — ب ، وذكر إمارة عبد الرحمن بن محمد فى صفحة ١١٦ — ا ، وذكر إمارة الحكم فى ١١٦ — ب وهكذا ...

والجدير بالذكر أنها ، باستثناء ما ورد فى ١٣٢ — ب ، تخلو من العناوين الجانبية إلا ما فات من السياق ؛ فكان يثبت فى الهامش على ما جاء فى ٥٧ — ب و ٦٧ — ا ، وثمة سقط واحد فى ٦١ — ب ، لم ينوه عنه إطلاقا ، ومحو بعض كلام فى ٣٨ — ب ، وبقعتا حبر فى ١٢٤

يبقى بعد ذلك شيء طريف لا مندوحةَ عن ذكره ، هو أن القارئ يجد لأحد رجال دار الكتب تعليقًا ظَهْرَ الغلاف يقول : « بداية هذا الجزء توافق بداية الجزء الواحد والعشرين من تجزئة المؤلف وينتهى بنهايته ، وما كتب على صفحة عنوانه تدليس » وأما ما كتب فهو « الجزء الثانى من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب » بخط يخالف خطَّ المتن ، ثم نرى ضَرْبًا بالحبر على كلام فى السياق يخفى شيئا أراد أحدهم ألا يصلنا . والظاهر أن هذه النسخة امتحنت مرتين ، إحداهما حين نزع غلافها الأصلى وأضيف لها غلاف جديد ، والأخرى حين طمسَ آثم جانبا أراد طمسه ، واستتبع هذا إخفاء بعض سياق الخاتمة بالريشة نفسها ، وهكذا يعبث بالتراث !

وأخيرًا ، فكم كنا نحبّ ألا نختم هذه المقدمةَ الآن .. كنا نحب ألا نختمها حتى نستوفى الكلام على صنيع النويرى من تصنيف ورواية عمن سبقه فى حقل التاريخ كابن الأثير وابن الجوزى وابن الرفيق وابن شدّاد ، بل على صنيعه إزاء بعض الحوادث دون بعض ، ومروره على موقف مرَّ المتعجل وتلبثه على آخر تلبّث المتأنى .. ونستخرج خصائص تأليفه وسمات أسلوبه ونكشف عن شخصيته التى تركها على نقوله من غيره ، بيد أننا رأينا أن هذا — فضلا عن أنه يحتاج إلى تفصيل كبير يحيد بهذا الجزء عن الطريق الذى رسم لإخوته .

من أجل ذلك طرحنا كل شيء وفى النفس أن نعود إلى المؤلف فى مكان آخر وبدراسة أوفى . . نبين فيها ما نريد ،

ونوسع ما يضيق عنه المجال هنا ، غير أننا نأمل أن تكون إشاراتنا فى الهوامش لبعض ما وقف عنده النويرى دليلا على خطره هو بين الموسوعيين الذين تفخر بهم عربيتنا على الأجيال .

إن هذا الرجل أحد المصريين القلائل الذين جمعوا إلى فن الكتابة صناعاتٍ أخَر ، وفى ظلّ السلطان الملك الناصر باشر نظر الجيش وتولى ديوان الدقهلية والمرتاحية ، ورصد تاريخًا يعتبر إلى الآن من أهم المراجع كما يقول فازيليف .

دكتور أحمد كمال زكى

ذكر خلافة المكتفى بالله ١٤٠ ـ ك

هو أبو محمدٍ عليُّ بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بنِ الموفَّق بالله أبي أحمد بنِ المهديّ ـ وهو الملقب بالناصر لدين الله ـ بن المتوكِّل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد أبي محمد بن المهديِّ أبي عبد الله محمدبن أبي جعفر المنصور بن محمدِ بن عليٍّ ابن عبد الله ابن عباس ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين (١) . وأمُّه خاضعُ أمُّ ولد وتُلَقَّبُ جِيجِك (٢) ، وقيل اسمها جنجورا ، وهو الخليفةُ السابع عشر من الخلفاء المباسيين . بُويع له يوم الإثنين لثمانٍ بقينَ من شهر ربيع الآخر سنةَ تسع وثمانين وما ئتين ـ

(١) المفروض أن اعتمد فى إخراج هذا النص على «ا» وهى صورة النسخة التى بخط المؤلف ، غير أن الصفحات الأولى منها غير واضحة فكان لابد من الرجوع إلى مصورة «ك» مع مقابلتها بالمصورة «ف» .

(٢) فى ك صفحة ١٤٠ وفى ف صفحة ٢ ـ ا «جيجقه» قريبة لما فى التنبيه والإشراف ٣٢١ «جيجق» وما هاهنا من تاريخ الطبرى ٨ : ٢٥ والكامل ٦ : ١١٩ لفظ تركى معناه زهرة . راجع Vahit فى An English and Turkish Dictionary. (Istanpul) 1931 ففى صفحة ١٦٤ يقول Flower : çiçek

وكان إذ ذاك بالرقة – فبايع له الوزير القاسمُ بن عبيد الله بنِ سليمان ابن وهب ، وكتب له يعلمه بوفاة أبيه وأخْذِ البيْعةِ لهُ.

فلما وصله الخبرُ ، أخذ البيعة على مَنْ عنده من الأجناد ، ووضع لهم العطاء ، وسار إلى بغداد ، ووجَّه إلى النواحى بديار ربيعةَ ومضر ونواحى العرب[1] منْ يضبطُها . ودخل بغداد لثمانٍ خَلَوْن من جمادى الأولى ، فلما صار إلى منزله أمر بهَدْم المطامير التى كان أبوه اتخذها لأهل الجرائم

ذكر قتل بدر غلام المعتضد بالله

وكان سببُ قَتْلِهِ أنّ القاسم – الوزير – كان قد همَّ بِنقْلِ الخلافةِ إلى غير ولد المعتضد بعده ، فقال لبدرٍ ذلك فى حياة المعتضد بعد أن استحلفه أن يكتم عليه فقال بدْرٌ : ما كنت لأصرفَها عن ولد مولاى وولىِّ نعمتى ! فلم يمكنْه مخالفته لأنه صاحبُ الجيش ، وحقد هاعليه فلما مات المعتضدُ كان بَدْرٌ بفارس فعقد القاسمُ البيعةَ للمكتفى ، وعمل على هلاك بدْر خَوْفًا على نفسه أن يذكر للمكتفى ما كان منه. وكان المكتفى مباعدًا لبدر فى حياة المعتضد ، فوجّه إلى القُوَّاد الذين مع بدر يأمرهم بمفارقته والمصير إليه ، ففارقه جماعة وأقبلوا إلى المكتفى فأحسن إليهم .

وسار بدْرٌ إلى الموصل وواسط. فوكل المكتفى بداره ، وقبض

(١) فى ك صفحة ١٤٠ وفى ف صفحة٢–ا ، « نواحى المغرب بوما هنا من الكامل ٦ : ١٠١

على أصحابه وقواده فحبسهم ، وأمر بمحْوِ اسمه من الأعلام والتُّراس [١] . وسير الحسن بن على إلى كورة [٢] واسط في جيش ، وأرسل بدْرٌ يعرض عليه أىَّ النواحى شاء ، فأبى ذلك وقال : لابُدَّ من المصير إلى باب مولاى !

فوجد القاسمُ مَساغًا للقول [٣] ، وخوّف المكتفى غائلتَه . وبلغ بدرًا ما فُعِلَ بأصحابه فأرسل من يأتيه بولدِه هلالٍ سِرًّا ، فعلم الوزير بذلك فاحتاط عليه ، ودعا قاضى الجانب الشرقىّ وأمره بالمسير إلى بدر وأن يطيِّبَ قلبَه عن المكتفى ويعْطِيَه الأمان على نفسه وولده وماله ، فقال القاضى أبو حازم : أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين ! فصرفه ودعا أبا عمر القاضى ، وأمره بمثل ذلك فأجابه ، وسار بكتاب الأمان . فسار بَدْر عن واسط إلى إلى بغدادَ فأرسل إليه الوزيرُ مَنْ قتله ، فلما أيقن بالقتل سأله المهلة إلى أن يُصَلِّى رَكعتين ، فأمهل حتى صلاهما . وضُرِبَتْ عُنقه يومَ الجمعة لِستٍّ خلون من رمضان ، وأُخِذ رأسُه وتُرِكَتْ جثتُه هنالك ، فوَجَّه عِيالُه من أخذها سرا وجعلوها فى تابوت ، فلما كان وقتُ الحجِّ حملوها إلى مكة فدفنوها بها — وكان أوْصَى بذلك — وأعْتِق كلُّ مملوكٍ له . ورجع أبو عمر إلى داره كئيبًا لِما كان منه ، وقال الناسُ فيه الشعرَ ، فمن ذلك قوْل بعضِهم :

---

(١) التراس : من آلات الحرب للوقاية ، وهى جمع مفرده ترس ، ويجمع أيضا على تروس وأتراس (القاموس المحيط)

(٢) ك ، ف كما فى الطبرى ٨ : ٢١٠ . والكامل ٦ : ١٠٢ « الحسين بن على كوره »

(٣) فى ك ، ف « مشاعا للقول »

قُلْ لقاضِي مدينةِ المنصورِ كيف أحللتَ أخذ رأسِ الأميرِ (١)
عند إعطائه المواثيقَ والعَهْـ ـدَ وعقْد الأيْمان فى منشور (٢)
أين أيْمانُك التى شهِدَ اللَّـ ـه على أنها يمينُ فجُور
إنَّ كفيْك لا تفارق كفَّيْـ ـهِ إلى أن تُرى مليكَ السرير (٣)
يا قليلَ الحياء يا أكْذبَ الأُمْـ ـمة .. يا شاهداً شهادةَ زور
ليس هذا فِعْل القُضاةِ ولا يُحْـ ـسِن أمثالَه وُلاةُ الجسور
أىَّ أمرٍ ركبتَ فى الجمعة الزَّهـ راء منه فى خَيْر هذى الشهور (٤)
قد مضَى مَنْ قتَلْت فى رمضانٍ صائماً بَعْد سَجْدَةِ التغفير
يا بنى يوسُفَ بنِ يعقوبَ أضْحَى أهل بغدادَ منكمُ فى غرورِ
بَدَّدَ اللهُ شملَكم أُ وأرانـى ذُلَّكمْ فى حياة هذا الوزيرِ
فأعِدُوا الجواب للحَكم العا دِل من بَعْدِ منكر ونكير (٥)
أنتمُ كلكمِ فِداءُ أبى حـــا زِمِ المستقيم كلَّ الأمور (٦)

وفيها (٧) لحق إسحاق الفَرْغانى - وهو من أصحاب بدْرٍ -

---

(١) فى الطبرى ٨ : ٢١٢ ، وفى الكامل ٦ : ١٠٢ « بم أحللت أخذ رأس الأمير »
(٢) فى الطبرى ٨ : ٢١٢ « بعد إعطائه » ...
(٣) فى الكامل ٦ : ١٠٢ « إلى أن ترى عليل السرير »
(٤) فى ك ، ف صفحة ٢ - ب بتصحيف صوابه ما أثبتناه ، وفى الطبرى ٨ : ٢١٢ « أى أمر ركبت فى الزهراء من خير خير الشهور » وهو خطأ واضح .
(٥) فى ك ، ف صفحة ٣ - ا ، يقول : العدل ، فيختل وزنه ، وأقامه ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٠٣ بروايته « العدل ومن بعد ...)
(٦) فى الكامل ٦ : ١٠٣ البيت هكذا
أنتمو ككلكم فدى لأبى حـــا زم المستقيم كل الأمور
(٧) أى فى سنة ٢٨٩

بالبادية وأظهر الخلاف على الخليفة المكتفى ، فحاربه أبو الأغر[١] فهزمه إسحاق وقتل جماعةً من أصحابه .

وفيها خلع المكتفى على هلال بنِ بدْرٍ وغيرِه من أصحاب أبيه فى جُمادى الأولى .

وفيها فى فصل الصيف هَبت ريحٌ باردةٌ بحِمْص وبغداد من جهة الشمال ، فَبَرُد الوقت واشتد البردُ حتى جمُدَ الماءُ ، واحتاج الناسُ إلى النار . وفيها هبت ريحٌ عاصفةٌ بالبصرة قلعت كثيرا من نخلها ، وخُسفَ بموضع هلك فيه . ستون ألف نفسٍ . وزلزلت بغداد في شهر رجب عَشْـــر مراتٍ فتضرّع النـــاس فى الجامع فسكنت . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمى [٢]

ودخلت سنة تسعين ومائتين : فى هذه السنة اشتد أمرُ القرامطةِ ، فجاء أهــل الشــام ومصــر إلى المكتفى يشكون ما يلقون من القرمطى[٣] من الأَسْرِ والسَّبْى والتخريب ؛ فأمر الجند بالتأهب ،وخرج من بغداد فى شهر رمضان ، وقدم بين يديه أبا الأغرّ فى

(١) هو خليفة بن المبارك أحد قواد العباسيين الكبار ، قامت بينه وبين القرامطة معارك كبار عدة .

(٢) ينتهى نسبه إلى عبد الله بن عباس ، وكان صاحب الصلاة ببغداد وأمير مكة والموسم ، حج بالناس نحو عشرين سنة ، وتوفى فى صفر من عام ٣٠٦

(٣) هو كما فى البداية والنهاية ١١ : ١٩٦ الحسين بن زكرويه بن مهدويه ، واحد من أتباع حمدان قرمط هؤلاء الذين قاموا بحركة دينية اجتماعية هددت دعائم العالم الإسلامى ، وعلاقة هذه الحركة بالإسماعيلية مضطربة ، ولكن جمهور المؤرخين يرى أنها فى العراق وسورية ومصر جزء من الإسماعيلية ، ويظن بعض المستشرقين أن القرامطة فى الأصل كيسانيون ثم اتحدوا بالإسماعيلية متحللين من الفرائض الدينية المعروفة مجمعين على ضرورة قتل أعدائهم

عشرة آلاف ، وسار إلى الشام . وجعـل طريقَه على المَوْصِل .

فنزل أبو الأَغَرّ بالقرب من حلب[١] ، فكبسهم القرمطى صاحب الشامة [٢] فقتل منهم خلقا كثيرًا . ودخل أبو الأغر حلب فى ألف رجلٍ وذلك فى شهر رمضان ، وسار القرمطى إلى باب حلب فحاربه أبو الأَغَرّ بمن بقِىَ معه وأهلِ البلد ، فرجع عنهم . وسار المكتفى حتى نزل الرَّقَّة ، وسيّر الجيوش إليه وجعل أمْرهم إلى محمد بن سليمان الكاتب ، وكان للقرامطة حروبٌ كثيرة ووقائعُ نذكرها — إن شاء اللهُ تعالى — فى أخبارهم [٣] .

وفيها أراد المكتفى البناء بسامرّاء ، وخرج إليها ومعه الصناع فقدّروا ما تحتاج إليه فكان مالا جزيلا ، فعَظُم الوزير ذلك عليه وصرفه عنها ، ورجع إلى بغداد . . وحجّ بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله العباسى .

ودخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين : فى هذه السنة سار من طرسوس غلام زرافة [٤] نحو بلد الروم ففتح مدينةَ أنطاكية عَنْوَة بالسيف ، فقتل خمسة آلاف وأَسَر نَحْوَهم ، واستنقذ من الأسارى خمْسة آلاف ، وأخذ لهم ستين مركبا حمّلها ما غنم من الأموال ، وقُدِّر نصيبُ كلّ رجل فكان ألفَ دينار .

---

(١) فى وادى « بطنان » على ما تذكر الأثبات .

(٢) كان للحسين شامة فى وجهه « ذكر أنها آيته » على ما يقول المؤرخون .

(٣) استطاع الكاتب ذلك القائد اليقظ أن يقضى على قوة الحسين القرمطى قرب حماه فيفر ولكنه لا ينجو !

(٤) يقول عنه ابن الأثير إنه قائد معروف ، وقال عن أنطاكية إنها مدينة تعادل القسطنطينية وهى على أية حال مدينة عظيمة بآسيا الصغرى قريبة من بحر الروم (ياقوت فى معجم البلدان)

وفيها مات الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان[١] . وحج بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ودخلت سنة اثنتين وتسعين وما ئتين : فى هذه السنة انقرضت الدولة الطولونيةُ ، واستولى المكتفى بالله على ما بأيديهم بمصر والشام . وأرسل محمد بن سليمان الكاتب إلى مصر بمواطأة قوّاد هارون بنِ خُمارويه فَتَوَجَّه ، وقاتله هارون فَقُتِلَ هارون ، واستولى ابن سليمانَ على مصر ، على ما نذكر ذلك مُبَيَّنًا - إن شاء الله تعالى - فى أخبار الدولة الطولونية .

قال[٢] : وكتب ابنُ سليمانَ بالفتح إلى المكتفى بالله ، فأمر باشخاصِ آلِ طولونَ إلى بغدادَ ففعل ذلك ، وولى معونة مصر عيسى النُّوشَرِى . ثم ظهر بمصرَ رجل يعرف بالخليجى[٣] - وهو من قوّادِ الدولة الطولونية - فخالف على الخليفة وكثر جمعه ، وعجز النُّوشَرِىُّ عنه فتوجَّه إلى الإسكندرية ، ودخل إبراهيم الخليجى مصر . فسيرّ إليه المكتفى الجنود مع فاتك[٤] - مولى المكتفى - وبدر الحماص ، فساروا فى شوّال فوصلوا حدود مصر

---

(١) مات فى ذى القعدة من هذه السنة وكان عمره اثنين وسبعين عاماً وثمانية أشهر تقريباً .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١١١

(٣) تتردد الأثبات فى رسمه هكذا ورسمه « الخلبخى » وقد اختار الطبرى الأول ، واختار ابن الأثير الثانى ، وقد قال عنه ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة (٣ : ١٥٣) إنه محمد بن على الخلبخى الأمير أبو عبد الله الطولونى ملك مصر عنوة من النوشرى .

(٤) فى ف صفحة ٣ - ب « مع قابل » كما فى ك وما ها هنا من الكامل ٦ : ١١١

فى صفر سنة ثلاث وتسعين [١] . وتقدَّم أحمد بن كَيْغَلَغ فى جماعة من القواد ، فلقيهم الخليجى فهزمهم بالقرب من العريش أقبح هزيمـة . فَنَدَبَ من بغدادَ جماعـةً من القُوَّاد فيهم إبراهيم بن كيغلغ ، فخرجوا فى شهر ربيع الأول . وبرز المكتفى إلى باب الشَّمَّاسِية [٢] يريد المسير لحرب الخليجى لِمَا / بلغه من قُوَّته — ٢ ـ ك
وكان ذلك فى شعبان — فورد كتابُ فاتكٍ فى شعبان أن « القوَّاد رجعوا إلى الخليجى وقاتلوه أشدَّ قتال ، وكانت بينهم حروبٌ آخرُها أنه انهزم ودخل فسطاط مصرَ واستترها ، ودخل عسكرُ الخليفةِ المدينةَ وظَفِروا به ، وحُبِس هو ومن استتر عنده » . فكتب المكتفى إلى فاتكٍ بَحمْلِه ومَنْ معه إلى بغداد ، فوصلوا بغداد فى شهر رمضانَ سنة ثلاث وتسعين ، ودخل المكتفى بغداد وأمر بِرَدِّ خزائنه وكانت قد بلغت تكريت [٣] .

وفيها — أعنى سنةَ اثنتين وتسعين أُخِذ بالبصرة رجل ذُكِرَ أنه أراد الخروج ، وأُخِذَ معه وَلَدُه وتسعةٌ وثلاثون رجلاً ، وحُملوا إلى بغدادَ وهم يستغيثون ويحلفون أنهم بِراءٌ [٤] . فأمر المكتفى بِحبْسهم

---

(١) من عادة النويرى أن يتعقب الواقعة بحذافيرها حتى ينتهى منها ، وإن جاوز السنة التى يؤرخ لها كما نرى ها هنا .

(٢) كان فى الشماسية التى كانت تجاور دار الروم فى أعلى بغداد (معجم البلدان لياقوت)

(٣) بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، سميت على ما ذكر ياقوت بتكريت بنت واثل . وتقع غربى دجلة وبها قلعة حصينة بناها سابور بن أردشير

(٤) نقول فى جمع بريء « براء » (القاموس المحيط)

وفيها أغار أندرونقس[١] الرومى على مرعش[٢] ونواحيها ، فَنَفَرَ أهلُ المصيصة وطرسوس فأصيب أبو الرجال بن أبى بكار فى جماعةٍ من المسلمين . فعزل الخليفة أبا العشائر عن الثغور واستعمل عليهم رستم بن بدر [٣] ، وافتدى رستم فكان جملةُ من فُودِىَ به المسلمون ألف نفس ومائتى نفس . وحج بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله .

وفيها كان ابتداءُ إمارةِ بنى حمدان بالمَوْصِل ، وذلك أن المكتفَى بالله ولَّى على الموصلِ وأعمالها أبا الهيجاء عبدَ اللهِ بنَ حَمدان بنِ حمدون التغلبىّ العدوىّ [٤] ، فقدمها فى المحرم ، وخرج فى اليوم الثانى من مَقْدَمِهِ لقتال الأكراد على ما نذكره إن شاء الله تعالى فى أخبار الدولة الحمدانية .

ودخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين : فى هذه السنة كان الظَّفَرُ بإبراهيم الخليجى المُغَلَّبِ على ديارمصر ، وقد ذكرنا ذلك فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

---

(١) فى ك « أندريس » وما هنا من ف صفحة ٣ – ب كما فى صلة الطبرى صفحة ٢

(٢) مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم ، يقول ياقوت إنها حصينة ولها سوران ، وبوسطها قلعة ، ولها ربض يعرف بالهارونية .

(٣) « بن بردو » فى الكامل ٦ : ١١١

(٤) هو رأس الأسرة الحمدانية وصاحب قلعة ماردين القريبة من الموصل ، ويظهر ابن حمدون على مسرح التاريخ لأول مرة عام ٢٥٤ يوم احتل الموصل مساور بن عبد الحميد فجمع صاحبها التغلبى جيشا كان فيه حمدان .

وفيها أغارت الروم على قورس - من أعمال حلب - فقاتَلَهُم أهلُها قتالاً شديدًا، ثم انهزموا وقتل كثير منهم[١]. ودخل الرومُ قورسَ، وأحرقوا جامعها، وأخذوا مَنْ بقى من أهلها. وحج بالناس فى هذه السنة محمد بن عبد الملك الهاشمى.

ودخلت سنة أربع وتسعين ومائتين: فى هذه السنة قُتل زكرويه رئيسُ القرامطة على ما نذكره إن شاء الله تعالى - فى أخبارهم[٢] وفيها غزا ابنُ كَيْغَلَغَ من طرسوس، فأصاب من الروم أربعةَ آلاف رأس سبيًا، ودوابَّ ومتاعا، ودخل بطريقٌ من بطارقة الروم فى الأمان فأسلم. وغزا ابن كيغلغ أيضا فبلغ شلندوا[٣]

* * *

وافتتحَ اللَّيْسَ[٤] فغنم نحوًا من خمسين ألف رأس، وقتل

---

(١) ذكر ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١١٥ أن معظم القتل من الرؤوس كانوا من تميم.

(٢) لن يقع ذلك فى هذا الجزء الذى بأيدينا فنقول إنه خرج يغزو الحاج فأوقع بهم مرات، فأرسل المكتفى قائده وصيفا فقضى على قوته وأسره بعد أن جرح، وعاش بعد أسره خمسة أيام ثم مات، وتفرق أصحاب زكرويه فى البرية وماتوا عطشا.

(٣) فى الكامل ٦ : ١١٧ «شكند» وفى عقد الجمان ٩، ٥ «شلندو» وفى النجوم الزاهرة ٣ : ٧٨ (سلند» وكلها لا وجه لها : إلا أن تكون «سمندو» قال عنها ياقوت إنها بلد فى وسط بلاد الروم غزاه سيف الدولة الحمدانى فقال المتنبى :

رضينـــا والدمستق غير راض بما حكم القواضب والوشيح
فان يقدم فقد زرنا سمنـــدو وإن يحجم فموعـــدنا الخليج

(٤) مدينة فى بلاد الروم

مقتلةً عظيمةً ، وانصرف ومن معه سالمين . وكاتب أندرونقس البطريق المكتفىَ بالله فى طلب الأمان فأعطاه ما طلب – وكان على حَرْبِ الثغور مِنْ قِبَلِ ملك الروم – فخرج ومعه نَحْوٌ من مائتى ألف أسير [1] من المسلمين فى السلاح ، فقبضوا على بطريقٍ كان ملك الروم أرسله ليقبض على أندرونقس – ليحاربوه – فسار إليه جمْعٌ من المسلمين لإغاثته ، فبلغوا قونية [2] وانصرف الروم عنه . وسار جماعةٌ من المسلمين إلى أندرونقس وهو في حِصْنِه ، فخرج إليهم ومعه أهله ، وسار معهم إلى بغداد . وخَرَّب المسلمون قونية ، فأرسل ملكُ الروم إلى الخليفة يطلب الفداء . وحج بالناس الفضلُ بن عبد الملك .

ودخلت سنةُ خمس وتسعين ومائتين : فى هذه السنة كانت وفاة إسماعيل بن أحمد السامانى أميرِ خرسان وما وراء النهر وقام بعده ابنُه أحمدُ على ما نذكره – إن شاء الله تعالى – فى أخبارهم [3] .

---

(١) فى الكامل ٦ : ١١٧ « مائتى » فقط

(٢) من أعظم مدن الإسلام بالروم وبها سكنى ملوكها ، وفى كتاب الفتوح يقول ياقوت « انتهى معاوية بن حديج فى غزوه أفريقية إلى قونية وهى موضع مدينة القيروان » .

(٣) يحق لنا هنا أن نعرف أن هذه الأسرة – وهى زردشتية الأصل – اعتنقت المذهب السنى ، وأنه لم يظهر بعد إسماعيل بن أحمد أمير فيها قدير ، إلا أن متانة الإدراة السامانية مكنها من المحافظة على ملكها مائة عام .

ذكر وفاة المكتفى بالله

كانت وفاة المكتفى ببغـداد لثلاثَ عشرةَ ليلةً خَلَتْ من ذى القعدة سنةَ خمس وتسعين ومائتين ، وطالت مرْضَتُه عدَّة شهور ، ولما مات دُفِنَ بدار محمد بن عبد الله بن طاهر . وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنةَ ، واختُلِف فيه إلى إحـدى وثلاثين سنةً وشهورٍ [١] ، وكانت مدةُ خلافته سِتَّ سنين وستَّةَ أشهر وعشرين يوما . وكان أسمر أعْيَنَ [٢] ، قصيرًا ، حسنَ اللحية والوجه . وهو الذى بنى / جامع القصر بمدينة السلام — وكان موضعه ٣ — ك مطامير فغطاها — وبنى تاج دار الخلافة على دجلة . وأنفق الأموال العظيمة فى حرب القرامطة ، وكان نقش خاتمه « بالله يثق علىٌّ بن أحمد » .

أولاده : المستكفى بالله ، وثمانية ذكور .

وزراؤه : القاسم بنُ عبيد الله ، ثم أبو العباس بن الحسن بن أيوب بن سواد جَرْجرايا [٣] ، وهو أوّل وزيرٍ منع أصحاب الدواوين الوصولَ إلى الخليفة .

---

(١) الواقع أن المكتفى مات صغيراً وخلال حكمه القصير بدا الناس أن العباسية استعادت مجد الخلافة واسترجعت عز سلطانها ، وحسبها أنها تستطيع به أن تقضى على ثورات القرامطة فى الشام وعلى سلطان الطولونيين فى مصر !

(٢) أعين : عظيم سواد العينين فى سعة (المحيط)

(٣) جرجرايا : بلد من أعمال النهروان بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى (معجم البلدان ٢ : ١٣٢)

قضاته : أبو حازم ، ثم يوسف بنُ يعقوب ، ثم أبو عمر بن على بن أبى الشوارب

حاجبه : خفيف السمر قندى .

الأُمراء بمصر : هارون بن خمارويه ، ثم سِنان بن أحمد بن طولون بمبايعة الجند له ، ثم محمد بن سليمان الكاتب دبَّرها إلى أن قَدِم - بأمر المكتفى - عليها عيسى بن محمد النوشرى .

القضاة بها : أبو زرْعة وأبو عبيدة مستتر إلى أن قَدِم محمد بن سليمان ، فظهر أبو عبيدةَ بعد استتاره عشر سنين ، وعاد إلى القضاء والله أعلم !

ذكر خلافة المقتدر بالله

هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبى العباس أحمد - وقد تقدَّم ذِكْر نَسبِه - وأُمّه أمُّ ولدٍ اسمُها شغب ! وهو الثامن عشر من الخلفاء العباسيين ، بويع له لثلاثَ عشرةَ ليلةً خَلَتْ من ذى القعدة سنة خمسٍ وتسعين ومائتين وعمرهُ يومذاك ثلاثَ عشرةَ سنة .

قال ابن الأثير (١) : كان سبب ولاية المقتدر أنَّ المكتفى لما ثَقُل مرضه فكَّر الوزيرُ أبو العباس بن الحسن فيمن يصلح للخلافة ، فاستشار محمد بن داود الجراح فى ذلك فأشار بعبد

(١) فى الكامل ٦ : ١١٩

الله بن المعتز ووصفه بالعقل والرأى والأدب ، واستشار بعده أباالحسن بن الفرات [١] فامتنع ، وقال : هذا شيءٌ ما جَرَتْ عادتى أشيربه ، وإنما أشاورُ فى العمال لا فى الخلفاء ! فغضب الوزير وقال : هذه مقاطعةٌ وليس يخْفَى عليك الصحيحُ ! وألحَّ عليه فقال : إن كان رأىُ الوزيرِ قد استقرّ على أحدٍ فليفعل . فعلم أنه عَنى ابنَ المعتزلا شتهار خبره ، فقال الوزير : لا أقنع إلا أن تَمْحضَنى [٢] النصيحة ! وألَحَّ عليه فقال ابن الفرات : فَلْيتَّقِ اللهَ الوزيرُ ولا ينْصِبْ إلا منْ قد عَرفه واطّلع على جميع أحواله ، ولا ينْصِبُ بخيلا فيضيِّق على الناس ويقطعَ أرزاقَهم ، ولا طامعا فَيَشْرهَ فى أموالهم فيصادرهم ويأْخذ أملاكهم وأموالَهم ، ولا قليلَ الدِّينِ فلا يخاف العقوبةَ والآثام ويرجو الثَّواب فيما يفعله ، ولا منْ قد عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا وضَيْعة هذا وفَرس هذا ، ومنْ قد لَقِى الناس ولقُوه وعاملهم وعاملوه وتحنَّك وحسب حساب الناس وعَرف وجُوه دخْلِهم وخَرْجِهم !

فقال الوزير : صدقت ونصحت ، فيمن تشير ؟ قال : أصلح الموجودين جعفرُ بنُ المعتضد بالله . قال : ويْحك هوصبى ! قال : إلا أنه ابنُ المعتضد ، ولِم نأْتى برجلٍ يباشر الأمور

(١) ابن الفرات والجراح من أسرتين حملتا لواء الكتابة فى هذا العصر ، ويبدو أن المنافسة بينهما وظهور كتاب كبار فى آل الفرات وآل الجراح انتهيا إلى تكوين حزبين متعارضين ، ولعل هذا يفسر موقف داود الجراح .

(٢) محضه النصيحة : أخلصها وصدقها (المحيط) .

بنفسه غير محتاجٍ إليها ؟ فمالت نَفْسُ الوزير إلى ذلك ، وانْضاف إليه وصيَّةُ المكتفى له بالأمر . فلما مات المكتفى بالله أرسل الوزيرُ صافيا الحُرَمِيَّ [١] ليحدر المقتدر من داره الغربى . فركب فى الحراقة [٢] وانحدر . فلما صارت الحرّاقةُ مقابِلَ دارِ الوزيرِ صاح غلمانُ الوزيرِ بالملّاح ليدخل إلى دار الوزير ، فَظَنَّ صافى الحرمىُّ أنه يريد القبض على جعفر وينصب فى الخلافةِ غَيْره ، فمنع الملّاح من ذلك . وسار إلى دار الخلافة وأخذ له صافى البيْعةَ على جميع الخدم وحاشية الدّار ، ولقب نَفْسه المقتدر بالله ولَحِقَ الوزيرُ به وجماعةُ الكُتّاب فبايعوه ثم جهزوا - جماعة الكتاب - المكتفى ودفنوه .

قال [٣] : وكان فى بيت المال حين بويع خَمْسةَ عشرَ ألف ألفِ دينارٍ ، فأطلق يدَ الوزيرِ فى بيت المال فأخرج حقَّ البيعة ! قال : ثم استصغر الوزيرُ المقتدر ، فعزم على خَلْعِهِ وتقليدِ الخلافةِ أبا عبد الله بن المعتَمِدِ على الله . فراسَله فى ذلك واستقرَّت الحال ، وانتظر الوزير قُدوم بارس [٤] حاجبِ إسماعيل صاحبِ

---

(١) يعرف بصافى الرومى وكان غلام أحمد بن طولون ، وعمل للخليفة فلما مات سنة ٢٩٨ قلد المقتدر مكانه مؤنساً الخادم على ماسنرى بعد (راجع النجوم الزاهرة ٣ : ١٧٤) وفى ك « صائفا » وهو تحريف صوبه بنفسه فى السطور التالية ، وفى ف صفحة ٤ - ب « الخرمى » بالخاء والراء المشددة وهو تحريف أيضا.

(٢) ضرب من مركبات الماء .

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١١٩

(٤) يقال له بارس الكبير ، وكان عامل إسماعيل بن أحمد السامانى على جرجان .

خراسان ، وكان قد أذِنَ له فى القدوم وأراد أن يستعين به على ذلك ويَتَقَوَّى به على غلمان المعتضد بالله ؛ فتأخَّر بارمس .

واتَّفَق أنه وَقَع بين أبى عبد الله بن المعتمد وبين ابن عمرويه — صاحب الشرطة — منازعةٌ فى ضَيْعةٍ مشتركةٍ بينهما ، فأغلظ له ابنُ عمرويه ، فغضب ابنُ المعتمد غضبًا شديدًا وأغمى عليه ، وفُلِج فى المجلس فَحُمِل إلى بيته فى محفَّةٍ فمات فى اليوم الثانى . فأراد الوزيرُ البيْعَةَ لأبى الحسن بن المتوكل فمات أيضا بعد خمسة أيام ، وتَمَّ أمر المقتدر . وحجَّ بالناس فى هذه السنة الفضلُ بن عبد الله الهاشمى

ودخلت سنةُ ستٍّ وتسعين ومائتين :

ذكر خلع المقتدر وولاية ابن المعتز

وانتقاض ذلك وعودة المقتدر ووفاة عبد الله بن المعتزّ

قال (١) : وفى هذه السنة اجتمع القوّاد والقضاة والكتاب مع الوزير (٢) على خَلع المقتدر والبيعة لابن المعتز بالله . وأرسلوا إلى عبد الله بن المعتز فأجابهم إلى ذلك على أن لا يكون فيه سفْكُ دم ولا حرب ، فأخبروه أنَّ كلمتهم اجتمعت عليه ، وأنه ليس له منازع ولا محارب . وكان القائم فى ذلك الوزير المذكور ومحمد

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٢١

(٢) هو العباس بن الحسن ، وكان موقفه ينم عن تردد بالغ ، فهو ليلة وفاة المكتفى يؤيد على بن عيسى فى ترشيح ابن المعتز للخلافة ، فهو يستحسن رأى داود الجراح ، ولكنه يميل إلى ابن الفرات ويبايع المقتدر ، وتكون النهاية قتله من آل الجراح .

ابن داود الجراح وأبو المثنىّ أحمد بن يعقوب القاضى ، ومن القوّاد الحسين بن حمدان وبدر الأعجمى ووصيف بن صَوَار تكين ثم إن الوزير رأى أمره صالحًا مع المقتدر ، وأنه على ما يجب ، فبدا له فى ذلك فوَثَب به الآخرون فقتلوه ، وكان الذى تولّى قَتْلَه منهم الحسينُ بنُ حمدان وبدرٌ الأعجمى ووصيفٌ . لحقوه وهو سائر إلى بستانٍ له فقتلوه ، وقتلوا معه فانكا المعتضدى ، وذلك فى العشرين من شهر ربيع الأول ، وخُلع المقتدر من الغد ، وبايعَ الناسُ لابن المعتز .

وركَضَ الحسينُ بنُ حمدان إلى الحلْبة [1] ظنا منه أن المقتدر يلعب هناك بالكرة فيقتله ، فلم يصادِفْه لأنه لما بلغه قتْلُ الوزير ركض دابته [2] ودخل الدار . وغُلِّقَتِ الأبوابُ ، فندم الحسينُ حيث لم يبدأ بالمقتدر ! وأحضروا ابنَ المعتز وبايعوه بالخلافة ، وتولى أخْذَ البيْعةِ له محمدُ بنُ سعيد الأزرق ، وحضَر الناسُ والقواد وأصحابُ الدواوين سوى أبى الحسنِ بنِ الفرات وخَواصِّ المقتدرِ فإنهم لم يحضروا . ولقِّب ابن المُعْتَزّ المرتضىَ بالله [3] أبا العباس عبد الله بن المعتز .

ووجه إلى المقتدر يأمره بالانتقال إلى دار ابنِ طاهر — التى كان

---

(١) اعتاد المقتدر أن يلعب فيها بالصوالجة ، مفردها صولجانه وصولج أى العود المعوج يضرب به الكرة .

(٢) ركض دابته : ركلها برجليه يستحثها لتسرع به (المحيط)

(٣) كذا فى الطبرى وابن الأثير ، وقيل « لقبوه بالمنصف بالله ، وقيل بالغالب بالله وقيل بالراضى بالله » (النجوم الزاهرة ٣ : ١٦٥)

بها قبل الخلافة – لينتقلَ هو إلى دار الخلافة ، فأجابه بالسمْع والطاعةِ ، وسأل الإمهالَ الى الليل . وعاد الحسين بنُ حمدان بُكْرةَ غَـدٍ إلى دار الخـلافة فقاتله الخـدم والغلمان والرَّجَّالة (١) / من وراء ١١ – ب
السور عامةَ النهار ، فانصرف عنهم آخِرَ النهارِ . فلما جنَّه الليلُ (٢) سار عن بغدادَ بأهله وماله الى المَوْصِل لا يدرى لِم فعل ذلك ؟ ولم يكن قد بقِى مع المقتدر من القُوَّاد غيرُ مؤنسٍ الخادم ومؤنسٍ وغريبِ الخال (٣) وحاشيةِ الدار . فلما همَّ المقتدر بالانتقال عن الدار قال بعضهم لبعض : لا نسلم الخلافة من غير أن نُبْلِىَ عدوا (٤) ونجتهدَ فى دفع ما أصابنا !

فاجتمع رأيهم على أن يصعدو فى الماء إلى الدار التى فيها ابنُ المعتز يقاتلونه ، فأخرج لهم المقتدر السلاح والزرديات (٥) وركبوا السميريات (٦) . فلما رآهم منْ عند ابنِ المُعْتَزِّ هالهم كثرتُهم ، واضطربوا ، وهربوا على وجوههم من قبل أن يصلوا إليهم ، وقال بعضهم لبعض : إنَّ الحسينَ بنَ حمدانَ ما يريد يجرى ، فلهذا هرب من الليل ، وهذه مواطأة بينه وبين المقتدر . ولما رأى عبد الله بن المعتزِّ ذلك ركب ومعه وزيره محمد بن داود وهربا ،

---

(١) من هنا تبدأ نسخة «ه» التى اتخذناها أصلا للنشر ، وبذا ينتهى النقل عن «ك» إلا فى حالات المقابلة

(٢) جنه : ستره (المحيط) (٣) هو خال المقتدر وقد توفى سنة ٣٠٥ .

(٤) نبلى عدوا : نسلمه للغم ، لأن البلوى والبلية والبلاء : الغم كأنه يبلى الجسم ، والتكليف بلاء لأنه شاق على البدن (المحيط)

(٥) الزرديات : هى الزرد دارجة تعنى الدروع .

(٦) السميريات : ضرب من القوارب الخفيفة السريعة .

وغلامٌ له ينادى : يا معْشَر العامة ادعوا لخليفتكم السُّنىِّ البربهارى ! وإنما نَسبه لذلك لأنَّ الحسينَ بنَ القاسم بن عبيد الله البربهارى كان مُقَدَّمَ الحنابلةِ والسُّنَّةِ من العامة ولهم فيه اعتقادٌ عظيم ، فأراد استمالتَهم بهذا القول .

ثم إنَّ ابنَ المعتَزِّ ومنْ معه ساروا نحو الصحراء ظنًّا منهم أنَّ مَنْ بايَعَه من الجُنْدِ يتبعونه ، فلم يلحقْه منهم أحد . فرجعوا ، / واختفى محمد بن داود فى داره ، ونزل ابن المعتَزِّ عن دابته ومعه غلامُه يُمْنٌ ، وانحدرا إلى دار عبد الله بن الجصَّاص ، فاستجارا به . واستتر أكثر منْ بايع ابنَ المعتز ، ووقعت الفتنةُ والنَّهْبُ والقَتْل ببغداد ، وثار العيارون والسِّفِلَة [1] ينهبون الدُّورَ . وكان ابن عمرويه - صاحبُ الشرطة - ممن بايع ابنَ المعتَزِّ ، فلما هرب جمع ابنُ عمرويه أصحابَه ونادى بشعار المقتدر يدلِّس بذلك فناداه العامَّةُ : يا مُراءِ يا كذابُ ! وقاتلوه ، فهرب واستتر وتفرّق أصحابه . ١٢ - ا

وقلَّد المقتدر فى تلك الساعة الشرطةَ مؤنسا الخازن ، وخرج بالعسكرِ وقبض على . . وصيفِ بن صَوَار تكين وغيرِه ، فقتلهم .

---

(١) فى ا ، ك ، ف « السفل » ولا وجه لها لأننا نقول سفلة (بكسر فتسكين) وسفلة (بفتح وكسر) بمعنى أسافل الناس وغوغائهم ، استعير من سفلة الدابة أى قوائمها . وأما العيارون فالأصل فيها الذين يروحون ويجيئون وتعنى الأذكياء أيضا ، ثم أصبحت تدل على فئة الأشرار المخادعين ، ويبدو أن الأمر قد انتهى بهم إلى أن يكون لهم تنظيم يلعب دوره الخطير فيما بعد (راجع دراسات فى العصور العباسية المتأخرة للدكتور عبد العزيز الدورى صفحة ٢٨٢ وما بعدها ، طبعة السريان سنة ١٩٤٥ .

وقبض على القاضى أبى المُثَنَّى أحمدَ بنِ يعقوبَ فقتله لأنه قيل له «بايع المقتدر» فقال : لا أبايع صبيًا ! ! فَذُبِحَ ، وأرسل المقتدرُ إلى أبى الحسن على بنِ الفرات - وكان مختفيا - فأحضره ، واستوزره ، وخَلَع عليه .

وكان فى هذه الحادثةِ عجائبُ منها أنَّ الناسَ كلَّهم أجمعوا على خَلْعِ المقتدرِ والبيْعةِ لابن المعتزّ ، فلم يتم ذلك ، بل كان بالعكس . ومنها أنّ ابنَ حمدانَ على شدَّةِ تَشَيُّعِهِ يسعى فى البيْعةِ لابن المعتزِّ على عُلوِّه فى النَّصْب[1] .

ثم إنّ خادما لابنِ الجصاص - يعرف بسوسن[2] - أخبر صافيا الحرمى أن ابنَ المعتز عند مولاه ومعه جماعة ، فكُبستْ دارُه وأُخِذَ ابنُ المعتزّ منها / وحُبِسَ إلى الليل ، ثم عُصِرَت خصيتاه حتى مات وسُلِّم إلى أهله[3] . وصودِر ابن الجصّاص على مالٍ كثيرٍ ، وأُخِذَ محمدُ بن داود وزيرُ المعتزّ فقتل ، ونُفِىَ علىُّ بن عيسى إلى واسط ، وصودِر القاضى أبو عمرو على مائة ألف دينار ، وسُيِّرَتْ العساكر من بغداد فى طَلَبِ الحسين بنِ حمدان ، فتبعوه إلى الموصل ثم إلى بلده ، فلم يظفروا به ، فعادوا إلى بغداد . وأخذَ الوزير الجرائد التى كان فيها أسماء من أعان

١٢ - ب

(١) أهل النصب : الذين ينصبون لعلى بن أبى طالب وجهه كارهين له لأن من ينصب لآخر يعاديه ويبغضه ، فأهل النصب على ذلك هم المتدينون ببغضة على ، لأنهم نصبوا له أى عادوه . (المحيط وأساس البلاغة للزمخشرى)

(٢) كذا فى ا وفى ك صفحة ٤ وفى صفحة ٦ - ا ، ولكن ابن الأثير يسميه «سوس» الكامل ٦ : ١٢٢

(٣) كانت خلافته يوما وليلة ، وقيل نصف نهار فقط ! والمعروف أنه كان أديبا عالما كبيراً ، قال الشعر ، وصنف فى طبقات رجاله المحدثين ووضع فى البديع كتابا .

على المقتدر فغرّقها فى دجلة ، وبسط ابن الفرات العدل والإحسان وأخرج الإدرارات للطالبيين والعباسيين . وأرضى القوّاد بالأموال ، ففرّق معظم ما كان فى بيوت الأموال

وفى هذه السنة كان ابتداء ظهور الدولة العُبَيْدية المنسوبة للعلوية بأفريقية على ما نذكره - إن شاء الله تعالى - فى أخبارهم[1] .

وفيها سيّر المقتدرُ القاسم بنَ سيما وجماعةً من القوّاد فى طلب الحسين بن حمدان ، فساروا حتى بلغوا قرقيسيا فلم يظفروا به ، فكتب المقتدر إلى أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان - وهو الأمير على الموصل - يأمره بطلب أخيه الحسين . فسار هو والقاسمُ بن سيما ، فالتقَوْا عند تكريت فانهزم الحسين ، وأرسل أخاه إبراهيم بنَ حمدان يطلب له الأمانَ فأُجيب إلى ذلك ، ودخل بغداد وخلع عليه وعُقِد له على قم وقاجان[2] فسار إليهما .

/ وفيها وصلَ بارس غلام إسماعيل السامانى ، وقُلِّد ديارَ ربيعةَ . ١٣ - ا

وفيها خُلِعَ على المظفر مؤنسٍ الخادم ، وأمر بالمسير إلى غزو

---

(١) يفوتنا ذلك فى هذا الجزء ومن ثم نقول إنها تنسب لعبيد الله المهدى أبى الخلفاء الفاطميين ، بدأت فى سجلماسة حيث كان حبيساً ، ثم راح يوطد لها بالقضاء على قوة الكتاميين والصنهاجيين والأدارسة وغيرهم ، ولما تم له كل شىء وبنى المهدية حاضرته اتجه إلى المشرق ونجح .

(٢) تكتب قاشان أيضا ، وهى مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم ، وأهلها كلهم شيعة إمامية ، وبين قاشان وقم أثنا عشر فرسخا وبين قاشان وأصبهان ثلاث مراحل (ياقوت فى معجم البلدان) .

الروم . فسار فى جمع كثيف فغزا من ناحية مَلَطْية [١] ومعه أبو الأغرّ السُّلَمى ، فظفر وغنم ، وأسر منهم جماعة ، وعاد .

وفيها قلّد يوسف بن أبى الساج [٢] أعمال أرمينية وأذربيجان ، وضمنها ثمانية ألفٍ وعشرين ألف دينار .

وفيها أمر المقتدر أن لا يُسْتعانَ بأحدٍ من اليهود والنَّصارى ، فأُلزِموا بيوتَهم ، وأُخِذوا بِلُبْسِ العسلىّ [٣] و [تعليق] [٤] الرُّقاع من خلف ومن قُدام ، وأن يكونَ رَكْبُهم خشنا . وحجَّ بالناسِ فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ودخلت سنة سبع وتسعين ومائتين : فى هذه السنة وجه المقتدر القاسمَ بنَ سِيما لِغَزْوِ الصائفة [٥] ، وحجَّ بالناس ، الفضل بن عبد الملك .

وفيها مات عيسى النُّوشَرِى - أميرمصر - واستعمل المقتدرُ

---

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة كما يقول ياقوت تناخم الشام استولى عليها المسلمون وبنوا بها مسجداً وكانوا يخرجون منها فى غزو الصائفة ، وقد ذكرها الشعراء كثيرا ولا سيما المتنبى وأبو فراس الحمدانى .

(٢) الواقع أن بداية هذا الرجل كانت بداية قاطع طريق ، وإن يكن أخوه الأفشين أمير أذربيجان ، وكان يهاجم الحجاج فأوقعوا به ، وسير إليه المكتفى الحملات لإخضاعه ، ولما استمال المقتدر أشركه فى حروب القرامطة .

(٣) عسل اليهود : علامتهم

(٤) ليست فى سياق الأصل ولا فى غيره ولكن المقام يقتضيها وذكرها ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٣ : ١٦٥

(٥) الصائفة : غزو الروم فى الصيف لأن جليد الشتاء يحول دون الغزو المحيط

تكينَ [١] الخادم ، وخَلَعَ عليه فى منتصف رمضان . وقال أبو الفرج بن الجوزى [٢] فى حوادث هذه السنة « قال ثابت بن سنان رأيت فى صدر أيام المقتدر ببغداد امرأة بلا ذراعين ولا عَضُدَيْن ، وكان لها كفّان بأصابع تامة متعلقة فى رأس كتفيها لا تعمل بهما / شيئا وكانت تعمل أعمال اليدين برجليها ، ١٣ ـ ب
ورأيناها تغزل برجليها وتمدّ الطاقة وتسوّيها ـ قال ـ ورأيت امرأة أخرى بعضُدَيْن وذراعين وكفّين إلا أنّ كلّ واحد من الكفين ينخرط ويدقّ إذا فارق النَّهْدَيْن حتى ينتهىَ إلى رأسٍ دقيقٍ يمتدّ ويصيرُ إصبعًا واحدةً ، وكذلك رِجْلها على هذه الصورة ، ومعها ابنٌ لها على مِثْل صورتها ! »

ودخلت سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين : فى هذه السنة جُعِلَتْ أم موسى الهاشمية قهرمانةَ دار [٣] المقتدر بالله ، فكانت تؤدِي الرسائل عن المقتدر بالله وأمّه إلى الوزراء . ثم صار لها [أن] [٤] تحكم كثيرًا فى الدولة على ما نذكره إن شاء الله تعالى. وحج بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمى .

ودخلت سنة تسع وتسعين ومائتين :

---

(١) هو ابن عبد الله الحربى الأمير منصور المعتضدالخزرى ، وقد أضيفت إليه دمشق

(٢) فى المنتظم ٦ : ٨٩

(٣) قهرمانة : سيطرة وحفيظة ، قال سيبويه القهرمان فارسى، وقال ابن برى القهرمان من أسماء الملك وخاصته فارسى معرب (اللسان مادة قهرم)

(٤) زيادة ليست فى الأصل ولا فى غيره ولكن السياق يقتضيها .

ذكر القبض على ابن الفرات

ووزارة الخاقانى

فى هذه السنة قَبَضَ المقتدر بالله على وزيره ابن الفرات ، ووكل بداره ، وهتك حُرَمَه ، ونهب أمواله ودُورَ أصحابه ومن يتعلّق به فافتتنت بغداد لِقَبْضه ، وكانت مدةُ وزارته — وهى الأُولى — ثلاث سنين وثمانية أشهر / ، وثلاثةَ عشر يومًا . وقُلد أبو ١٤ — ا
على محمد بن يحيى بن عبيد الله بن خاقان الوزارة ، فرتّب أصحاب الدواوين ، وتولى مناظرة ابنِ الفرات (١) . ثم انجلتْ أمورُ الخاقانى لأنه كان ضجورًا (٢) ضَيِّقَ الصدر ، مهملا لقراءة كتب العمال ، وجباية الأموال ، وكان يتقرّب إلى الخاصة والعامة ؛ فكان إذا رأى جماعة من الملاحين والعامة يصلون — جماعةً — ينزل ويُصَلِّى معهم ، وإذا سأله أحدٌ حاجةً دقَّ صدره وقال : نعم وكرامةً ! فَسُمِّىَ « دقَّ صدره » إلا أنه قَصَّر فى إطلاق الأموال للقوّاد والفرسان فنفروا عنه . وكان أولاده قد تحكّموا عليه وكلٌّ منهم يسعى لمن يرتشى منه ؛ فكان يُوَلِّى فى الأيام القليلة عدّةً من العمال حتى إنه ولّى ماه الكوفة (٣) فى مدة عشرة أيام (٤) سبعة من العمال ،

(١) فى الكامل ٦ : ١٣٩ أن الذى تولى مناظرته أحمد بن يحيى بن أبى البغل .

(٢) نقول ناقة ضجور فنعنى التى ترغو عند الحلب ، وفى س ، ف « صحور » نقول أتان صحور فنعنى أن نفوحا برجلها وقد نعنى أن فيها بياضا وحمرة (المحيط) .

(٣) الماه : لفظ فارسى معناه الزمام والحوز .

(٤) كذا فى الأصل وفى ك صفحة ٦ وفى ف صفحة ٨ — ا ، إلا أن ابن الأثير يقول فى الكامل ٦ : ١٣٩ « عشرين يوما وهو أكثر قبولا .

فاجتمعوا فى الطريق فعرضوا توقيعاتهم ، فصار الأخير وعاد الباقون يطلبون ما خدموا به أولاده ، فقيل فى ذلك :

وزيرٌ قدتكاملَ فى الرقاعــه يُولَّى ثم يعزل بعْد ساعه (١)
إذا أهل الرِّشا اجتمعوا لَديْه فَخَيْرُ القَوْمِ أَوْفَرهُم بضاعه (٢)
وليس يُلام فى هذا بحــالٍ لأَنَّ الشيخَ أفلتَ من مجاعه (٣)

قال (٤) : ثم زاد الأمر حتى تَحَكَّم أصحابُه ، فكانوا يطلقون الأموال ويفسدون الأحوال ؛ فانْحَلَّت القواعد ، وخبثت النيات واشتغل الخليفة بِعزْلِ وزرائه والقَبْضِ عليهم والرجوع إلى قَوْلِ النساء والخدم والتصرّف على مقتضى إرادتهم ، فخرجت الممالك وطمع العمّال فى الأطراف ، فصار مآل الأمر إلى ما نذكره إن شاء الله تعالى . / ١٤ ـ ب

قال (٥) : ثم أحضر المقتدرُ الوزيرَ ابنَ الفرات من محبسه ، وجعله فى حجرةٍ ـ من ضِمْن الحجر ـ مُكَرَّمًا ، فكان يعرض عليه مطالعات العمال وغَيْرَ ذلك بارًّا به بعد أن أخذ أمواله .

وفى هذه السنة غزا رستُم أميرُ الثغور الصائفةَ من ناحية

(١) فى صلة الطبرى ٨ : ٢٩ « وزير ما يضيق من الرقاعه »
(٢) فى الطبرى « إذا أهل الرشا صاروا إليه .. فأحظى القوم أوفرهم بضاعة »
(٣) فى الطبرى « وليس بمنكر ذا الفعل منه »
(٤) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٣٩
(٥) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٤٠ .

طَرَسوس[١] ومعه دمْيانة[٢] ، فحصر حِصْنَ مليح الأرمنى ، ثم دخل بلده وأحرقه .

قال ابن الجوزى[٣] : وفى هذه السنة وَرَدَ من مصر أربعةُ أحمالِ مالٍ ، وقيل إنه وُجِدَ هناك كنزٌ قديم . وكان معه ضلع إنسان طولُه أربعةَ عشرَ شبْرًا فى عرْضِ شبْرٍ ، وزعموا أنه من قوم عاد .. وكان مبلغ المال خمسمائة ألف دينار ، وكان مع ذلك هدايا عجيبة — قال — وذكر الصولى أنه كان فى الهدايا تَيْسٌ له ضرْعٌ يحلب اللبن ووردت رُسُل أحمد بنِ إسماعيل بهدايا فيها بدنةٌ[٤] مرصَّعةٌ بِفاخِرِ الجوهرِ ، وتاجٌ من ذهبٍ مُرَصَّعٌ بجوهرٍ له قيمةٌ كبيرة ، ومناطقُ ذهبٍ مرصعة ، وخِلَعٌ سلطانيةٌ فاخرة ، وربعة ذهب مرصعة فيها شمَّامات مسك وعنبر كلُّه مرصع ، وعشر/ أفراسٍ بِسُرُوجها ولإحداها ١٥ — ١ سرج ذهب . ووردت هدايا ابنِ أبى السّاج وهى أربعمائةُ دابَّةٍ وثمانون ألف دينار وفَرْشُ أرمنى لم يُرَ مِثْلُه ، فيه بساطٌ طولُه سبعون ذراعًا فى عَرْض ستين ، لا قيمةَ له ! وحَجَّ بالناس الفضلُ بن عبد الملك الهاشمىّ .

ودخلت سنة ثلاثمائة من الهجرة النبوية

---

(١) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم (معجم البلدان)

(٢) هو أحد القواد المشهورين يلقب بالبحرى لأن المكتفى حين طلب إليه التوجه إلى مصر أمره بركوب البحر ، وكان قبل غلام يازمان الخادم .

(٣) المنتظم ٦ : ١٠٩

(٤) البدنة من الإبل أو البقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة (المحيط)

ذكر عزل الخاقانى عن الوزارة

وزارة علىّ بن عيسى

فى هذه السنة ظهر للمقتدر بالله تخليطُ الخاقانىّ وعَجْزُه عن الوزارة ، فأراد عزْلَه وإعادة أبى الحسن بن الفرات ، فمنعه مؤنسٌ الخادمُ وقال له : متى أعدتَه ظَنَّ النَّاسُ أنَّك إنما قبضتَ عليه شَرها فى ماله ! وأشار عليه باستدعاء علىِّ بنِ عيسى من مكة وتَقليدهِ الوزارة وشكره مؤنس الخادمُ وأثنى عليه .

فأمر المقتدر باحضاره ، فوصل إلى بغدادَ فى أوَّلِ سنة إحدى وثلاثمائة ، فجلس فى الوزارة وسُلِّم إليه الخاقانىّ فأحسن إليه ووسّع عليه . ولما تولّى علىٌّ بن عيسى لازم العملَ والنظرَ فى الأمور وردّ المظالم ، وأطلق من المكوس شيئا كثيرا ، وأسقط زيادات كان الخاقانى قد زادها / للجند ؛ لأنه عمل معدّل الدَّخْل والخَرج ١٥ ـ ب فرأى الخرْجَ أكثر من الدَّخْل ، فأسقط الزيادات . وأمر بعمارة المساجد والجوامع وتبييضها وبَسْطِها بالحصر وإشعالِ الأضواء فيها . وأمر بإصلاح البيمارستانات وعمل ما تحتاج إليه ، وغير ذلك من وجوه البر والقُرُبات[1] .

قال[2] : ولما عزل الخاقانى أكْثَر النَّاسُ التزوير على خطِّ الخاقانىّ بصلاتٍ وإدرارات ، فنظر علىٌّ بن عيسى فى ذلك فأنكر

---

(١) لخص مسكوية فى تجارب الأمم ١ : ٢٨ ، ٢٩ سياسة هذا الوزير العامة بحيث ظهر لنا بوضوح أنه نجح فى إصلاح الوضع المالى وفى إقامة لون من العدل المنشود ، وقرر بصراحة أنه ساس الدنيا أحسن سياسة فاستقام أمر السلطان وصلح أمر الرعية .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٤١

الخطوط. وأراد إسقاطها ، فخاف ذَمَّ الناس ، فأنفذها للخاقانىّ فقال : كلُّها خَطِّى وأنا أمرت بها فلما عاد الرسولُ إلى علىّ بن عيسى قال : واللهِ لقد كذب ، وقد علم المزوَّر من غيره ولكنه اعترف بها لتحمده الناس ويذمونى ! وأمر بإحراقها[1] ، وقال الخاقانىُّ لولده : يا بنى ، هذه ليست خطى ولكنه أنفذها إلىّ وقد عرف الصحيح من السقيم وأراد أن نأخذ الشَّوْك بأيدينا ويبغضنا إلى النَّاسِ ، وقد علمت مقصودَه ، وعكسته عليه !

قال ابن الجوزىّ[2] : وفيها لاثنتى عشرة ليلةً بقيت من شهر ربيع الآخر ورد الخبرُ بانخساف جبل بالدِّينَوَر يعرف بالتل وخرج من تحته ماء كثير أغرق عِدَّةً من القرى ، ووصل الخبرُ بانخساف قطعةٍ عظيمةٍ من جبل لبنان وسقوطها فى البحر[3] .

وفى هذه السنة خرج أهل صقليةَ عن طاعةِ المهدىِّ صاحب / أفريقية ، وخُطِبَ للمقتدر بالله بها . وكان الذى قام بهذه الدعوة ١٦ ـ ا
أحمد بن قرهب ، فسيرَّ إليه الخِلَعَ السُّودَ والألوية ، ثم خرج أهل الجزيرة عليه وقبضوه وبعثوه للمهدى فقتله . وحجَّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ودخلت سنة إحدى وثلاثمائة : وفى هذه السنة خلع المقتدر بالله على ابنه أبى العباس وقلَّده أعمال مصر والمغرب وعمره أربع

(١) فى الكامل ٦ : ١٤١ « وأمر بها فأجيزت »
(٢) المنتظم ٦ : ١١٥ وقد أورد غريب الخبر نفسه فى صلة الطبرى صفحة ٢٨ .
(٣) أورد الخبر ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٣ : ١٨٠ .

سنوات ، واستخْلِفَ [له] [١] على مصر مؤنس الخادم . وهذا أبو العباس الذى ولِيَ الخلافةَ بعد القاهر ولقِّبَ الراضى بالله على ما نذكره إن شاء الله تعالى . وخَلَعَ أيضا على ابنه على وولاه الرىَّ [٢] ودُنباوند [٣] وقزوين وزَنجان [٤] وأبهر [٥] .

وفيها خالف أبو الهيجاء بن حمدان بالمَوْصل على المقتدر بالله ، فسير إليه المُظَفَّرَ مؤنسًا ، فأتاه ابن حمدانَ مستأمنا ، وورد [مؤنس] [٦] معه إلى بغداد فخلع المقتدر عليهما .

وفيها استولى الحسنُ بن علىٍّ بن عمر بن الحسين بن علىٍّ على بَرسنان ، وتَلَقَّبَ بالناصر على ماذكره — إن شاء اللهُ تعالى — فى أخبار الطالبيين .

وفيها جَهَّزَ المهدىُّ — صاحبُ أفريقيةَ — العساكر مع ابنه القائد إلى الديار المصرية ، فسار إلى برقةَ واستولى عليها ، وسار إلى مصر فَمَلَكَ الإسكندريةَ والفيوم ، وصار فى يده أكثرُ البلاد فسيَّر المقتدر لحربه مؤنسًا الخادم فى جيشٍ كثيفٍ ، / فحارب عساكرَ ١٦ — ب

(١) زيادة من الكامل ٦ : ١٤٤ يقتضيها السياق .

(٢) من أمهات البلاد كما يقول ياقوت وكانت قصبة بلاد الجبال أى مابين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين وكان العجم يطلقون على هذه المناطق خطأ اسم العراق

(٣) جبل من نواحى الرى وهو من فتوح سعيد بن العاصى أيام عثمان لما ولى الكوفة ، ذلك بين ٢٩ ، ٣٠ الهجرة .

(٤) بلد كبير مشهور من نواحى الجبال بين أذربيجان وبينها وهى قريبة من قزوين وأبهر .

(٥) أبهر مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحى الجبل (معجم ياقوت)

(٦) زيادة ضرورية للسياق

المهدىّ وأجلاهم عن الديار المصرية ، فعادوا إلى المغرب منهزمين . وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك أيضا

ودخلت سنة اثنتين وثلاثمائة : فى هذه السنة أمر المقتدر بالقبْض على أبي عبد الله الحسين بن عبد الله الجوهرىّ المعروف بابن الجصاص وأُخِذَ ما فى بيته من صنوف الأموال ؛ فأُخذ منه ما قيمتهُ أربعةُ آلافِ ألفِ دينار ، وكان هو يدّعى أنّ ما أخذ منه عشرون ألف ألفِ دينارٍ ، وأكثر من ذلك[1] .

وفيها أنفذ الملقَّبُ بالمهدى — صاحب أفريقية — جيشا إلى الديار المصرية مع قائد من قواده يقال له حَبَاسة[2] فى البحر ، فغَلَبَ على الاسكندرية ثم سار منها إلى مصر . فأرسل المقتدر لحربه مؤنسا الخادم فى عسكر فالتقوا فى جُمادى الأُولى واقتتلوا قتالا شديدا ، فقتِلَ من الفريقين وجُرِح خَلْقٌ كثيرٌ . ثم كانت بينهم وقعةٌ ثانية ، ثم وقعة ثالثة ورابعة انهزم فيها المغاربةُ وقُتل منهم وأُسِر سبعةُ آلاف وذلك فى سَلْخ جُمادى الآخرة . وعاد من بقى إلى المهدى فقتل حباسة .

---

(١) قال أبو المظفر فى مرآة الزمان : وأكثر أموال ابن الجصاص المذكور من قطر الندى بنت خمارويه صاحب مصر ، فإنه لما حملها من مصر إلى زوجها المعتضد ، كان معها أموال وجواهر عظيمة ، فقال لها ابن الجصاص : الزمان لا يدوم ولا يؤمن على حال ، دعى عندى بعض هذه الجواهر تكن ذخيرة لك ! فأودعته ، ثم ماتت فأخذ الجميع .

(٢) فى الأصل « حباثة » وكذلك فى س ، ف وأما الطبرى وابن الأثير وياقوت فقالوا « حباسه » . وقال صاحب القاموس فى مادة « حبس » وكغراب وبهاء قائد من قواد العبيديين . وقال الهورينى شارحه : وقد ضبطه الحافظ بن حجر بفتح الحاء المهملة والشين المعجمة !

وفيها غزا بشْر الخادمُ والى طرسوس بلاد الروم ، ففتح فيها وغزا وسبىَ وأسر مائةً وخمسين بطريقًا ، وكان السَّبْىُ نحوًا من ألفَىْ رأس .

وفيها قلَّد أبو الهيجاء [عبد الله] بن حمدان الموصل [والجزيرة] (١)

/ قال ابن الجوزى(٢) : وفيها فى جمادى الأُولى ختَن المقتدر ١٧ ـ ا
خمسةَ أولاد له ، ونثر عليهم خمسةَ آلاف دينار ومائة ألف درهم ورقا ـ قال ـ ويقال إنه بلغت النفقةُ فى هذا الختان ستمائة ألف دينار ، وختن قبل ذلك جماعة من الأيتام وفرِّقَتْ فيهم دراهم كثيرة . وحجَّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمى .

ودخلت سنةُ ثلاث وثلاثمائة :

ذكر خروج الحسين بن حمدان

عن طاعة المقتدر

فى هذه السنة خرج الحسين بن حمدان بالجزيرة عن الطاعة ، وسبب ذلك أن الوزير علىَّ بنَ عيسى طالبه بمال عليه من ديار ربيعة ـ وهو يتولَّاها ـ فدافعه فأمر بتسليم البلاد إلى العمال ، فامتنع ، فجهَّز الوزيرُ رائقا الكبير فى جيش لمحاربته ، وكتب إلى مؤنسٍ الخادمِ ـ وهو بمصر ـ يأمره بالمسير إلى الجزيرة لقتال ابنِ حمدان بعد فراغه من أصحاب المهدىِّ . فسار رائقٌ إلى الحسين بن حمدان

(١) مابين حاصرتين زيادة عن النجوم الزاهرة ٣ : ١٨٥
(٢) المنتظم ٦ : ١٢٧

فالتقيا واقتتلا قتالًا شديدًا ، فانهزم رائق ، وغنم الحسين سواده ، وسار رائق إلى مؤنس فأمره بالمقام بالمَوْصِل ، وجدَّ مؤنسٌ في السَّيْر في طلب الحسين . فلما قارب منه راسله الحسين واعتذر وتكرَّرت الرسائلُ بينهما ، فلم يستقر حال . فرحل مؤنسٌ نحو الحسين ، فسار إلى أرمينية بثقله وأولاده ، وتفرق عسكرُ الحسين عنه ، وصاروا إلى مؤنس .

ثم جهز مؤنس جيشا في أثره مُقدَّمُهم يلبق[1] فتبعوه إلى تلّ فافان ، فإذا هي خاويةٌ على عروشها قد قُتلَ أهلُها ، وأحرقها فجدُّوا في اتِّباعِه ،فأدركوه فقاتلوه ، فانهزم منْ بَقِي معه من أصحابه ، وأسر هو وابنُه عبدالوهاب وجميعُ أهْلِه وأكْثَرُ منْ صحِبَه وقبض أملاكهم . وعاد مؤنسٌ إلى بغداد على طريق الموصل والحسينُ معه ، فأُرْكِبَ على جمَلٍ هو وابنه وعليهما اللُّبُود[2] الطِّوالُ وقمصانٌ من شعر أحمر . وحُبِس الحسين وابنهُ عند زيدانَ القهرمانة ، وقبَضَ المقتدر على أبي الهيجاء بن حمدان وعلى جميع إخوته وحُبِسوا . وكان بعضُ أولاد الحسين بنِ حمدانَ قد هرب فجمع جمعًا ومضى نحو آمِدَ[3] ، فأوقع بهم مُسْتَحفظُها وقَتَلَ ابنَ الحسين وأنفذ رأسَه إلى بغداد .

---

(١) كذا في التنبيه والإشراف للمسعودي ، وفي صلة الطبري وفي تجارب الأمم لابن مسكويه ، وفي «ا» وفي ك صفحة ٨ وفي ف صفحة ١٠ – ا ، والكامل (يليق » و يقال له يلبق المؤنسي لأنه كان غلام مؤنس . !

(٢) أردية من شعر الصوف للمطر ، واللبادة (كرمانة) ما يلبس من اللبود .. (المحيط)

(٣) أعظم مدن ديار بكر وأشهرها ذكرا ، تحيط دجلة بأكثرها ، وفي وسطها عيون وآبار قريبة الغور ، قال ياقوت إنها حصينة مبنية بالحجارة السود على نشز .

وفيها خرج مليح الأرمنى إلى مرعش ، فعاث فى بلدها ، وأسر جماعة ممّن حولها . وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ودخلت سنة أربع وثلاثمائة :

ذكر وزارة ابن الفرات الثانية

وعزل على بن عيسى

١٨ ـ ا / فى هذه السنة فى ذى الحجة عُزِل على بن عيسى عن الوزارة وأعيد إليها أبو الحسن على بن الفرات . وكان سبب ذلك أن أبا الحسن بن الفرات كان محبوسا ، وكان المقتدر بالله يُشَاوِرُه فى الأمور وهو فى محبسه ، ويرجع إلى قوله . وكان على بن عيسى يُمشِّى أمر الوزارة ولم يتَّبعْ أصحابَ ابن الفرات ولا أسبابَه ولا غيره وكان جميل المحضر قليل الشر ، فبلغه أن ابنَ الفراتِ قد تَحدَّثَ له جماعة من أصحاب الخليفة فى إعادته إلى الوزارة ، فاستعفى من الوزارة ، وسأل فى ذلك فأنكر المقتدرُ عليه ومنَعَهُ من ذلك .

فلما كان فى آخر ذى القعدة جاءت أمُّ مُوسى القَهْرَمانةُ لتتفِّق معه على ما يحتاج إليه حرم الدار والحاشية التى للدار من الكسوات والنفقات فوصلت إليه وهو نائم فقال لها حاجبه : إنه نائم ولا أجسر أن أوقظه فاجْلِسى فى الدار حتى يستيقظ . فغضبتْ من هذا وعادتْ ، واستيقظ الوزيرُ فى الحال فأرسل إليها حاجبه وولده يعتذرُ فلم تقبل منه ، ودخلت إلى المقتدر وخاطَبتْه فى عزله وحرَّضَته على ذلك فعزَلَهُ عن الوزارة وقبض عليه فى ثامن ذى الحجة(١) .

(١) فى الكامل ٦ : ١٥٤ « فى ثامن ذى القعدة » والخلاف ليس كبيرا على أية حال ، ويكفى أن نعلم أن هذا الوزير مكث فى منصبه أكثر من ثلاث سنوات برغم اضطراب=

وأعيد ابنُ الفرات إلى الوزارة وضَمِنَ على نَفْسِه أن يحْمل فى كلِّ يومٍ ألْف دينارٍ إلى بَيْتِ المال وخمسمائة دينار ، فقبض على أصحاب الوزير علىِّ بنِ عيسى وعاد فقبض على الخاقانى الوزيرِ وأصحابِه ، واعترض العُمَّالَ وغيرَهم / وعادَ عليهم بأموالٍ عظيمة . ١٨ – ب
وكان أبو علىٍّ بنِ مُقْلَةَ قد اسْتَخْفَى منذ قُبِض على ابن الفرات إلى الآن ، فلما عاد ابنُ الفرات إلى الوَزارة ظَهرَ فأشخصه ابنُ الفرات الوزير وقَرَّبَه وأحْسنَ إليه

وحكى عبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزىّ فى تاريخه المنتظم (١) أنَّه لما قُلِّدَ الوزارة خُلِعَ عليه سَبْعُ خلَع وحُمل إليه من دار السُّلْطان ثلاثمائه ألف درهمٍ ، وعشرون خادمًا ، وثلاثون دابَّةً لِرَحْله ، وخمسون دابةً لغلمانه ، وخمسون بغلا لنقله ، وبغلان للعمارية بقبابها وثلاثون جَمَلًا ، وعَشْرُ تُخوتِ ثيابٍ (٢) وأنه ركب معه مؤنسٌ الخادم ، وغلمانُ المقتدرِ ، وصار إلى داره بسوق العَطَش ، ورُدَّتْ إليه ضِياعُه ، وأُقطع الدارَ التى بالمخرم فسكنها . وأنه سَقَى النَّاسَ فى ذلك اليوم وتلك الليلة أربعين ألف رطل ثلج ، وزاد ثَمَنُ الشَّمْع والكاغد (٣) وكانت هذه عادته ! قال : (٤)

= أحوال المقتدر ، وربما كانت الفرصة أمامه مهيأة ليبقى لولا ضجره من سوء أدب الحاشية ، ويقال إنه استعفى أكثر من مرة (راجع النجوم الزاهرة ٣ : ١٩١) .

(١) راجع الجزء السادس صفحة ١٣٨

(٢) تخوت : مفردها تخت أى خزانة الملابس ، ويقال تخت الملك أى عرشه كما يقال للمقعد والسرير تخت .

(٣) الكاغد : الورق (فارسية)

(٤) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٥٤

وكانت مُدَّةُ اعتقالِهِ إلى أن رَجعَ إلى الوزارة خمْسَ سنين وأربعة أيام . قال : وسُمِعَ بعضُ العَوَام يقول يَوْمَ خُلِعَ علَى ابنِ الفرات : واللهِ خذلونا ، أخذوا منَّا مصحفًا وأعْطَوْنا طنبورًا ! فبلغ ذلك إلى الخليفة ، فكان ذلك سببًا للإحسان إلى على بنِ عيسى وحُسْن النيَّة فيه إلى أن خَرَج من الحبس [والله تعالى أعلم]

ذكر أمر يوسف بن أبى الساج

/ كان يوسُفُ بنُ أبى السَّاجِ على أذربيجان وأرمينة قد ١٩ ـ ا
ولِى الحربَ والصلاةَ والأحكامَ وغيرَها منذ أول وزارةِ ابنِ الفرات الأُولى ، فلما عُزل ابن الفراتِ وتولى الخاقانىُّ طمع فأخر حمْلَ بعضِ المالِ ، فاجتمع له من المالِ ما قَوِيتْ به نَفْسُه على الامتناعِ ، وبقى كذلك إلى هذه السنة . فلما بَلَغَهُ القبضُ على على الوزير علىِّ بن عيسى أظهر أنَّ الخليفةَ أنفذَ إليه عَهْدَ الرىّ وأن الوزيرَ علىَّ بنَ عيسى سَعَى له فى ذلك ، وجمع العساكر وسار إلى الرىّ وبها محمد بن صُعْلُوكٍ يتولَّى أمْرَها لصاحب خراسانَ نصر بن أحمد السامانى . وكان ابنُ صعلوكٍ قد تغلَّب على الرىّ وما يليها أيام وزارةِ على بن عيسى ، ثم أرسل إلى ديوان الخلافةِ يقاطعُ عليها عمال يحمله ، (١) فلما بلغه مسيرُ يوسُفَ نَحوَه سار إلى خراسان ، فدخل يوسُفُ الرَّىَّ واستولى عليها وعلى قَزوين وزنجان وأبهر ، فلما اتصل فعْلُه بالمقتدر بالله أنكره

(١) كذا فى ف صفحة ١١ ـ ا

وكتب يوسُف إلى الوزير ابن الفراتِ يعرفه أنَّ علىَّ بنَ عيسى أنفذ إليه بالعهدِ واللواء وأنه افتتح هذه الأماكن وطَرَد عنها المتغلِّبين عليها واعْتَدَّ بذلك، وذكر كثرةَ ما أُخرِجَ عليه من الأموال ، فعظم ذلك على المقتدر وأمر ابنَ الفرات أن يسأل علىَّ بنَ عيسى عن الذى ذكره يوسُف فأحضره وسأله فأنكر ذلك فَصَدَّقه . وكتبَ ابنُ الفرات إلى ابن أبي الساج / ينكر ١٩ ـ ب
عليه تعرُّضَه إلى هذه البلاد وكذبَه على الوزيرِ وَجَهَّزَ العساكر لمحاربته . فسارت فى سنة خمسٍ وثلاثمائة وعليها خاقان المفلحى ومعه جماعة من القواد (١) ، فساروا ولقُوا يوسفَ واقتتلوا ، فهزمهم يوسُف وأسَرَ منهم جماعةً وأدخلهم الرىَّ مُشَهَّرين على الجمال .

فسَيَّر الخليفةَ مؤنسًا الخادمَ فى جيشٍ كثيف لمحاربته ، فسار وانضم إليه مَن كان مع خاقان ، فصرف خاقانَ عن أعمال الجبل ووليها نحريرُ الصغيرُ وسار مؤنس وأتاه أحمدبنُ على ـ وهو أخو محمدبن صعلوك ـ مستأمِنًا فأكرمه ، ووصلت كتب ابن أبي الساج يسأل الرِّضَى عنه وأن يقاطَع على أعمال الرى وما يليها على سبعمائة ألف دينارٍ لبيت المال سوى ما تحتاج إليه الجند وغيرهم ، فلم يجبه المقتدر إلى ذلك وقال : لو بذل ملْكَ الأرض لما أقررته على الرَّىِّ يومًا واحدًا لإقدامه على التَّزْوِيرِ ! فلما عَرَف ابن أبي السَّاج ذلك مَار عن الرَّىِّ بعد أن أخربها وَجَبَى خراجَها فى

(١) يقول ابن الأثير فى الكامل (٦ : ١٥٥) منهم أحمد بن مسرور البلخى وسيما الجزرى ونحرير الصغير .

عشرة أيام . وقلّد المقتدرُ الرَّيَّ وقزوين وأبهر وصيفا البُكْتُمريّ (١) ، وطلب يوسف بنُ أبى الساج أن يُقَاطَع على ما كان بيده من الولاية فأشار ابنُ الفرات بإجابته إلى ذلك ، فعارضه نصر الحاجبُ وابن الحوارىّ وقالا : لا يُجاب إلى ذلك إلا بعد أن يطأ البساط . ونُسِبَ الوزيرُ ابنُ الفراتِ إلى مُوَاطَأَتِهِ والميلِ معه . فامتنع
١ – ٢٠ / المقتدر بالله من إجابته إلا أن يحضر إلى الخِدْمَةِ بنفسه . فلما رأى يوسُف ذلك حاربَ مؤنِسًا فانهزم مؤنسٌ إلى زنجان ، وقُتل من قواده جماعة (٢) وأُسِر جماعةٌ منهم هلال بنُ بدرٍ ، فأدخلهم أردبيل مشهَّرين على الجمال .

وأقام مؤنسٌ بزنجانَ يجمع العساكر ويستمد الخليفة ، وكاتبه يوسُف فى الصُّلْحِ وراسله فيه ؛ فكتب مؤنس إلى الخليفة فلم يُجبْه إليه . فلما كان فى المحرم سنة تسع (٣) وثلاثمائة اجتمع لمؤنسٍ خلق كثيرٌ فسار نحو يوسُف ، فتواقعا على باب أردبيل ، فانهزم عسكرُ يوسُف ، وأُسِرَ هو وجماعةٌ من أصحابه فعاد بهم مؤنسٌ إلى بغدادَ فدخلها فى المحرم .

وأُدْخِل يوسف مُشَهَّرًا على جَمَلٍ وعليه برنسٌ بأذنابِ الثعالب ، فأُدخل على المقتدرِ ، ثم حُبِسَ عند زيدان القهرمانة .

(١) هكذا ضبط عند ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٣ : ١٣٨ وفى الطبرى « البكتمرى » بفتح الباء وإسكان الكاف وكسر التاء .

(٢) فى الكامل ٦ : ١٥٥ أن الذى قتل هو سيما

(٣) فى الكامل ٦ : ١٥٥ « سنة سبع »

وفى سنة أربع و ثلاثمائة توفّى الناصرُ العلَوِىُّ صاحب طبرستان .

وفيها خالف أبويزيدَ خالد بنَ محمدٍ على المقتدرِ بكرمان ـ وكان يتولى الخراج ـ وسار منها إلى شيراز يريد التغلب على فارس ، فحاربه بَدْرٌ الحمامى وقتله وحمل رأسه إلى بغداد .

وفيها سار مؤنسٌ المظفّر إلى بلادِ الروم للغزاة ، فسار إلى ملَطية وغزَا منها ، وكتب إلى أبى القاسم على بن أحمد بن بسطام . أَنْ يغزُوَ من طَرسوس فى أهلها ، ففعل وفتح مؤنس حصونا كثيرةً من الروم وأثر آثارًا جميلة وعاد إلى بغداد فأكرمه الخليفةُ وخَلَع عليه . ٢٠ ـ ب

قال أبو الفرج [عبد الرحمن بن الجوزى] (١) وفيها وَرَدَ الخبرُ من خراسان أنه وجُدَ بالقندهار فى أبراج سورها أَزَجٌ (٢) متصل بها ، فيه ألف رأس فى سلاسل ، من هذه الرؤوس تسعة وعشرون رأسا (٣) فى أذن كلِّ رأسٍ رقعةٌ مشدودةٌ بخيطٍ إبريسم (٤) مكتوب فيها اسم الرجل . قال وكان من الأسماء شريح بن حيان وخباب بن الزبير والخليل بن موسى وطلق ابن معاذ ، وحاتم بن حسنة ، وهانئ بن عروة ، وفى الرقاع تاريخٌ من سنة [سبعين من] (٥) الهجرة ، ووُجدوا على حالِهم لم يتَغَيّرْ شعْرُهم إلا أن جلودَهم قد جَفّت .

(١) الإضافة من ك صفحة ١٠ وهى ليست فى ف ١٢ ـ ا والخبر فى المنتظم ٦ : ١٣٩

(٢) أزج : ضرب من الأبنية ، الجمع أزج وآزاج (المحيط)

(٣) يعنى رأس شهيد .

(٤) الإبريسم : بفتح السين أو ضمها الحرير (المحيط)

(٥) فى الأصل وفى ك وف « من سنة الهجرة » والزيادة من المنتظم .

ودخلت سنة خمس وثلاثمائة : قال أبو الفرج[١] : فى هذه السنة وَرَدَ على السلطان هدايا جليلةٌ من أحمد بنِ هلال صاحبِ عُمان ، وفيها أنواعٌ من الطِّيب وطرائفُ من طرائف البحرِ وطائر أسود يتكلم بالفارسية والهندية أفْصَح من الببغاء وظباءٌ سود

قال : ابنُ الأثير : [٢] وفى هذه السنة من المحرم وصلَ رسولان من ملك الرّوم إلى المقتدر يطلبان المهادنة والفداء فأجاب المقتدر إلى ما طَلَبَ ملكُ الروم من الفداء ، وسير مؤنسًا الخادم ليحضر الفداء ، وجعله أميرا على كل بلدٍ يدخله ، يتصرف فيه على ما يريد إلى أن يخرج عنه ، وأرسل معه / مائةَ ألفٍ وعشرين ألفِ دينار لفداء أسارى المسلمين . ٢١ ـ ١

قال [أبو الفرج] بنُ الجوزىّ فى خبر الرسل[٣] إنهما أُدْخِلا وقد عُبِّىَ العسكرُ بالأسلحة التّامة وكانوا مائة ألفٍ وستين ألفا ، وكانوا من أعلى باب الشماسية إلى الدار ، وبعدهم الغلمان الحُجرية والخدم الخوص بالبزة الظاهرة [٤] والمناطق المحلاة ، وكانوا سبعةَ آلاف خادم منهم أربعةُ آلافٍ بيض وثلاثةُ آلاف سود ، وكان الحُجّابُ سبعمائةَ حاجبٍ ، وفى دجلة الطيّاراتُ والزّبازِبُ والسّميريّاتُ بأفضل زينةٍ . فسار الرسولان فَمَرّا على دار نصر القشورى الحاجب ، فرأيا منظرًا عجيبا فَظَنّاه الخليفةَ وهاباه حتى

(١) راجع المنتظم ٦ : ١٤٥
(٢) فى الكامل ٦ : ١٥٨
(٣) راجع المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ٦ : ٤٣
(٤) فى المنتظم « بالسمة الظاهرة »

قيل إنه الحاجب ، ثم حُملا إلى دارِ الوزير فرأيا أكثر من ذلك ولم يشكا أنه الخليفة فقيل إنه الوزير .

قال : وزُيِّنَتْ دار الخلافةِ . وطيف بهما فيها فشاهدا ما هالهما ، وكانت الستور ثمانيةً وثلاثين ألفَ سترٍ من الديباجِ ، المذهبة منها اثنا عشر ألفا وخمسمائة ، وكانت البُسُط والنِّخاخ (١) اثنين وعشرين ألفًا وكان فى الدار من الوحش قطعان تأنس بالناس وتأكل من أيديهم ، وكان هناك مائة سَبُع كلٌّ سَبع بيد سبّاع. ثم أُخرجا إلى دار الشجرة ، وكانت شجرة فى وسط بركةٍ فيها ماءٌ صافٍ ، والشجرةُ / ثمانيةَ عشر غصنًا لكلِّ غصن منها شاخات ٢١ – ب
كثيرةٌ عليهـا الطيورُ والعصافيرُ من كلِّ نوع مذهبة ومفضضة . وأكثر قضبانِ الشجرة فضةٌ وبعضها مذهبةٌ وهى تتمايل ، وبها ورق مختلفُ الألوان ، وكل من هذه الطيور تصفر . ثم أُدخلا إلى الفردوس ، وكان فيه من الفراش والآلات مالا يحصى ، وفى دهاليزه عشرة آلاف جوْشَن (٢) مذهبة معلقة

قال : وبطول شَرْحُ ما شاهدا من العجائب إلى أن وصلا إلى المقتدرِ وهو جالس على سرير أبنوس قد فُرِشَ بالدِّيباقى المطرَّزِ وعن يمنة السريرِ تسعةُ عقودٍ معلقة وعن يسرته تسعةٌ أخرى من أفخرِ الجواهرِ يضىءُ ضوؤها على ضوء النهار

(١) فى ا ، ك لفظ غير منقوط ، وضحته فى صفحة ١٢ – ب ، والنخاخ : جمع نخ وهو البساط . الذى يكون طوله أكثر من عرضه ، وهو لفظ فارسى معرب (لسان العرب)
(٢) جوشن ، ودع ، وقيل أن الجوشن من السلاح زرد يوضع على الصدر .

قال : فلما وصلَ الرسولان إلى الخليفة ، وقفا على نَحْوِ مائةِ ذراعٍ وابنُ الفراتِ قائم بين يَدَيْهِ والتُّرْجُمان قائمٌ يخاطب الخليفةَ . ثم أُخْرجا وَطِيفَ بهما في الدار حتى أُخْرجا إلى دجلةَ وقد أُقيمت على الشطوط الفيلة والسباع والفهود !

قال : ثم خُلِع عليهما وحُمِلَ إليهما خمسون بدرة ورقًا في كلِّ بدرة خمسة آلاف درهم .

قال : وفيها ورد كتابٌ من رَوْ أنَّ نَفَراً عشروا على نَقْبٍ في سور المدينة فكشفوا عنه فوصلوا إلى أزج فأصابوا فيه ألفَ رأسٍ ، وفي أُذنِ كلِّ رأسٍ رقعة قد أُثْبِتَ فيها اسمُ صاحبها[1]

/ وفيها أُطْلِقَ أبو الهيجاء بن حمدان وإخوته وأهلُ بيته من الحبْس ، ٢٢ ـ ا
وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ودخلت سنة ست وثلاثمائة :

ذكر عزل ابن الفرات عن الوزارة

ووزارة حامد بن العباس

في هذه السنة في جُمادى الآخرة قُبِضَ على الوزير أبي الحسَن ابن الفرات ، وكانت مدة وزارته هذه ـ وهي الثانية ـ سنةً وخمسةَ أشهرٍ وسبعةَ عشرَ يومًا وكان سبب ذلك أنَّه أخَّر إطلاق أرزاقِ الفرسان ، واحْتَجَّ عليهم بِضيقِ الأموال وأنها خَرَجَتْ في محاربة ابن أبي السَّاج وأنَّ الارتفاع نقص

(١) ما أشبه هذه الواقعة بما ذكر في سنة أربع وثلاثمائة على ما مرَّ بنا .

بِأَخْذ يوسف أموالَ الرىّ ، فَشَغَب الجُنْدُ شَغَبًا عظيما وخرجوا إلى المصلَّى فالتمس الوزيرُ من المقتدر إطلاقَ مائتى ألف دينارٍ من بيتِ مالِ الخاصَّة ليضيف إليها مائتى ألف دينارٍ يُحَصِّلُها ويصرفُ الجميعَ فى أرزاق الجند ، فاشتد ذلك على المقتدر وأرسل إليه : إنك ضمنت أن تُرْضِىَ جميعَ الأجناد وتقوم بجميع النفقات وتحمل بعد ذلك ما ضمنت حمْلَه يومًا بيوم وأراك الآن تطلب من
٢٢ ـ ب بيت مال الخاصة ! فاحتج بقلة / الارتفاع وما أخـذه ! ابنُ أبى السّاج منه وما خَرجَ على محاربته ، فلم يَسْمعِ المقتدرُ حُجَّتَه وتنكّر له . وقيل كان سبب قَبْضِهِ أن المقتدر قيل له إنَّ ابنَ الفرات يريد إرسال الحسين بن حمدان لمحاربة ابن أبى الساج فإذا صار عنده اتفقا عليك . ثم إنَّ ابنَ الفراتِ قال للمقتدر أن يرسل ابنَ حمدان لحربه فقُتِلَ ابنُ حمدان في جُمادى الأولى ، وقبض ابن الفرات في جُمادَى الآخرة .

قال : (١) وكان بعض العمال قد ذَكَر لابن الفرات ما يتحصَّلُ لحامِدِ بن العبَّاس من أعمال واسط. زيادةً على ضمانه فاستكثره ، وكاتبه فى ذلك ، فخاف حامدٌ أن يُؤْخَذَ ويطالبَ بالمال ، فكتب إلى نصر الحاجب وإلى والدة المقتدر وضمن لهما مالًا ليَتَحدَّثا له فى الوزارةِ . فذُكِرَ المقتدر حالُه وسعةُ نَفْسِه وكثرةُ أتباعه وأنَّ له

(١) فى الكامل ٦ : ١٦٠ « وتسعة عشر يوما »
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٦٠

أربعمائةَ مملوك يحملون السِّلاح ، ووافق ذلك نَفرَة المقتدر عن ابن الفرات فأمره بالحضور من واسط ، فحضر وقبض على ابن الفرات وولده المحسن وأصحابهما وأتباعهما .

ولما وصل حامدٌ إلى بغداد أقام ثلاثةَ أيامٍ فى دار الخلافةِ ، فكان يتحدَّث مع النَّاس ويضاحكهم ويقوم لهم ، فبان للخَدَمِ وحاشيةِ الدَّارِ قلةُ معرفته بالوزارة ، وقال له حاجِبُه / يامولانا .. الوزيرُ يحتاجُ إلى لبسة ٢٣ ـ ١
وجلسة وعبسة ! فقال له : نعم أنه يلبس ويقوم ويقعد ولا يقوم لأحدٍ ولا يضحك فى وجه أحـد ؟ قال نعم ! قال حامد : إنَّ الله تعالى أعطانى وجهًا طَلْقًا وخلقا حسنًا وما كنت بالذى أغيِّر وجهى وأقبِّح خلقى لأجل الوزارة[1] ! فأمر المقتدر بإطلاق علىِّ بن عيسى من محبسه ، وجعله يتولى الدواوين شبه النائب عن حامد[2] فكان يراجعه فى الأمور ويصدر عن رأيه .

ثم إنه استبد بالأمور دون حامد ، ولم يبق لحامد غير اسم الوزارة ومعناها لعلى حتى قيل فيهما :

أعْجَبُ مـن كلِّ ما تراه أنَّ وزيرين فى بـلاد
هذا سواد بلا وزير وذا وزيـرٌ بـلا سـواد[3]

---

(١) الواقع أن حامد بن العباس – وإن يكن مثريا فاضلا – كان يجهل آداب البلاط وشئون الدولة ، وقيل فى تعليل ذلك إنه كان من أصل وضيع سقاء ويبيع التمر (معجم الأدباء ٥ : ٣٢٥)

(٢) فى تحفة الأمراء لهلال الصابى ٣٤٧ ، صلة الطبرى ٧٣ مايدل على أن على بن عيسى قبل ذلك بعد تردد

(٣) فى الكامل ٦ : ١٦٠ بيت واحد على هذا النحو :
هذا وزير بلا سـواد وذا سواد بـلا وزير

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى [١] : وفى هذه السنة أمرت السيدة أم المقتدر . قهرمانةً لها تعرف بثَمَل أن تجلس بالتُّربةِ التى بنتها بالرُّصافة للمظالم وتنظر فى رقاع الناس فى كل جمعة [٢] ، فجلست وأحضرت القاضىَ أبا الحسين الإسنانى [٣] وخرجت التوقيعات على المداد - قال - وقال أبو محمد على بن أحمد بن سعيد الحافظ : فَعَدَتْ ثَمَلُ القهرمانةُ فى أيام المقتدر بالله للمظالم ، وحضَر مجلسها القضاةُ والفقهاء .

/ وفيها غزا يُسْرُ الأفشينى بلادَ الرُّوم فافتتح عِدَّةَ حصونٍ وغَنِمَ ٢٣ - ب
وَسَلِمَ ، وغزا ثمال [٤] فى بحر الروم فغنم وسَبىَ وعاد . وفيها أمر المقتدر ببناء بيما رستان فَبُنىَ وأُجْرى عليه النفقات الكثيرة ، وكان يُسمَّى المقتدرىَّ ، وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمى [٥] .

ودخلت سنة سبع وثلاثمائة :

فى هذه السنة وصل القائم بن المهدى من أفريقية من قِبل أبيه بجيشٍ كثيف فكان وصولُه إلى الإسكندريةِ فى شهر ربيع

(١) فى المنتظم ٦ : ١٤٨

(٢) كذا فى الأصل نقلا عن المنتظم ، وفى صلة الطبرى ٧١ « يوماً فى كل جمعة »

(٣) فى المنتظم ٦ : ١٤٨ « وأحضرت القاضى أبا الحسن بن الإشنانى » وفى الهامش قال المحقق « فى ترجمته من تاريخ بغداد كناه أبا الحسين » وهو على أية حال من الفقهاء حفاظ الحديث ، ولى القضاء للمقتدر ثلاثة أيام ثم عزل وكان قبل ذلك محتسبا ببغداد !

(٤) كان متولى الغزو فى البحر ، وقد حطم مراكب المهدى العلوى صاحب أفريقيا

(٥) فى النجوم الزاهرة ٣ : ١٩٤ « وقيل أحمد بن العباس أخو أم موسى القهرمانه »

الآخر (١) ، فخرج عنها عاملُ المقتدر (٢) ودخل القائم ، ثم رحل إلى مصر فدخل الجيزةَ وملك الأشمونين وأكثر الصعيد . وكتب إلى أهـلِ مكةَ يدعوهم إلى الدُّخول في طاعته فلم يُجيبوه ، فبعث المقتدر بالله مؤنسًا الخادم في شعبان وَجَدَّ في المسير فوصل إلى مصر وكان بينه وبين القائم عدةُ وقعات .

ووصل من أفريقية ثمانون مركبا نجدةً للقائم ، فأمر المقتدر بالله أن تسير مراكبُ طرسوسَ إليهم ، فسارت خمسةٌ وعشرون مركبًا وفيها النَّفْط والعُدَدُ ومقدَّمُها أبو اليمن ، فالتقت المراكب بالمراكب واقتتلوا على رشيد ، فظفر أصحاب مراكب المقتدر بالله وأحرقوا كثيرًا من مراكب أفريقية وأسروا منهم كثير . وكان ممن أسر سليمان الخادم ويعقوب الكتامي وهما مقدما المراكب / فمات ٢٤ – ا
سليمان في الحبس بمصر ، وحمل يعقوب إلى بغداد ثم هرب منها وعاد إلى أفريقية .

وفيها ضَمِنَ حامدُ بنُ العباسِ الوزير أعمالَ الخراج والضِّياع الخاصَّةِ والعامَّةِ والمستحدثة والفراتية بسواد بغدادَ والكوفةِ والبصرةِ وواسطٍ والأهواز وأصبهان . وسبب ذلك أنه رأى أنه قد تَعَطَّلَ عن الأمر والنَّهي وتفرَّدَ بهِ عليُّ بنُ عيسى ، فشرع في هذا ليصير له حديثٌ وأمْرٌ ونَهْيٌ ، ثم استأذن المقتدرَ في الانحدار إلى واسط ليُدَبِّرَ أمْرَ ضَمانِهِ الأوَّلَ فأذِنَ له فانْحَدَر إليها ، واسم

(١) في النجوم الزاهرة ٣ : ١٩٦ « وأما معسكر المغاربة فان مقدمة القائم بن المهدي دخلت الإسكندرية في صفر هذه السنة »

(٢) هو تكين بن عبد الله الحربي .

الوزارةِ عليه ، وعلىٌّ يدبر الأمور ! وأظْهَرَ حَامِدٌ زِيادةً عظيمةً ظاهرةً فى الأموالِ ، فَسُرَّ المقتدِرُ بذلك وبسَطَ يدَ حامِدٍ فى الأعمالِ حتى خافَه علىُّ بنُ عيسى .

ثم تَحَرَّكَ السِّعْرُ [1] ببغداد فثارت العامَّةُ والخاصَّةُ ، لذلك ، واستغاثُوا وكسروا المنابِرَ ، وكان حامد يخزن الغلال ، وكذلك غَيْرُه من القواد ، فأمر المقتدرُ بإحْضَار حامدٍ فحضر من الأهواز ، فعاد النَّاسُ إلى شَغَبِهِمْ . فأنْفَذَ حامِدٌ جماعةً لمنْعِهم ، فقاتلهم العامَّةُ ، وأحرقوا الجِسْرَين وأخرجو المحبسين من السجن ونهبو دارَ صاحبِ الشُّرْطَة ، فأنفذ المقتدرُ جَيْشًا مع غريب الخال فقاتل العامَّةَ ، فانهزموا بين يَدَيْه ودخلوا الجامع بباب الطَّاق ، فأُخِذ وحُبِسوا ، ثم ضُرِب بعضُهم وقُطِعتْ أيْدى من عُرِفَ بالفَسَادِ .

٢٤ ـ ب ثم أمر المقتدرُ مِن الغَدِ فَنودِى / فى النَّاسِ بالأمان فسكنت الفِتنة ، ثم ركِبَ حامدٌ إلى دارِ المقتدر فى الطيّار [2] فرجمه العامَّةُ ، فأمر الخليفةُ بفتح مخازِنِ الحِنْطَةِ والشَّعيرِ التى لحامدٍ ولأُم المقتدرِ وغيرهما ، وبيع ما فيها فَرَخُصتِ الأسعارُ وسكنتِ النَّاسُ ، فقال على بن عيسى للمقتدر : إنَّ سَبَب غلاء الأسْعارِ ضمانُ حامدٍ ، فإنه مَنَع بيْع الغِلال فى البيادِرِ وخَزَنَها ! فأمر المقتدرُ بفَسْخ الضَّمان عن حامـد وصـرف عُمّاله عن السواد ، وأمر علىَّ بنَ عيسى أن يتولى ذلك ، فسكن النَّاسُ واطمأنوا .

---

(١) تحرك السعر : ارتفع

(٢) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقى وتعرف بطاق أسماء

(٣) الطيار : ضرب من السفن الخفيفة السريعة

وفيها قُلِّدَ ابراهيمُ بنُ حمْدانَ دِيار ربيعة ، وحجَّ بالناس فى هذه السنة أحمد بن العباس أخو أمِّ موسى القهرمانة .

ودخلت سنة ثمانٍ وثلاثمائة : فى هـذه السنة خلع المقتدر بالله على أبى الهيجاء عبدِ الله بن حمدان ، وقلَّده طريق خراسانَ والدِينَوَر ، وخلع على إخوته أبى العلاء وأبى السرايا

وفيها توفى ابراهيمُ بن حمدان فى المحرم ، وحجَّ بالناس فى هذه السنة أحمد بن العباس .

ودخلت سنة تسع وثلاثمائة :

ذكر قتل الحسين بن منصور الحلاج

وشىء من أخباره

وفى هذه السنة قُتل الحسينُ بنُ منصور الحلاَّج الصوفى ، وأُحْرِق بالنار[1] / وكان ابتداء حاله أنه كان يظهر الزُّهدَ والتصوّف ، ويظهر ٢٥ ـ ١
الكرامات ويُخرج للناس فاكهةَ الصيف فى الشتاء وفاكهةَ الشتاء فى الصيف . ويمـدُّ يده فى الهـواء فيعيدها مملوءةً دراهم وعليها مكتوب « قل هو الله أحد » ويسميها دراهم القدرة . ويخبر الناس بما أكلوه وما صنعوه فى بيوتهم ، ويتكلم بما فى ضمائرهم . فافتتن به خَلْقٌ كثيرٌ واعتقدوا فيه الحلول ، واختلفت فيه اعتقاداتهم ؛ فمِن قائلٍ إنه حَلَّ فيه جزء إلهى ويدَّعى فيه الربوبية ، ومِنْ قائل إنه وَلِىُّ اللهِ تعالى وإنَّ الذى

(١) أفاض ابن كثير فى بسط سيرة الحلاج وأقواله وأساليب عيشه وضروب حيله (راجع البداية والنهاية ١١ : ١٣٢ وما بعدها)

يَظْهَر منه من جُمْلَةِ كراماتِ الصلحاء ، ومن قائل إنه مُشَعْبِذٌ ومُمَخْرِقٌ وساحِر كذابٌ ومتكَهِّنٌ وإن الجنَّ تطيعه فتأتيه بالفاكهة فى غير أوانها .

وكان قَدِم من خراسان إلى العراق وسار إلى مكة وأقام بها سنة فى الحجر لا يستظل تحت سقف صيفا ولا شتاء ، وكان يصوم الدَّهْر فإذا جاء وقت العشاء أحضر له القوم كوزا من ماء وقرَصًا فيشرب وبعض من القرص ثلاث عضات من جوانبها فيأكلها ويترك الباقى فيأخذونه ، ولا يأكل شيئا آخر إلى وقت الفِطْر من الليلة الثانية . وكان شيخ الصوفيةِ يومئذ بمكةَ عبدَ الله المغربى فأخذ أصحابه وجاء لزيارةِ الحلاّج فلم يجِدْه فى الحجر ، وقيل قد صَعد إلى جبل أبى قُبَيْس ، فصعد إليه فوجده على صخرةٍ حافيا / مكشوف الرأس ، والعرقُ يجرى منه ٢٥ ـ ب
إلى الأرض ، فأخذ أصحابَه وعاد ولم يُكَلِّمْه وقال : هذا يتصَبَّرُ على قضاء الله وسوف يبتليه الله بما يَعْجَزُ عنه صبرُه وقدرته ! وعاد الحسين إلى بغداد .

وأما سببُ قَتْلِه فإنه نُقِل عنه عند عَوْدِه إلى بغداد إلى الوزيرِ حامد بن العباس أنه أحيا جماعةً وأنه يُحْيِى الموْتَى وأن الجنَّ يخدمونه فيحضرون عنده بما يشتهى . وإنه قَدَّموه على جماعةٍ من حاشية الخليفة ، وإنَّ نَصْرا الحاجب قد مال إليه هو وغيرُه . فالتمس حامدٌ من المقتدر أن يُسلِّم إليه الحلاجَ وأصحابه فدفع عنه نصرٌ الحاجبُ وألح الوزير فى طلبه ، فأمر المقتدر بتسليمه إليه ، فأُخِذَ وأُخِذَ معه

إنسان يعرف بالشميرى وغيْرُه – قيل إنهم كانوا يعتقدون أنه إله – فَقَرَّرهم حامدٌ فاعترفوا أنهم قد صَحَّ عندهم أنه إله وأنه يحيى الموتى ، وقابلوا الحلاَّجَ على ذلك . فأنكره وقال : أعوذ بالله أن أدَّعى الربوبيةَ والنُّبوَّةَ وإنما أنا رجل أعبد الله عزَّ وجل ! فأحضر الوزير القاضيَ أبا عمر والقاضيَ أبا جعفرِ بن البهلول وجماعةً من وجوه الفقهاء والشهودِ واستفتاهم فقالوا : لا نفتى فى أمره بشىء إلا أن يصحَّ عندنا ما يوجب قتله ، ولا يجوز قبول قَوْل مَنْ يدَّعى عليه ما ادّعاه إلا ببيِّنَةٍ أو إقرار !

وكان حامدٌ يُخرج الحلاَّجَ إلى مجلِسه ويستنطقه فلا يَظْهرُ منه
٢٦ – ا / ما تكرهه الشريعة ، وطال الأمر وحامدٌ مُجِدٌّ له فى أمْره ، وجَرى له معه قصَصٌ يطول شَرْحُها . وفى آخرها أن الوزيرَ رأى له كتابا حكى فيه أنَّ الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنْه أفْرد من داره بيتا لا يلحقه شىء من النجاسات ولا يدخله أحدٌ ، فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله وفعل ما يفعله الحاج بمكة ، ثم يجمع ثلاثين يتيما ويعمل أجْوَدَ طعامٍ يمكنه ويطعمهم فى ذلك البيت ويتَوَلَّى خِدْمَتَهم بنفسِـه ، فإذا فرغوا كساهم وأعطى كلَّ واحد منهم سبعةَ دراهم ، فإذا فَعَلَ ذلك كان كمن حَجَّ

فلما قُرِىء هذا على الوزير قال القاضى أبو عمر للحلاج : من أين لك هذا ؟ قال من كتاب الإخلاص للحسن البصرى . قال له القاضى : كذبت ياحلالَ الدم قد سمعناه بمكةَ وليس فيه هذا . فلما قال له « ياحلال الدم » وسمعها الوزيرُ قال : له : اكتب لهذا رقعةً ،

فدافعه أبو عمر فألزمه حامدٌ فكتب بإباحة دمِهِ وكتب بعْده مَنْ حضر المجلس . قال : [1] ولما سَمِعَ الحلّاجُ ذلك قال : ما يحلُّ لكم دمى وإعتقادى الإسلامُ ومذهبى السنةُ ولى فيها كتب موجودة فالله الله فى دمى !

وتفرق الناس ، وكتب الوزير إلى الخليفة يستأذنه فى قتله وأرسل إليه الفتاوى فأذِن فى قتله فَسَلَّمه الوزير إلى صاحب الشُّرطة فضربه ألْفَ سَوْط. فما تأوّه ثم قَطَع يَدَه ثم رِجْلَه ثم يَده ثم رجله ثم قتل / وأُحْرِق فى النار ، فلما صار رمادًا أُلْقِىَ فى دجلة ونُصِبَ رأسُه ببغدادَ وأرسل إلى خراسانَ لأنه كان له بها أصحاب ، وأقبل بعض أصحابهِ يقولون : إنه لم يُقْتَلْ وإنما أُلْقِى شَبهُهُ على دابَّةٍ وإنه يعود بعد أربعين يوما ! وبعضهم يقول : لقيته على حمارٍ بطريق النهروان وإنه قال لهم « لا تكونوا مِثْلَ هؤلاء النَّفَر الذين يظنون أنى ضُرِبت وقُتِلْت » ! ٢٦ ـ ب

وفيها استعمل المقتدر على حرب الموصل ومعونَتِها محمد بنَ نصرٍ الحاجب ، فسار إليها وأوقع بمن خالفه من الأكراد فقتل وأسر ، وأرسل إلى بغدادَ نَيِّفًا وثمانين أسيراً فشُهروا ، وفيها قُلِّد داودُ بنُ حمدان ديار ربيعة .

ودخلت سنة عشر وثلاثمائة : فى هذه السنة أُطْلِق يوسف بن أبى السَّاج من الحبس بشفاعةِ مؤنسٍ الخادم ، ودخل إلى المقتدر وخَلَعَ عليه ، ثم عَقَد له على الرَّىِّ وقزوين وزنجان وأبهر . وقَرَّر

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٦٨

عليه خمسمائة ألف دينار محمولة إلى بيت المال فى كلِّ سنة سوى أرزاقِ العساكر الذين بهذه البلادِ .

وفيها وصلت هدية أبي زُنبورٍ الحسين الماذَرَائى [١] من مصر ، وفيها بغلةٌ معها فلو [٢] يتبعها ويرضع منها وغلام طويل اللسان يلحق لسانه أرنبةَ أنفِهِ !

وفيها قبض المقتدر على أمِّ موسى القهرمانة وكان سبب ذلك أنها / زَوَّجَتْ ابنة أخيها من أبي العباس أحمد بن محمد بن إسحاق بن المتوكل ٢٧ – ا
على الله وكان يُرَشَّحُ للخلافة ، فلما صاهرته أكثرت من النِّثارِ والدعواتِ وخَسَرتْ أموالاً جليلةً ، : فتكلم أعداؤُها وسَعَوْا بها إلى المقتدر وقالوا : إنها قد سعت لأبي العباس فى الخلافة ، وحَافَت له القُوَّادُ ، وكَثُر القولُ فيها ، فقبض عليها وأخذ منها أموالا جليلة وجواهر نفيسة [٣] ، . قال ابنُ الجوزى : صحَّ منها لبيت المال ألفُ ألفِ دينارٍ [٤]

ودخلت سنةُ إحدى عشرة وثلاثمائة :

---

(١) فى : وفى ك صفحة ١٤ وفى ف صفحة ١٧ – ا : الماذرانى وما ها هنا من النجوم الزاهرة ١ : ١٠١ ، ١٤٨ وأبو زنبور الحسين هو ابن أحمد بن رستم أبو على الكاتب – على مايقول عريب والكندى وابن الأثير – وفى بعض الأثبات « الحسن بن أحمد » وفى بعضها « أبو منصور » وكلاهما تحريف ، وكان عامل الخراج على مصر يسميه ابن كثير الحسين ابن الماردانى (البداية والنهاية ١١ : ١٤٥)

(٢) فلو : جحش (المحيط)

(٣) يروى أنها سلمت إلى ثمل القهرمانة ومعها أخوها وأختها فبسطت عليهم ثمل من العذاب فقد كانت هذه مشهورة بالشر والقسوة

(٤) المنتظم ٦ : ١٦٦

ذكر عزل حامد بن العباس

وولاية ابن الفرات

فى هذه السنة فى شهر ربيع الآخر عَزَل المقتدرُ حامدَ بنَ العباسِ عن الوزارة ، وعلىُّ بن عيسى عن الدواوين ، وخَلَع على أبى الحسنِ بنِ الفرات وأُعيد إلى الوزارة . وكان سبب ذلك أن المقتدر ضجر من استغاثة الأولاد والحُرم والخدم والحاشية من تأخير أرزاقهم ؛ فإن علىَّ بنَ عيسى كان يؤخِّرُها ، فإذا اجتمع لهم عِدَّةُ شهورٍ أعطاهم البعضَ ، وحطَّ من أرزاق العمال فى كل سنةٍ شهرين وكذلك من أرزاقِ مَنْ له رِزْقٌ فزادت عداوةُ النَّاسِ له . وكان حامد بن العباس قد ضجر من المقام ببغداد وليس له من الأمر شىء غير لبس السواد ، وأنِف من اطِّراح على بنِ عيسى لجانبه ؛ فإنه كان يهينه فى توقيعاته بالإطلاق عليه لضمانه بعضَ الأعمال ، فكان يكتب ليطلق جُنْدَ[1] الوزير أعزّه الله ، وليبادر نائب الوزير ، وكان إذا شكا إليه بعضُ نُوَّابِ حامد يكتب على القصة « إنما عُقِد الضَّمانُ على النائب الوزيرىِّ عن الحقوق الواجبةِ السلطانية فَلْيتقدم إلى عُمَّالِهِ بكف الظلم عن الرَّعِيَّةِ » . ٢٧ ب /

فاستأذن حامدٌ وسار إلى واسط ليُنظر فى ضمانه فأذِنَ له ، وجرى بين مُفْلِحٍ الأسود [2] وبين حامدٍ كلامٌ فقال له حامد :

---

(١) فى الأصل « ليطلق جهبذ الوزير » ولا معنى له لأن الجهبذ النقاد الخبير ، وفى ك صفحة ١٤ « جند » وهو ما أثبتناه .

(٢) كان مفلح من أقرب الناس الى المقتدر وكان خصيصا به على ما يقول ابن الأثير !

لقد هممت أن أشترىَ مائة خادم أسود أسميهم مفلحا وأهبهم لغلمانى فحقدها مُفْلح – وكان خصيصا بالمقتدر – فسعى معه المحسِنُ بنُ الفراتِ لوالده بالوزارة وضمن أموالاً جليلةً ، وكتب على يده رقعة يقول إن سُلِّم إليه الوزيرُ وعلىُّ بن عيسى وابن الحوارى وشفيع اللؤلؤى ونصر الحاجب وأم موسى القهرمانة والماذَرائيون استخرج منهم سبعة آلاف ألفِ دينارٍ ! وكان المحسن مطلقا ، وكان يواصل السِّعايةَ بهؤلاء الجماعة ، وذكر ابنُ الفرات للمقتدر ما كان يأخذه ابنُ الحوارى فى كلِّ سنةٍ من المال فاستكثره .

فَقُبِضَ على علىِّ بنِ عيسى فى شهر ربيع الآخر وسُلِّم إلى زيدان القهرمانة فحبسته فى الحجرة التى كان ابن الفرات محبوسا فيها ، وأطلق ابنُ الفرات وخُلِع عليه ، وتولَّى / الوزارةَ وخُلع على ابْنِهِ ٢٨ ـ ا
المحسِنِ ، وهذه الوزارة الثالثة لابن الفرات .

قال (١) : وسيَّر ابنُ الفراتِ إلى واسط مَنْ يقبض على حامدٍ فَهَرب واختفى ببغداد ، ثم إن حامدًا لبس زِىَّ راهب وخرج من مكانه الذى كان فيه ومشى إلى نصر الحاجب ودخل عليه وسأله إيصالَ حاله إلى الخليفة إذا كان عند حرمه ، فاستدعى نصرٌ مُفْلحا الخادم فلما رآه قال : أهلا بمولانا الوزير أين مَمالِيكُ السودان الذين سمَّيْتَ كلَّ واحدٍ منهم مفلحا ؟

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٧٤

فسأله نصر أن لا يؤاخذه وقال له : حامد يسأل أن يكونَ محبسهُ في دارِ الخلافةِ ولا يُسَلَّم إلى ابن الفراتِ .

فدخل مُفلِحٌ وقال ضدَّ ما قيل له فأمر المقتدر بتسليمه إلى ابنِ الفرات ، فأُرْسِلَ إليه فحبسه في دارٍ حسَنَةٍ وأجرى له من الطَّعام والكُسْوَة والطِّيب وغير ذلك ما كان له وهو وزير ، ثم أحضره وأحضر الفُقَهاء والعمالَ وناظره على ما وصل إليه من المال وطالبه به ، فَأَقَرَّ بجهاتٍ تُقارِب ألف ألفِ دينارٍ ، وضَمِنَهُ المحسنُ بنُ أبي الحسن بن الفرات الوزير من المقتدر بخمسمائة ألف دينار فسلمه إليه فعذَّبه بأنواع العذاب ، وأنفذه إلى واسط مع بعض أصحابه ليبيع مالَه هناك ، وأمرهم أن يسقوه سُمًّا فسقَوْه سُمًّا في بيض مشوىٍّ كان طلبه ، فأصابه إسهال فلما وصل إلى واسط أفرط القيام به . وكان قد / تسلَّمه محمدُ بنُ علي البروجري[1] فلما رأى حالَه ٢٨ – ب
أحْضَرَ القاضيَ والشهودَ ليشهدوا عليه أنه ليس له في أمره صنع ! فلما حضروا عند حامد قال لهم : إن أصحاب المحسن سَقَوْني سما في بيضٍ مشوِيٍّ فإذا أموت منه وليس لمحمد في أمري صنع ، لكنه أخَذَ قطعةً من أموالي وأمتعتي وجعل يحشوها في المساور وتباع المسورة بمحضر من أمين السلطان بخمسةِ دراهم فيضع من يشتريها ويحملها إليه فيكون فيها أمتعةٌ تساوي ثلاثة آلاف درهم ، فاشهدوا على

(١) كذا في ا ، وفي ك ، ف « البروجري » وذكره ابن الأثير في الكامل ٦ ، ١٧٤ « البزوفري »

ذلك ! وكان صاحب الخبر حاضرا فكتب بذلك ، ثم مات حامد فى شهر رمضان من هذه السنة .

وصودر على بن عيسى بثلاثمائة ألف دينار وعذّبه المحسن بن الفرات وصفعه فأنكر عليه أبوه لأن عليا كان محسنا إليهم فى أيام ولايته وأعطى المحسنُ فى أيام نكبته عشرة آلاف درهم ، فلم يَرْعَ له حقَّ إحسانِهِ . قال : [1] ولما أدّى على بن عيسى مال المصادرة سيره ابنُ الفرات إلى مكة وكتب إلى أميرها أن يُسَيِّرَهُ إلى صنعاء ، ثم قبضَ ابنُ الفراتِ على أبى علىّ بن مُقْلة لأنه بلغه أنه سعى به أيامَ نكبته ونقلّد بعض الأعمال فى أيام حامدٍ ثم أطلقه ابنُ الفرات

وقبض أيضا على ابن الحوارى وكان خصيصا بالمقتدر وسلمه إلى ابنه المحسن فعذّبه عذابًا شديدا — / وكان ٢٩ — ا
المحسن وقحا ظالما سيء الأدب ذا قسوةٍ شديدة ، وكان الناس يسمونه الخبيث بن الطيب ، وسير ابن الحوارى إلى الأهواز ليستخرج منه الأموال فضربه الموكّلُ به حتى مات . وقبض أيضا على الحسين بن أحمد ومحمد بن على الماذرائيين [2] فصادرهما على ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار ، ثم صادر جماعة من الكتاب ونكبهم . ثم إنّ

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٧٤

(٢) فى الأصل وفى س صفحة ١٤ « الحسن بن أحمد ومحمد بن على الماذانين » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن ابن الأثير .

ابن الفرات - خوّف المقتدر من مؤنس الخادم وأشار عليه أن يسيّره إلى الشام فأخرجه عن الحضرة فى يوم شديد المطر ، ثم سعى بنصر الحاجب وأطمع المقتدرَ فى ماله وكثرته فالتجأ نصر إلى أم المقتدر فحمته من ابن الفرات

وفيها غزا مؤنس المظفر بلادَ الروم فغنم وفتح حصونا وغزا شمال فى البحر فغنم من السبى ألف رأس ، ومن الغنم ألف رأس ، ومن الذهب والفضة شيئا كثيرا .

وفيها دخل القرمطىُّ [1] البصرة وقتل عاملها [2] وأقام بها سبعة عَشرَ يومًا يقتل وينهب ويأسر .

ودخلت سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة : فى هذه السنة ظهر فى دار الخليفة إنسان أعجمى عليه ثيابٌ فاخرة وتحته مما يلى بَدنه قميصُ صوفٍ ومعه قَدَّاحةٌ وكبريتٌ ودواةٌ وأقلامٌ وسكينٌ وكاغد ، وفى كيسٍ سويقٌ وسكر وحبل / طويل من القنّب ، فأُحضر إلى ابن الفرات الوزير فسأله عن حاله فقال : لا أخبر إلا صاحب الدارِ ! فأمر بضربه ليقر فقال : بسم الله بدأتم بالشر ! ولزم هذا القولَ ثم جعل يقول بالفارسية ما معناه « لا أدرى » ثم أمِرَ به فأُحرق ، وأنكر ابنُ الفرات على نصرٍ الحاجبِ هذا الحالَ وعظّم الأمْر بَين يَدَى المقتدرِ ونسبه إلى أنه أخفاه ليقتل المقتدر ، وتفاوضا فقال الحاجب : لِمَ أسعى فى

٢٩ - ب

(١) يقول أبو الفرج عبد الرحمن فى المنتظم ٦ : ١٨٨ إنه أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابى .

(٢) عن ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٧٥ ، ١٧٧ أنه سبك المفلحى .

قَتْلِ أميرِ المؤمنين وقد رفعنى من الثرى إلى الثريا ؟ إنما يسعى فى قَتْلِهِ مَنْ صادَره وأخذ أموالَه وضياعه وأطال حَبْسَه !

وفيها أخذ القرمطى الحاجَّ بعد عودتهم من الحجاز - وكان لأنى الهيجاء طريقُ مكة - فسار إلى القرمطى فأوقع به ، وأسر أبو الهيجاء وأحمدُ بن كشمرد ونحريرٌ وأحمد بنُ بدر عمُّ والدة المقتدر وغيرُهم ، وأخذ القرمطى جِمال الحاجِّ جميعها وما أراد من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان ، وعاد إلى هَجَر [1] وترك الحاجَّ فى مواضِعهم فمات أكثرُهم جوعًا وعطشًا ، فاجتمع حرم المأخوذين إلى حرم المنكوبين [2] الذين نكبهم ابنُ الفراتِ وجعَلْنَ ينادين : القرمطى الصغير [3] قَتَلَ المسلمين بطريقِ مكة والقرمطى [4] الكبير قتل المسلمين ببغداد ! وشَنَّعُوا عليه وكَسَرَ العامَّةُ منابرَ الجوامع وسَوَّدوا المحاريبَ يوم الجمعةِ لِستٍّ خَلَوْن من صفرٍ ،/ فَضَعُفَت ١٣٠ ـ ١
نفسُ ابنِ الفراتِ وحَضَر عند المقتدر ليأخذَ أمْرَه فيما يصنع .

وحضَرَ نَصْرٌ الحاجبُ المشورةَ فانبسط لسانُه على ابنِ الفرات وقال : الساعة تقول : اى شىء نصنع وما هو الرأىُ بعد أن زعزعتَ أركانَ الدولة وعرضتَها للزوالِ ؛ فى الباطِن بالميل مع

(١) هجر : مدينة تعتبر قاعدة البحرين إلا إذا ذكرت القطيف (ياقوت) ، وكلتاهما للقرمطى المذكور

(٢) فى ك صفحة ١٥ « فاجتمع حرم المأخوذين إلى حرم المسلوبين بطريق مكة الذين نكبهم .... »

(٣) كان هذا القرمطى إذ ذاك فى السابعة عشرة على مايقول ابن الأثير

(٤) العبارة عن المنتظم ٦ : ١٨٩ « بابن الفرات القرمطى الكبير » ولما قبض عليه قال العامة « قد قبض على القرمطى الكبير » .

كل عَدُوٍّ يظهر ومكاتبتِه ومُهَاداتِه ، وفى الظاهر بإبعادِك مؤنسًا ومن معه إلى الرَّقَّةِ وهم سيوف الدولة ، فمن يدفع الآنَ هذا الرجُلَ إذا قَصَدَ الحضرةَ أنت أم ولدك ؟ وقد ظهر الآن مقصودُكَ بإبعادِ مؤنسٍ وبالقبض علىَّ وعلى غيرى ، أن تستضعفَ الدولةَ وتُقَوِّى أعداءها لتشفى غيظَك مِمَّنْ صادَرَك وأخذ أموالَك ! ومن الذى سلَّم النَّاسَ إلى القرمطى غيرُك لما يجمع بينكما من التَّشَيُّع والرَّفْضِ ؟ وقد ظهر أيضا أنَّ ذلك العجمى من أصحاب القرمطى وأنت أوصلته ! فَحَلَفَ ابنُ الفراتِ أنه ما كاتب القرمطى ولا هَادَاه ولا رأى ذلك الأعجمى إلا تلك الساعةَ ، والمقتدرُ مُعْرِض عنه . وأشار نَصْرٌ على المقتدر بالله أن يحضر مؤنسا ومن معه ففَعَل ذلك ، وكتب إليه بالحضورِ ففعل وسارع ، وقام ابنُ الفراتِ فركب فَرَجَمَهُ العامَّةُ ، ثم وصل مؤنسٌ المظفر إلى بغدادَ ، ولما رأى المحسنُ ابنُ الفرات انحلالَ أمورهم أخذ كل من كان محبوسا فقتله ، لأنه كان قد أخذ منهم أموالا / جليلةً ولم يوصلها إلى المقتدر فخاف أن يقروا عليه بما أخذه منهم . ٣٠-ب

ذكر القبض على ابن الفرات الوزير

وولده المحسن

قال (١) : ثم كثر الإرجافُ على ابن الفراتِ فكتب إلى المقتدر يُعَرِّفه بذلك ، وأن الناس إنما عادوه لشفقتِه ونُصْحِه وأخْذِ حقوقِه منهم فأنفذ المقتدرُ إليه يُسَكِّنه ويطيِّبُ قلبه فركب هو وولدُه إلى المقتدر

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٧٧

فطيّب قلوبهما ، وخرجا من عنده فمنعهما نَصْرٌ الحاجبُ ووكل بهما ، فدخل مُفْلح على المقتدر وأشار عليه بتأخير عَزْله فأمر بإطلاقهما فخرجا ، فأما المحسن فإنه اختفى ، وأما الوزير فإنه جلس عامّة نَهاره يقضى الأشغال إلى الليل ثم بات مفكرًا ، فلما أصبح سمع بعض خدمه ينشد :

وأصْبَح لا يدرِي وإن كان حازمًا أقدَّامَه خيرٌ له أم وراءه

فلما ارتفع النهار وهو الثامنُ من شهر ربيع الأول أتاه نازوك [1] ويلبق فى عدة من الجند فدخلوا عليه وهو عند حرمه فأخرجوه حافيا مكشوف الرأس فألقى عليه يلبقُ طيلسانا غَطّى به رأسَه وحُمل إلى طيّارٍ فيه مؤنسٌ المظفر ومعه هلال/ بن بدر [2] فاعتذر إليه ابن الفرات وألان كلامَه له فقال له : أنا الآن الأستاذُ وكنتُ بالأمس الخائنَ الساعىَ فى فساد الدَّوْلة وأخرجتنى والمطرُ على رأسى وروسُ أصحابى ولم تُمْهلنى ! وسُلِّم إلى تمفيع اللؤلؤى فَحُبِسَ عنده ، وكانت مدّةُ وَزارته هذه عَشْرةَ أشهُرٍ وثمانيةَ عشرَ يومًا ، وأخذَ أصحابُه وأولادُه ولم يَنْجُ منهم إلا المحسن ، وصودر ابنُ الفراتِ على ألفِ ألفِ دينارٍ . ٣١ – ١

(١) نازوك من أخطر الشخصيات التركية التى كانت فى بلاط المقتدر ، فقد كان خادمه ثم أصبح عامله على دمشق ، ثم صاحب شرطته ببغداد . وفى سنة ٣١٧ اشترك فى خلعه فقتل ، وكان قد قتل ابن الفرات شر قتلة (عن مسكويه وعريب وابن الأثير)

(٢) هو الأمير أبو الحسن ولى إمرة مصر كما يقول ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٣ : ٢٠١ بعد عزل تكين عنها سنة ٣٠٩ .

ذكر وزارة أبى القاسم الخاقانى

قال [١] : ولما تَغَيَّر حالُ ابنِ الفرات سَعى عبدُ الله بن أبى على محمد بن عبد الله [٢] بن يحيى بن خاقان فى الوزارة ، وكتب خطه أنه يتكفّل ابنُ الفرات وأصحابه بمصادرةِ ألفى ألف دينارٍ . وسعى له مؤنس الخادم وهارون بن غريبٍ الخال ونصر الحاجب فتولى أبو القاسم الوزارة فى تاسع شهر ربيع الأول ، وكان المقتدر يكرهه فلما سمع ابن الفرات وهو محبوس بولايته قال: الخليفة هو الذى نُكب لا أنا ! يعنى أن الوزير عاجزٌ لا يعرف أمر الوزارة ،ولما ولى الخاقانىُّ شَفَع إليه مؤنسٌ الخادم فى إعادة علىّ بن عيسى من صنعاء إلى مكةَ ، فكتب بإعادته وأذن له فى الاطّلاع على أعمال مصر والشام .

ذكر مقتل ابن الفرات وولده / ٣١ ـ ب

قال كان المحسنُ بنُ الوزيرِ أبى الحسن بن الفرات [٣] مختفيا كما ذكرنا ، وكان عند حماته خنزابة ـ [٤] وهى والدة الفضل بن جعفر بن الفرات ـ وكانت تأخذه كلَّ يوم وتتوجّهُ به إلى المقبرة فى زِىِّ النِّساء وتعود به إلى المنازل التى تشق بها ، فمضت به يوما إلى مقابر قريش . وأدركها اللَّيْلُ فبعدت عليها الطريق وأشارت

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٧٨

(٢) فى ك صفحة ١٦ « عبيد الله »

(٣) فى ك صفحة ١٦ « كان المحسن بن أبى الحسن بن الفرات »

(٤) فى ك « خزابه » وفى تجارب الأمم « حزابة » وفى الكامل « حزانه »

عليها أمرأةٌ معها أن تَقْصِدَ امرأةً صالحةً تعرفها بالخير ، فأخذته وقصدت به تلك المرأة وقالت لها : معنا صبيةٌ [بنت] (١) بكر نريد منك بيتا تكون فيه ! فأمرتهم بالدخول إلى بيتها وسَلَّمتْ إليهم قُبَّةً فى الدار ، فدخلوا المحسنَ إليها ، وجلس النساء الذين معه فى صَفِّه أمام القبة ، فجاءت جاريةٌ سوداءُ فرأت المحسنَ فأخبرت مولاتها أنَّ فى الدار رجلا ، فجاءت المرأةُ صاحبة الدار فرأته وعرفته ـ وكان المحسن قد أخذ زَوْجَها إصادره فلما رأى الناس يعذبون فى داره مات (٢) فجأة ـ فلما رأت المرأةُ المحسنَ ركبت فى سفينة وقصدت دار الخليفة وقالت عندى نصيحة .

فأحضرها نصر الحاجبُ فأخبرته الخبر فطالع به المقتدر ، فأمر صاحب الشرطة أن يسير معها فسار معها إلى منزلها وأخذ
/ المحسن وجاء به إلى المقتدر ، فبعث به إلى دار الوزارة فعذَّب ٣٢ ـ ا
بأنواعِ العذابِ ليجيب إلى مالٍ يحمله فقال : لا أجمع بين الروح والمال ! فأمر المقتدر بحمله مع أبيه (٣) إلى دار الخلافة فقال الوزير أبو القاسم لمؤنس وهارون بن غريبٍ الخالِ ونصرٍ الحاجب : إنْ نُقِل ابنُ الفرات إلى دار الخلافة بَذَلَ أموالَه وأطمع المقتدرَ فى أموالنا وضَمِنَّا منه وتسلَّمنَا فأهلكنا ! فوضعوا القواد

(١) زيادة من ك صفحة ١٦
(٢) فى ك « فلما رأى الناس يعذبون فى داره فمات » والعبارة مضطربة
(٣) فى ك صفحة ١٧ « ابنه »

والجُنْدَ وقالوا : لابُدَّ من قَتْل ابنِ الفرات وولده فإنا لا نأمن على أنفسنا ما دام فى الحياة ! فأمر المقتدرُ نازوكَ بقَتْلهما فبدأ بقتل المحسنِ فذَبحه كما تُذْبَحُ الشاةُ وحَمَلَ رأسه إلى أبيه فارتاع لذلك ، ثم عُرِض أبوه على السَّيْف فقال : راجعوا فى أمرى فإنَّ عندى أموالاً جَمَّةً وجواهر كثيرة ، فقبل له جَلَّ الأمر عن ذلك . ثم ذُبح فى يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الآخر منها ، وكان عمره إحدى وستين سنةً وعمُرُ وَلَدِه ثلاثا وثلاثين سنةً وحملَ رأساهما[1] إلى المقتدر فأمر بتغريقهما

ولما قتلا ركب هارونُ بنُ غريبٍ الخال مسرعا إلى الوزير الخاقانى وهنأه بقتلهما فأُغْمِى عليه حتى ظَنَّ هارونُ ومَنْ هناك أنه مات ، وصرخ عليه أهلُه ، ثم أفاق من غَشْيَتِه وأعطى هارونَ ألْفَىْ دينار . وشفع مؤنس فى إبنَىْ ابنِ الفرات عبد الله وأبى نصر فأُطْلِقا له ، فخلع عليهما ووصلهما بعشرين ألف دينار من ماله . ٣٢ـ ب /

قال : [2] وكان ابنُ الفرات كريما ذا رياسة وكفاية فى عمله ، حسن السؤال والجواب ، وكان مصطنعا الناس ؛ فإنَّ جميع كتّابه الذين اصطنعَهُم صاروا وزراء . وكان يَسْتَغِلُّ من ضِياعِه فى كلِّ سنة ألْفَى ألف دينارٍ وينفقها ، وكان إذا وزَرَ غلا الشَّمْعُ والكاغد والسكر والكافور لكثرة استعماله لذلك ! وكان يجرى على

(١) فى ا « ورأسيهما » وهو خطأ اعتاد الكويرى أن يقع فى مثله ، وفى ك صفحة ١٧ « رأسهما »

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ١٨٠

خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوتات والفقراء ، قال الصولى [١] : ومن فضائله التى لم يُسْبَقْ إليها أنه كان إذا رُفعَتْ له قضيةٌ فيها سِعايةٌ بأحدٍ خرج [٢] من حضرته غلامٌ فينادى . ابن فلانُ بنُ فلانٍ الساعى ! فامتنع النَّاسُ من السِّعاية بأحد ، ولم يكن فيـه ما يعاب إلا أنَّ أصحابه كانوا يفعلون مايريدون ويظلمون فلا يمنعهم ؛ فمن ذلك أن بعضهم ظلم امرأةً فى ولَدٍ لها فكتبت إليه تشكو غير مرة ولا يردّ لها جوابا فلقيته يوما فقالت : أسألك بالله أن تسمع كلامى ! فوقف لها فقالت : قد كتبت إليك فى ظُلامتى غَيْرَ مرةٍ فلم تُجِبْنى وقد تركتك وكتبتها إلى الله تعالى ! فلما رأى تَغَيُّرَ حالِه قال لمن معه : قد خرج جوابُ رقعةِ تلك المظلومةِ .

/ وفى هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطىّ الكوفة وأقام بها ستةَ ٣٣ ـ ١
أيامٍ يقيم بالجامع نهارا فإذا أمْسَى خرج إلى عَسْكَرِه وحمل منها ما قدر على حمله من الأموال وغيرها وعاد إلى هَجَر ، ولم يحج فى هذه السنة أحد .

وفيها ظهر [٣] عند الكوفة رجلٌ ادعى أنه محمد بن إسماعيل ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ وهو رئيس الإسماعيلية وجمع جَمعًا عظيما من الأعرابِ

(١) فى كتابه الوزراء ، والصولى هو أبكر محمد بن يحيى الشطرنجى توفى سنة ٣٣٥
(٢) فى ك ، ف « يخرج »
(٣) فى ك ، ف « وفيها ظهر رجل عند الكوفة »

وأهلِ السَّوَاد واستفحل[1] أمْرُه فى شوال ، فَسُيِّر إليه جيش من بغداد ، فقاتلوه وظفِروا به وانهزم وقُتل كثيرٌ ممَّن معه .

ودخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة :

ذكر عزل الخاقانى عن الوزارة

ووزارة أبى العباس الخصيبى

فى هذه السنة فى شهر رمضان ،عزل أبو القاسم الخاقانى عن الوزارة . وكان سبب ذلك أنَّ أبا العباس الخصيبى عَلِمَ مكان امرأة المحسن بن الفرات فسأل أن يتولى النَّظَرَ فى أمرها فأذِنَ له المقتدرُ فى ذلك ،فاستخلص منها سبعمائة ألف دينارٍ إلى المقتدر ،وصار له معه حديث .فخافه الخاقانى فوضع من وقع عليه وسَعى به فلم يُصْغِ المقتدر إلى ذلك ، فلما علم الخصيبى بالحال كتب إلى المقتدر يذكر معائب الخاقانى وابنه عبدالوهاب وعجزَهما وضياعَ الأموال وطمع العمال . ثم مرض الخاقانى مرضا شديدا وطال به ، فوقفت الأحوال وطلب الجند أرزاقهم وشغبوا فأرسل المقتدر إليه فى ذلك فلم يقدر على شىء فعزله ، واستوزر أبا العباس وخلع عليه . وكان يكتب لأُم المقتدر قبل ذلك ، ولما ولى أقر علىَّ بن عيسى على الإشراف على أعمال مصر والشام فكان يتردد من مكة إليهما فى الأوقات .

وفيها كتب ملكُ الرُّوم إلى أهل الثغور يأمرهم بحمل الخراج إليه فإن فعلوا وإلا قصدهم فقتل الرجال وسبى الذرّية ، وقال : إننى صَحَّ عندى ضعف وُلاتِكم ! فلم يفعلوا ذلك ، فسار إليهم

(١) فى الأصل وسائر المخطوطات « واستحفل » صوابه ما أثبتناه بمعنى تفاقم .

وأخرب البلاد ، ودخل مَلَطْيَةَ فى سنة أربعَ عشرةَ وثلاثمائة ، فأخربها وسبى ونهب ، وأقام بها ستةَ عشر يومًا .

ودخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة :

ذكر عزل أبى العباس الخصيبى

ووزارة علىّ بن عيسى

فى هذه السنة فى ذى القعدة عَزَل المقتدرُ أبا العباس / الخَصيبى ٣٤ ـ ا
عن الوزارة ، وسبب ذلك أنه أضاق [١] إضاقةً شديدة . ووقفت أمورُ السلطان ، واضطرب أمْرُ الخَصيبى ، وكان حين وَلِى الوزارة قد اشتغل بالشرب كلَّ ليلةٍ ويصبح وهو سكرانُ لا فَضْلَ فيه لعمل . وكان يترك الكتبَ الواردةَ عليه من العمال ، فلا يقرؤها إلا بعد مُدّةٍ ويُهْمِلُ الأجوبةَ عنها فضاعت [الأموال] [٢] وفاتت المصالح ، ثم وكَلَ الأمور إلى نُوّابِه وأهمل الاطِّلاعَ عليهم فباعوا مصلحتَه بمصلحة نفوسهم .

فلما صار الأمر إلى هذه الصورةِ أشار مؤنس المظَفرُ بعزله وتَوْلية علىِّ بنِ عيسى ، فقُبض عليه [٣] ، فكانت وزارتُه سنة وشهرين ، وأُخِذَ ابنُه وأصحابُه فَحُبِسوا . وأرسل المقتدر يستدعى علىَّ بن عيسى ، وأمر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانىّ بالنيابة عن على إلى أن يحضر وقدم علىٌّ بغداد فى أوائل سنة خمسَ عشرةَ ،

(١) أضاق : (لازم) ذهب ماله .

(٢) زياده من الكامل ٦ : ١٨٤

(٣) فى المنتظم ٦ : ٢٠٢ أن المقتدر بالله بعث نازوك فقبض عليه هو وكاتبه إسرائيل ابن عيسى وابنه .

واشتغل بأمور الوزارة ،[١] ولازم النظر فيها . فمشت الأمور واستقامت الأحوال . وكان قد اجتمع عندَ الخَصيبي عِدَّةٌ من رِقاع المصادَرين وكفالات من كفل منهم وضماناتِ العمال بما ضمنوا من الأموال بالسَّواد وفارس والأهواز والمغرب [٢] ، فنظر فيها وأرسل فى طلب الأموال فأتته شيئا بعد شىء فَأَدَرَّ الأرزاق وأخرج العطاء ، وأسقط من الجند من لايحمل السلاح ، ومن أولاد المرتزقة مَنْ هو فى المهد . . فانَّ آباءهم أثبتوا أسماءهم ! ومن أرزاق المغنين ٣٤ - ب والمساخرة [٣] والصَّفاغنة [٤] والندماء . وتولى الأعمال بنفسه ليلاً ونهارًا ، فاختار الكفاة [٥] من العمال واستعملهم فى الولايات . وأمره المقتدرُ بالله بمناظرة أبى العباس الخصيبى ، فأحضره ، وأحضر الفقهاء والقضاة والكُتَّابَ وغيرَهم فسأله عما صَحَّ من الأموال والمصادرات والبواقى القديمة وغيرِ ذلك فقال : لا أعلم ! وما أجاب عن شىء ، فأنكر عليه كَوْنَهُ دخَلَ فى الوزارة وهو لا يعرفها ، ووبَّخَه توبيخا كثيرا .

وفيها فى شهر ربيع الأول خرجت الروم إلى ملَطْية وما يليها

---

(١) هذه هى وزارته الثانية والأخيرة .

(٢) فى س ورقة ١٨ « و الغرب »

(٣) يقال سخروا منه فهو مسخرة من المساخر أى يضحكون منه والتاء زائدة كما فى هياقرة وجهابذة

(٤) فى شتى المخطوطات « الصفاعنة » ولا وجه لها إلا أن تكون ما اثبتناه ، لأن الصفانة (كسحابة) من الملاهى كلمة معربة فيها الصفان ويجمع على الصفاغنة .

(٥) كذا فى ا وما نقل عنها وهو جمع غريب فنحن نقول كفء وأكفاء وكفاء (كنضال) وفى ك صفحة ١٨ « فاختار من الكفاة من العمال »

مع الدُّمستق ومعه مليح الأرمنى صاحب الدروب ، فحصروا ملطية ودخلوا الرَّبَض فقاتلهم أهله وأخرجوهم منه ، فلم يظفروا من المدينة بشىء ، وخرّبوا قرى كثيرةً من قُراها ، ونبشوا الأموات ومثّلوا بهم ثم رحلوا ، وقصد أهلُ ملطية بغدادَ مستغيثين فلم يُغاثوا ، فعادو إلى بلدهم بغير مقصود !

ودخلت سنة خمس عشرةَ وثلاثمائة :

ذكر ابتداء الوحشة بين المقتدر بالله

وبين مؤنس

فى هذه السنة هاجت الرُّوم وقصدوا الثغور ودخلوا شمْشَاط (١)

/ وغنموا جميع ما فيها من مالٍ وسلاح وغير ذلك ، ودقُّوا الناقوسَ ١ — ٣٥
فى الجامع ثم خرج المسلمون فى أثَر الروم فقاتلوهم وغنموا منهم غنيمة عظيمة ، . فأمر المقتدر بالله بتجهيز العساكر مع مؤنس المُظَفَّر ، وخَلَع عليه فى شهر ربيع الآخر ولم يبق غير الوداع ، فامتنع مؤنسٌ من الدخول إلى دار الخليفة واستوحش من المقتدر بالله وظهر ذلك . وكان قد أتاه بعض خُدَّام المقتدر وقال له :

(١) فى ا « شميشاط » وفى ك صفحة ١٨ وفى ف صفحة ٢١ — ا « شميساط » كما فى عقد الجمان ، فهى شمشاط التى يقول عنها ياقوت مدينة بالروم على شاطىء الفرات شرقيها بالوية وغربيها خرتبرت ، ولكن ابن الأثير وابن الجوزى ومسكويه يثبتون « سميساط » المدينة التى من أعمال الشام على الفرات أيضا والأولى أولى ذكر الشاعر أبو الحسن على الشمشاطى وكان على أيام سيف الدولة — بقوله :

خضعت رقاب بنى العداوة إذ رأت آثارهـا تنقد تحت سياط
حتى إذا ركضت على أعقـابها دلف النيط إلى من شمشاط
صدق المعلم ، إنهم من أسرة نجب تسوسهم بنـو سنبـاط

إنَّ الخليفة أمر خَوَاصَّ خَدَمِه أن يحفروا جُبًّا فى دارِ الشجرة ويُغَطُّوه ببُرَايةٍ [١] وتراب فإذا حضرتَ أُلقيتَ فيه وخُنِقت !

فامتنع وركب إليه جميعُ الأجنادِ وفيهم عبدُ اللهِ بن حمدان وإخوتُه وخلت دار المقتدر بالله ، وقالوا لمؤنس : نحن نقاتل ببن يديك حتى تَنْبُتَ لك لحيةٌ ! فوجَّه المقتدرُ رقعةً بخَطِّه يحلف أنه ما أراد به سوءًا ، فصرف مؤنسٌ الجيش وكتب الجواب أنه العبد المملوك ، وأنَّ الذى أبلغه ذلك قد كان وضعه مَنْ يريد إيحاشه « من مولانا » وأنه ما استدعَى الجند وإنما هم حضروا وقد فَرَّقَهُم !

ثم قَصَد دارَ الخليفةِ فى جميع القُوَّاد ودخل إليه وقَبَّل يده وحلَّف له المقتدر على صفاء نيته له وَوَدَّعه وسار إلى الثَّغْر وخرج لوداعه أبو العباس بن المقتدر والوزير علىُّ بنُ عيسى .

وفيها قَتَل أبو طاهرٍ القرمطىُّ يوسفَ بنَ أبى السَّاج فى وَقْعَةٍ / كانت بينهما . وكان يوسف قد نُدِبَ لقتال القَرامطةِ فأسره القرمطى ، ثم قَتَله . ٣٥ ـ ب

وفيها سار الدمستق فى جيش عظيم من بلاد الروم إلى مدينة دبيل [٢] وبها نصر السبكى فى عسكر يحميها وكان مع الدمستق دبَّاباتٌ ومجانيقُ ، فحاصروا المدينةَ ونَقَبُوا السُّور ودخلوها فقاتلهم

(١) فى ا وفى ك ١٨ وفى ف ٢١ ـ ا « ويغطونه ببارية » وهو خطأ شنيع لا يتعجب من النويرى ، والبراية كالبراء (بضمهما) النحاتة .

(٢) فى ا غير منقوطة وفى ك صفحة ١٩ « ربيل » ولعلها دبيل مدينة قريبة من السند (معجم البلدان لياقوت)

أهلُها ومَنْ فيها قتالا شديدًا ، فانتصر المسلمون وأخرجوا الرُّومَ منها وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف رجل .

ودخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة :

ذكر عزل على بن عيسى عن الوزارة

ووزارة أبى على بن مقلة

فى هذه السنة عُزِلَ علىُّ بنُ عيسى عن وزارة الخليفة ورُتِّب فيها علىُّ بنُ مقلةَ ، وكان سبب ذلك أنَّ عليا لما رأى نَقْص الارتفاع واختلالَ الأعمال بوزارة الخاقانىِّ والخَصيبى وزيادةَ النفقات اسْتَعْفى من الوزارة واحْتَجَّ بالشيخوخة وقِلَّةِ النَّهْضَةِ ، فأمره المقتدر بالصَّبر وقال له : أنت عندى بمنزِلَةِ والدى المعتضد ! فألَحَّ فى الاستعفاء ، فشاور المقتدرُ مؤنِسًا فى ذلك فأشار بمداراتِه وإبقائه . ثم لقى مؤنسٌ الوزير ولاطَفه وسكَّنَه فأبى/ إلا العَزْل ، وبلغ الخبر ابن ٣٦ ـ ١
مقلةَ فَسَعَى وضَمِن الضمانات الكثيرةَ وواصل بالهدايا واستمال نَصْرًا الحاجبَ ، فساعده عند المقتدر ، فأمر فى نصف شهر ربيع الأول بالقَبْض عَلَى علىِّ بن عيسى وأخيه عبد الرحمن ، وخلع على أبى على بنِ مقلةَ واستوزره وأعانه عليها أبو عبد الله البريدى لمودَّةٍ كانت بينهما .

ذكر الحرب بين نازوك وهارون بن غريب الخال

واستيحاش مؤنس

فى هذه السنة وقعت الفتنةُ بين نازوك ـ صاحبِ الشرطة ـ وهارون بن غريبٍ ، وأدَّت إلى خَلْع المقتدر . وسبب ذلك أنَّ ساسةَ

دوّابٌ هارون وساسةَ دوّابٍ نازوك تغايروا (١) على غلام أمرد (٢) وتضاربوا بالعصيّ ، فضرب نازوكُ ساسةَ هارون وحبسهم . فسار أصحاب هارون إلى مجلس الشرطة ، ووثبوا على نائب نازوك وانتزعوا أصحابهم من الحبس ، فركب نازوك وشكا إلى المقتدر بالله فقال : كلاكما عزيزٌ ولست أدخل بينكما !

فعاد وجمع رجاله وجمع هارون رجاله ، وزحف أصحاب نازوك إلى دار هارون فأغلق بابه ، وبقى بعضُ أصحابه خارجَ الدار فقتّلَ فيهم أصحابُ نازوك وجرحوا . ففتح هارونُ الباب ، وخرج أصحابُه فوضعوا السلاح في أصحاب نازوك ، فقتلوا منهم وجرحوا ، واشتبكت الحربُ بينهم . وأرسل المقتدرُ ينكر عليهما ذلك فكفّا ، وسكنتِ الفتنةُ ، واستوحش نازوك . ثم ركب إليه هارون وصالحه ، وخرج بأصحابه ونزل بالبستان النجمى ليبعد عن نازوك ، فأكثرَ النّاسُ الأراجيف وقالوا : قد صار هارونُ أميرَ الأمراء !

فعظم ذلك على أصحاب مؤنسٍ وكتبوا له بذلك وهو بالرّقّة ، فأسرع العَوْدَ إلى بغداد ، ونزل بالشّمّاسية فى أعلى بغداد . ولم يلْق المقتدرَ فصعد إليه أبو العباس بن المقتدر والوزير ابنُ مقلةَ فأبلغاه سلام المقتدرِ واستيحاشَه له ثم عادا واستشعر كلٌّ من المقتدرِ

(١) إذا كانت من الغيرة فلا وجه لها هنا ، وأقول غايرته بسلعتى أى بادلته ، وغار على امرأته غيرة وغيراً وغاراً وغياراً .

(٢) أمرد : طر شاربه ولم تنبت لحيته ، تقول مرد (كفرح) مرداً إذا بقى زمانا ثم التحى (القاموس المحيط) .

ومؤنسٍ من صاحبه [١] فأحضر المقتدر هارونَ بنَ غريبٍ الخالَ – وهو ابنُ خالِه – فجعله معه فى داره . فلما علم مؤنسٌ بذلك ازداد نفُورًا واستيحاشا وأقبل أبو الهيجاء بن حمدان من بلاد الجبل فى عسكر كبير فنزل [عند] [٢] مؤنسٍ وترددتِ المراسلاتُ من الخليفة إلى مؤنسٍ ، وانقَضَتِ السَّنَةُ وهم على ذلك .

ودخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة :

ذكر خلع المقتدر بالله وبيعة القاهرة ١ – ٣٧

فى هذه السنة خُلِعَ المقتدرُ بالله من الخلافة وبويع أخوه القاهرُ بالله محمدُ بنُ المعتضد ، فبقى يومين ثم أُعيد المقتدرُ بالله . قال [٣] : ولما نزل مؤنس باب الشَّمَّاسية وانضم إليه ابنُ حمدانَ ونازوك صاحبُ الشرطة وغيرُهما جمع المقتدر عنده هارونُ بن غريب وأحمد بن كيْغَلَغ والغلمان الحجرية والرجّالة المصافية وغيرُهم . فلما كان آخر النهار مستهلَّ المحرم انفَضَّ أكثر مَنْ عند المقتدرِ ، وخرجوا إلى مؤنسٍ . ثم كتب إلى المقتدر رقعةً يذكر أنَّ الجيشَ عاتبٌ منكر للسَّرَف فيما يطلق باسم الخَدَم والحُرَمِ من الأموال والضياع ، ولدخولهم فى الرأْيِ وتدبير المملكة ، ويطالبون بخروجهم من الدار وأخْذِ ما فى أيديهم من الأموال

(١) كذا فى ا وفى الكامل ٦ : ٢٩٥ وفى ك صفحة ٦٩ « واستشعر كل منهما من المقتدر ومؤنس من صاحبه » والعبارة مختلفة .

(٢) زيادة من الكامل ٦ : ٢٩٥ .

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٠٠ .

والأملاك ، وإخراج هارون بنِ غريبٍ من الدار. فأجابه المقتدرُ أنه يفعل من ذلك ما يمكنه ويقتصر على ما لابُدَّ له منه ، واستعطفه وذكره ومَنْ معه ببَيْعته التى فى أعناقهم مرةً بعد أخرى وخَوَّفهم عاقبة النكث . وأمر هارون أن يخرجَ من بغداد وأقطعه الثغور الشامية والجزيرية فخرج فى تاسع المحرم ، فعندما دخل مؤنس وابن حمدان ونازوك إلى بغدادٍ ، وأرجف النَّاسُ أن مؤنِسًا ومَنْ معه قد عزموا على خلع المقتدر .

فلما كان فى الثانى عشر من المحرم خرج مؤنس بالجيش إلى
٣٧ ـ ب باب الشماسية فتشاوروا ساعةً ثم زحفوا[1] / بأسرهم إلى دار الخليفة ، فلما قربوا منها هرب المُظَفَّرُ بنُ ياقوت الحاجب وسائرُ الحُجَّابِ والخدم والوزير ابنُ مُقْلةٍ ، ودخل مؤنسٌ والجيشُ إلى دار الخليفة وأخرج المقتدرَ ووالدته وخالتَه وخواصَّ جواريه وأولاده من دار الخلافة ، وحُمِلوا إلى دار مؤنسٍ واعتقلوا بها . وبلغ الخبر هارون وهو بِقُطْرَبُّل[2] فدخل بغداد واستتر ، ومضى ابنُ حمدانَ إلى دار ابنِ طاهرٍ فأحضر محمدَ بنَ المعتضد وبايعوه بالخلافةِ ولقَّبوه القاهرَ بالله ، وأحضروا القاضى أبا عمر عند المقتدر ليشهدوا عليه بالخَلْعِ وعنده مؤنسٌ ونازوكُ وابنُ حمدان وبُنَىٌّ بنُ يعيش[3] فقال مؤنسٌ للمقتدر ليخْلَعَ نَفْسَه من

(١) فى ك صفحة ٢٠ « ثم رجعوا » .

(٢) قطربل : أسم قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر الجيد ، وقيل أسم لطسوج من طساسيج بغداد أى كورة كما يقول ياقوت .

(٣) فى الكامل ٦ : ٢٠١ « ابن نفيس »

الخلافةِ فأجاب وأشهَدَ عليه القاضيَ بالخلع ، فقام ابنُ حمدان وقال للمقتدر : يا سيدي يعزُّ عليَّ أن أراك على هذه الحالِ وقد كنتُ أخافُها عليكَ وأحذَرُها وأنصَحُ لك وأحذِّرُك عاقبةَ القبول من الخدم والنساء فتؤثر أقوالَهم على قولى ، وكأنى كنت أرى هذا ، وبعدُ فنحنُ عبيدُك وخَدَمُك ! ودمعت عيناه وعينا المقتدر وشهد الجماعةُ على المقتدر بالخلع وأودعوا الكتاب عند القاضى أبي عمر فكتمه ولم يظهر عليه غيره . فلما عاد المقتدر إلى الخلافة سلَّمه إليه وأعلمه أنه ما أطلَع عليه أحدا ، فاستحسن ذلك منه ، وولَّاه قضاء القضاة

قال[1] : ولما استَقَرَّ / أمْرُ القاهرِ باللهِ أخرج مؤنسٌ المظفرُ علىَّ بنَ عيسى ١-٣٨
من الحبس وأقر أبا علىٍّ بن مقلةَ على وزارته ، وأضاف نازوك مع الشرطة حَجَبَةَ الخليفة وأقطع ابنَ حمدان مُضافًا إلى ما بيده من أعمال طريق خرسانَ حُلوانَ [2] والدِّينَوَر وهمَذَان وكِنكور[3] وكرمان شاهان[4]

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٠١

(٢) حلوان : مدينة فى آخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد ، ولم يكن بأرض العراق بعد البصرة والكوفة وواسط وبغداد وسر من رأى ، كما يقول ياقوت ، مدينة أكبر منها .

(٣) كنكور : بليدة بين همذان وقرميسين التى تقع قرب الدينور ، بها قصر عجيب يقال له قصر اللصوص وكانت لصاحب الموصل قبل أن تخرب .

(٤) كرمان شاهان : يقصد بها قرميسين قرب الدينور .

والراذانات ودقوقا[١] وخانيجار[٢] ونهاوند والصيمرة[٣] والسَّيْرَوَان[٤] وما سبَذَان[٥] وغيرها . ونُهِبَتْ دار الخليفة ومضى بُنَىٌّ بن يعيش إلى بَرِيَّةٍ لوالدة المقتدر فأخرج من قبرٍ فيها سبعمائة ألف دينارٍ وحملها إلى دار الخليفة . وكان خَلْعُ المقتدر للنصف من المحرم منها ، ثم سَكَن النَّهْبُ وانقطعت الفتنةُ .

قال[٦] : ولما تَقَلَّد نازوكُ حجبةَ الخليفة أمر الرجّاله المصافية[٧] بِقَلْعِ خيامِهِم من دارِ الخليفةِ وأن لا يَعْبُرَ الدار إلا مَنْ له وَظَرٌ ، وأمَرَ رجالَه وأصحابَه أن يقيموا مقام المصافية ، فعظم ذلك عليهم وتقدم إلى خلفاء الحُجَّاب أن لا يمكِّنوا أحدًا أن يدخُلَ إلى دارِ الخليفة إلا مَنْ كانت له مرتبةٌ ، فاضطرب الحجريةُ من ذلك .

ذكر عود المقتدر بالله الى الخلافة

وقتل نازوك وابن حمدان

٣٨ـب / قال[٨] : ولما كان فى يوم الإثنين سابع عشر المحرم بكَّر

(١) دقوقا : مدينة معروفة بين إربل وبغداد وقد تمد فيقال دقوقاء .

(٢) خانيجار : فى ك صفحة ٢٠ « خانيجان » والصواب ما اثبتناه ، بليدة قرب دقوقاء بين بغداد وإربل .

(٣) الصيمرة : سقطت من ك ، وهى بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان بها نخل وزيتون وفواكه وثلج .

(٤) السيروان : بلد أو كورة بالجبل ، قال الاصطخرى « الصميرة والسيروان مدينتان صغيرتان غير أن بنيانها الغالب عليه الجص والحجارة وفيها الليمون والجوز » .

(٥) ماسبذان : قرب حلوان والصيمرة .

(٦) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٠١

(٧) فرقة من فرق الحرس خيمت فى ساحة القصر بدعوى حماية الخليفة ، وكانت تكره نازوك فأراد استبدال الحجرية بها .

(٨) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٠١

النّـاسُ إلى دار الخلافة لأنه يوم موكبٍ ودولةٍ جـديدةٍ ، فامتلأت الممراتُ والرِّحابُ وشاطىء دجلة من الناس ، وحضر الرجالة المصافيةُ فى السلاح يطالبون بحَقّ البيعةِ ورزقِ سنةٍ وهم حَنِقون لما فعل بهم نازوك ، ولم يحضر مؤنس المظفَّر ذلك اليومَ. وارتفعت الأصواتُ وزعقاتُ الرِّجالِ ، فسمعها نازوكُ فأشفق أن يقعَ بينهم وبين أصحابِه فتنةٌ وقتال . فأمر أصحابه أن لا يتعرَّضُوا لهم ولا يقاتلوهم ، فزاد تَغَب الرجالة وهجموا يريدون الصَّحْنَ التسعينى ، فلم يمنعهم أصحابُ نازوك . ودخل مَنْ كان على الشَّطِّ بالسِّلاح ، وقويت زعقاتُهم من مجلس القاهر بالله وعنده الوزير ابنُ مقلةَ ونازوكُ (١) وأبو الهيجاء ابن حمدان ، فقال القاهر لنازوك : اخرج إليهم فسكِّنْهُم وطيِّبْ قلوبهم ! فخرج إليهم نازوك وهو مخمور قد شرب طول ليلته ، فلما رآه الرجالة تقدموا إليه ليشكوا إليه حالَهم بسببِ أرزاقهم فخافهم على نفسه وهرَب منهم ، فطمعوا فيه وتبعوه ، فانتهى به الهربُ إلى باب كان هو سَدَّه بالأمس فقتلوه عنده ، وقتلوا خادمه عجيبا وصاحوا : مقتدِرُ يامنصورُ ! فهَرب كلُّ مَن كان في الدَّارِ من الوزير والحجَّاب وسائرِ الطبقات وبقيت الدار فارغةً . وصلبوا نازوك وعجيباً بحيث يراهما مَنْ ٣٩-ا على شاطىء دجلة ، ثم صار الرجَّالةُ إلى دار مؤنس يصيحون ويطالبونه بالمقتدر بالله . وبادر الخَدَمُ فأغلقوا أبوابَ دارِ الخليفةِ وكانوا جميعا خَدَمَ المقتدرِ ومماليكه وصنائعه .

(١) من هنا إلى قوله « فخرج إليهم نازوك وهو . » سقط من ك صفحة ٢١ وهو ثابت فى ف صفحة ٢٣ – ب.

وأراد ابنُ حمدانَ الخروجَ من الدار فَتَعَلَّقَ به القاهرُ وقال : أنا فى ذمامك فقال : واللهِ لا أُسَلِّمك أبدًا ! وأخذ بيده وقال : قم بنا نخرجْ جميعا ، وأدعو أصحابى وعشيرتى فيقاتلون دونك ! فقاما ليخرجا فوجدا الأبواب مغلقةً ومعهما فائقٌ المعروفُ بِوَجْهِ القَصْعَةِ ، فأشرف القاهرُ من سطحٍ فرأى كثرةَ الجمْع ، فنزل هو وابنُ حمدان وفائقٌ فقال ابن حمدان للقاهر : قِفْ حتى أعود إليك ! ونزع سوادَه وثيابه وأخذ جُبَّةَ صوفٍ لغلام هناك فلبسها ومشى نحو باب النوبىّ [1] فرآه مغلقًا والناسُ حوله . فعاد إلى القاهر وتأخر عنهما وجه القصعة ، وأمر مَنْ معه من الخدم بقتلهما أخْذًا بِثَأْرِ المقتدرِ وما صنعا به ، فعاد إليهما عشرةٌ من الخدم بالسِّلاح [2] ، فعاد إليهم أبو الهيجاء وسَيْفُه بِيَدِه فقاتلهم فقتلوه ، وهرب القاهرُ إلى آخر البستان واختفى .

وأما الرجَّالة فإنهم لما انْتَهَوْا إلى دارِ مؤنسٍ وسمع زعقاتِهم قال : ماالذى تريدون ؟ قالوا : نريد المقتدر ! فأمر / بتسليمه إليهم ٣٩ ـ ب
فامتنع المقتدرُ من ذلك وخاف أن تكونَ حيلة ، فَحُمِلَ وأُخْرِجَ إليهم فحملوه على أعناقِهم حتى أدخلوه دار الخلافةِ . فلما حَصَلَ فى الصَّحْنِ التسعينى اطمأنَّ وجلس وسأل عن أخيه القاهر وعن ابن حمدان فقيل إنهما حيّان فأمَّنَهُما بخَطِّه ، وأمر خادمًا بالسُّرْعة بكتاب الأمان لئلا يحدث على أبى الهيجاء حادثٌ ، فمضى بالخط إليه فلقيه خادمٌ

(١) فى ك صفحة ٢١ « باب النوبة »
(٢) فى س ، ف « عشرة من الخدم من السلاح »

ومعهُ رأسُه فرجع به إلى المقتدر، فلما رآه استرجع وقال : ما كان يدخل إلىَّ ويسلينى ويُطَهِّر لى الغَمَّ غيره ! ثم أُخِذَ القاهر وأُحْضِر إلى المقتدر فأجلسه إلى جانبه وقبَّل جبينه وقال : قد علمت أنَّكَ لا ذنبَ لك وأنك قُهرت ولو لقَّبوك بالمقهور كان أولى بك من القاهر ! والقاهرُ يبكى ويقول : يا أمير المؤمنين نفسى نفسى اذكرنَّ الرَّحِمَ التى بينى وبينك ! فحلف له أنه لا يناله بسوء أبدًا [1] ، فسكن .

قال [1] : ثم أخرج رأس نازوك ورأس أبى الهيجاء وشُهِرا ، ونودى عليهما « هذا جزاءُ مَنْ عَصَى مولاه » وأما بُنَىٌّ بن يعيش فإنه كان من أشَدِّ القوم على المقتدر بالله ، فهرب عن بغداد وغيَّر زيَّهُ وسار حتى بلغ الموصل ومنها إلى أرمينية ، وسار حتى دخل القسطنطينة وتَنَصَّر . وهرب أبو السرايا نصر بن حمدان أخو أبى الهيجاء إلى الموصل وسكنت الفتنة . وعاد الوزير ابنُ مقلةَ إلى /وزارته ، وكتب إلى البلاد بهذه الحادثة ، وأطلق للجند ٤٠ ـ ١ أرزاقَهم وزادهم وباع ما فى الخزائن من الأمتعة والجواهر ، وأذِنَ فى بيْع الأملاك من الناس فبيع ذلك بأرخص الأثمان لتتم أعطياتُ الجند . وقيل إن مؤنسا المظفر لم يكن مؤثرا لما جرى على المقتدر من الخلع ، وإنما وافق الجماعةَ مغلوبًا على رأيه ولعلمه أنه إن خالفهم لم ينتفع به المقتدر فوافقهم ليأمنوه وسعى مع الغلمان المصافية والحجرية ووضع قوادهم على أن عملوا ما عملوا ، فلهذا أمَّنهُ المقتدر . وأما القاهر

(١) فى ك ، ف « لا يناله سوءا » كذا !

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٠٢

فإن المقتدر حبسه عند والدته فأحسنت إليه وأكرمته ووسعت عليه النَّفَقة واشترت له السراري والجواري للخدمة وبالغت فى إكرامه

نعود إلى بقية حوادث سنة ست عشرة [وثلاثمائة] فيها وصل الدمستق (١) فى جيش كبير (٢) من الروم إلى أرمينية فحصروا خِلاط (٣) فصالحه أدلُها ، وأخرج المنبرُ من الجامع وجُعِلَ مكانَه صليبًا. ورحل إلى بَدْليس (٤) ففعل بها مثل ذلك وخافه أهلُ أرزنَ (٥) الروم وغيرهم ، ففارقوا بلادهم ، وانحدر أعيانهم إلى بغداد فلم يغاثوا .

وفيها وصل سبعمائة رجل من الروم والأرمن إلى ملَطْية ومعهم الفؤوس والمعاول وأظهروا أنهم يتكسبون بالعمل ، ثم ظهر أن مُلَيْحًا الأرمنى صاحب الدروب / وضعهم ليكونوا بها ، فإذا حضر سألموها إليه ، ٤٠ ـ ب
فعلم بهم أهل ملطية فقتلوهم [عن آخرِهم (٦)

وفى سنة سبع عشرة جاء أبو طاهر القرمطى إلى مكة يوم التروية (٧) فنهب أموال الحجاج ، وقتلوهم حتى فى المسجد الحرام وفى البيت ، وقلع الحجر الأسود ، وفعل ماذكرد إن شاء الله تعالى فى أخباره .

---

(١) فى «ا» وفى ك صفحة ٢١ « الدستيق » وما هنا من ف صفحة ٢٤ ـ ب

(٢) فى النجوم الزاهرة ٣ : ٢٢٠ أن الجيش كان ثلاثمائة ألف .

(٣) خلاط : قصبة أرمينية الوسطى

(٤) بدليس : قال ياقوت « إنه اسم بطن من النخع . وأما فى العجم ففيه تفليس وتبريزة ، بلدة من نواحى أرمينية قرب خلاط ذات بساتين .

(٥) أرزن : مدينة مشهورة قرب خلاط . كانت من أعمر نواحى أرمينية

(٦) ليس فى « ا » ولكنه فى ك صفحة ٢٢

(٧) يوم التروية : كان القوم يرتوون فيه من الماء لما بعد ، وقيل سمى كذلك لأن إبراهيم الخليل كان يتروى ويتفكر فى رؤياه (المحيط)

ودخلت سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة :

ذكر هلاك الرجالة المصافية

فى هذه السنة هلك الرجالة المصافية فى المحرم . وسبب ذلك أنهم لما أعادوا المقتدر إلى الخلافة — كما ذكرنا — زاد إدلالُهم واستطالَتُهم ، وصاروا يقولون أشياء لا يحتملها الخلفاء ، منها أنهم يقولون : منْ أعان ظالما سُلِّط عليه ، ومن يُصْعِدُ الحمار إلى السَّطْح يقدر أن يحطه وإن لم يفعل المقتدرُ معنا ما نستحقه قابلناه بما يستحق ! إلى غير ذلك ، وكثر شَغَبُهم ومطاولَتُهم وأدخلوا فى الأرزاق أولادهم وأهليهم ومعارفَهم وأثبتوا أسماءهم ، فصار لهم فى الشهر مائةُ ألْفٍ وثلاثون ألف دينارٍ .

واتفق أن الفرسان شغبوا فى طلب أرزاقهم فقيل لهم إن بيتَ المالِ فارغٌ وقد انصرفت الأموال إلى الرَّجَّالةِ ، فثار بهم الفرسانُ واقتتلوا[1] /فقُتل من الفرسان جماعةٌ فاحتج المقتدر على الرجالة بقَتْلِهم وأمر محمد ٤١ — ا
ابنَ ياقوت[2] صاحب الشرطةِ فطرد الرَّجَّالة من دارِ المقتدر ونُودِى فيهم بخروجهم عن بغداد ومن أقام حُبِس ، وهُدِّمتْ دورُ عُرَفائهم وقُبِضَت أملاكُهم ، وظَفر بعد النِّداء بجماعةٍ منهم فضربهم وحلق لحاهم وشعورهم

(١) فيما يرويه عريب فى الصلة ١٤٨ ، ومسكويه فى تجارب الأمم ١ : ٢١٢ ما يوحى بأن المقتدر كان يدبر خططا للإيقاع بفرق الجيش

(٢) كان قبل أن يتولى الشرطة واليا على فارس وكانت الشرطة إذ ذاك مع ابنى رائق الذين عينهما مؤنس (تجارب الأمم ٢ : ٢٠٢ ، صلة الطبرى ١٤٥)

وشهرهم . وهاج السودان تعصُّبًا للرَّجَّالة فركب محمد أيضا فى الحجرية وأوقع بهم وأحرق منازلهم ، فاحترق فيها جماعةٌ منهم ومن أولادهم ونسائهم ، فخرجوا إلى واسط. واجتمع منهم جمع كبير وتغلَّبوا عليها وطردوا عامل الخليفة ، فسار إليهم مؤنس فأوقع بهم وأكثر القتل فيهم ، فلم يقم لهم بعدها قائمة .

ذكر عزل ابن مقلة ووزارة سليمان

فى هـذه السنة عُزِلَ أبو على محمد بن مقلةَ عن وزارة الخليفة . وكان سبب عزله أن المقتدر كان يتهمه بالميل إلى مؤنس المظفَّر وكان المقتـدر مستوحشا من مؤنس ويُظْهر له الجميل ، فاتَّفق أنَّ مؤنسا خرج إلى أوانا وعكبرا ، فركب ابنُ مقلةَ إلى دار المقتدر آخر جمادى الأُولى فقبض عليه وكان بين ابن مقلة وبين محمد بن ياقوت عداوة فأنفذ إلى داره من حرقها ليلا .

قال : وأراد المقتدر أن / يستوزر الحسينَ بنَ القاسم بن عبد الله وكان ٤١ ـ ب
مؤنس قد عاد ، فأنفذ إلى المقتدر يسأَل أنْ يعاد ابنُ مقلةَ فلم يُجِبْه إلى ذلك وأراد قتْلَه ، فردَّه علىُّ بن عيسى عن ذلك فسأَل مؤنسٌ أن لا يستوزر الحسين ، فتركه واستوزر سليمان بن الحسن فى منتصف جُمادى الآخرة ، وأمر المقتدرُ علىَّ بنَ عيسى بالاطِّلاع على الدواوين وأن لا ينفرد سليمانُ عنه

بشيء . وصودر ابنُ مقلة بمائتى ألف دينار ، وكانت مدةُ وزارته سنتين وأربعةَ أشهر وثلاثة[١] أيام

وفيها أمر المقتدر بالقبض على أولاد البريدى . وكان ابنُ مقلةَ لما ولى الوزارةَ قلّدهم الأعمالَ ، فقلد أبا عبد الله الأهوازَ جميعها سوى السوس[٢] وجُنْديسابور وقلّد أخاه الحسين الفراتية ، وقلد أخاهما يوسُف الخاصة والأسافل ، وارتشى منهم على ذلك عشرين ألف دينارٍ من أبى عبد الله . فلما قُبِضَ على ابنِ مقلة كتب المقتدر بخَطِّه إلى أحمد بن نصرٍ القشورى الحاجب يأمره بالقَبْض عليهم ، ثم استحضرهم إلى بغداد ، وصودروا على أربعمائة ألف دينار ، وكان لا يطمع منهم بهذا المبلغ وإنما طلب منهم ليجيبوا إلى بعضه فأجابوا إلى الجميع .

ذكر خروج صالح والأغر

فى هذه السنة فى جمادى الأولى خرج خارجى من بجيلة من أهـــل / البوازيج[٣] بهـا اسمه صـــالح بن محمود وعبر إلى ٤٢ ـ ا
البرّية ، واجتمع إليه جماعةٌ من بنى مالك . وسار إلى سنجار[٤] فأخذ من أهلها مالا وخطب لها ، فذكّر بأمر الله وحذّر وأطال فى هذا

(١) راجع المنتظم ٦ : ٢٣١ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٢٧

(٢) السوس : بلدة بخوزستان ، ويقال إنها تعريب الشوش ومعناه الحسن واللطيف والنزه

(٣) البوازيج : بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب فى دجلة ، ويقال لها بوازيج الملك وهى الآن — كما يقول ياقوت — من أعمال الموصل .

(٤) سنجار : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وهى فى لحف جبل عال سميت باسم بانيها كهيت وآمد ، وقيل هى تعريب سنكار مدينة طيبة فى وسطها نهر جار ويكثر بها الشجر والنخيل والموالح

ثم قال : نتولَّى الشيخَيْنِ ونبرأ من الخبيثَيْن ولا نرى المَسْحَ على الخُفَّيْنِ ! وسار منها إلى الشجاجية من أرض الموصل فطالب أهلها بالعشر ثم انحدر إلى الحديثة تحت الموصل وطالب المسلمين بزكاة أموالهم والنَّصارى بجزية رؤوسهم فجرى بينهم حربٌ قُتِلَ من أصحابه جماعةٌ ، فعبر إلى الجانب الغربي فأسر أهلَ الحديثةِ ابنًا له اسمه محمد فأدخلوه الموصل . ثم صار صالح إلى السن[1] فصالحه أهلها على مال أخذه ، وانحدر إلى تكريت فحاربه أهلُها فقَتَل منهم جماعةً ثم صالحوه على مال أخذه منهم ؛ وانصرف إلى البوازيج وتنقَّلَ في بلادِ الموصل فسار إليه نَصْرُ بنُ حمدان لخمسٍ خلوْنَ من شعبان من السنة فقاتله قتالا شديدًا فقتل من رجال صالح نحو مائةِ رجلٍ ، وأُسِر صالحٌ وابنان له فأُدْخِلوا إلى الموصل ، وحُملوا إلى بغداد فأُدْخِلوا مُشَهَّرين .

وخرج في شعبان خارجيٌّ بأرضِ الموْصل اسمه الأَغَرُّ بنُ مطرٍ[2] الثغلبي ، وسار من رأس عين إلى كفرتوثا واجتمع عليه ألْفُ رجلٍ فدخلها ونهبها وقَتَل فيها ؛ وسار إلى نصيبين فنزل بالقرب منهـا فقاتله / أهلهـــا ومعهم جمْعٌ من الجُنْدِ فقتل منهم مائةَ رجلٍ ٤٢ ب
وأسر ألفَ رجلٍ فباعهم نفوسَهم ، وصادر أهلها على أربعمائة ألف درهم . وبلغ خبره ناصر الدولة بن حمدان — وهو أمير ديار ربيعة —

(١) السن : مدينة على دجلة فوق تكريت لها سور وبها جامع ضخم للمسلمين وكنائس للنصارى وفي أهلها علماء ، وعندها مصب الزاب الأسفل ، وقد يقال لها سن بارما

(٢) يقول ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢١٠ إنه كان يذكر أنه من ولد عتاب بن كلثوم التغلبي أخي عمرو بن كلثوم الشاعر .

فسيَّر إليه جيشا فقاتلوه فظفروا به وأسروه فسيَّره ناصرُ الدولةِ إلى بغداد .

وفيها خلع المقتدرُ بالله على ابنه هارون ، وركب معه الوزير والجيش وأعطاه ولايةَ فارس وكرمان وسجستان ومكران . وفيها أيضا خلع على ابنه أبي العباس الراضي وأقطعه بلاد المغرب ومصر والشام وجعل المظفر يخلفه فيها ، وحج بالناس عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز الهاشمي .

ودخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة .

ذكر عزل سليمان عن الوزارة

وتولية أبي القاسم الكَلْوَذَانى الوزارة

في هذه السنة قَبَضَ المقتدر على وزيره سليمان . وسبب ذلك أن الأموال ضاقت عليه ، وكثرت المطالباتُ من الجند وغيرهم بأرزاقهم ، واتصلت رقاع من يُرشَّحُ للوزارة بالسِّعاية فيه والضمانِ بالقيامِ بأرزاقِ الجُنْدِ وأربابِ الوظائف ، فأمر المقتدر بالقبض عليه / وكان المقتدر يميل إلى وزارة الحسينِ بن القاسم ، فامتنع ٤٣ ـ ا مؤنسٌ من الموافقة عليه ، وأشار بتَوْلية أبي القاسم الكَلْوذانيّ فاستوزره المقتدر بالله لثلاث بقين من شهر رجب ، فكانت وزارة سليمان سنةً واحدة وشهرين ، ولم يستمر الكَلْوذانيّ في الوزارة غير شهرين وثلاثة أيام .

ذكر عزل الكلوذانى ووزارة الحسين

فى هذه السنة عُزِلَ أبو القاسم الكَلْوَذَانِىُّ عن وزارة الخليفة ، ووزر الحسينُ بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب . وكان سبب ذلك أنه كان ببغداد إنسانٌ يعرف بالدانيالى وكان زرّافًا ذكيا محتالا ، فكان يُعتِّق الكاغدَ ويكتب فيه أشياء قد وقَعتْ فيما مضى من الزمان وأشياء تقع فى المستقبل ويُرِى ذلك للناس . واتصل هذا الدانيالى بمفلح الخادم وأظهره على أشياء استماله بها . فتَوصَّل الحسينُ لهذا الرجل حتى جعلَ اسمَه فى جُمْلَة كتابٍ وضَعَهُ وعتَّقَه ، وذكر فيه علامةً فى وجْهِهِ وما فيه من الآثار ويقول « إنه يزرُ للخليفةِ الثامن عشر من الخلفاء العباسيين وتستقيم الأُمور على يديه ويقهر الأعادى » وذكر فى هذا الكتاب حوادثَ وقَعتْ وحوادثَ تقع فى المستقبل ، ونسب ذلك إلى دانيال . وقرأ الكتاب على مفلح فأخـذه / منه وأوقف المقتدر عليه فقال له : أتعرف فى الكتاب ٤٣ ـ ب
منْ هو بهذه الصفة ؟ فقال : ما أعرف إلا الحسين بن القاسم قال : صدقت ، قلبى يميل إليه ، فإن جاء تلك رقعةٌ منه فاعْرِضْها علىّ واكتُم حالَه .

فخرج مفلح إلى الدانيالى وقال : هل تعرف فى الكُتَّابِ منْ هو بهذه الصفة ؟ قال : لا ! قال : فمن أين لك هذا الكتاب ؟ قال : ورثته عن أبى ، وورثه أبى عن آبائه ، وهو من ملاحم دانيال عليه السـلام ! فأعاد ذلك إلى المقتدر بالله فقبلـه . فكتب الحسينُ

رقعةً إلى مفلح وهو يطلب الوزارة ، فكان ذلك من أعظم الأسباب لوزارته مع كثرةِ الكارهين له .

ثم اتفق أنَّ الكَاْوذَانِيّ عمل حِسبةً بما يحتاج إليه من النفقات ومالهم (١) من الأموال وعليها خطوط الدواوين فبقى يحتاج إلى سبعمائة ألف دينارٍ لاجهةَ لها ، فعرضها على المقتدر وقال : ليس لهذه جهة إلا ما يطلقه أمير المؤمنين من بيت مال الخاصة ! فعظم ذلك على المقتدر ، وكتب الحسينُ رقعةً عندما بلغه ذلك سأل فيها الوزارة وأنه يضمن جميع النفقات ويستخرج سوى ذلك ألف ألف دينارٍ تكون فى بيت المال ، فاستقال الكَاْوذَانى ، فَعُزل لليلتين بقيتا من شهر رمضان ،واستوزر المقتدر بالله الحسين بن القاسم فى هذا التاريخ

ذكر تأكيد الوحشة بين مؤنس والمقتدر

/ فى هـذه السـنة فى ذى الحجة تجـددت الوحشة بينهما . ٤٤ ـ ١
وسببُ ذلك أن مؤنسا بلَغَهُ أنَّ الوزير قد وافق جماعةً من القُوَّاد فى التدبير عليه ، فتنكَّر له مؤنس . وبلغ الوزير أن مؤنسًا يريد أن يكبِس داره ليلا ويقبضَ عليه ، فتنقل فى عِدَّةِ مواضع ثم انتقل إلى دار الخلافة . وطلب مؤنسٌ من المقتدر عزْلَ الحسينِ ومصادرتَه فأجابه إلى عزله ولم يصادره ، وأمر الحسين بلزوم دارِه فلم يقنعْ مؤنسٌ بذلك فبقى فى وزارته . فأوقع الحسين عند المقتدر أن مؤنسا

(١) أى أصحاب الدواوين كما فى الكامل ٦ : ٢١٥

يريد أخذَ ولده أبي العباس ويسيره إلى الشام ويبايع له ، فردَّه المقتدر إلى دارِ الخلافة فعلم ذلك أبو العباس ، فلما أفضَتْ إليه الخلافةُ فعل بالحسين مانذكره إن شاء الله تعالى . وكتب الحسين إلى هارون - وهو يريد العاقول - بعد انصرافه من حرب مرداويج وانهزامه وهو يستقدمه إلى بغداد ، وكتب إلى محمد بن ياقوت - وهو بالأهواز - يأمره بالإسراع إلى بغداد ، فصحَّ عند مؤنس أن الوزير يدبِّر عليه وزاد مؤنسا نفارا .

ودخلت سنة عشرين وثلاثمائة :

ذكر مسير مؤنس الى الموصل

في هذه السنة في المحرم سار مؤنس المظفر إلى الموصل مغاضبا ، ٤٤ - ب للمقتدر لما صح عنده إرسال الوزير إلى هارون بن غريب الخالِ ومحمد بن ياقوت يستحضرهما . قال : [1] وسير مؤنس خادمه بشرى[2] برسالة إلى المقتدر ، فسأله الحسين عن الرسالة فقال : لا أذكرها إلا لأمير المؤمنين . فأنفذ إليه المقتدر يأمره بذكر رسالته للوزير فامتنع وقال : ما أمرني صاحبي بهذا ! فسبه الوزير وشتم صاحبه وأمر بضربه وصادره بثلاثمائةِ ألف دينارٍ وأخذ خطَّه بها وحبسه ونهب داره . فلما بلغ مؤنسا ما جرى على خادمه وكان ينتظر أنَّ المقتدر يطيِّب قلبه ويعيده ، سار ومعه جميع قوَّادِه ومماليكه ، ومعه من الساجية ثمانمائة رجل . فتقدم الوزير بقبضِ إقطاعِ

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢١٩

(٢) يذكر في بعض الأثبات « بشر » وفي ك صفحة ٢٨ يرسم هكذا

مؤنس وأملاكِه وأملاكِ من معه ، فحصَّلَ من ذلك أموالا عظيمة فزاد ذلك فى محلِّه عند المقتدر ولقَّبه عميد الدولة وضرب اسمه على الدنانير والدراهم وتمكَّن من الوزارة وولى وعزل ثم أخذ فى التهوير فعزله المقتدر بالله .

ذكر عزل الحسين عن الوزارة

ووزارة ابن الفرات

كان سبب عزله أنه ضاقَتْ عليه الأموالُ وكثر الخَرْجُ ، فاستسلف جملةً مِنْ مال هذه السنة وأخرجها فى سنة تسعةَ عشر . فنَمى هارون /ابن غريبٍ ذلك إلى المقتدر ، فرتَّب معه الخَصِيبى . ٤٥ – ا
فلما تَولَّى معه نَظَر فى أعمالِه فرآه قد عمل حِسْبةً للمقتدر ليس فيها عليه [وجه] (١) فأظهر ذلك للمقتدر ، فأمر بجمع الكُتَّاب وكَشْف الحال . فاعترفوا بصدق الخَصِيبى وقابلوا الوزير ، فقبض عليه فى شهر ربيع الآخر فكانت وزارته سبعة أشهر إلا أياما . واستوزر المقتدر بالله الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات (٢) ، وسلم إليه الحسين بن القاسم فلم يؤاخِذْه بإساءته .

ذكر استيلاء مؤنس على الموصل

قال (٣) : ولما سار مؤنسٌ إلى الموصل كَتَب الحُسين الوزيرُ إلى سعيدٍ وداود ابنى حمدان وإلى ابن أخيهما ناصرِ الدولة الحسنِ

(١) زيادة من الكامل ٦ : ٢٢٠ يقتضيها السياق

(٢) فى « ا » و ك ٢٥ و ف ٢٧–ب « أبا الفضل بن جعفر » لكنه الفضل ، على ما يذكر سكويه وعريب وابن تغرى بردى والحسين المذكور هو الحسين بن القاسم بن عبيد الله .

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٢٠

ابنِ عبد الله بنِ حمدانَ يأمرهم بمحاربته وصدِّه عن الموصل ، فاجتمع بنو حمدانَ على محاربته إلا داود فإنه امتنع لإحسان مؤنسٍ إليه ؛ فإنه قد كان ربّاه فى حِجره بعد أبيه فما زال به إخوتُه حتى وافقهم ، ولما أجابهم قال لهم : إنكم لتحملونى على البَغْى وكُفْرانِ النِّعمةِ والإحسانِ وما آمن أن يجيئنى سهم عاثر فيقع فى نحرى فيقتلنى ! فلما الْتَقَوْا أتاه سهمٌ كما وصف فقتله ، ولما قَرُب مؤنسٌ من الموصل كان فى ثمانمائة فارسٍ . واجتمع بنو حمدان فى ثلاثين ألفا فالْتَقَوْا واقتتلوا فانهزم بنو حمدنَ / ودخل مؤنس الموصلَ واستولى على أموالِ ٤٥ ب
بنى حمدانَ وديارِهم ، فخرج إليه كثيرٌ من العساكرِ من بغدادَ والشام ومصر ، وعاد إليه ناصرُ الدولة بن حمدان فصار معه وكان دخولُ مؤنس إلى الموصل فى ثالث صفر ، وأقام بها سبعةَ أَشْهُرٍ ، وعزم على الانحدار إلى بغداد .

ذكر مقتل المقتدر بالله

قال (١) : ولما اجتمعتِ العساكر إلى مؤنس بالموصل قالوا له : اذهبْ بنا إلى الخليفة فإنْ أنصفنا وأجْرى أرزاقَنا وإلا قاتلناه فانحدر مؤنس من الموصل فى شوّال ، وبلغ خبرُه جندَ بغدادَ فشغبوا وطلبوا أرزاقَهم ، ففرّق المقتدرُ فيهم أموالا كثيرة إلا أنها لم تَسَعْهُم وأنفذ المقتدرُ أبا العلاء سعيد بن حمدان وصافيا البصرى فى خَيْلٍ عظيمةٍ إلى سامراء . وأنفذَ أبا بكر محمد

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٢٠

ابنَ ياقوت فى أَلْفَىْ فارسٍ ومعه الغلمان الحجرية إلى المعشوق . فلما وصل مؤنس إلى تكريتَ جعل العسكر الذين مع ابن ياقوت يتسللون ويهربون إلى بغداد ، ونزل مؤنس بباب الشمّاسية ، فلما رأى ذلك رجع ابن ياقوت إلى عكبرا ، وسار مؤنسٌ فتأخر ابنُ ياقوت وغيره وعادوا إلى بغداد . ونزل مؤنس بباب الشماسيَّة ، ونزل ابنُ ياقوت وغيرُه مُقَابلَهُم واجتهد المقتدرُ بخاله [1] هارون بنِ غريبٍ / ليخرج فلم يفعلْ وقال : أخاف من ٤٦ ـ ١
عسكري فإنَّ بعضَهم أصحابُ مؤنسٍ وبعضهم قد انهزم أمس من مرداويج فأخافُ أن يسلمونى وينهزموا عنى ! فلم يزَلْ به حتى أخرجه ، وأشار النَّاس على المقتدرِ بإخراج المال منه ومن أمِّه ليرضى الجند وقالوا : إنه متى سمع أصحاب مؤنس بتفريق الأموال تفرقوا عنه ، فاضطُر إلى الهرب فقال : لم يبْقَ لى ولا لوالدتى شىء !

وأراد المقتدر أن ينحدر إلى واسط ويكاتب العساكر من البصرة والأهواز وفارس وكرمان وغيرها ويترك بغداد لمؤنس إلى أن يجتمع إليه العساكر ويعود إلى قتاله ، فَردَّد ابن ياقوت عن ذلك ، وزيّن له اللقاء وقَوَّى نفسَه أنَّ القوم متى رأَوْه عادوا بأجمعهم إليه فرجع إلى قَوله وهو كارد ، ثم أشار عليه بحضور الحرب فخرج وهو كارِهٌ وبين يديه الفقهاءُ ومعهم المصاحف منشورةً وعليه البُردة [2]

(١) كذا فى ا ، ك ، ف ، وفى الكامل ٦ : ٢٢١ « بابن خاله » وهو الأصح
(٢) أى بردة الخلافة

والناس حوله ، فوقف على تلٍّ عالٍ بعيدٍ من المعركة فأرسل إليه قواده يسألونه التَّقدُّمَ مرة بعد أخرى ، فلما ألحُّوا عليه تقدَّم من موْضِعه فانهزم أصحابُه قبل وصولِهِ إليهم . وكان قد أمر فنُودِى . « من جاء بأسيرٍ فَلَهُ عشرةُ دنانيرَ ومن جاء برأسٍ فله خمسةٌ » . فلما انهزم أصحابُه لَقِيهُ علىُّ بنُ يلبق – وهو من أصحاب مؤنس – فَترجَّلَ وقَبَّلَ الأرضَ وقال له : أين تمضى ؟ ارجعْ ، فَلَعَنَ اللهُ منْ أشار عليك / بالحُضور ! ٤٦ – ب

فأراد الرُّجوع ، فَلَحِقَهُ قومٌ من المغاربة والبربر ، فتركه علىٌّ وسار ، فشهروا سُيوفَهم فقال : ويْحكمْ أنا الخليفة ! فقالوا : قد عرفناك ياسفلة ، أنت خليفةُ إبليس ، تبذل فى كلِّ رأسٍ خمسةَ دنانير وفى كلِّ أسيرٍ عشرة دنانير . وضربه أحدهم بسيفه على عاتقه فَسقَط إلى الأرض ، وذبحه بعضُهم – وقيل إنّ علىّ بن يلبق رمز إلى بعضهم فقتله – وذلك فى يوم الأربعاء لثلاثٍ بقين من شوّال سنة عشرين وثلاثمائة .

قال (١) : ولما قُتل رفعوا رأسه على خشبةٍ وهم يكبِّرون ويلعنونه ، وأخذوا جميع ما عليه حتى سراويله ، وتركوه مكشوفَ العَوْرةِ إلى أن مرَّ به رجل أكَّار فستره بحشيش ، ثم حُفِر له فى موضعه ودُفن ، وعفا قبره . هذا ومؤنس فى الراشدية لم يشهدِ الحرب ، فلما حُمِلَ رأسُ المقتدرِ إليه بكى ولطم وجهه ورأسه وقال : يا مفسدون ما هكذا أوصيتُكم ، والله لَنُقْتَلنَّ كلُّنا ، وأقلُّ ما فى الأمر أن تظهروا أنكم قتلتموه خطأً ولم تعرفوه !

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٢١ وفى مرآة الجنان ٢ : ٢٧٩ عرض للموقف الأخير له ا

وتقدم مؤنسٌ إلى الشمّاسية ، وأَنْفَذَ إلى دارِ الخلافة من يمنعها من النَّهْبِ . ومضى عبد الواحد بن المقتدر وهارُونُ بنُ غريبٍ و محمدُ ابنُ ياقوت وابنا رائق إلى المدائن . وكان ما فعله مؤنسٌ سببًا لجرأة أصحابِ الأَطرافِ على الخلفاء وطمعهم واستبدادهم ، و انحرفت حرمة الخلافة لقتل المقتدر ، وضعف أمرها حتى انتهى إلى ما نذكره ٤٧ ـ ١
إن شاء الله تعالى (١) .

قال (٢) : وقُتل وعمره ثمانٍ وثلاثون سنةً وخمسةُ أيام ، وكان مُدَّةُ خلافته أربعا وعشرين سنةً وأحد عشر شهرًا وستةَ عشَر يومًا ، وكان رَبْعَ (٣) القامة دُرِّيَّ اللون أحور أصهب ، وكان نقش خاتمة « الحمد لله الذى ليس كمثله شىء وهو السميع خالق كل شىء » ويقال إن المقتدر بَذَّر من الأموال تضييعاً فى غير وجهها نيفًا وتسعين ألفَ ألفِ دينـارٍ (٤) سوى ما أنفقه فى الوجوه ، وكان يصرف إلى الحرمين وفى طريقهما فى كلِّ سنةٍ ثلاثمائة ألفٍ وخمسةَ عشرَ ألفَ دينارٍ وأربعمائة وستة وعشرين دينارًا ، وإلى الثغور أربعمائةَ الفٍ وواحدًا وتسعين ألفًا وأربعمائةً وستةً وخمسين دينارًا وكان يُجرى على القُضاة فى كلِّ الممالك ستةً وخمسين ألفا

(١) يستحسن أن يراجع هنا عريب فى الصلة ١٧٤ وما بعدها ومسكويه فى تجارب الأمم ١ : ٢٣٤ وما بعدها

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٢٢

(٣) يقال الربع أى الرجل بين الطول والقصر ، كالربعة والمربوع .

(٤) فى المنتظم ٦ : ٢٤٣ « نيفا وسبعين ألف ألف دينار » وفى النجوم الزاهرة ٣ : ٢٣٤ وشذرات الذهب ٢ : ٢٨٥ « ثمانين ألف ألف دينار » وما يأتى بعد ذلك حتى قوله « خمسة عشر ألف دينار » سقط من س ، ف .

وخمسمائة وواحدًا وأربعين دينارًا : وعلى الفقهاء بالحضرة ثلاثة عشر ألفًا وخمسمائة وتسعة وستين دينارًا ، وعلى من يتولى الحِسْبة والمظالم فى جميع البلاد أربعة وثلاثين ألفًا وأربعمائة وتسعة وثلاثين دينارا ، وعلى أصحاب البريد تسعة وسبعين ألفا وأربعمائة دينار ، وغير ذلك من الجرايات على أصناف الناس وطبقاتهم . وعجز ارتفاعُ ممالكه عن نفقاته ألفَىْ ألفٍ وتسعة وثمانين ألفًا وثمانمائة وأربعة وسبعين دينارًا ، ولم يُنْقِصْ أحدًا شيئا فأنفق ما كان فى بيوت الأموال قبله [١] .

قال [٢] : ومات فى أيامه خمسة عشر ألفَ أميرٍ ومقدّم مذكور فكانت والدته تطوى عنه الرزايا والفجائع وتقول : إظهارها يؤلم قلبه ! فأدّى ذلك إلى انتشار الفساد فى ممالكه [٣] .

وكان الناسُ قد ملّوا أيّامَه لطولها ، حتى إذا تَصرَّمتْ تَمنَّوْا ساعةً منها ، فأعوزتهم ؛ وشملتهم الحوادثُ والطوارق . وكان له من الأولاد الرّاضى والمتقى والمطيع وعبد الواحد وعباس وهارون وعلىّ وإسماعيل وعيسى وموسى وأبو العباس [٤] .

---

(١) فى عقد الجمان للعينى وتجارب الأمم لمسكويه وشذرات الذهب لأبى الفلاح الحنبلى أنه بدد جميع جواهر الخلافة عدا الذهب والتحف الأخرى ، وأعطى « الدرة اليتيمة » التى تزن ثلاثة مثاقيل لواحدة من حظاياه ، وأخذت زيدان القهرمانة سبحة قيمتها ثلاثمائة ألف دينار .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٢٢

(٣) المعروف أن شغب أمه — الإغريقية الأصل — كانت تشجعه على الأنهماك فى الملاذ وعلى التبذير أيضا . . كانت تدلله وكان هو ينصاع لها ويحترمها ، غير أن غفلتها وضعفها الناجم عن تدينها جعلاها تقف فى سلبية دمرت الخليفة الصغير ! راجع ما كتبه هـ . بوين Bowen فى كتابه The life and Times of Ali b. Isa وما كتبه Le Strange فى كتابه Lands of Eastern Caliphate

(٤) قال ابن الجوزى فى المنتظم ٦ : ٢٤١ إن مؤنسا لما رأى رأس المقتدر وروع طلب=

ووزر له من ذكرنا وهم : العباسُ بن الحسن [١] ، وأبو الحسن بن الفرات ثلاثَ دفعات وقد ذكرنا أخباره ، ومحمد بن عبد الله بن خاقان . وعلى بن عيسى دفعتين ، وكان موصوفًا بالعلم والدين والعقل ، وساس الدنيا السياسةَ التى عمَّرت البلاد ، وكان يستغلُّ ضياعَه فى السنة سبعمائةَ ألفِ دينارٍ يُخرج منها فى وجوه البرِّ ستمائةَ ألف دينار وينفق أربعين ألفَ دينارٍ على خاصته ، وكان يصوم نهاره ويقوم ليله ، ولما حُبِس كان يلبس ثيابه ويتوضأُ ويقوم ليخرجَ إلى صلاة الجمعة فيرده الموكلون به فيقول : اللَّهُمَّ اشهد ! وكانت له آثارٌ حسنةٌ ومآثر جميلةٌ منها أنه أشار على المقتدر / أن يوقف المستَغَلَّاتِ ببغدادَ على الحرس ١ - ٤٨
والثغور - وغلَّتُها فى كلِّ شهرٍ ثلاثةَ عشرَ ألفَ دينارٍ - والضياعَ الموروثةَ بالسَّواد وارتفاعها نيِّفٌ وثمانون ألف دينارٍ سوى الغلة ، ففعل ذلك وأفْرد لهذا الوقف ديوانًا سمّاه ديوان البرِّ ، وكان يُجرِى على خمسة وأربعين ألفَ إنسانٍ جراياتٍ تكفيهم ، وخدم السلطان سبعين سنةً لم يُزِلْ فيها نعمةَ أحد ولم يقْتُلْ أحداً ، ولم يسْعَ فى ذَمِّه ولم يهتك حُرْمةَ أحد ، ومات فى آخر ذى الحجة سنةَ خمسٍ وثلاثين وثلاثمائة [٢] وله تسعٌ وثمانون سنةً وستة أشهر ويوم واحد ، رحمه الله !

= أن ينصبوا ابنه أبا العباس « فإنه إذا جلس فى الخلافة سمحت نفسه ونفس جدته والدة المقتدر باخراج الأموال » ولكنهم غيروا رأيه !

(١) فى المنتظم ٦ : ٦٧ أنه بقى فى وزارته أربعة أشهر وسبعة أيام ثم قتل .

(٢) فى ك صفحة ٢٦ « سنة خمس وثلاثين وخمسمائة » وهو خطأ واضح .

ووزر له حامد بن العباس ، وأبو القاسم الخاقانى ، وأحمد بن عبد الله الخَصيبي ، وأبو على بن مقلة ، وسليمان بن الحسين بن مخلد ، وعبد الله الكَلْوذانىّ ، والحسين بن القاسم بن عبيد الله ، والفضل ابن جعفر بن الفرات .

قضاته : يوسف بن يعقوب ثم ابنه محمد [١] بن يوسف ، ثم أبو عمر ، ثم عبد الله بن أبى الشوارب ، ثم ابنه محمد ، ثم أحمد بن إسحاق بن البهلول ، ثم عمر بن محمد بن يوسف ، والحسن بن عبد الله ، وعمر بن الحسن بن أبى الشوارب .

حجّابه : سوْسنُ مولى المكتفى ، ونصر القشوريّ ، وياقوت مولى المعتضد ، وغيرهم .

الأُمراء بمصر : عيسى النُّوشرى ، ثم تَكين الخزرى [٢] ، ثم وصل مؤنسٌ / إلى مصر فصرف تَكينَ وولّاها ذكاءَ الأَعور ثم مات ٤٨ ـ ب
فأُعيد تكينُ ، ثم هلال بن بدر ، ثم أحمد بن كيغَلَغ [٣] ، ثم تَكين مرةً ثالثةً .

القضاة بها : أبو عبيد الله بن على بن الحسين البزّاز [٤] إلى أن ورد كتاب ابن الفرات بصرفه وردّ القضاء إلى عبد الله بن

(١) بعد ذلك إلى « ثم أحمد بن إسحاق بن البهلول » سقط من ك صفحة ٢٦

(٢) فى الأصل وفى س ، ف « الجزرى » وهو تصحيف ، وفى بعض الأثبات « الخزرى » وهو تصحيف أيضا

(٣) فى الأصل « ثم هلال بن بدر بن أحمد بن كيغلغ » والخطأ فيه واضح ، وقد تولى الأول سنة ٣٠٩ بعد عزل تكين ، وتولى الثانى من قبل المقتدر سنه ٣١١ بعد عزل هلال (راجع النجوم الزاهرة ٣ : ٢٠١ ، ٢٠٦)

(٤) فى ك ، ف « أبو عبد الله » ولعله أبو عبيد على بن الحسين بن حرب كما يقول الكندى ، وفى النجوم الزاهرة ٣ : ٢٠٧ أنه يعرف بابن حربويه ، ولما صرفه ابن الفرات عن القضاء خلفه أبو يحيى عبد الله بن إبراهيم بن مكرم ، وهذا ما أثبته النويرى بعد .

مُكْرَم شابٌّ من شهود أبي عمر ، فاستُخْلِف له أبو الذكر محمد بن يحيى التَّمَّار ، ثم ورد إبراهيم بن محمد الطبرى خليفةً لعبد الله ، ثم صُرِف عبد الله وَوَلِيَ إبراهيم بن حمّاد فاستخلف أبا علىٍّ عبد الرحمن بن إسحاق ، ثم صرف هارون وَوَلِيَ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن رزين ، وولّى تكين أبا هاشم إسماعيل بن عبد الواحد الرَّبعى .

ذكر خلافة القاهر بالله

هو أبو منصور محمد بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد و [قد] (١) تقدم ذِكْرُ نَسبه ، وأمُّه أمُّ ولد اسمها قَبول . وهو التاسع عشَر من الخلفاء العباسيين ، بويع له بعد مقتل أخيه المقتدر فى يوم الخميس لِلَيْلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة . قال . (٢) ولمّا قتل المقتدر بالله عظم قتله على مؤنس كما ذكرناه فقال : / الرأى ننصب ولده أبا العباس فى الخلافة فإنه تربيتى ، وهو صبىٌّ عاقلٌ فيه دين وكرم ووفاء بما يقول ، فإذا جلس فى الخلافة سمحت نفسُ جدَّتِه والدةِ المقتدر وإخوته وغلمان أبيه ببذْلِ الأموال ولم ينتطح فى قتل المقتدر عنزان ! ٤٩ – ا

فعارضه أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختى (٣) وقال : بعد الكَدِّ استرحنا من خليفةٍ له أم وخالة وخدم يدبرونه فنعود إلى تلك الحالة ، لا والله لا نَرْضَى إلا برجل كامل يدبر نفسه ويدبرنا !

(١) زيادة من ك صفحة ٢٦

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٢٢

(٣) بضم الباء نسبة إلى الجد نوبخت .

ومازال حتى رَدَّ مؤنساً عن رأيه ، وذكر له أبا منصورٍ محمد فأجابه مؤنس إلى ذلك . وكان النوبختى فى ذلك كالباحثِ عن حتْفِهِ بظلفه ! فإنَّ القاهر قتله كما نذكر إن شاء الله تعالى ، فأمر مؤنس بإحضاره فبايعوه بالخلافة ، ولقَّبوه القاهر بالله . وكان مؤنس كارِهاً لخلافته والبيعة له ويقول : أنا عارفٌ بِشَرِّه وسوءِ نيته ولكن لا حيلة ! قال : [1] ولما بويع استحلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه علىٍّ بن يلبق ، وأخذ خَطَّه بذلك .

ولما اسْتَقَرَّتِ الخلافةُ له وبايعه النَّاسُ استوزر أبا علىٍّ بنَ مقلةَ وكان بفارس فاستقدمه ، واستحجب علىَّ بنَ يلبق . وشرع القاهرُ فى البحث عمن استتر من أولادِ أخيه المقتدر وحُرمه ، وأحضر والدتَه [2] - وكانت مريضةً بالاستسقاء - وسألها عن المال
٤٩ - ب / فاعترفت له بما عندها من المصوغ والثياب ولم تعترف بشىءٍ من المال والجوهر ، فضربها أشَدَّ ما يكون من الضرب وعلَّقَها برِجْلها وضرب المواضع المستورةَ من بدنِها فَحَلَفَتْ أنها لا تملك غَيْر ما أطْلَعَتْه عليه وقالت : لو كان عندى مال لما سلَّمْتُ ولدى للقتل ! ولم تعترف بشىء

وصادر جميعَ حاشية المقتدر بالله وأصحابَه ، وأخرج والدتَهُ لِتُشْهد على نفسِها القضاةَ والعدولَ بأنها قد حلَّتْ أوقافَها ووكَّلتْ فى بيعها ، فامتنعت من ذلك وقالت : قد أوقفتها على أبواب البِرِّ والقُرُبات

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٢٢

(٢) والدة المقتدر ولم تكن أما للقاهر ، وقد أخطأ بعض القدماء - منهم أبو محمد عبد الله ابن أسعد اليمنى - حين قرروا أنها أم الخليفتين (راجع مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢ : ٢٧٩)

بمكةَ والمدينة والثُّغورِ وعلى الضعفاء والمساكينِ ولا أستحل حلَّها ولا بَيْعَها ، وإنما أوكل فى بيع أملاكى ! فلما علم القاهرُ بذلك أحضر القاضى والشهود وأشْهد هم على نَفْسِه أنه قد حل وقُوفَها جميعها ووكل فى بيعها ، فبيع ذلك كله واشتراه الجُنْدُ من أرزاقِهم .

وتقدم القاهر بكبس الدار التى سُعِى إليه أنَّ أولاد المقتدرِ اختفَوْا بها ، فلم يزل كذلك إلى أن وجد منهم أبا العباس الراضىَ وعليًّا والعباسَ وهارون وإبراهيم والفضل فَحُمِلوا إلى دارِ الخلافة فصودروا على مالٍ كثير ، وسلَّمهم على بنُ يلبق لكاتبه الحسن بن هارون ، فأحسن صُحبتهم وخدمهم . قال : [1] وقبض الوزير على جماعة من العمال وعزَل بنى البريدىِّ وصادرهُم .

/ودخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة : ١ ـ ٥٠

ذكر خبر عبد الواحد بن المقتدر ومن معه

كان عبد الواحد بن المقتدر باللهِ قد هرب عند قتل أبيه ومعه هارون بن غريبٍ ومفلحٌ ومحمد بن ياقوت وابنا رائق إلى المدائن كما قدمنا ، ثم انحدروا منها إلى واسط ، فخافهم الناس . فأما هارون بن غريبٍ فإنه كتب إلى بغداد فى طلب الأمان لنفسه ويبذل مصادرة ثلاثمائة ألف دينار على أن يطلق له أملاكه وينزل

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٢٣

(٢) فى ك صفحة ٢٧ « ومعه هارون بن غريب الخال ومحمد بن ياقوت »

عن الأملاك التى استأجرها ، ويؤدى من أملاكه حقوق بيت المال القديمة . فأجابه القاهر ومؤنس إلى ذلك ، وكُتِبَ له كتابُ أمانٍ . وقلّد أعمالَ ماه الكوفة وما سبذان ومِهْرجانْقَذَق ، وسار إلى بغداد

وأما عبد الواحد فإنه خرج من واسط. فيمن بَقِيَ معه ومضَوْا إلى السوس وسُوق الأهواز فَجنَوْا المالَ وطردوا العمالَ ، وأقاموا بالأهواز ؛ فجهز مؤنس إليهم جيشا كثيفا وجعل عليه يلبق. وكان الذى حرَّضَهُم على إيفادِ الجيش أبو عبد الله البريدى وبذل مساعدتَه معجلةً خمسين ألف دينار على أن يُولىَّ الأهوازَ وعند استقراره فى الولاية يعجّل ما بقى . فسار الجيش وفيهم أبو عبد الله ، وكان محمدُ بن ياقوت قد انْتَبَذَّ / بالأموال والأمر ، فنفرت قلوبُ ٥٠ ـ ب
منْ معه من القُوَّاد لذلك . فلما قرب يلبق من واسط. أظهروا ما فى نفوسهم وفارقوه . ولما وصل إلى السوس فارق عبدُ الواحدِ ومحمدُ بنُ ياقوت الأهوازَ وسار إلى تستر ، وفارقهما من معهُما من القواد إلى يلبق بأمان .

وبقى مُفْلح وسرورٌ الخادم مع عبد الواحد فقالا لمحمد بن ياقوت : أنت معتصم بهذه المدينةِ وبمالك ورجالِك ونحن لا مالَ معنا ولا رجال ومقامنا يضرُّك ولا ينفعك وقد عزمنا على أخْذِ الأمان لنا ولعبدِ الواحدِ بن المقتدر ، ! فأذن لهما فى ذلك فكتب إلى يلبق فأمَّنهم ، فعبروا إليه . وبقى محمد بن ياقوت منفردا فتحير وضعفت نفسه فتراسل هو ويلبق واستقر بينهما أنْ يلبق يؤمنه ويضمن له أمان مؤنس والقاهر ، ففعل . وخرج محمد بن ياقوت

معه إلى بغداد ولما وصلوا وَفَى لهم القاهر بالله ، و أَطْلَقَ لعبد الواحد أملاكه وترك لوالدته المصادرة التى كان صادرها بها . واستولى أبو عبد الله البريدىّ على البلاد ، وعسف أهلها ، وأخذ أموال التجار وعمل بأهل البلاد ما لا تعمله الفَرَنْجُ ولم يمنَعْه أحد عما يريد وأعاد إخوانه إلى أعمالهم .

ذكر استيحاش مؤنس وأصحابه من القاهر

/ فى هذه السنة استوحش مؤنس المظفر ويلبق الحاجب وولده ١ ـ ٥١
علىّ والوزير أبو على بن مقلة من القاهر بالله وضيقّوا عليه وعلى أسبابه . وكان سبب ذلك أن محمد بن ياقوت تقدم عند القاهر وعلتْ منزلته وصار يخلو به ويشاوره ، فعظم ذلك على ابن مقلة لعداوةٍ كانت بينَه وبين ابن ياقوت ، فألقى إلى مؤنسٍ أن محمدًا يسْعى به عند القاهر وأن عيسى الطبيب يسفر بينهما فى التدبير عليه ، فوجّه مؤنس علىّ بن يلبق لإحضار عيسى الطبيب فوجده بين يدى القاهر ، فأخذه وأحضره عند مؤنسٍ فسيره من ساعته إلى الموصل ، واجتمعوا على الإيقاع بمحمد بن ياقوت وكان فى الخيام . فركب على ابن يلبق فى جند لِيَكْبِسَه ، فوجده قد اختفى فَنَهب أصحابه ، واستتر محمد بن ياقوت .

ووكل على بن يلبق على دار الخليفة أحمدَ بنَ زيزك [1] وأمره بالتضييق على القاهر بالله وتفتيش كل من يدخل الدار ويخرج منها ،

(١) فى شذرات الذهب ٢ : ٢٨٧ « ابن زبرك » وما هنا عن ف صفحة ٣٢ ـ ب وفى « ا » غير منقوط

وأن يكشف وجوه النساء ، وإن وجد رقعةً رفعها إلى مؤنس ففعل ذلك وزاد عليه حتى إنه حُمل إلى دار القاهر لبنٌ فأدخل يدَه فيه . ونقل يلبق من كان بدار القاهرِ محبوساً إلى داره كوالدة المقتدر وغيرها ، وقطع أرزاق حاشيتِه . فعلم القاهر أن العتاب لا يفيد وأنَّ ذلك برأيِ
٥١ ـ ب مؤنس وابن مقلة ، فأخذ فى الحيلة والتدبير/على جماعتهم . وكان قد عرف فَساد قَلْبِ طريف السبكرى وبشرى خادم مؤنس (١) وحسدهُما ليلبق وولدِه على مراتبهما ، فشرع فى إغرائهما بيلبق وابنه . وعلم أيضا أن مؤنسا ويلبقَ أكثرُ اعتمادِهما على الساجية أصحاب يوسف بنِ أبي الساجِ وغلمان المنتقلين إليهما بعده ، وكانا قد وعداهم بالموصل مواعد أخلفاها فأرسل القاهر إليهم وأغرامهم بهما وحلف لهم على الوفاء بما أخلفاه ، فتغيرت قلوبُ الساجية . ثم أرسل أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله وكان صاحب مشورة ابن مقلة ، ووعده بالوزارة فكان يطالعه بالأخبار .

ذكر القبض على مؤنس المظفر

ويلبق الحاجب وابنه

وسبب ذلك أنه صحّ عندهم أن القاهر يُدبِّر عليهم فخافوه ، وحملَهُم الخوفُ على الجدِّ فى خَلْعِه ، واتَّفقَ رأيُهم على البيْعةِ لأبى أحمد بن المكتفى ، فاستخلفوه وعقدوا له البيعةَ سِرًّا ، وحلَّفَ له يلبقُ وابنُه علىٌّ والوزير ابنُ مقلة والحسنُ بن هارون ثم كشفوا الأمرَ لمؤنسٍ فقال : لست أشكُّ فى شَرِّ القاهرِ وخُبْثِه ، ولقد كنت كارِهًا

(١) فى ك صفحة ٢٨ « بشر خادم مونس »

/ لخلافَته وأشرْتُ بابن المقتدر بالله فخالفتم رأيي ، وقد بالغْتُم ٥٢ ـ ا
في الاستهانَةِ به وما صبر على الهوانِ إلا من خُبْثِ طَوِيَّته ليدبِّر عليكم ، فلا تعجلوا حتى تؤنسوه وينبسطَ إليكم ثم تعرفوا من وطَّأه من القواد والساجية والحجرية واعملوا بعد ذلك ! فقال عليّ بن يلبقَ والحسنُ بن هارون : ما يحتاج إلى هذا التطويل فإن الحَجَبَةَ لنا والدار في أيدينا وما نحتاج [إلى] (١) أن نستعين في القبض عليه بأحدٍ لأنه بمنزلةِ طائرٍ في قفصٍ ! وعملوا على معالجته .

فاتفق أنْ سقَطَ يلبقُ من الدَّابة فاعْتَلَّ ولزم بيتَه ، فاتفق عليٌّ وابنُ مقلةَ وحسَّنَا لمؤنسٍ خَلْعَ القاهر وهوَّنا عليه أمره ، فأَذِن لهما . فاتَّفَقَ رأيُهما على أن يُظْهِرا أنَّ أبا طاهرٍ القرمطي دخلَ الكوفةَ وأن عليَّ بنَ يليق سائر لِقِتَالِهِ ومنْعِهِ من بغداد ، فإذا دخل لوداع القاهر بالله قَبضَ عليه ، . فأشاعا ذلك ، وكتب ابنُ مقلةَ رقعةً إلى الخليفة يُعرِّفُه ذلك ويقول : « إنني قد جهَّزْتُ عليَّ بنَ يلبق ليسير في هذا اليوم وأن يحضر الْعَصْرَ للخدمة ليأمره مولانا بما يراه » فكتب القاهر في جَوَابه يشكره ويأذن في حضور ابن يلبق . فجاء جواب الخليفةِ وابنُ مقلةَ نائم فتركوه ولم يوصلوه إليه . فلما استيقظ كتب رقعةً أخرى في المعنى ، فأنكر القاهرُ الحالَ .

فهو في هذا إذ وصلته رقعة طريف السبكرى يذكر أن عنده نصيحة وأنه قد حضر في زيِّ النِّساء لينهيها إليه ، فاجتمع به القاهر ، فذكر له جميع ما عزموا عليه [وما هم فيه] (٢) وما فعلوه من

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) زيادة من ك صفحة ٢٩ .

التدبير . فأنفذ القاهرُ إلى الساجية فأحضرهم متفرقين وكمنهم في الدهاليز والممرات والرّواقات ، وحضر على بن يلبق بعد العصر وفي رأسه نبيذٌ ومعه عددٌ يسير من أصحابه في طيارٍ له . وأمر جماعةً من أصحابه بالركوب إلى الأبواب وصعد من الطيارِ وطلب إذْنَ القاهرِ فلم يأذن له فغضب وأساء أدبه وقال : لابُدَّ من لقائه شاء أو أبى ! فأمر القاهرُ الساجيةَ بردّه ، فخرجوا إليه وشتموه وشتموا أباه ، وشهروا سلاحهم وتقدموا إليه ، ففرّ أصحابُه عنه وألقى نفسه في الطيّارِ وعبر إلى الجانب الغربي واختفى من ساعته

وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر ، واستتر الحسن بن هارون ، فلما سمع طريفٌ الخبر ركب في أصحابه بالسلاح ، وحضر إلى دار الخليفة ووقف عند القاهر بالله . فعظم الأمر حينئذ على ابن يلبق وجماعتهم وأنكر يلبق ما جرى على ابنه ، وسبَّ الساجيةَ وركب إلى دار الخليفة في جميع القُوّادِ الذين بدار مؤنس ، فلم يصل إلى القاهر وقَبضَ عليه وعلى أحمد بن زيرك صاحب الشرطة وحبسهما وحَصَلَ الجيش / كلُّهم في الدّارِ فأنفذَ القاهر إليهم وطيَّب قلوبهم ووعدهم الزيارة ، وأنه يوقف هؤلاء على ذنوبهم ثم يطلقهم ويحسن إليهم فعادوا ١٥٣ ـ ١

وراسل القاهرُ مؤنسًا في الحضور عنده ليعرضَ عليه ما وقع عليهم ليفعل ما يراه وقال : : إنه عندي بمنزلة الوالد ، وما أحبُّ أن أعمل إلا عن رأيه ! فاعتذر مؤنس عن الحركة ، ونهاه أصحابُه عن الحضور إليه فلما كان من الغد أحضر القاهر طريفاً السبكرى وناوله خاتمه

وقال له : قد فَوَّضْتُ إلى ولدى عبد الصَّمد ما كان المقتدر فَوَّضه إلى ابنه محمد وقلدتُك خلافَتَه ورئاسةَ الجيش وإمارةَ الأُمراء وبيوتَ الأموال كما كان ذلك إلى مؤنس فامْضِ إليه واحمله إلى الدار فإنه مادام فى منزله يجتمع إليه من يريد الشر ولا نأمن أمره ! فمضى إلى دار مؤنس وعنده أصحابُه فى السلاح فسأله أصحاب مؤنس عن الحال فذكر سوءَ صنيع يلبقَ وابنهِ فكلُّهم سبَّهُما ، وعرَّفهم ما أخذ لهم من الأَمان والعهودِ فسكنوا . ودخل إلى مؤنس وقد استولى عليه الكِبَرُ والضَّعْفُ وأشار عليه بالحضور عند القاهر وقال : إن تأخرت طمع ولو رآك نائما ما تجاسر أن يوقظك ! / فسار إليه ، فلما ٥٣ ـ ب
دخل الدَّار قبض عليه وحبسه ، وذلك فى مستهل شهر شعبان .

وأمر القاهر بالختم على دور مَنْ قَبَضَ عليهم ونقل دوابّهم ووكل بحريمهم ، وأمر بنقل ما فى دار ابن مقلة وحرقها ، ونُهِبَتْ دورُ المعتقلين بها . وظهر محمد بن ياقوت وقام بالحجبة ، ثم رأى كراهة طريف والساجية له فاختفى وهرب إلى ابنه بفارس ، فكاتبه القاهر يلومه على عجَلَتِه بالهرَب وقلد كورالأهواز ، . واستقدم القاهرُ عيسى الطبيب من الموصل ، وَجدَّ القادرُ بالله فى طلب أحمد بن المكتفى ، فظفر به ، فبنى عليه حائطا وهوحَىٌّ فمات .وظفر بعلى بن يلبق ، واستعمل على الحجبة سلامةَ الطولونىَّ وعلى الشرطة أحمد بنَ خاقان .

ذكر مقتل مؤنس ويلبق

وابنه علي والنوبختي

كان مقتل هؤلاء في شعبانَ سنةَ إحدى وعشرين وثلاثمائة . وسبب ذلك أن أصحاب مؤنس شغبوا وثاروا ، وتبعهم سائر الجند ، ونادوا بشعار مؤنس ، وقالوا لا نرضى إلا بإطلاقه . وكان القاهر قد ظفر بعليِّ بن يلبق ، وأفرد كلَّ واحدٍ منهم في بيت ، فلما / شغب الجند دخل القاهر إلى علي بن يلبق فأمر به فَذُبح ٥٤ ـ ا وجُعلَ رأسه في طست . ومضى والطست بين يديه حتى دخل على يلبق ، فلما رأى رأس ابنه بكى وقبّله ، فأمر به القاهر فَذُبح وجُعل رأسه في طست . وحُمِلا بين يديه ، ومضى حتى دخل على مؤنسٍ فوضعهما بين يديه .

فلما رآهما تَشَهَّدَ واسترجع ولعن قاتلهُما ، فقال القاهر : جُرُّوا بِرِجْلِ الكلب الملعون ! فَجَرُّوا بِرِجْله وذبحوه ، وجعلوا رأسهُ في طست . وطيف بالرؤوس في جانبي بغداد وأُودي عليها « هذا جزاء من يخون الإمام ويَسْعَى في فساد دولته » ثم أعيدتْ فنظِّفت وجُعلت في خزانةَ الرؤوس على العادة [1] . ولما قتلهم القاهر بالله اشتد أمره ، وقَوِيتْ نفسه ، وخافه منْ حوله ممَّنْ وافقه وباطَنَه على قتلهم . وقَتَل أبا يعقوب النوبختي ، ولقّب نفسه بعد ذلك « القاهر بالله المنتقم من أعداء الله لدين الله . » وضرب ذلك على الدنانير والدراهم .

---

(١) راجع مرآة الجنان ٢ : ٢٨١ وشذرات الذهب ٢ : ٢٨٧ وعبارة صاحب الشذرات « بدت من القاهر شهامة وإقدام فتحيل حتى قبض على مؤنس ... » وهي توحي بما كان لدى هؤلاء من سلطان وما أقدم عليه القاهر من خطر !

ذكر وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم
وعزله وولاية الخَصيبي

قال (١) : ولما قَبَضَ القاهرُ باللهِ على مَنْ ذكرناه وعَرب ابنُ مقلةَ سأل : / من يصلح للوزارة ؟ فَدُلَّ على أبى جعفر ابن القاسم ٥٤ ـ ب
بن عبيد الله ، فاستَوْزَره فى شعبان فبقى وزيرا إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر ذى القعدة من السنة ، فقبض القادر بالله عليه وعلى أولاده وأخيه عبيد الله وحرمه ، وكان مريضا بقولنج ، فبقى محبوسا ثمانية عشر يوما ومات ، فَحُمِل إلى منزله وأُطْلِقَ أولادُه . واستوزر أبا العباس أحمدَ بنَ عبيد الله بن سليمان الخَصيبى فكانت وزارة أبى جعفر ثلاثةَ أشهر واثنى عشر يوما [والله تعالى أعلم] (٢) .

ذكر القبض على طريف السبكرى

كان طريف كما ذكرناه قد أعان القاهرَ بالله على القبض على مَنْ ذكرنا ، وثَبَّتَ قواعدَ دَوْلَتِه . فلما قَوِى القاهرُ بالله لم يقف عند أيمانِه لطريف وبقى يُسْمِعُه ما يكره ، ويستَخِفُّ به ، ويَعرِضُ له بالأذى . فلما رأى ذلك خافَه وتيقن السوء ، فلما قبض القادرُ على الوزير أبى جعفر أحضر طريفًا وقَبَضَ عليه ، فبقى محبوسا يتوقع القتل صباحًا ومساءً إلى أن خُلع القاهر بالله .

---

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٢٩ .
(٢) زيادة من ك صفحة ٣٠ .

وفى هذه السنة أمر القاهر بتحريم الخمرة والغناء [١] وسائر الأنبذة ، ونَفَى بعْضَ مَنْ كان يُعْرَف بذلك إلى البصرةِ والكوفة
٥٥ ـ ا وأمر ببيْعِ الجوارى والمغنيات على أنَّهُنَّ سواذِجُ لا يَعْرِفْنَ / الغناء ، ثم وضع منْ يشترى له كلَّ حاذقةٍ فى صنْعَةِ الغناء ، فاشترى له منهن ما أراد بأبْخَسِ الأثمان . وكان القاهر مُشْتهرًا بالغناء والسَّماع ، فجعل ذلك طريقًا إلى تحصيل غَرَضِهِ ، وهذه نهايةُ فى الخِسَّةِ والشُّحِّ ، نعوذ بالله من ذلك !

وفيها كان ابتداء الدولة الدَّيلمية البويهية ، وسيأْتى ذكرها إن شاء الله تعالى [٢] . وفيها أمر علىُّ بن يلبق - قبل القَبْض عليه - بِلَعْنِ معاويةَ بنِ أبى سفيان وابنه يزيد على المنابر [٣] .

ودخت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة :

ذكر خلع القاهر وسمله وشىء من أخباره

كان خلع القاهرِ وسمْلُه فى يوم الأربعاء لِسِتٍّ خلون من جُمادى الأُولى من هذه السنة ، وسبب ذلك أنَّ أبا علىٍّ بن مقلةَ والحسنَ بنَ

(١) يروى أنه أمر بكسر آلات الطرب (مرآة الجنان ٢ : ٢٨١)

(٢) فى المنتظم ٦ : ٢٠٧ أن بدء ظهور الديلم كان سنة ٣١٥ بتغلب لنكى بن النعمان على لاهى ، وفيه أيضا ٦ : ٢٤١ وفى شذرات الذهب ٢ : ٧٨٣ أن مرداويج الديلمى لما قوى وخافه الخليفة عقد له سنة ٣٢٠ على أذربيجان وأرمينية وإيران وقم ونهاوند وسجستان . والمعروف أن بلاد الديلم الأصلية هى ما بين طبرستان والجبال وجيلان وبحر الخزر كما يقول المقدسى ، إلا أن توسعهم فى القرن الرابع الهجرى جعل الجغرافيين يضيفون إليهم الأراضى المحيطة ببحر الخزر والتى تحدها خراسان شرقا وأذربيجان غربا .

(٣) راجع المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ٦ : ٢٤٩ وفيه أن العامة اضطربت من ...

هارون كانا قد استترا من القاهر ، وجدَّ فى طلبهما فلم يظفر بهما فكانا يراسلان قُوّاد السَّاجية والحجرية ويخوّفانهم من شَرّه ويذكران غَدْرَه ، وأنه لا يتمسَّك بأيْمانه ، وأنه قَبَضَ على طريف بعد نُصْحِه له ، إلى غير ذلك . وكان ابنُ مقلةَ يجتمع بالقُوّاد ليلاً — تارةً فى زِىّ أعمى وتارةً فى زِىّ مكدٍ وتارةً فى زىّ امرأةٍ — ويغريهم بالقاهر . ثم إنه أعطى منجماً كان لِبيبا رئيس الساجية ومقدّمهم مائتى دينار ، / وأعطاهُ الحسنُ مائةَ دينارٍ فكان يذكر لِبيبا أن ظالعه يقتضى أنَّ القاهر ينكبُه ويقتلُه . وأعطى ابنُ مقلةَ أيضا شيئا لمُعبِّرٍ [1] كان لبيبا ، فكان يُحذِّرُه من القاهر [بالله] [2] فازداد نُفوراً ونَقَل إلى لبيبا أنَّ القاهر يريد القَبْضَ عليه ، فجمع الساجيةَ وأعطاهم السِّلاح ، وأنفذ إلى الحجرية فاجتمعوا وتحالفوا على اجْتماعِ الكلمة وقَتْلِ منْ خَالَف منهم . فاتصل ذلك بالقاهر وبوزيره الخَصيبى فأرسل إليهم «ما الذى حملكم على هذا ؟» فقالوا : قد صحَّ عندنا أنَّ القاهر يريد القَبْضَ على لبيبا وقد عمل مطاميرليحبس قوادنا فيها ! . ٥٥ ـ ب

فلما كان فى يوم الأربعاء لستٍّ خلون من جمادى الأولى اجتمع الساجية والحجرية عند لبيبا وتحالفوا على القبض على القاهر ، فقال لبيبا : قوموا بنا الساعةَ حتى نُمْضِىَ العزْم ، فإنه إنْ تأخر عَلِم به واحترز وأهلكنا ! وبلغ ذلك الوزير فأرسل سلّامًا الحاجب

(١) المعبر : مفسر الأحلام .
(٢) زيادة من ك صفحة ٣٠ .

وعيسى الحاجب وعيسى الطبيب ليعلماه بذلك ، فوجداه نائما قد شرب أكثر ليلته ، فلم يقدر على إعلامه بذلك ، . وزحف الحجرية والساجيةُ إلى دار الخلافة ، ووكل سيما بأبوابها من يحفظها ، وبقى هو على باب العامةِ وداجموا الدَّارَ من سائر الأبواب . فلما سمع القادر الأصوات والجلَبَةَ استيقظ. وهو مخمور ، وطلب بابًا يهرب منه ، فقيل له إن الأبواب جميعها مشحونةٌ بالرجال / فهرب إلى سطح حمام ٥٦ ـ ا
ودخل القومُ فلم يجدوه ، فَدلَّهُم خادمٌ صغير على مَوْضِعه فقصدوه . فإذا بيده سيف فألانوا له واجتهدوا به ، فلم ينزلْ وقال : من صعد إلىَّ قتلتُه ! فأخذ بعضُهم سهما وقال : : إن نزلتَ وإلا وضَعْتُه فى نحرك ! فنزل حينئذٍ إليهم وساروا إلى الموضع الذى فيه طريفٌ السبكرى فأخرجوه وحبسوا القاهر مكانه [1] واستدعَوْا فى تلك الليلة أحمدَ بنَ أبى الحسين الصابئ فكحلَ [2] القاهر بعد أن أقيم بين يَدَى الراضى بالله ، وسلِّم عليه بالإمارة .

وقيل فى سبب خَلْعِه إنه لما تمكَّنَ من الخلافة تنقَّص الساجية والحجريةَ على مَرِّ الأيام حتى كان لا يقضى لأكابرهم حاجةً ، ويلزمهم النَّوْبةَ فى داره ، ويؤخر أعطياتهم ويغلظ لمن يخاطبه منهم فى أمرٍ ، فأقبل بعضهم ينذر بعضا ويتشاكون . ثم كان يقول

(١) راجع واقعة القبض عليه فى مرآة الجنان ٢ : ٢٨٤ وفى شذرات الذهب ٢ : ٢٩٢ وفى المنتظم ٦ : ٢٦٥ .

(٢) كان كحل العينين وسيلة للسمل ، وقد ذكر ابن تغرى بردى أن عينى القاهر بعد الكحل سالتا على خديه فعمى ، وذكر مسكويه أن بختيشوع بن يحيى المتطبب هو الذى دل المتآمرين إلى الذى سمله !

لسلامة حاجبه : أنت بين يَدَىَّ كَنْزُ مال يمشى فأىّ شىء يتبيَّنُ فى مالك لو أعطيتنى ألف ألف دينارٍ ! فيحمل ذلك على الهزل ، وكان وزيره الخَصِيبى خائفا لما يرى منه

ثم إنّه حَفَرَ فى الدار نحو خمسين مطمورةً وأحكم أبوابها ، فقيل إنها لمقدّمى الساجية والحجرية ، فازدادوا نفورا ، ثم إنّ جماعةً من القرامطة أُخِذُوا من فارس وأُرسلوا إلى بغداد فحبسوا فى تلك المطامير ، فتقدم القاهر سِرًّا بفتح الأبواب / عليهم والإحسان ٥٦ـب
إليهم ، وعَزَم على أن يتقوّى بهم بالقبض على مقدّمى الساجية والحجرية . فأنكروا حالَ القرامطةِ وكونَهم معه فى داره وهو يحسن إليهم ، وذكروا ذلك لوزيره وحاجبه فقالا له ، فأخرجهم من دار الخلافةِ وسلّمهم إلى محمدِ بنِ ياقوت وهو على شُرْطَةِ بغداد فأنزلهم فى دارٍ وأحسن إليهم . ثم صار القاهر يذمُّ الساجيةَ والحجرية فى مجلسه ويظهر كراهتهم ، فلما تبينوا ذلك من وجهه وحركاته أظهروا أنّ لبعض قوادهم عُرْسا ، فاجتمعوا بِحَجْبَتِهِ [1] وقرروا بينهم ما أرادوا وافترقوا . وأرسلوا إلى سابور خادم والدة المقتدر [2] وكان قد اختَصّ به فقالوا له : قد علمتَ ما فعل القاهر بمولاتِك وقد ركبتَ فى موافقته كلَّ عظيم فإن وافقتنا على ما نحن عليه وتقدمت إلى الخدم بِحِفْظِه فعفا الله عما سلف منك وإلا فنحن نبدأ بك !

(١) فى الأصل « فاجتمعوا بحجبه » وفى ك صفحة ٣١ « فاجتمعوا لحجبه » وهو تصحيف

(٢) فى ك ، ف ٣٣ – ب « خادم أم المقتدر بالله » .

فأعلمهم ما عنده من الخوفِ والكراهة للقادر ، وأنه موافقهم .
هذا وابنُ مقلةَ يسعى كما ذكرنا

قال (١) : ولما قُبِضَ على القاهر هرب وزيره الخَصيبي وحاجبُه سلامة ، فكانت خلافةُ القاهر باللهِ سنةً واحدةً وستةَ أشْهُرٍ وثمانيةَ أيام وهو أولُ خليفةٍ سُمِلَ ، ولم يزل فى دار السلطان إلى أن أخرج المستكفى بالله فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وردَّه إلى داره فأقام / مدةً ثم خرج إلى جامع المنصور فى يوم الجمعة ، ٥٧ ـ ا
وقام فعرَّف النَّاسَ نَفْسَهُ وتصدَّقَ منهم وقال : أنا خليفتكم بالأمس وسائلكم اليوم ! فأعطاه ابنُ أبى موسى ألْف درهم (٢) وردَّه إلى داره وتوفى فى خلافة المطيع فى يوم الجمعة ثالث جُمَادى الآخرة سنةَ تسع وثلاثين ، ودُفن فى دار طاهر وله اثنتان وخمسون سنةً . وكان أبيضَ يعلوه حمرة مربوعا أعين وافر اللحيـــة ألثغَ شـــديـــدَ الإقدام على سَفْكِ الدِّماء ، أدوجَ مُحبًّا لجمع المال قبيحَ السياسة . وقد تقدم من أفعاله وضَرْبِه لوالدة أخيه المقتدر ومصادرتها ومصادرة أولاد أخيه وأمهات أولاده ما يُستدل به على قبح أفعاله وسوءِ طَوِيَّتِه وعدم تمسكه بما يبذله من الأيْمانِ المغلَّظة والعهود المؤكَّدةِ ثم لا يقف عند ذلك . وكان نقش خاتمه « محمد رسول الله » وكان له من الأولاد أبو الفضل عبد الصمد وأبو القاسم عبد العزيز وهو ولى عهده .

---

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٣٧

(٢) فى المنتظم ٦ : ٢٦٥ « فرآه أبو عبد الله بن أبى موسى فمنعه من ذلك وأعطاه خمسمائة درهم »

وزراؤه : أبو على بن مقلة ، ثم محمد بن القاسم ، ثم أحمد بن عبد الله الخَصيبي .

حُجَّابُه : على بنُ يلبق ، ثم سلامة الطولونى .

قاضيه : عمر بن محمد بن يوسف .

الأُمراء بمصر : تكين ثم محمد بن صُنْج الفَرْغَانى [1] المعروف بالإخشيد ، ثم أحمد بن كَيْغَلَغ ، وتغلَّب محمد بن تكين فى أيامه ثم عاد الأمر إلى ابن كَيْغَلَغ . ٥٧ ـ ب

القضاة بها : ولَّى القاهرُ محمد بن الحسين بن أبى الشوارب فاستخلف أبا جعفر أحمد بن عبد الله بن قُتَيْبَة فشغب الرعية عليه ولم يزل إلى أن صُرِف ابن أبى الشوارب ، ورد القضاء إلى أبى عثمان أحمد ابن إبراهيم بن حماد وإلى عبد الله بن موسى السرخسى .

ذكر خلافة الراضى بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد بالله ، وأمه أم ولد اسمها ظَلوم ، . وهو الخليفةُ العشرون من الخلفاء العباسيين بويع له بعد خلع عمِّهِ القاهرِ فى يوم الأربعاء لستٍّ خلون من جمادى الأُولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وذلك أنه لما قُبض القاهر كما ذكرناه سألوا الخدم عن المكان الذى هو فيه وكان محبوسًا هو ووالدته ، فدلُّوهم عليه فقصدوه وفتحوا عليه وسلموا عليه بالخلافةِ وأخرجوه وأجلسوه على سرير القاهر بالله ولقبوه الراضى

---

(١) فى ك صفحة ٣١ « محمد بن مفلح الفرغانى » وهو تصحيف ، وعن النجوم الزاهرة ج . ٢٣٥ محمد بن طغج بن جف بن يلتكين بن فوران بن فورى الأمير أبو بكر الفرغانى التركى

بالله ، وبايعه القُوَّادُ والناسُ ، وأُقيم القاهر بين يديه وسلِّم عليه بالإمارة . .

قال [١] : ولما ولى أمر بإحضار علىّ بنِ عيسى وزيرِ المقتدر بالله وأخيه عبد الرحمن وصدر / [٢] عن رأيهما فيما يفعله . وأراد ٥٨ ـ ا
علىّ بنَ عيسى على الوزارةِ فامتنع ، لِكِبرِه وضَعْفِهِ ، وأشار بابن مقلة ثم قال سيما للراضى بالله : إن الوقت لا يحتمل أخلاق علىّ وابنُ مقلةَ أليق ، فكتب له أمانًا فحضر واستوزره .

فلما وزَر أحسن إلى كلِّ من أساء إليه وقال عاهدتُ الله عند استِيزَارى بذلك ! وأرسل إلى الخَصيبى وعيسى الطبيب بالأمان فظهرا ، فأحسن ابنُ مقلةَ إليهما ، فاستعمل الخصيبى واستعمل [أبا] [٣] الفضل بن جعفر بن الفرات نائبا عنه على سائر الأعمال بالموصل والجزيرة وديار بكر وطريق الفرات والثغور الجزيرية والشامية ، وأجناد الشام ومصر . واستعمل الراضى بالله على الشرطة بدرًا الخرشنى واستعمل محمد بن ياقوت على الحجبة ورئاسة الجيش ، وأدخل يده فى أمر الدواوين ، وتقدم إليهم بأن لا يقبلوا توقيعا بولاية وعزلٍ وإطلاقٍ إلا إذا خَطَّه عليه ، وأمرهم بحضور مجلسه فصبر ابنُ مقلةَ على ذلك وألزم نفسه بالمصير إلى دار ابن ياقوت فى بعض الأوقات كالمتعطل .

---

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٣٧

(٢) سقطت هذه الصفحة ٥٨ بأكملها من الأصل ، واستعضنا عنها بما ورد فى ك ٣٢ وف صفحة ٣٥ ـ ا

(٣) زيادة من الكامل ٦ : ٢٣٨

ذكر مقتل هارون بن غريب

فى هذه السنة قُتل هارون بن غريبٍ الخالِ ، وسبب ذلك أن القاهر باللهِ كان استعمله على ماه الكوفةِ وما سبذان وغير ذلك كما ذكرناه . فلما استخلف الراضى بالله رأى هارونُ أنه أحق بالدولةِ من غيره لِقَرابتِهمن الراضى بالله . وكاتَب القُوَّاد ببغداد يعدهم الإحسانَ والزيادة فى الأرزاق ، ثم سار من الدينور إلى خانقين [1] ، فعظم ذلك على ابن مقلة وابن ياقوت والحجرية والساجية ، وشكوا ذلك إلى الراضى بالله فأعلمهم أنه كاره له وأذن لهم فى منعه . فراسلُوا له وبذلوا طريقَ خراسان زيادةً على ما بيده ، فلم يقنعْ وتَقَدَّم إلى النَّهْرَوَان وشَرع فى جِبايةِ الأموال ، وظَلَم النَّاس ، سفَهم وقَويتْ شوكته . فخرج إليه محمدُ بنُ ياقوتٍ فى سائرِ جيوش بغداد ونزل قريبا منه ، فهرب بعض أصحاب محمد ابن ياقوت إلى هارون . فراسله ابن ياقوت يستميله ، ويبذل له فقال : لابُدَّ من دخول بغداد !

فلما كان فى يوم الثلاثاء لِستٍّ بقين من جُمادى الآخرة تزاحف العسكران واشتد القتال فاستظهر أصحاب هارون لكثرتهم ، وانهزم أكثر من مع ابن ياقوت ونهب أكثر سوادهم وكَثُر فيهم القَتْلُ والجراح ، فسار محمد حتى قطع قنطرة نهر هناك . فبلغ ذلك هارون ، فسار نحو القنطرة منفردا عن أصحابه طمعا فى أسر محمد بن ياقوت وقتله ،

(١) بلدة فى السواد بطريق همذان يقول ياقوت إنه كان بها عين نفط ، وقال البشارى « وخانقين أيضا بلدة بالكوفة »

فتقنطر به فرسُه فسقط عنه في ساقية فلحقه غلام له اسمه يمن
٥٩ ـ ا فضربه بالطبرزين حتى أثخنه / وكسر عظامه ثم نزل إليه فذبحه ، ثم رفع رأسه وكبّر فانهزم أصحابُه وتفرقوا ودخل بعضُهم بغداد سِرًا . ونُهب سوادُ هارون ، وقُتل جماعةُ قوادِه ، وأُسر جماعةٌ ، وسار محمد إلى موضع جثة هارون فأمر بحملها إلى مضربه وأمر بغَسْلِه وتكفينه وصلّى عليه ودفَنَه ، ودخل بغداد ورأسُ هارونَ بين يديه ورؤوس جماعةٍ من قواد هارون فنُصبتْ ببغداد !

ذكر مقتل ابن الشلمغانى ومذهبه

فى هذه السنة قتل أبو جعفر محمد بن على الشَّلَمْغانى المعروف بابن أبى العراقيد [١] ، وشَلَمغان التى ينسب إليها قرية بنواحى واسط ، وكان سبب ذلك أنه قد أحدث مذهبا غاليا فى التشيُّع والتناسخ وحلول الإلهية فيه ، إلى غير ذلك ، وكان ظهورُه فى مبدأ وزارة حامد بنِ العباس أحدِ وزراء المقتدر بالله ، ثم اتصل الشَّلَمْغَاني بالمحسن بن الفرات فى وزارة أبيه الثالثة ، ثم طُلب فى وزارة الخاقانى فاستتر وهرب إلى الموصل . وبقى سنين عند ناصر الدولة بن حمدان ، ثم انحدر إلى بغداد واستتر ، ثم ظهر عنه أنه يدّعى الربوبيةَ لنفسه . وقيل إنه اتّبعه على ذلك
٥٩ ـ ب الحسينُ ابن القاسم بن عبيد الله [٢] بن سليمان بن وهب / الذى

(١) فى الكامل ٦ : ٢٤١ المعروف بابن أبى القراقر ، وفى المنتظم ٦ : ٢٨١ « ويعرف بابن العزاقير » وقد ورد ذكره فى مرآة الجنان ٢ : ٢٨٤ وشذرات الذهب ٢ : ٢٩٣ .

(٢) فى الكامل ٦ : ٢٤١ « عبد الله »

وزر للمقتدر بالله ، وأبو جعفر ، وأبو على ابنا بسطام ، وإبراهيم ابن محمد بن أبى عون ، وابن شبيب ويزيد وأحمد بن محمد بن عبدوس .. كانوا يعتقدون ذلك فيه وظهر ذلك عنهم ، وطُلبوا فى وزارة بن مقلة للمقتدر فلم يوجدوا .

فلما كان فى شوال سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ظهر ابن الشَّلَمْغانيّ فَقَبَضَ عليه الوزيرُ ابنُ مقلةَ وسجنَه وكبس داره فوجد فيها رِقاعا وكتبا ممَّن يدعى فيه الربوبيةَ يخاطبونه بما لا تخاطب به البشر بعضهم بعضا . وفيها خط الحسين بن القاسم ، فعرضت الخطوط عليه فأقَرَّ أنها خطوطُهم وأنكر مذهَبه ، وأظهر الإسلام وتَبرَّأ مما يقال فيه . فأُخِذَ ابنُ أبى عون وابن عبدوس فأُحضرا معه عند الخليفة وأُمِرا بصفعه فامتنعا ، فلما أُكرها صفعه ابن عبدوس ، ومدَّ ابن أبى عون يده إلى لحيته ورأسه فارتعدت يده فَقَبَّل لحيتَه ورأسه وقال : إلهى وسيدى ورازقى ! فقال له الراضى : قد زعمت أنك لا تَدَّعِى الإلهيه فما هذا ؟ فقال : وماعلىّ مِنْ قَوْلِ ابن أبى عون ، والله يعلم أننى ما قلتُ له إنى إله قط ! فقال ابنُ عبدوس : إنه لم يدَّعِ الإلهيةَ وإنما ادَّعى أنه البابُ إلى الإمام المنتظر مكان الحسين بن روح !

ثم أُحْضِروا عدةَ مراتٍ ومعهم القضاةُ والفقهاءُ وغيرهم ، وفى آخر الأمر أفتى الفقهاءُ بإباحة دمِه / فَصُلِب هو وابن أبى عون ، ٦٠ ـ ١
وأُحرِقا بالنَّار فى ذى القعدة . وكا "لحسينُ بن القاسم بالرَّقَّة فأرسل الراضى بالله إليه فقتل فى ذى القعدة ، وحُمِلَ رأسُه إلى بغداد .

وكان مذهب الشلمغاني أنه إله الآلهة بحقّ الحق ، وأنه الأول القديم ، الظاهر الباطن ، الرازق التام ، المومأ إليه بكلّ معنى . وكان يقول : إن الله سبحانه وتعالى يحلّ فى كل شيء على قدر ما يحتمل ، وإنه خَلَقَ الضّدَّ ليدلّ على المضدود ، فمن ذلك أنه حل فى آدم عليه السلام لما خلقه ، وفى إبليس لما خلقه وكلاهما ضِدٌّ لِصاحِبِه لمضادته إياه فى معناه ، وأنّ الدليلَ على الحقّ أفضلُ من الحقّ ، وأن الضد أقرب إلى الشى من شبيهه ، وأن الله عزّ وجلّ إذا حلّ فى جسدِ ناسوتيٍ أظهر من المقدرة المعجزة مايدل على أنه هو ، وأنه لما غاب آدم ظهر اللاهوتُ فى خمسةِ ناسوتيةٍ كلما غاب منهم واحد ظهر مكانه آخر فى خمسة أبالسة أضداد لتلك الخمسة ، ثم اجتمعت اللاهوتيةُ فى إدريسَ وإبليسِ وتَفَرَّقَتْ بعدهما كما تفرقت بعد آدم ، واجتمعت فى نوح عليه السلام وإبليسِ وتفرّقت بعدهما ، واجتمعت فى صالح وإبليسه عاقرِ الناقة وتفرقت بعد هما ، واجتمعت فى إبراهيم عليه السلام وإبليسه نمرود وتفرقت لماً غابا واجتمعت فى موسى وإبليسه / فرعون وتفرقت بعدهما ، واجتمعت فى سليمان ٦٠ـ ب وإبليسه وتفرقت بعدهما ، واجتمعت فى عيسى وإبليسه فلما غابا تفرقت فى تلاميذ عيسى وأبالستهم ، ثم اجتمعت فى على بن أبي طالب وإبليسه .

وإنّ الله يظهر فى كل شيء وكلّ معنى ، وإنه فى كل أحد بالخاطر الذى يخطُر فى قلبه فيتصوّرُ له ما يغيب عنه حتّى كأنه يشاهده . وإن الله اسم لمعنىً ، وإن من احتاج الناس إليه فهو إله ،

ولهذا المعنى يستوجب كل أحد أن يسمى إلها ، وأن كل أحد من أتباعه لعنه الله يقول : إنه ربٌّ لمن هو فى دون درجته . وأن الرجل منهم يقول « أنا رب لفلان وفلان رب ربى » حتى يقع الانتهاء إلى ابن الشلمغانى فيقول : أنا رب الأرباب لاربوبية بعده ! ولا ينسبون الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما إلى علىٍّ ، لأن من اجتمعت له الربوبية لا يكون له ولد ولا والد .

وكانوا يسمون موسى ومحمدًا صلوات الله عليهما الخائنين ، لأنهم يدّعون أن هارون أرسل موسى وعليا أرسل محمدا فخاناهما . ويزعمون أن عليا أمهل محمدًا عدة سنين أصحاب الكهف فإذا انقضت المدة وهى ثلاثمائة وخمسون سنة انتقلت الشريعة .

ويقولون : إن الملائكة كل من ملك نفسه وعرف الحق ، وإن الجنةَ معرفتُهم وانتحالُ مذهبهم والنار الجهلُ بهم والعدولُ عن مذهبهم / ويعتقدون تَرْكَ الصلاةِ والصيام وغيرهما من العبادات ، ولا ٦١ ـ ا يتناكحون بعقد ويبيحون الفروج ، ويقولون : إن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث إلى كبراء قريش وجهابذة العرب ونفوسهم أبية فأمرهم بالسجود ، وإن من الحكمة الآن أن يُمْتَحنَ النَّاسُ بإباحة فروج نسائهم ، وإنه يجوز أن يجامع الإنسانُ منْ شاء من ذوى رحِمه وحُرم صديقه وابنه بعد أن يكون على مذهبه ، وإنه لابدَّ للفاضل منهم أن ينكح المفضول ليولج النورَ فيه ، ومن امتنع من ذلك تُوُبِّ فى الدور الذى يأتى بعد هذا العالم إمرأةً ؛ إذ كان مذهبهم التناسخ .

وكانوا يعتقدون إهلاك الطالبيين والعباسيين ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبير ! وهذه المقالة شبيهة بالمقالة النصيرية ، فإنهم يعتقدون فى ابن انفرات ، ويجعلونه رأساً فى مذهبهم .

ذكر ظهور انسان ادعى النبوة

وفى هذه السنة ظهر بباسند [1] من أعمال الصغانيان رجل ادّعى النبوة فقصده فوج بعد فوج واتّبعه خلقٌ كثير وحارب من خالفه ، فقتل خلقا كثيرا ممن كذبه ، وكثر أتباعه خصوصا من أهل الشاش . وكان صاحبَ حِيَلٍ ومخاريق ، وكان يدخل يده فى حوض ماء فيخرجها مملوءةً دنانير إلى غير ذلك من المخاريق ، فكثر جمْعُه . فأنفذَ إليه ، أبو على بن المظفر ، جيشا فحاربوه وضيّقوا عليه — وهوفوق جبلٍ عالٍ — حتى قبضوا عليه ، وقتلوه وحملوا رأسه إلى أبى على ، وقتلوا خلقًا كثيراً ممن اتبعه وآمن به . وكان يدّعى أنه متى مات عاد إلى الدنيا ، فبقى جماعة كبيرة بتلك الناحية مدةً طويلةً على مادعاهم إليه ثم اضمحلوا وفنوا . ٦١ — ب

وفيها سار الدمستق قرقاش فى خمسين ألفا من الروم فنازل ملَطْية وحصرها مدةً طويلة حتى هلك أهلها بالجوع ، وضرب خيمتين

(١) باسند : مدينة فيما وراء النهر ، وهى فى الصغانيان الولاية الضخمة التى تتصل بأعمال ترمذ ، ومشاربها من أنهار تمد إلى جيحون ، وهى شديدة العمارة كثيرة الخيرات (ياقوت فى معجم البلدان)

على إحداهما صليبٌ وقال : منْ أراد النصرانية انحاز إلى خيمة الصليب ليُرَدَّ عليه أهله وماله ، ومن أراد الإسلام انحاز إلى الخيمة الأُخرى وله الأمان على نَفْسِه ونبلغه مأْمنه ، فانحاز أكثر المسلمين إلى خَيْمةِ الصَّليب طمعًا فى أهلِهم ومالِهم . وسيَّر مع الباقين بطريقًا يبلغهم مأْمنهم ، وفتحها بالأَمان فى مستهل جُمادى الآخرة ، وملكوا شِمْشَاط.[1] وخرَّبوا الأَعمال ، وأكثروا القتل ، وفعلوا الأَفاعيلَ الشنيعةَ ، وصار أكثر البلاد فى أيديهم .

ودخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة :

ذكر القبض على ابنى ياقوت

/ فى هـذه السنة فى جُمادى الأُولى قبض الراضى بالله على محمد والمظفر ابنى ياقوت ، وكان سبب ذلك أن الوزير أبا على بن مقلة كان قد قَلِقَ لتحكُّم محمدِ بنِ ياقوت فى الدولة بأَسرها ، وأنه هو ليس له حكم فى شىء ، فَسعى به إلى الرَّاضى وأدام السِّعاية . فلما كان فى خامس الشهر ركب جميع القواد إلى دارِ الخليفة على عادتهم ، وحضر الوزير وأظهر الرَّاضى أنه يريد يقلد جماعةً من القواد أعمالا ، وحضر محمد بن ياقوت للحجبة ومعه كاتبه أبو إسحاق القراريطى . فخرج الخدم فاستدعوا محمد بن ياقوت إلى الخليفة فدخل مبادِرًا ، فعدلوا به إلى حجرة هناك فحبسوه ، ثم استدعوا القراريطى فدخل فعدلوا به إلى حجرة ، ثم استدعوا ٦٢ ـ ا

(١) فى الأصل : سميساطو فى ك صفحة ٣٤ شميساط وقد آثرنا شمشاط لقربها من ملطية .

المظفر من بيته وكان مخمورا فحبسوه أيضا ، . وأنفذ الوزير ابن مقلة إلى دار محمد من يحفظها من النَّهْب ، وكان ياقوت حينئذ مقيما بواسط ، فلما بلغه القبض على ابنيه انحدر يطلب فارس ليحارب ابن بويه ، وكتب إلى الراضى باللهِ يستعطِفُه ويسأَلُ إيفادَ ولَدَيْه ليساعداه على حرْبِه .

ذكر حال أبى عبد الله محمد البريدى وتقدمه

فى هذه السنة قَوى أَمْرُ أَبى عبد الله البريدى وعظُم شأْنُه ، وسببُ ذلك أنه كان ضـامنًا لأَعمال الأَهواز ، ثم اسـتولى عليها عسْكَرُ مرداويج الدَّيْلمى [1] ، وهزم ياقوت ، فجاء إلى البصرة وصار يتصرف فى أسافل أعمال الأَهواز مضافا إلى كتابة ياقوت . وادّعى أَخواد ـ وكان إليهما ضمان السوس وجُنْد يسابور أَنَّ دَخْل البلاد لسنة اثنتين وعشرين أَخَذَه عسْكَرُ مرداويج وأَنَّ دخْلَ البلاد لسنةِ ثلاث وعشرين لا يحصل منه شىء ، لأَنَّ نُوَّاب مرداويج ظلموا الناس فلم يبْقَ لهم ما يزرعونه . وكان الأَمر بِضِدِّ ذلك فى السنتين ، فبلغ ذلك الوزير ابن مقلة فأَنفذ نائبا له ليحقِّقَ الحالَ فواطأَ ابنى البريدى وكتب بصدقهما فحصَّل لهما بذلك مالا عظيما وقويت نفوسهما وكان مبلغ ما أَخَذَاه أربعة آلاف ألف دينار . ٦٢ ـ ب /

وفيها قَتل ناصرُ الدولة بن حمدانَ عمَّه أَبا العلاء بن حمدان ،

(١) كان كبير الديالمة ، وفى ظله نمت السلالة البويهية بالأخوة الثلاثة عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة وكان مرداويج يقول : أنا أريد دولة العجم وأبطل ملك المنتظم(٢٦٨٦)

وسبب ذلك أن أبا العلاء سعيدًا ضمن الموصل وديار ربيعة سرا ، وكان بها ناصر الدولة أميرًا . فلما وصل إلى الموصل خَرج ابنُ أخيه للقائه فخالفه فى الطريق قَصْدًا منه ، فوصل أبو العلاء ودخل دار ابن أخيه وقعد ينتظره ، فأنفذ ناصر الدولة جماعةً من غلمانه فقبضوا عليه ثم أنفذ جماعة غير هم فقتلوه .

ذكر مسير ابن مقلة الى الموصل

وما كان بينه وبين ناصر الدولة

/ قال [١] : لما قَتَل ناصرُ الدَّوْلةِ عَمَّه أبا العلاء واتَّصَل ٦٣ ـ ا
خَبَرُه بالراضى بالله عظُم ذلك عليه وأنكره ، وأمر الوزيرَ ابنَ مقلةَ بالمسير إلى الموصل ، فسار إليها فى شعبان بالعساكر . فلما قاربها رَحلَ عنها ناصر الدولة ودخل الزوزان [٢] ، وتبعه الوزير إلى جبل التِّنين [٣] ثم عاد عنه ، وأقام بالموصل يجبى أموالَها . فلما طال مقامُه بالموصل احتال بعضُ أصحاب ابن حمدان على ولد الوزير ـ وكان ينوب عنه فى الوزارة ببغداد ـ فبذل له عشرةَ آلافِ دينارٍ ليكتب إلى أبيه يستدعيه فكتب إليه يقول : إن الأمور بالحَضْرَةِ قد اختلَّتْ وإنَّ تأخُّرَه لم يؤمن معه حدوث ما يبطل أمرهم . فانزعج الوزير لذلك ، واستعمل على الموصل علىَّ بنَ خلف بن

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٤٩

(٢) الزوزان : مدينة أهلها أرمن فى كورة بين جبال أرمينية وبين أذربيجان وديار بكر والموصل .

(٣) جبل التنين : مشهور كما يقول ياقوت قرب جبل الجودى من أعمال الموصل

طباب [١] وماكرد الدَّيْلَمى - وهو من الداجية - وانحدر إلى بغداد فى منتصف شوال . فلما فارق الموصل عاد إليها [ناصر الدولة] [٢] بن حمدان فاقتتل هو وماكرد الديلمى ، فانهزم ابن حمدان . ثم عاد وجمع عسكرا آخر ، والتقوا على نصيبين فى ذى الحجة فانهزم ماكرد إلى الرَّقَّة ثم إلى بغداد ، وانحدر ابنُ طباب أيضا ، واستولى ابن حمدان على الموصل والبلادِ وكتب إلى الخليفة يسأله الصُّلْح وأن يضْمنَ البلاد فأُجيب إلى ذلك . وفيها فى المحرم قَلَّدَ الراضى بالله ولَدَيْه أباجعفر وأبا الفضل ناحيتى المشرق والمغرب مما /بيده ، وكتب بذلك إلى البلاد . ٦٣ - ب

وفيها فى ليلة الثانى عشر من ذى القعدة انْقَضَّتِ الكواكبُ انقضاضًا دائما مستمرا من أوَّل الليل إلى آخره ، وهى الليلةُ التى أوْقَع القرمطى فيها بالحجاج .

وفيها مات محمد بن ياقوت فى الحبس ، واتهم ابن مقلة أنه سمه وأطلق أخوه المظفر من الحبس بشفاعةِ ابنِ مقلة ، وحَلَف للوزير أنه يواليه ولا ينحرف عنه ولا يسعى له ولا لولده بمكروه فلم يف له .

وفيها أرسل الوزير ابنُ مقلةَ رسولا إلى محمد بن رائق بواسط. وكان قَطَعَ الحِمْلَ عن الخليفة فطالبه بارتفاع أموال واسط. والبصرة

(١) فى ا ، ك صفحة ٣٥ « بن طياب » وما هنا من ف صفحة ٣١ - ب موافقا لابن الأثير .

(٢) زيادة من ك صفحة ٣٥

وما بينهما فأحسن إلى رسوله وَرَدَّه برسالةٍ ظاهرة إلى ابن مقلة يغالطه ، وأخرى باطنة إلى الخليفةِ الراضى باللهِ مضمونُها أنه إنِ اسْتُدْعِى إلى الحضور وَفُوِّضَتْ إليه الأمورُ وتدبير الدولة ، قام بجميع ما يحتاج إليه من نفقات الخليفة وأرزاق الجند . ولما سمع الخليفةُ ، لم يُعِدْ إليه جَوَابها .

ودخلت سنةُ أربعٍ وعشرين وثلاثمائة :

ذكر القبض على الوزير ابن مقلة

ووزارة عبد الرحمن بن عيسى وغيره

فى هذه السنة عَزَم الوزيرُ على المسير إلى ابنِ رائقٍ لما عاد رسوله / بغير مال ، وحضر إلى دار الراضى فى منتصف جُمادى الأُولى . فلما حضر الدَّارَ قبض عليه المظفر بن ياقوت والحجرية وأعلموا الراضى بذلك ، فوافق رأيه فيه ، واستحسن فِعْلَهُم (١) . واختفى أبو الحسين بن أبى على بن مقلة الوزير ، وسائر أولادِه ، وحُرَمُه وأصحابُه . وطلب الحجرية والساجية من الخليفة أن يشير بوزيرٍ فَرَدَّ الاختيار إليهم ، فأشاروا بوزارة على بن عيسى ، فأحضره الراضى بالله ، فامتنع وأشار بأخيه عبد الرحمن فاستوزره . وسُلِّم إليه ابنُ مقلةَ فصادره ، ثم عجز عبد الرحمن عن تمشية الأمور وضاق عليه المال فاستعفى من الوزارة وقبض عليه وعلى أخيه علىّ فى سابع شهر رجب ، واستُوزِر أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخى ،

٦٤ ـ ا

(١) فى ك صفحة ٣٥ « واستحسن فعله »

وخلع عليه وسُلِّم إليه على بن عيسى فصادره على مائة ألف دينار ، وصادر أخاه عبد الرحمن بسبعين[١] ألف دينار .

وفيها قتل ياقوت ، وعظم البريدى وإخوته ، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عزل أبى جعفر ووزارة سليمان بن الحسن[٢]

قال[٣] : ولما تولى أبو جعفر الكرخى الوزارة رأى قلة الأموال
٦٤ ـ ب وانقطاع / المواد فعجز عن تدبير الحال ، وضاق الأمر عليه ، وقطع ابنُ رائقٍ حِمْلَ واسط والبصرة ، وقطع البريدى حِمْلَ الأهواز وأعمالها . وكان ابنُ بويه قد تغلب على فارس ، فتحير أبو جعفر وكثرت المطالبات عليه ونَقُصتْ هيْبتُه ، فاستتر بعد ثلاثة أشهر ونصف من وزارته ، فاستوزر الراضى أبا القاسم سليمان بن الحسن فكان فى الوزارة كأبى جعفر فى وقوف الحال وقلة المال[٤] !

ذكر استيلاء ابنِ رائقٍ على العراق وتغلب الملوك على الأعمال وخروجهم عن الطاعة وتغير أحوال الوزارة وإبطال الدواوين

قال[٥] : لما رأى الراضى بالله وقوف الحال بالحضرة ألجأته

---

(١) فى ك صفحة ٣٦ « تسعين ألف دينار »

(٢) فى ا ، ك ، ف « سليمان بن الحسين » وذكرته المصادر التاريخية « ابن الحسن »

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٥٤

(٤) يعلق ابن الجوزى على ذلك بقوله « وكان هذا كله من عمل الأتراك والغلمان » المنتظم ٦ : ٢٨١ .

(٥) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٥٤

الضرورة إلى أن راسل أبا بكر محمد بن رائق وهو بواسط. يعرض عليه إجابته إلى ما كان بذله من القيام بالنفقات وأرزاق الجند ببغداد . فلما أتاه الرسول فرح بذلك وشرع يتجهز للمسير إلى بغداد ، فأنفذ إليه الراضى بالله الساجية وقلّده إمارَةَ الجيش وجعله أمير الأُمراء وولاّه الخراج والمعاون فى جميع البلاد والدواوين . وأمر أن يُخْطَب له عـلى جميع المنابر ، وأنفـذ إليه الخلع وانحدر إليه أصحابُ الدواوين / والكُتّابُ والحُجّابُ وتأخر الحجرية . فلما ٦٥ – ا استقر الذين نزلوا إلى واسط بها قَبَضَ على الساجيةِ فى ذى الحجة ونَهب أموالَهم ودوابَّهم ، وأظهر أنه إنما فعل ذلك لِيَتَوفَّر أرزاقُهم على الحجرية ، فاستوحش الحجريةُ من ذلك وقالوا : اليومَ لِهؤلاء وغدٌ لنا وخَيَّموا بدارِ الخلافة . وصعد ابنُ رائقٍ إلى بغداد ومعه بجكم ، فخلع الخليفةُ عليه فى أواخر ذى الحجة ، وأتاه الحجريةُ يُسلّمون عليه فأمرهم بقلع خيامهم فقلعوها وعادوا إلى منازلهم .

وبطُلَت الدواوينُ من ذلك الوقت ، فلم يكن الوزير ينظر فى شىء من الأُمور ، إنما كان ابن رائقٍ وكاتبه ينظران فى الأُمور جميعها[1] ، وكذلك كل من تولّى إمرةَ الأُمراء بعده ، وصارت الأَموالُ تحمل إلى خـزائنهم فيتصرفون فيهـا كمـا يريدون ، وبطلت بيوتُ الأَموال . وتغلب أصحاب الأَطراف وخلعوا الطاعة ، ولم يبْق بِيدِ الخليفة غَيْرُ بغداد وأعمالِها ، والحكم فى جميعها لابن رائقٍ ليس

(١) يحسن هنا مراجعة تجارب الأمم ١ : ٣٤٠ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٥٨ والبداية و النهاية ١١ : ١٨٤ وكتاب
The Life and Times of Ali b. Isa. p. 320, 321, 322 (cambridge 1929).

للخليفة حُكْمٌ . وأما باقى الأطرافِ فكانت البصرةُ بيدِ ابنِ رائقٍ ، وخوزستان والأهواز فى يد البريدى ، وفارس فى يد عِمَادِ الدَّوْلَةِ ابن بويه ، وكرمان فى يد أبى محمد على بن إلياس ، والرى وأصفهان والجبل فى يد ركن الدولة بن بويه ويد وشمكير أخى مرداويج يتنازعان عليها ، / والموصل وديار بكر ربيعة ومُضَر فى يد بنى حمدان ، ومصر والشام فى يد إلا خشيد أبى بكر محمد بن طُغْج والمغرب وأفريقية فى يد أبى القاسم القائم بأمر الله بن المهدى ، والأندلس فى يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموى ، وخراسان وما وراء النهر فى يد نصر بن أحمد السامانى ، وطبرستان وجرجان فى يد الدَّيْلم ، والبحرين واليمامة فى فى يد أبى طاهر القرمطى[1] . ٦٥ ـ ب

ذكر وزارة الفضل بن جعفر

[ابن الفرات] [2]

قال[3] : ولما ولى ابن رائق كتب كتابا عن الراضى بالله إلى أبى الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات يستقدمه للوزارة . وكان يتولى الخراج بمصر والشام ، فظن ابن رائق أنه إن استوزر جبى له أموال الشام ومصر ، فنفذت إليه الخِلَع قبل وصوله فلقيته بميت ، فلبسها ودخل بغداد وتولى وزارة الخليفة ووزارة ابنِ رائقٍ جميعا .

ودخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة :

---

(١) راجع المنتظم ٦ : ٢٨٨

(٢) زيادة من ك صفحة ٣٦

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٥٦

ذكر مسير الراضى بالله لحرب البريدى

فى هـذه السنة أشـار ابن رائق على الراضى بالله بالانحدار معه إلى واسط ليقرب من الأهواز ويراسل أبا عبد الله البريدى ؛ ٦٦ - / فإن أجاب إلى مايطلب منه وإلا قرَّب قصده عليه ، فأجاب الراضى بالله إلى ذلك . وانحدر أول المحرم فخالف الحجرية وقالوا : هذه حيلة علينا ليعمل بنا مثل ما عمل بالساجية ! فلم يلتفت ابن رائق إليهم ، وانحدر ومعه بعضهم ، ثم انحدروا بعده . فلما صاروا بواسط اعترضهم ابن رائق فأسقط أكثرهم ، فاضطربوا وثاروا فقاتلهم قتالا شديدًا ، فانهزم الحجرية وقتل منهم جماعة . ولما وصل المنهزمون إلى بغداد ركب لؤلؤ صاحب الشرطة ببغدادَ ، ولقيهم وأوقع بهم ، فاستتروا ، فَنُهِبَتْ دورُهم وقبِضَتْ أملاكُهم ، وقُطِعَتْ أرزاقهم .

ولما فرغ ابنُ رائقٍ منهم قَتَلَ مَنْ كان قد اعتقله من الساجية سوى صافى الخازن وهارون بن موسى ، ثم أخرج مضاربه ومضارب الراضى بالله نحو الأهواز ، وراسل البريدىَّ فى تأخير الأموال وما قد ارتكبه من الاستبداد وإفساد الجيوش إلى غير ذلك ، ثم قال له بعد ذلك :إنه إنْ حمل الواجب عليه وسلَّم الجند الذين أفسدهم أُقِرَّ على عملِه وإن أبىَ قوبِل بما يستحق . فلما سمع الرسالة جدَّد ضمانَ الأهواز فى كل سنة بثلاثمائة ألف وستين ألف دينار يحمـل كل شـهر بقسـطه وأجاب إلى تسـليم الجيش إلى من يؤمر بتسليمه إليه ، ممن يسير بهم إلى قتال ابن بويه إذْ كانوا / ٦٦ - ب

كارهين للعود إلى بغداد لضيق الأموال بها واختلاف الكلمة . فعقد عليه الضمان وعاد الراضى وابن رائق إلى بغداد فدخلاها فى ثامن صفر ، وكان هذا القول من البريدى خديعة ومكرا ؛ فإنه ما حمل من المال درهما واحدا ولا سلَّم الجيش .

قال (١) : ثم سعى ابنُ مقاتل عند ابن رائقٍ فى عزْلِ وزيره الحسين بن على النُّوبختى ، وأشار عليه بالاعتضاد بالبريدى وأن يجْعلَه وزيرًا ، وبذل له ثلاثين ألفَ دينارٍ ، فأجاب ابنُ رائقٍ إلى ذلك بعد امتناعٍ شديدٍ وأمر ابنَ مقاتل أن يكتبَ إلى البريدىّ أن يرسلَ من ينوبُ عنه فى وزارته فكتب إليه بإنفاذ أحمد الكوفى لينوبَ عنه فى وزارة محمد بن رائق فأنفذه واسْتَولَى على الأُمور هو وابن مقاتل ، وشرعا فى تضمين البصرة من أبى يوسف أخى أبى عبد الله البريدى . فامتنع ابنُ رائقٍ فَخَدعاه حتى أجاب إليه ، وكان نائب ابن رائقٍ بالبصرة محمد بن يزداد ، وقد أساء السيرةَ وظَلَم أهلَها ، فَوعَدَهُم يوسُف ومنَّاهم وذمَّ ابنَ رائقٍ عنده بما كان يفعله ابن يزداد ، فدعوا له . ثم أنفذ أبو عبد الله البريدىُّ غلامَه إقبالا فى ألْفَى رجلٍ وأمرهم بالمقام بحصن مهدى إلى أن يأْمرَهم بأمرِه ، فلما علم ابنُ يزداد بهم علم أن البريدىَّ يريد
/ التغلُّبَ على البصرة ، وأمر البريدىُّ بإسقاطِ بعض ما كان ابنُ ١٦٧ـ١
يزداد يأْخذُه من أهل البصرة ، فاطمأنوا وقاتلوا معه عسكر ابنِ

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٥٨

رائقٍ ، ثم عطف عليهم بعد ذلك وعمل بهم أعمالا تَمنَّوْا أيّام ابنِ رائق وعدُّوها أعيادًا !

ذكر الوحشة بين محمد بن رائق والبريدى والحرب بينهما

فى هذه السنة ظهرت الوحشةُ بينهما ، وكان لذلك أسبابٌ منها أن ابنَ رائقٍ لما عاد إلى بغدادَ أمر بظهورِ من اختَفَى من الحجرية ، واستخدم منهم نحو ألفَىْ رجلٍ ، وأمر من بقى بِطَلَبِ أرزاقِهم ؛ فخرجوا [من بغداد] والتحقوا بأبى عبد الله البريدىّ فأكرمهم وأحسن إليهم وذمَّ ابنَ رائقٍ وعابه ، وكتب إلى بغدادَ يقول : إنى خفتهم فلهذا قبلتهم ! وجعلهم طريقًا إلى قطْعِ ما استقر عليه من المال ، وذكر أنهم اتفقوا مع الجيش الذى عنده ومنعوه من حمل المال ؛ فأنفذ إليه ابنُ رائقٍ يلزمه بإيفادهم فاعتذر ولم يفعل . ومنها أنه بلغه ما ذمّه به عند أهل البصرة فَساءه ذلك وبلغه مقام إقبال فى جيشه بحصن مهدى فعظم عليه ، فأمر الكوفى أن يكتب / إلى البريدى يعاتبه على هذه الأشياء ويأمره بإعادةِ عَسْكَرِه من حِصْن مهدىّ ، فكتب إليه فى ذلك فأجاب « أن أهلَ البصرة يخافون القرامطة وأنَّ ابنَ يزداد عاجزٌ عن حمايتهم وقد تمسكوا لخوفهم بأصحابى » ٦٧ ـ ب

فسار ابنُ رائق إلى واسط فبلغ البريدى ، فكتب إلى عسكره بحصن مهدىّ يأمرهم بدخول البصرة وقتال من منعهم[1] ،

(١) فى ك صفحة ٣٨ « وقتال ابن رائق من منعهم »

وأنفذ إليهم جماعةً من الحجرية فَقَدِموا وقاتلوا ابن يزاداد مرة بعد أخرى وهُزموا إلى الكوفة ، فكتب ابن رائقٍ إلى البريدىّ يأمره بإعادة أصحابه من البصرة وتهدَّده إن لم يفعل ، فاعتذر إليه وغالطه !

ذكر استيلاء بَجْكَم على الأهواز وخروج ابن البريدى منها

قال[1] : ولما وصل جوابُ رسالة ابنِ البريدىِّ إلى محمدِ بنِ رائقٍ بالمماطلةِ عن إعادة جُنْدِه مِنَ البصرة استدعى بدرًا الخرشنى وخَلَع عليه وعلى بَجكم وسيَّرهما فى جيش وأمرهما أن يقيما بالجامدة ، فبادر بُجكم ولم يتوقف على بدرٍ وسار إلى السوس ، فأخرج إليه البريدىُّ جيشا مع غلامه المعروف بالحمال عدته ثلاثة آلاف مقاتل ، فالتقوا واقتتلوا بظاهر السوس . وكان مع / بُجكم مائتان وسبعون رجلًا من ٦٨ ـ ا
الأتراك فانهزم أصحابُ البريدى وعادوا إلى صاحبهم فضرب الحمال وسَبَّهُ ووَبَّخهُ على انهزامه ثم ردّد وأضاف إليه منْ لم يشهدوا الواقعةَ فبلغوا ستةَ آلافِ رجلٍ .

فلما التقوا انهزموا من غير قتالٍ ، فلما رآهم البريدى ركب هو وإخوَته ومنْ يلزمه فى سفينة[2] ومعه ما بقى عنده من المال وهو ثلاثمائة ألفِ دينارٍ فغرقت السفينة بهم ، فأخرجهم الغواصُون وقد كادوا يهلكون ، وأخرج الغواصون باقى المـال لبُجْكَم ووصل

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٦٠

(٢) فى ك صفحة ٣٨ ه فى ستة آلاف سفينة وهى إحالة ظاهرة ه .

أولاد البريدى إلى البصرة وأقاموا بالأبلة[1] وأعدُّوا المراكب للهرب إن هُزِم إقبال ، وسيَّرَ أبو عبد الله البريدي غلامه إقبالا إلى مطارا فالتقوا مع أصحاب ابن رائق فانهزمت الرائقية وأسر منهم جماعة فأطلقهم البريدي ، وكتب إلى ابن رائق يستعطفه ، وأرسل إليه جماعة من أعيان البصرة فلم يجبهم وطلبوا منه أن يحلف لأهل البصرة ليكونوا معه ، فامتنع وحلَف لئن ظفر بها ليحرقنها ويقتل كل من فيها فازدادوا بصيرة في قتاله واطمأن البريدي وأقام بالبصرة .

ثم جهز ابن رائق جيشاً آخر وسيَّره فى البَرِّ وفى الماء ، فالتقى عسكره الذي فى البَرِّ مع عسكر البريدي فانهزم الرائقية ، وأما عسكر الماء فانهم استولوا على الكلاء[2] فلما رأى أبو عبد الله البريدى ذلك ركب فى السفن وهرب إلى جزيرة أوال ، وترك أخاه أبا الحسين بالبصرة فى عسكر يحميها . فخرج أهل البصرة مع أبى الحسين لدفع عسكر ابن رائق عن الكلاء فقاتلوهم وأجلوهم عنه فسار ابن رائق بنفسه من واسط إلى البصرة على الظهر وكتب إلى بجكم ليلحق به فأتاه فيمن عنده من الجند ، فتقدَّموا وقاتلوا أهلَ البصرة فاشتد القتال . فرجع ابن رائق وبجكم إلى معسكرهم ، وأما أبو عبد الله البريدي فإنه سار إلى عماد

/ ٦٨ ـ ب

(١) الأبلة : فرضة البصرة وأحد أحيائها يقال بناها اليونان ولما جاء العرب وعمروا الخريبة أعادوا بناءها ويقول عنها القزوينى فى « آثار البلاد » صفحة ١٩٠ إنها طيبة جداً نضرة الأشجار متدفقة الأنهار (راجع الحياة الأدبية فى البصرة صفحة ٣٦ للدكتور أحمد كمال زكى ، وكذلك الخريطة الملحقة بالكتاب

(٢) حى مشهور من أحياء البصرة كانت تصل إليه المراكب من الأبلة عن طريق نهر معقل وفيه دار الرزق !

الدولة بن بويه واستجار به وأطمعهُ فى العراق وَهوَّنَ عليه أَمْرَ الخليفةِ وابنِ رائق ، فَنَفَّذَ معه أخاه معز الدولةِ وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

قال : [١] ولما سمع ابن رائق إقبالهم من فارس إلى الأهواز سيّر بَجْكَم إليها ، ثم قَصَد جماعة من أصحاب البريدىّ عسكر ابنِ رائقٍ ليلا فصاحوا فى جوانبه ، فانهزموا . فلما رأى ابن رائقٍ ذلك أمر بإحراق سوَادِه وآلاته لئلا يغنمه البريديون . وسار إلى الأهواز جريدةً [٢] وأقام بها أياما ، وعاد إلى واسط . وكان باقى عسكره قد سبقه إليها .

ودخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة :

ذكر استيلاء معز الدولة بن بويه على الأهواز

/ فى هـــذه الســـنة ســـار مُعزُّ الدَّوْلةِ أبو الحسين بنِ بويه [٣] إلى الأهواز وتلك النواحى فملكها ، وسببُ ذلك ما ٦٩ ـ ا

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٦١

(٢) فى س ورقة ٣٨ « جرنده » وفى الأصل غير منقوطة ، وبيانها « جريدة » وهى الفرقة من الخيل لا رجالة فيها .

(٣) فى عقد الجمان والكامل إشارات قوية إلى الديلمية لا سيما منذ بدء حوادث ٣٢١ وفى المنتظم ٦ : ٢٦٨ تلخيص لابتداء البويهيين ، وقد أثبت ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٣ : ٢٤٤ ، ٢٤٥ موجزاً طيبا لكل ذلك مع اختلافات لا بأس من الإلمام بها هذا ويعتبر فى مينورسكى Minorsky, V فى كتابه « دولة الديالمة » La Domination de Dailamites خير من كتب عن هذا الموضوع موجها روايات القدماء كالمسعودى والمقدسى وابن مسكوية وحمزة الأصفهانى وجهات ذكية ، هذا ويحسن مراجعة Browne, E.G.U. فى كتابه A Literary History of Persia

ذكرناه من مسير أبى عبد الله البريدى إلى عماد الدولة بن بو يه وتَرْكِ البريدى ولديه أبا الحسن محمدًا وأبا جعفر الفيّاض عند عماد الدولة رهينةً . وساروا فبلغ الخبر بجْكَم بنزولهم أرّجان [١] ، فسار لحربهم فانهزم من بين أيديهم إلى الأهواز ، ثم إلى واسط . وأرسل إلى ابن رائقٍ يعلمه الخبر ويقول له « إن العسكر يحتاج إلى المال فإن كان معك مائتا ألف درهم فأقم بواسط حتى نصل إليك وتنفق فيهم المال وإلا فالرأى أن تعود إلى بغداد » فعاد ابن رائقٍ من واسطٍ إلى بغدادَ ، ووصل بجْكَم إلى واسط .

قال [٢] : ودخل [معز الدولة] [٣] بن بويه الأهواز فأقام بها خمسة وثلاثين يومًا ، ثم هرب البريدى خوفا منه على نفسه ، وأمر جيشه الذين بالسوس فصاروا إلى البصرة ، وكاتب معز الدولة أن يُفْرِج له عن الأهواز حتى يتمكن من ضمانه ؛ فإنه كان قد ضمن الأهوازَ والبصرة من عماد الدولة فى كل سنةٍ بثمانيةَ عشرَ ألفَ ألفِ درهمٍ . فرحل عنها عسكر مكرم [٤] وأنفذ البريدى خليفته إلى الأهواز وأنفذ إلى معز الدولة يذكر خَوْفَه ويطلب منه أن ينتقل إلى السوس ليبعد عنه ويأمن بالأهواز ،

(١) أرجان : عامة العجم يسمونها أرخان كما يقول ياقوت ، ويقول الإصطخرى إنها مدينة شهيرة كثيرة الخير بها نخيل وزيتون وفواكه ، وهى برية بحرية ، سهلية جبلية مازها يسبح ، بينها وبين البحر مرحلة ، وبينها وبين شيراز ستون فرسخا وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخا أيضا .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٦٣

(٣) زيادة من ك صفحة ٣٩

(٤) أحد قواد الديلمة وكان فى صف بجكم قال ابن كثير عنه فى البداية والنهاية ١١ : ٢٠٠ بأنه أمير الأمراء ببغداد قبل بنى بويه يفهم العربية ولا يتكلم بها خشية أن يخطىء

٦٩ ـ ب فامتنع / معز الدولة من ذلك وعلم بجْكَم بذلك فأنفذَ جماعة من أصحابه واسْتَوْلَوا على السوس وجُنْدَيْسَابور وبقيت الأهواز بيد البريدى ، ولم يبق مع مُعزِّ الدَّوْلةِ من كور الأهواز إلا عسكر مكرم فاشتد الحال عليه وفارقه بعض جندِه وأراد الرجوع إلى فارس فكتب إلى أخيه عمادِ الدَّوْلة يعرِّفه الحال فأنفذ إليه جيشًا تَقَوَّى بهم ، وعاد اسْتَوْلَى على الأهواز ، وهرب البريدى إلى البصرة . واستقر ابن بويه بالأهواز ، وبَجْكَم بواسطٍ طامعا فى الاستيلاء على بغداد ومكانِ ابنِ رائقٍ ، وهو لا يُظْهِرُ ذلك .

قال(١) : ولمّا رأى أبو الفتح الوزيرُ ببغداد إدبارَ الأمور أطْمعَ ابنَ رائق فى مصر والشام ، وصاهره وعقد بينه وبين ابنِ طغْجعهدًا وصهرا وقال لابن رائق : أنا أجبى لك مال مصر والشام إن سيرتنى إليهما ! فسيره إلى الشام فى شهر ربيع الآخر .

ذكر الحرب بين بجكم والبريدى

والصلح بعد ذلك

قال : ولما أقام بجْكم بواسطٍ وعظم شأنه خافه ابن رائق أن يتغلَّبَ على العراق ، فراسل أبا عبد الله البريدى وطلب منه ٧٠ ـ ا / الصلح على بجْكَم ، فإذا انهزم تَسلَّم البريدىُّ واسطا وضمنها بستمائة ألف دينار فى السنة . فسمع بجْكَم بذلك

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٦٤
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٦٤

فاستشار أصحابَه فيما يفعله فأشاروا عليه أن يبتدئ بأبي عبد الله البريدي وأن لا يهجم إلى حضرة الخلافة ولا يكاشف ابنَ رائق إلا بعد الفراغ من البريدي . فجمع عسكَره وسار إلى البصرة يريد البريدي ، فسير أبو عبد الله البريدي جيشًا بلغت عدتهم عشرة آلاف رجل عليهم علامة أبو جعفر محمد الحمال ، فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر البريدي فلم يتبعهم بجكم وكَفَّ عنهم .ثم أرسل إلى البريدي في ثاني يوم الهزيمة يعتذر إليه مما جرى ويقول له : أنت بدأت وتَعرَّضْتَ لي وقد عفوت عنك وعن أصحابك ولو تبعتهم لقتلت أكثرَهُم (١) ، وأنا أصالحك على أن أقلدك واسطا إن ملكت الحضرة وأصاهرك ! فسجد البريدي شكرا لله تعالى وحلف لبجكم وتصالحا ، وعاد إلى واسط وأخذ في التدبير على ابن رائق

ذكر قطع يد ابن مقلة ولسانه

في هذه السنة في منتصف شوال قطعت يد الوزير أبي علي بن مقلة (٢) وكان سبب ذلك أنَّ الوزير أبا الفتح بن جعفر بن الفرات لما عجزَ عن الوزارة وسار إلى الشام اسْتَوْزَرَ الراضي بالله أبا علي ابن مقلة وليس له من الأمر شيء ، وإنما الأمْرُ والنَّهْيُ لمحمد بن رائق . ٧٠ ـ ب/
وكان ابن رائق قد قَبَضَ على أموالِ ابنِ مقلةَ وأملاكِه و أملاكِ ابنِه ،

(١) في ك صفحة ٣٩ « ولو تبعتهم لقتلتهم »

(٢) رددت كتب التاريخ هذه الحادثة منها المنتظم ٦ : ٢٩٣ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٦٢ .

فخاطبه فى ردّها فلم يفعل ، فاستمال أصحابَه وسألهم مخاطبتَه فى ردّها فوعدوه ولم يفعلوا . فلما رأى ذلك سعى بابن رائق فكاتب بجكم يُطْمِعُه فى موضعِ ابنِ رائقٍ ، وكتب إلى وشمكير مِثْلَ ذلك، وكتب إلى الراضى باللهِ يشير عليه بالْقَبْضِ على ابنِ رائقٍ وأصحابِه ويضمن أنه يستخرج منهم ثلاثةَ آلافِ ألفِ دينارٍ ، وأشار باستدعاء بجكم وإقامته مقام ابنِ رائق فأطمعه الراضى وهو كاره لما قاله ، فعجل ابن مقلة وكتب إلى بجْكَم يعرفه إجابةَ الراضى ويستحثه على الحركة والمجيء إلى بغداد . وطلب ابن مقلةَ من الراضى باللهِ أن ينتقلَ ويقيمَ عنده بدارِ الخلافة إلى أن يتم على ابنِ رائقٍ ما اتَّفَقَا عليه ، فأذِن له فى ذلك فحضر متنكرا فى آخر ليلةٍ من شهر رمضان . فلما حضر إلى دارِ الخلافةِ لم يصل إلى الراضى وأمر باعتقالِه فاعتُقِل فى حجرةٍ .

فلما كان من الغد أرسل الراضى إلى ابن رائقٍ يعرفه الحال ، وعرَض عليه خطَّ ابنِ مقلةَ ، وما زالت الراسل تتردد بينهما فى المعنى إلى منتصف شوال ، فأخرج ابنَ مقلةَ من محبسه وقُطِعتْ يدُه ، وعولج فبرأ .

ثم كاتب الراضى يخطب الوزارة ويذكر / أنَّ قَطْع يده لم يَمْنَعْه ٧١ - ا
من عمله ، وكان يشدُّ القَلَم على يده المقطوعةِ ويكتب ، فلما قرب بجكم من بغداد سمعَ الخدمَ يتحدثون بذلك فقال : إن وصلَ بجْكَم فهو يستخلصنى وأكافئُ ابن رائقٍ ! وصار يدعو على من ظَلَمه وقَطَع يده ، فوصل خَبَرُه إلى الراضى بالله وابن رائقٍ فأمر

بقطع لسانه ، ثم نقل فى محبس ضَيِّقٍ ولم يكن عنده من يخدمه ، فآلت به الحال إلى أن كان يستقى الماء من البئر بيده اليسرى ويمسك الحبل بفيه وناله شقاء شديدٌ إلى أن مات فى حادى عشر شوال سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة ودفن بدار الخلافة

ثم إن أهله سألوا فنُبش وسُلِّم إليهم فد فنوه ، ثم نبشته زوجته ودفنته فى دارها . ومن العجب أنه ولى الوزارة ثلاث دفعات ، ووَزَرَ لثلاثة خلفاء وسافر ثلاث سفرات اثنتين منفيا إلى شيراز وواحدة إلى الموصل فى وزارته ، ودفن بعد موته ثلاث مرات وخُصَّ به من خده ثلاثة ، وكان فى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة فى شهر ربيع الآخر ضرب ابن شَنَّبُوذ[1] سَبْع درر لقراءات أُنكِرَتْ عليه ، فدعا عليه بِقَطْع اليَدِ وتشتيت الشَّمْلِ ، فاستجاب الله له !

ذكر استيلاء بجكم على بغداد / ٧١-ب

وشىء من أخباره وكيف تَنَقَّلَتْ به الحال إلى أن بلغ هذه الرتبة[2]

قال ابن الأثير الجزرىّ فى تاريخه الكامل[3] : كان بجكم هذا

(١) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب المقرىء البغدادى ، ويعرف بابن شنبوذ بتشديد النون وضم الباء على ما ذكر فى الأصل ، س ، ف وفى شذرات الذهب ٢ : ٢٩٧ والمنتظم ٦ : ٢٧٥ وابن شنبور على ماذكر فى النجوم الزاهرة ٣ : ٢٤٨ وقد توفى سنة ٢٧٤ ، وأثر عنه قراءات استنكرها علماء عصره كأبى بكر بن مجاهد وعمر بن أبى عمر محمد بن يوسف القاضى ، وأجبر على أيام ابن مقلة أن يقتر بخطته غصبا ويستتيب ومن ثم نفى إلى البصرة . ومن القراءات التى أخذ بها « فامضوا إلى ذكر الله فى الجمعة » و « تبت يدا أبى لهب وقد تب » وه تكون الجبال كالصوف المنفوش » .

(٢) كذا فى الأصل وفى . ف وأما فى ك صفحة ٤٠ فالعنوان « ذكر استيلاء بجكم على بغداد وشىء من أخباره ، وابتداء أمره ، وكيف تنقلت به الحال إلى أن بلغ هذه المرتبة »

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٦٦

من غلمان أبي العارض وزير ما كان بن كالى الدَّيْلَمى فطلبه ما كانُ منه فوهبه له ، ثم فارق ما كان مع من فارقه . من أصحابه ، والتحق بمرداويج ، وكان من جملة من قتله ، وسار إلى العراق والتحق بمحمد بن رائق . وكان من أمره ما ذكرناه ، فلما استقر بواسط. تعلقت همته بالاستيلاء على حضرة الخليفة ، وهو مع ذلك يظهر التبعية لابن رائقٍ ، وكان على أعلامه وتراسه بجكم الرائقى . فلما وصلته كتب [الوزير] (١) لابن مقلة تذكر أنه اسْتَقَرَّ مع الراضى أن يقلده إمْرة الأُمراء زاد طَمعُه فى ذلك وكاشف ابنَ رائق وقلع نسبته إليه من أعلامه ، وسار من واسط. نحو بغداد فى غرة ذى القعدة . واسْتَعَدَّ ابن رائقٍ لحربه وسأل الراضىَ أن يكتب إلى بجكم يأمره بالعوْد إلى واسط. ، فكتب إليه فلما قرأ الكتاب ألقاه من يده وسار حتى نزل شرقى نهر ديالى . وكان أصحابُ ابنِ رائقٍ على غَيْرِ تَعْبِئَةٍ ، فألقى أصحاب بجكم نفوسهم فى الماء فانهزم أصحابُ ابنِ رائقٍ ، وعبر أصحاب بجكم وساروا إلى بغداد ، وخرج / ابن رائقٍ عنها إلى عكبرا . وكان دخول بجكم بغداد فى ثالث عشر ذى القعدة ، ولَقِىَ الراضىَ مِنَ الغَدِ وخلَع عليه وجعله أمير الأُمراء ، وكتب كتابا عن الراضى إلى القواد الذين كانوا مع ابنِ رائقٍ بالرجوع إلى بغداد ، ففارقوه جميعهم وعادوا . فلما رأى ابن رائقٍ ذلك عاد ٧٢ ـ ا

(١) زيادة من ك صفحة ٤٠

إلى بغداد واستتر ، فكانت مدة إمارته سنةً واحدةً وعشرة أشهرٍ وستةَ عشرَ يوماً .

ودخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة :

ذكر مسير الراضى بالله وبجكم الى الموصل

وظهور ابن رائق ومسيره إلى الشام

فى هذه السنة فى المحرم سار الراضى وبجْكَم إلى المَوْصِل وديار ربيعة لِقَصْدِ ناصرِ الدَّوْلَةِ ابن حمدان ، فإنه كان قد أخّر المال المُقَرَّر عليه من ضمان البلادِ ، فلما بلغا تكريت [1] أقام الراضى بها وسار بجكم ، فلقيه [ناصر الدولة] [2] بن حمدان على سِتَّةِ فراسخ من الموصل ، فاقتتلوا قتالا شديدًا ، فانهزم ابن حمدان إلى نصيبين وتبعه بجكم إليها ، فسار إلى آمد ثم وقع الصُّلْحُ بينهما على أن يحمل ابن حمدانَ خمسمائة ألف درهم معجلة فأجابه إلى ذلك .

قال[3] : وفى هذه الغيبة ظهر ابن رائق ببغداد واستولى عليها ولم يتعرض لدار الخليفـــــة / فعاد الراضى وبجكم إليها فراسلهما ابن رائق فى طلب الصلح فأجابا إلى ذلك ، فعقد له الخليفة على طريق الفرات ، وديار مضر حَرّان والرُّها وما ٧٢ ـ ب

(١) فى «أ» غير منقوطة وفى ك صفحة ٤٠ « تكرنت » بتصحيف وما هنا عن ف صفحة ٤٣ ـ ب

(٢) زيادة من ك صفحة ٤٠

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٦٩

جاورهما ، وجند قنسرين والعواصم ، فأجاب ابن رائق أيضا وسار عن بغداد إلى ولايته ، ودخل الراضى وبجكم بغداد فى تاسع شهر ربيع الآخر ، ثم استولى ابن رائقٍ على الشام ومَلَكَ مدينةَ حِمْص ثم سار إلى دمشق وبها بدْرُ بن عبد الله الإخشيدى المعروف بِبُدَيْر واليا عليها من قبل الإخشيد ، فأخرجه ابن رائق وملكها . وسار إلى الرَّمْلَةِ وإلى عريش مصر يريد الدِّيار المصرية ، فلقيه الإخشيدُ وحاربه فانهزم الإخشيد . واشتغل أصحابُ ابن رائقٍ بالنَّهْب ونَزلوا فى خيم الإخشيدية ، فخرج عليهم كمينٌ للإخشيدِ فأوقع بهم وهزمهم ، فنجا ابن رائق فى سبعين رجلا ووصل إلى دمشق فى أقبح صورة .

فسيَّر إليه الإخشيد أخاه أبا نصر بن طغج فى جيش كثيف ، فالْتَقَوْا فى رابع ذى الحجة سنة ثمان وعشرين فانهزم الإخشيديون وقتل أبو نصر فأخذه ابن رائق وكفَّنه وحمَلَه إلى أخيه بمصر ، وأنفذ معه ابنه مزاحما ، وكتب إلى الإخشيد يعزِّيه بأخيه ويعتذر مما جرى ويحلف أنه ما أراد قَتْلَه ، وأنه قد أنفذ ابنَه ليُقيده به إن أحبَّ ذلك ، / فَلَقِيَ الإخشيدُ مزاحمَ بنَ محمدِ بنِ رائق بالجميل ٧٣ ـ ا
وخَلَعَ عليه وَرَدَّه إلى أبيه واصطلحا ، على أن تكون الرَّمْلَة وما وراءها إلى مصر للإخشيد وباقى الشام لمحمد بنِ رائقٍ ، ويحمل إليه الإخشيدُ عن الرَّمْلة فى كلِّ سنةٍ مائةَ أَلفِ دينارٍ وأربعين ألف دينارٍ .

نعود إلى أخبار الراضى وبجكم .

ذكر وزارة أبي عبد الله البريدى

للخليفة الراضى بالله

وفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة سعى أبو جعفر محمد بن يحيى بن شِيرْزاد [١] وزير بجكم فى الصلح بين بَجْكَم والبريدىّ[٢] حَتَّى تَمَّ وضمن البريدىُّ أعمالَ واسطٍ بستمائة ألفِ دينارٍ فى كل سنة . ثم شرع ابن شيرزاد فى تقليد البريدىّ الوزاره ، فأرسل إليه الراضى فى ذلك فأجاب إليه ، وذلك فى شهر رجب واستناب بالحضرة عبد الله بن على النقرى .

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى :[٣] كان الحج قد بطَلَ من سنة سبع عشرةَ وثلاثمائة . فلم يحج أحدٌ من العراق ، فلما كان فى هذه السنة كاتَب أبو على عمر بن يحيى العلوي القرامطَةَ وسألهم أن يؤمِّنوا الحاج ليسيرَبهم ويعطيهم عن كل جمل خمسةَ دنانير ومن المُحمَّلِ سبعةَ دنانير ، فأذنوا له فى الحج فحج الناسُ . وهى أوَّل سنة مَكَس [٤] فيها الحاجُّ . وخرج فى تلك السنة القاضى أبو على بن أبي هريرة الشافعى فلما طولب بالخفارة لوى راحلته

---

(١) فى ك ، ف « وأبو عبد الله البريدى » والخطأ اللذ وى واضح .

(٢) كذا فى ا ، ف وفى ك صفحة ٤١ « شيرازاد » وقد رسمه ابن الأثير بما أثبتناه. وقال إنه أبو جعفر محمد بن يحيى بن شير زاد .

(٣) فى المنتظم ٦ : ٢٩٦

(٤) مكس : مكس فى البيع يمكس إذا جبى مالا ، والمكس دراهم تؤخذ من بائعى السلع فى السوق أو درهم كان يأخذه المتصدق بعد دفع الصدقة ، ولكنه ها هنا ضريبة ، وقد قال ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٣ : ٢٦٤ « وهى أول سنة أخذ فيها المكس من الحجاج »

ورجع وقال : لم أرجع شحاً على الدراهم ولكن قد سقط الحج بهذا المكْس !

ودخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة : فى هذه السنة سار ركن الدولة أبو عـلى الحسن بن بويه إلى واسط. فنزل بالجانب الشرقى ، وكان البريدى بالجانب الغربىّ فاستأمن من أصحاب ابن بويه مائةٌ إلى البريدى [١] . ثم سار الراضى وبجكم من بغداد نحو واسط. يريدان حَرْب ابن بويه فعاد إلى الأهواز ثم إلى رامهرمُز (٢) .

وفيها استولى بجكم على واسط. فى ذى الحجة ، وسار إليها ففارقها ابن البريدى إلى البصرة ، وأسقط. بجكم اسم البريدى من الوزارة ، وجعل مكانه أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد .

ودخت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

ذكر وفاة الراضى بالله وشىء من أخباره

كانت وفاته فى منتصف شهر ربيع الأول من هذه السنة ، وكانت مدة خِلَافَتِه سِتَّ سنين وعشرةَ أشهر وعشرةَ أيام ، وعمره / اثنتان ٧٤ ـ ا
وثلاثون سنة وأشهراً [٣] ، وكانت علّته الاستسقاء ، وكان أديبا شاعراً ، فمن شعره :

---

(١) فى ك صفحة ٤١ « فى هذه السنة سار ركن الدولة أبو على الحسين إلى واسط فنزل بالجانب الشرقى ، وكان البريدى بالجانب الغربى ، فاستأمن من أصحاب ركن الدولة بن بويه مائة إلى البريدى » والخطأ والزيادة واضحان !

(٢) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحى خوزستان تجمع النخل والجوز والأترنج ، والعامة يسمونها رامز ، هى بالفارسية مراد هرمز لأن رام بالفارسية المراد والمقصود .

(٣) فى البداية والنهاية والنجوم الزاهرة أن عمره يوم مات إحدى وثلاثون سنة وعشرة أشهر ، وفى المنتظم أحدى وثلاثون سنة وثمانية أشهر ، ودفن فى تربته بالرصافة .

يَصْفَرُّ وجهى إذا ما تـأمَّله طرفى ويحمَرُّ وجهـه خجلا
حتى كأنّ الذى بوجنتـه من دم جسمى إليه قدنُقِلا[1]

وقال يرثى أباه المقتدر بالله :

ولو أنَّ حيًّا كان قبرًا لميِّتٍ لصيَّرْتُ أحشائى لأعظُمِهِ قبرا
ولو أنَّ عمرى كان طَوْع مشيئتى وساعدنى التقديرُ قاسمتُه العمرا
بنفسى ثَرًى ضاجعتُ فى تربةِ البِلى لقدضَمَّ منك الغَيْثَ والليْثَ والبدرا

وكان سَمْحًا سخيا ، يحبُّ محادثةَ الأُدباء والفضلاء . وكان الراضى بالله أسْمَرَ أعْيَنَ ، خفيفَ العارِضَيْن . وختَم الخلفاء فى عِدَّةِ أشياءِ فمنها أنه آخرُ خليفةٍ له شعرٌ يُدَوَّن ، وآخرُ خليفةٍ خَطَب على المنبر كثيرًا – وإن كان غيره خَطَب نادرًا – وآخرُخليفة جالس الجلساء ووصَل النُّدماء ، وآخرُ خليفة كانت [له][2] نفقاته وجوائزه وعطاياه وخزائنه ومطابخه وجراياته وخدّامه وحجّابه وأموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين[3] . وكان له من الأولاد أبو جعفر أحمد ، وأبو الفضل عبد الله .

وزراوه : أبو على بن مقلة ، وابنه الحسن ، ثم عبد الرحمن بن عيسى ، ثم محمد بن القاسم الكرخى ، ثم سليمان بن الحسين بن

(١) يورد ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٨٤ البيتين باختلاف جد يسير منسوبين لابن رائق ، وفى النجوم الزاهرة ٣ : ٢٧٦ أن الصولى ينسبهما لابن رائق أيضا مقرراً أنهما فى فتاة مشرقية ، ولكن ابن كثير يوافق ابن الأثير ويثبت له أيضا الأبيات الثلاثة التالية (البداية والنهاية ١١ : ١٩٧)

(٢) زيادة من الكامل ٦ : ٢٧٧ يقتضيها السياق

(٣) يقول ابن كثير : وآخرهم انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، البداية والنهاية ١١ : ١٩٧)

٧٤ـب مخلد ، ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ، ثم أبو عبد الله البريدى .

قضاته : عمر بن محمد بن يوسف ، ثم ابنه يوسف بن عمر

حجابه : محمد بن ياقوت ، وذكا مولاه

الأمير بمصر : الإخشيد محمد بن طغج بن جُفّ الفرغانى

القضاة بها : محمد بن الحسن بن أبى الشوارب من قبل الراضى واستخلف أبا بكر محمد بن بدر [1] ، ثم صرفه بعبد الرحمن بن أحمد بن الزين ، ثم ولّى الإخشيد الحسين بن محمد بن أبى زُرْعة القضاء ، واستخلف له أبا بكر محمد بن أحمد بن الحدّاد الشافعى ، ثم وزد العهدُ للحسين بن محمد بن أبى زرعة من قِبَلَ محمد بن أبى الشوارب ، ثم صرفه محمد بأبى نصر يوسف بن عمر بن أبى عمر القاضى ، وأقرّ الحسين بن أحمد إلى أن توفى وأبو بكر بن الحداد خليفته ، ثم صرف يوسف بن عمر عن قضائها بمحمد بن أبى الشوارب واستخلف أحمد بن بدر ثانية ، ثم صرف ابن أبى الشوارب بالحسين بن عيسى بن هارون فأقرّ محمد بن بدر ، ثم عاد ابن أبى الشوارب فاستخلف عبيد الله بن أحمد بن رزين ، ثم استخلف عبد الله بن الوليد من قِبَلِ الحسين بن على

٧٥ـ١ / ذكر خلافة المتقى لله

هو أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله ، وأمّه أم ولدٍ اسمُها خَلوبُ . وهو الخليفة الحادى

(١) فى ك صفحة ٤٢ « ابن زيد »

والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بو يع له يوم الأربعاء لعشرٍ بقين من شهر ربيعٍ الأول سنةَ تسع وعشر ين وثلاثمائة .

قال [١] : ولما مات الراضى بالله بقيَ الأَمْرُ فى الخلافة موقوفًا انتظارًا لورود خبرٍ من بجْكَم ، فإنه كان بو اسط. واحتيط. على دار الخلافة . فَوَرد كتاب بَجْكَم مع كاتبه أبي العباس عبد الله الكوفى يأمر فيه بأَن يجتمع مع أَبي القاسم سليمان بن الحسن وزير الرّاضى وكلٌّ منْ تَقَلَّدَ الوزارةَ وأَصحابُ الدواوين والعلويون والعباسيون والقضاة ووجوهُ البلد ويشاورهم الكوفى فيمن يُنْصَبُ للخلافة مِمَّنْ يَرْضَى مذْهبَه وطريقَه . فجمعهم الكوفى واستشارهم ، فذكر بعضهم إبراهيم بن المقتدر وتفرَّقوا على هذا ، فلما كان الغدُ اتَّفَق النَّاسُ عليه فأَحضروه إلى دارِ الخلافة وبويع له فى التاريخ الذى تقدم ، وعرضت عليه أَلقابٌ فاختار منها المتقى لله . وبايعه / الناسُ كافَّةً ٧٥ـ ب وسيَّر الخِلَعَ واللواءَ إلى بَجْكَم بو اسط. [٢] وكان بجكم بعد موت الراضى وقبل استخلاف المتقى أَرسل إلى دار الخلافة أَخذ منها فرُشًا وآلاتٍ كان يستحسنها ، وجعل سلامة الطولونى حاجبه ، وأَقَرَّ سليمانَ بنَ الحسين على وزارته وليس له من الوزارة إلا اسمُها والتد بير كله للكوفى كاتب بَجْكَم [٣] .

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ ؛ ٢٧٧ وفى البداية والنهاية ١١ : ١٩٨ أخبار أخرى عنه

(٢) فى ا « إلى بجكم إلى واسط » وما هنا من الكامل ٦ : ٢٧٨ .

(٣) فى س « والتدبير كله لأبى عبد الله الكوفى كاتب بجكم »

ذكر مقتل بجكم

كان سبب قتله أن أبا عبد الله البريدى أنفذ جيشًا من البصرة إلى المذار ، فأنفذ بجكم جيشا إليهم عليه توزون [١] فاقتتلوا قتالا شديدا . كانت الحرب أولا على توزون فكتب إلى بجكم أن يلحق به فسار من واسط. فى منتصف شهر رجب ، فَلَقِيَهُ كِتَابُ توزون « أنه ظفر بهم وهزمهم » فأراد الرجوعَ إلى واسط. ، فأشار عليه بعض أصحابه أن يتصيَّد فقبل منه وتصيَّد حتى بلغ نهر جور [٢] ، فسمع أن هناك أكرادًا لهم مال وثروة فَشَرِهتْ نفْسُه فى أموالهم فقصدهم فى قلة من أصحابه وهو بغير جُنَّةٍ [٣] تقيه ، فهرب الأكرادُ من بين يَدَيْه فأتاه غلامٌ من الأكراد من خلفه وطعنه فى خاصرته فقتله وهو لايعرفه ، وذلك لأربعٍ بقين من شهر رجب / واختلف ٧٦ ـ ا
عسكره فَمَضَى الدَّيْلَمُ خاصةً نحو البريدى ـ وكانوا ألفا وخمسمائةً ـ فأحسن إليهم وأضعف أرزاقهم وأوصلها إليهم دفعة واحدةً ، وعاد الأتراك إلى واسط. وكان تكينك محبوسا بها ـ حبسه بجْكَم ـ فأخرجوه فسار بهم إلى بغدادَ وأظهروا طاعة المتقى . وصار أبو الحسين أحمد بن ميمون يدبِّر الأمورَ .

قال [٤] : واستولى المتقى لله على دار بجكم وأخذ ما فيها ،

---

(١) فى تجارب الأمم « وأنفذ نوشتكين وتوزون فى جيش للقائه » وتوزون هو أبو الوفاء التركى وكان متغلبا على ما أبقاه بجكم للخليفة من سلطان .

(٢) جور : مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخا وأهل فارس تسميها كور ، أى القبر فى الفارسية ، ولكنها مدينة نزهة طيبة على قول ياقوت فى معجم البلدان

(٣) الجنة : كل ما وقى (المحيط)

(٤) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٧٩

وكان مبلغ ما أخذه من دفائنه ألف ألف ومائتى ألف دينار[١] ، وكانت مدة إمارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام

ذكر اصعاد أبى عبد الله البريدى الى بغداد

قال[٢] : لما قُتِلَ بجْكَم وسارت الدَّيْلَمُ إلى [أبى عبد الله][٣] البريدى تَقَوَّى بهم وعظمتْ شوكته ، فأصعدوا من البصرة إلى واسط فى شعبان ، فأرسل المتقى إليهم يأمرهم أنْ لا يصْعدوا فقالوا : نحن محتاجون إلى مال ! فأنفذ إليهم مائةَ ألفٍ وخمسين ألف دينارٍ ، فقال الأتراك للمتقى : نحن نقاتل بنى البريدىّ فأطلقْ لنا مالاً وانصبْ لنا مُقَدّما ! فأنفق فيهم وفى جند بغدادَ القدماء أربعمائةَ ألف دينارٍ وجعل عليهم سلامةَ الطولونى ، وبرزوا مع المتقى لله إلى نهر دَيالى[٤] يوم الجمعة لثمان بقين من شعبان . وسار البريدى من واسط إلى بغداد ، فلما قرب منها اختلفت الأتراك البجكمية ، واستأمن بعضهم إلى البريدى ، وبعضهم [استتر][٥] وسار إلى الموصل ، واستتر سلامة الطولونىُّ وأبو عبد الله الكوفى ، ولم يحصل الخليفة

(١) فى المنتظم ٦ : ٣٢٢ أن المتقى لما سمع بمصرعه ركب إلى داره فنزلها ونقل مافيها وحفر بها أماكن حصل منها على مايزيد على ألفى ألف عينا وورقا وغسل التراب فخرج منه ستة وثلاثون ألف درهم ، وقيل ظهر ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار عينا ، وبيع له من أصناف الجواهر والأوانى والسلاح والكساء والرقيق أمر عظيم ، سوى مانهب وتلف ، ثم ظهر مال عظيم فى داره غير ماظهر أولا وكان عبارة عن ستة عشر قمقما من الذهب يحمل القمقم فى الدهق لثقله !

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٧٩

(٣) زيادة من ك ٤٣

(٤) نهرديالى : نهر كبير قرب بغداد وهو نهر تامرا بعينه أو نهر بعقوبا الأعظم ويعتبر الحد بين طريق خراسان والخالص .

(٥) زيادة من ك ٤٣

إلا على أخراج المال [١] . وَهَمَّ أربابُ النِّعَمِ والأموالِ بالانتقال من بغدادَ خوفًا من ظلم البريدى وَتَهَوُّرِه .

ودخل أبوعبد الله البريدى إلى بغداد فى ثانى شهر رمضان ونزل بالشفيعى ، ولَقِيَه الوزيرُ أبو الحسين والقضاة والكتّابُ وأعيان الناس . وأنفذ إليه المتقى يُهنِّئه بالسلامة ، وأنفذ له طعاما وغيْره عدّةَ ليالٍ ، وكان يخاطَبُ بالوزير ، وكذلك أبو الحسين بن ميمون وزير الخليفة ، . ثم عُزِل أبو الحسين ، وكانت مدة وزارته ثلاثةً وثلاثين يوما ، وقَبَضَ عليه وسيَّرَه إلى البصرة فحبسه بها إلى أن مات فى صفر سنة ثلاثين .

قال [٢] : ثم أنفذ البريدىُّ إلى المتقى لله يطلب منه خمسمائةَ ألف دينارٍ ليفرِّقَها فى الجند ، فامتنع فأرسل إليه يَتَهَدَّدُه ويذكِّرُه بما جرَى على المعتز والمستعين والمهتدى ، وترددت الرسائل حتى أنفذ إليه تَمَام خمسمائةِ ألفِ دينارٍ ، ولم يلْقَ أبو عبد الله البريدىُّ المتّقى ١٧٧ـ١
مدةَ مقامِه ببغدادَ [٣] .

ذكر عود البريدى الى واسط هاربا

قال [٤] : كان البريدى يأمر الجند بطلب الأموال من الخليفة ، فلما أنفذ إليه الخليفة المالَ انصرفت أطماعُ الجند عن الخليفة

---

(١) أخراج المال : جمع كالأخاريج وأخرجة ، المفرد خراج وخرج وهو الإتاوة

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٨٠

(٣) فى ك ٤٣ « وترددت الرسائل حتى أرسل إليه تمام خمسمائة ألف دينار ، ولم يلق أبو عبد الله البريدى الخليفة مدة مقامه ببغداد »

(٤) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٨٠

إلى البريدى ، فشغب الجند عليه . وكان الديلم قد قدّموا على أنفسِهم كورتكين الديلمى ، وقدّم الأتراك عليهم تكينك التركى غلام بجكم . وسار الدّيْلمُ إلى دار البريدى فأحرقوا دار أخيه أبي الحسين التى كان ينزلها ، وانضاق تكينك التركى إليهم واتفقوا على قَصْدِ البريدىّ ونَهْبِ ماعنده . فساروا إلى النجمى ووافقهم العامة ، فقطع البريدىُّ الجِسْر ووقعت الحرب فى الماء ووثَبَ العامّة بالجانب الغربى على أصحابِ البريدىِّ ، فهرب هو وإخوته وابنه وانحدروا فى الماء إلى واسط ، ونهبت داره ودور قواده ، وكان هربُه فى سابع شهر رمضان من السنة .

ذكر امارة كورتكين الديلمى

لما هرب البريدى استولى كورتكين الديلمى على الأمور ببغداد ، ورَحل إلى المتقى لِلّهِ فقلّده إمارةَ الأمراء ، وخلع عليه . واستدعى المتقى / علىَّ بنَ عيسى وأخاه عبد الرحمن ، فأمّر ٧٧ ـ ب عبدَ الرحمن فدبّر الأمر من غير تسميته بوزارة ، ثم قبض كورتكين على تكينك[1] التركى فى خامس شهر شوال وغرّقه وتفرّد بالأمر . ثم اجتمع العامّة يوم الجمعة سادس شوال وتظلموا من الدّيْلم ونزولِهم فى دورِهم فلم يُنْكَرْ ذلك ، فمنعوا الخطيبَ من الصلاة واقتتلوا هم والديلمُ فقُتِلَ من الفريقين جماعة .

(١) كذا فى ف صفحة ٤٦ ـ ا ، وفى المصورتين ك ، ا « تكنيك » خلاف مافى المظان .

ذكر عود محمد بن رائق الى بغداد

وولايته إمرة الأُمراء

كان سبب عوْدِه أن الأَتراك البجكمية لما ساروا إلى الموصل لم يرَوْا عند ابن حمدان ما يريدون ، فساروا نحو الشام إلى ابنِ رائق ، وكان فيهم من القوّادِ توزون وجُخجُخ ونوشتكين وصيغون . فلما وصلوا إليه أطمعوه فى العَوْدِ إلى العراق ، ثم وَصَل إليه كُتُبُ المتقى تستدعيه ، فسار من دمشق فى العشرين من شهر رمضان واسْتَخْلَفَ على الشام أبا الحسن أحمد بنَ على بن مقاتل ، وسار حتّى وصل إلى الموصل فتَنحّى عن طريقه ناصر الدولة . ابن حمدان ، ثم تراسلا وتصالحا على مائة ألف دينار يحملها [ناصر الدولة] [1] ابن حمدان إليه

وسار ابن رائق إلى بغداد ، وخرج كورتكين إلى عكبرا ، ووصل / إليه ابن رائق فوقعت الحربُ بينهما عِدَّةَ أيام . فلما ٧٨ـ١
كان ليلة الخميس لتسع بقين من ذى الحجة سار ابن رائق ليلا من عكبرا هو وجيشه فأصبح ببغداد ، فدخلها من الجانب الغربى ، ونزل فى النجمى ، وعبر من الغد إلى الخليفة فلقبه ، وركب المتقى معه .

ووصل فى هذا اليوم بعد الظهر كورتكين من الجانب الشرقى بجميع جيشه وهم يستهزئون بأصحابِ ابن رائق ويقولون : أين نزلت هذه القافلة الواصلة من الشام ؟ ولما دخل كورتكين

(١) فى ا اضطراب فى النقط وفى ك ٤٤ بلا نقط وما هنا عن ف صفحة ٤٦ ـ ا

بغداد أيس [١] ابن رائقٍ من ولايتها وعزَم على العود ، وأمر بحمل أثقاله فَرُفِعَت ، ثم عزم على أن يناوشَهم شيئا من قتالٍ قبل مسيره ، فأمر طائفةً من عسكره أن يعبروا دجلة ويأتوا الأتراك من ورائهم . ثم ركب هو فى سميرية وركب معه عِدَّةٌ من أصحابه فى عشرين سميرية ووقفوا يترامون بالنشاب ، ووصل أصحابه وصاحوا من خلفهم ، واجتمعت العامة وصاحوا على أصحاب كورتكين فانهزم هو وأصحابه واختفى هو . وَرجمتْهُم العامَّةُ بالآجُرِّ وغيره ، وَقَوِىَ أمر ابن رائق ، وقَتَل من أساء إليه من الدَّيْلم وكانوا نحو أربعمائة ، وقتل من قوادهم بضعة عشر رجلا ، وخلع عليه المتقى وجعله أميرَ الأُمراء ، ثم ظفر بكورتكين فحبسه بدار الخليفة .

وفى هـذه السنة فى شوال استوزر المتقى لله / أبا إسحاق محمد ٧٨ ـ ب
ابن أحمد الإسكافى المعروف بالقراريطى بعد عَوْدِ البريدى ، وجعل بدرًا الخرشنى [٢] حاجبه ، فبقى وزيرًا إلى الخامس والعشرين من ذى القعـدة فقبض عليه كورتكين واستوزر بعـده أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى ، فبقى وزيرًا إلى الثامن والعشـرين من ذى الحجة منها فعزله ابن رائق ، ودبَّر الأُمورَ أبوعبد الله أحمد الكوفى كاتب ابنِ رائقٍ من غير تسمية بوزارة .

---

(١) أيس : لغة فى يئس

(٢) فى ا « الجوشنى » وفى ك ٤٤ « الجرشى » وما هنا عن البداية والنهاية ١١ : ٢٠٣ ، والكامل نسبة إلى خرشنة إحدى بلاد الروم قرب ملطية .

وفيها انقطع الغَيْث بالعراق فاستسقى الناس فى شهر ربيع الأول فسقوا مطرا قليلا لم يَجْرِ منه ميزاب ، فاشتد الغلاء والوباء وكثر الموت حتى دُفِنَ الجماعة فى القبر الواحد من غير غسْلٍ ولا صلاةٍ عليهم ، ورخص العقار والأثاث ببغداد حتى بيع ما ثمنه دينار بدرهم ، وانقضى تشرين الأول وتشرين الثانى وكانون الأول وكانون الثانى وشباط الأول ولم يمطر الناس غير المطرة التى كانت عند الاستسقاء ، ثم جاء المطر فى آذر ونيسان .

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى فى سبب هذا المطرِ بِسَنَد رفَعه إلى أبى محمد الصُّلَيْحى[1] الكاتب أنه قال : لما نادى المتقى فى زمن خلافته فى الأسواق أن أمير المؤمنين يقول لكم معشرَ رعيته : إنَّ امرأةً صالحةً رأت النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى منامها فشكت / احتباسَ المطرِ فقال لها : « قولى للناس يخرجون ١٧٩ ـ ا
فى يوم الثلاثاء الأدنى ويستسقون ويدعون فإنه يسقيهم فى يومهم » وإن أمير المؤمنين يأمركم كما أمركم رسول الله صلى الله وسلم عليه ، وأن تدعوا وتستسقوا بإصلاحٍ من نيَّاتكم وإقلاعٍ عن ذنوبكم — قال — فأخبَرَنى الجمُّ الغفيرُ[2] أنهم لما سمعوا النداء ضَجَّتِ الأسواق بالبكاء والدعاء ، فشق ذلك علىّ وقلت : « منامُ امرأةٍ لا نَدْرِى ما تأويله ، هل يصحُّ أم لا ، ينادى به فى الأسواق فى مدينة السلام ، فإن لم يسقوا كيف يكون

(١) فى المنتظم ٦ : ٣١٩ وفيه « الصلحى » ؛ وما هنا عن ا ، ت ٤٦ — ب ، ك صفحة ٤٤

(٢) فى ا وغيرها « والخبير فى الجما الغفر » وما هنا عن ابن الجوزى فى المنتظم .

حالنا مع الكفار ؟ فليته أمر الناس بالخروج ولم يذكر هذا ، وما زلتُ قَلِقًا حتى أتى يوم الثلاثاء فقيل لى : إن الناس قد خرجوا إلى المصلى مع أبى الحسين أحمد بن الفضل بن عبد الملك إمام الجامع ، وخرج أكثر أصحابِ السلطان والفقهاء والأشراف ، فلما كان قبل الظهر ارتفعت[1] سحابة ثم طبقت الآفاق ثم أسلت غزالتها[2] بمطر جود ، فرجع الناس حفاة من الوَحَل.

ودخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة

ذكر وزارة أبى عبد الله البريدى

/ فى هـذه السنة وَزَرَ أبـو عبـد الله البريدى للخليفة ٧٩ ـ ب
المتقى لله ، وسبب ذلك أن ابن رائق استوحش منه لأنه أخّر حمل المال وانحدر إلى واسط عاشر المحرم ، فهرب البريدى إلى البصرة وسعى أبو عبد الله الكوفى للبريدى وإخوتِه حتى عادوا وضمنوا بقايا واسط بمائة وتسعين ألفَ دينارٍ ، وضمنوها كلَّ سنة بستمائة ألفِ دينارٍ . وعاد ابن رائق إلى بغداذ فشغب الجندُ عليه ثانى شهر ربيع الآخر وفيهم توزون وغيرُهُ من القواد ، وتوجَّهُوا إلى البريدى فى العُشْر الآخر من شهر ربيع الآخر بواسط ، فقوى بهم فاحتاج ابن رائق إلى مداراته فكاتبه بالوزارة ، وأنفذ إليه

(١) فى ك ٤٥ « انقضت »

(٢) كذا فى ف صفحة ٤٧ ـ ا وما فى ا ، ك مضطرب عزاليها : مصبات الماء من الراوية ، المفرد عزلاء وتطلق أيضا على فم الراوية ، اى الأعلى الذي يصب الماء فيه أولا (المحيط)

الخِلَعَ واستخلف أبا عبد الله بن شيرزاد . ثم وردت الأخبار إلى بغدادَ فعزم البريدىُّ على الإصعاد إلى بغداد ، فأزال ابنُ رائقٍ اسم الوزارةِ عنه ، وأعاد أبا إسحاق القراريطى ولُعِن بنو البريدى على المنابر بجانبى بغداد .

ذكر استيلاء البريدى على بغداد
وإصعاد المتقى لله إلى الموصل

قال (١) : وسير أبو عبد الله البريدى أخاه أبا الحسين إلى بغداد فى / جميع الجيش من الأتراك والدَّيْلم ، فعـــزم ابنُ رائقٍ عـــلى ٨٠ ـ ا
أن يتحصن بدار الخلافة ، فأصلح سورَها ونَصَب عليها العرّادات(٢) والمجانيقَ وعلى دجلة ، وأنهض العامة وجَنَّد بعضهم ؛ فثاروا فى بغداد وأحرقوا ونهبوا ، وأخذوا الناسَ ليلا ونهارا . وخرج المتقى لله وابن رائق إلى نهر دَيالى فى منتصف جُمادى الآخرة ، ووافاهم أبو الحسين فى الماء والبر ، واقتتل النَّاسُ فانهزم أهل بغداد ، واستولى أصحاب البريدىِّ على دار الخلافة ودخلوا إليها من الماء ، وذلك لتسعٍ بقين من جُمادى الآخرة . وهرب المتَّقى وابنُه الأمير أبو منصور فى نحو عشرين فارسًا ، ولحق بهما ابن رائقٍ فى جيشه ، وساروا جميعا إلى الموصل .

وقَتَلَ أصحابُ البريدىِّ مَنْ وجدوه فى دارِ الخليفة من الحاشية ، ونهبوا دور الحُرم ، وكثر النَّهْبُ فى بغدادَ ليلا ونهارا .

---

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٨٣

(٢) العرّادات : مفردها العرّادة وهى شيء أصغر من المنجنيق وتقوم بدوره (المحيط)

وأخرجوا كورتكين من محبسه ، فأنفذه أبو الحسين إلى أخيه بواسط ، فكان آخر العهد به . ونزل أبو الحسين بدار مؤنسٍ التى يسكنها ابن رائقٍ ، وأقام أبو الحسين توزونَ عَلى الشرطة بشرق بغداد ، وجعل نوشتكين على شُرْطَةِ الجانبِ الغربىِّ فسكن الناس ، وأخذ أبو الحسين رهائن القواد فسيَّرهم إلى أخيه أبي عبد الله بواسط .

قال [١] : وعسَفَ أهل العراق وظَلَمهم ظلما لم يُسْمَعْ بِمِثْلِه قَطُّ . ذكر / ابن الأثير رحمه الله ذلك فى تاريخه الكامل وأفرده ٨٠ – ب بترجمةٍ وهى « ذكر ما فعله البريدىُّ ببغداد » ، ولما انتهى كلامه قال « وإنما ذكرنا هذا الفصل ليعلم الظَّلَمَةُ أن أخبارهم تُنْقَل وتبقى على وجْهِ الدهر ، فربما تركوا الظلم لهذا إذا لم يتركوه لله سبحانه وتعالى [٢] » وأظنه رحمه الله تعالى قال هذا لما علمه من حال الظلمة فى عصره ، وأنهم يستقبحون الظلم . ويتركونه خشية أن ينقل عنهم . وإنما تركت أن أشرح ماقاله من ظلم البريدى خوفًا أن يسمعه ظَلَمَةُ هذا العصرِ فيقتدون بأفعاله ويحملون الناس على مثاله ؛ فإن فيهم من يتحلى بالظلم ولا يتحاشى من فِعْله ويردُّ فرع كل مظلمة إلى أصله ويقول : قد فعله فلان وفلان وجرت عليه القاعدة فى كل عصر وأوان ! ويبرز بالظُّلْمِ بروزَ الليث من غابه ، وتصدر عنه الحوادث كصدورِ الغَيْثِ من

(١) راجع ذلك فى ٦ : ٢٨٤

(٢) هذا ختام الفصل الصغير الذى عقده صاحب الكامل ٦ : ٢٨٤

سحابه ، ويرى أنَّ ذلك فرصةٌ يغتنمها وكعبةٌ يستلمها ، ثم لا يقنعه ذلك إلى أن يُسَمِّى المظالمَ بالحقوق الواجبة ، ويرى الملازمةَ عليها من السنن الراتبة . لا جرمَ أن الله تعالى يأخذه من مأمنه ، ويسلبه ما حَوله من نِعَمِه ومِنَنِه ، لأن مَلِكَ هذا العصر[1] ـ خَلَّد الله سلطانَه وثبَّت أركانَه ونَصر جيوشَه وأعوانَه ـ / ينكر المظالم إذا ٨١ ـ ا
أُنْهِيَت إليه ويزيل اسمها ، ويمحو من دواوين دولته رسمَها ، ويكف الأكُفَّ العاديةَ إذا عدت ، ويقبض الأيدى الجارية إذا انبسطت فى العالم واعتدَتْ[2] .

ذكر قتل ابن رائق

وولاية ابن حمدان إمرة الأُمراء

كان المتقى لله قد أنفذ إلى ناصر الدولة بن حمدان يستمده على البريدىّ ، فأرسل أخاه سيف الدولة[3] نجدةً فى جيشٍ كثيفٍ ، فلقى المتقى لله وابن رائقٍ بتكريت قد انهزما ، فخدم سيفُ الدَّوْلةِ المتقى خدمةً عظيمة ، وسار معه إلى الموصل ففارقها ناصر الدولة إلى الجانب الشرقى وتوجه نحو معلثايا[4] وترددتِ الرسائل بينه وبين ابن رائقٍ . ثم تعاهدا واتفقا فحضر ناصر الدولة ونزل على دجلة بالجانب الشرقى ، فعبر إليه

(١) الناصر محمد

(٢) يلاحظ أن تعليق المؤلف على فصل ابن الأثير أكبر من الفصل نفسه ، ولكننا إذا عرفنا أن النويرى خاض معركة التتار ، ورجع إلى مصر بعد النصر ليكتب كتابه هذا أدركنا مدى حساسيته للظلم ورغبته فى دفعه بأى سبيل !

(٣) هو أبو الحسين على بن عبد الله بن حمدان .

(٤) فى ا ، ك ٤٦ « معلياثا » وما هنا من الكامل ٦ : ٢٨٤ قال ياقوت معلثايا بليد قرب جزيرة ابن عمر من نواحى الموصل (معجم البلدان ١٨ : ١٥٨)

الأمير أبو منصور بن المتقى وابن رائق يسلمان عليه ، فنثر الدنانير والدراهم على ولد المتقى . فلما أراد الانصراف من عنده ركب ولد المتقى وأراد ابن رائق الركوب فقال له ناصر الدولة : أقم اليوم عندى لنتحدث فيما تفعله ! فاعتذر بابن المتقى ، فألح عليه ابن حمدان فامتراب به / وجذب كُمَّه من يده فقطعه ، ٨١ ـ ب
وأراد الركوب فَشبَّ به فَرسُه فسقط ، فصاح ابنُ حمدان « أن اقتلوه » فقتلوه وألقوه فى دجلة . وأرسل ابنُ حمدان إلى المتقى يقول : إنه علم أن ابنَ رائقٍ أراد أن يغتاله ففعل ما فعل [١] ، فَرَدَّ عليه المتقى ردا جميلا وأمره بالمسير إليه فسار ناصر الدولة إليه فخلع المتقى عليه ولقَّبه ناصرَ الدَّوْلةِ وجعلَه أميرَ الأُمراء ، وذلك فى مستهل شعبان ، وخلع على أخيه أبى الحسين ولقَّبه سيف الدولة ، وكان قَتْل ابنِ رائقٍ يوم الإثنين لسبعٍ بقين من شهر رجب [٢] ، ولما قُتل سار الإخشيد من مصر إلى الشام فتسلمها .

ذكر عود المتقى لله الى بغداد

وهرب البريدى عنها

قال [٣] : ولما قتل ابن رائقٍ سارع الجندُ إلى الهربِ من البريدىِّ لسوء سيرته فهرب جُحجخ وتوزون إلى المتقى فى جماعةٍ من الأتراك ، فأتَوْا الموصل فى خامس شهر رمضان فقوِىَ

(١) فى ك ٤٦ « أراد أن يغتاله فقتله وفعل به ما فعل »
(٢) راجع البداية والنهاية ١١ : ٢٠٢ .
(٣) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٨٥ .

بهم ابن حمدان ، وسار هو والمتقى لله إلى بغداد . فلما قاربها هرب أبو الحسين البريدىّ منها إلى واسط ، وكان مقامُه ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوما . ودخل المتقى إلى بغداد ومعه بنو حمدان
٨٢ـ١ فى / جيوش كثيرة ، واستوزر المتقى أبا إسحاق القراريطى وقلّد توزون جانبى بغداد وذلك فى شوال .

ذكر الحرب بين ابن حمدان والبريدى

قال(١) : ثم خرج بنو حمدان نحو واسط لقتال البريدى ، وسار أبو الحسين البريدى من واسط أيضا لقتالهم . فأقام ناصر الدولة بالمدائن وسير أخاه سَيْف الدولة وابن عمه الحسين بن سعيد فى الجيش لقتاله ، فالتقوا تحت المدائن بِفَرْسخَيْنِ واقتتلوا عِدَّةَ أيام آخرُها رابعُ ذى الحجة فانهزم سيف الدَّوْلةِ إلى أخيه ، فأضاف إليه جماعةً وَرَدَّه ، فقاتل وَهَزَم أبا الحسين البريدىّ وأسر جماعةً من أصحابه وقتل جماعةً . وعاد ناصر الدَّوْلةِ إلى بغدادَ ، فدخلها فى ثالث عشر ذى الحجة ، وانحدر سيفُ الدولة من موضع المعركة إلى واسط . فرأى البريدىّ قد انحدر منها إلى البصرة ، فأقام سيف الدولة بها .

ودخلت سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

ذكر ما اتفق لسيف الدولة بواسط

ورجوع ناصر الدولة إلى الموصل

٨٢ـب قال(٢) : ولما أقام سيف الدولة بواسط ، قصد الانحدار إلى

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٨٥ .
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٩٠ .

البصرة ليأخذَها من البريديين ، فلم يمكنْهُ لقلةِ المال عنده . فكتب إلى أخيه ناصر الدولة مرةً بعد أخرى فأنفذ إليه مالًا مع أبي عبد الله الكوفي ليفرِّقَه في الأتراك فأسمعه توزون وجُخجخ المكروه وثارا به فغَيَّبَهُ سيفُ الدولةِ عنهما ، وسيَّره إلى بغداد . وأمر توزون أن يسير إلى الجامدة[1] ويأخذها وينفرد بحاصلها ، وأمر جُخجخ أن يسير إلى المذار[2] ويأخذ حاصلَها .

وكان سيفُ الدولة يُزَهِّدُ الأتراكَ في العراقِ ويُحَسِّن لهم قَصْدَ الشام معه والاستيلاء عليه وعلى مصر ويقع في أخيه عندهم ، فكانوا يصدقونه في أخيه ولا يجيبونه إلى الشام ويتجنَّون عليه ، ثم ثاروا به في سَلْخ شعبان وكبسوه ليلا ، فهرب من معسكره إلى بغداد ونُهِبَ سوادُه وقتِلَ جماعةٌ من أصحابِه .

وأما ناصر الدولة فإنه لما وصل إليه الكوفيُّ وأخبره الخَبَرَ برز للمسير إلى الموصل ، فركب المتقي إليه وسأله التوقُّف عن المسير ؛ فأظهر له الإجابة إلى أن عاد ثم سار إلى الموصل ، ونُهِبَتْ دارُه ، ودبَّر الأمرَ أبو إسحاق القراريطي من غيرِ تَسْميةٍ بوزارة ، وكانت إمارة ناصر الدولة ببغدادَ ثلاثةَ عشرَ شهرًا وخمسةَ أيامٍ ، ووصل سيفُ الدولةِ إلى بغداد !

---

(١) الجامدة : قرية كبيرة جامعة بين البصرة وواسط ومن أعمال واسط (معجم البلدان ٥ : ٩٥) .

(٢) المذار : عجمية في بيسان وهي قصبتها بينها وبين البصرة أربعة أيام (معجم البلدان ١٧ : ٨٨) .

ذكر حال الأتراك

٨٣ ـ ا

بعد إصعادِ سيفِ الدولة من واسط.

قال[١] : ولما هرب سيف الدولة عاد الأتراك إلى معسكرهم ، فوقع الخلاف بين توزون وجُخجخ وتنازعا الإمارة ، ثم استقرت الحال أن يكون توزون أميرًا وجُخجخ صاحب الجيش ، وتصاهرا . وطمع البريدى فى واسط. فأصعد إليها ، وتراسل هو وتوزون ولم يتفقا ، ثم بلغ توزون أن جُخجخ يريد الانتقال إلى البريدى فكبسه فى فراشه فى ليلةِ الثانى عشر من شهر رمضان وسمله[٢] .

ذكر عود سيف الدولة الى بغداد

وهربه منها

قال[٣] : ولما هرب سيف الدولة من واسط. قصد بغداد ، وأرسل إلى المتقى لله يطلب منه ما لا ليقاتل توزونَ إن قصد بغداد ، فأنفذ إليه أربعمائة ألف درهم ففرقها فى أصحابه . وكان وصوله فى ثالث عشر شهر رمضان ، ولما بلغ توزون وصول [ابن حمدان][٤] سيف الدولة إلى بغداد ترك كيغلغ بواسط. فى ثلاثمائة رجل وأصعد

٨٣ ـ ب إلى بغداد / ، فلما سمع سيف الدولة بإصعاده رحل من بغداد .

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٩١ .

(٢) استطاع مطهر بن طاهر المقدسى فى كتابه « البدء والتاريخ » والمسعودى فى كتابه « مروج الذهب » ومسكويه فى « تجارب الأمم » أن يقدموا صوراً دقيقة لموقف الأتراك — ولا سيما توزون — من الخلافة ، وبدا واضحا أن على الخليفة أن يستنجد بأحد ، وفى ترجمة الإخشيد يقفنا ابن تغرى بردى على صفحات من ذلك الصراع — راجع كتاب النجوم الزاهرة ٣ : ٢٥٥ ، ٢٨٠ وسيف الدولة لماريوس كانار Canard (M) Sayfal Dawla.

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٩١ .

(٤) زيادة من ك ٤٧ .

ذكر امارة توزون

قال[١] : ولما فارق سيفُ الدولةِ بغدادَ دَخلها توزون ، وكان دخولهُ فى الخامس والعشرين من شهر رمضان ، فَخَلَعَ عليه المتقى لِلّهِ وجعلَه أميرَ الأُمراء ، وصار أبو جعفر الكَرْخى ينظر فى الأُمورِ كما كان الكوفى ينظر فيها . ولما سار توزون عن واسطٍ أصعد إليها البريدى ، فهرب منْ بها مِنْ أصحابِ توزون إلى بغداد ، فلم يمكنه المبادرة إلى واسط ، حتى استَقَرَّتِ الأُمورُ ببغداد ، ثم انحدر إلى واسط فى ذى القعدة ، فأتاه أبو جعفر بن شِيرزاد هاربًا من البريدىِّ ، ففرح[٢] توزون به وقلّده جميع أموره .

ذكر الوحشة بين المتقى وتوزون

قال[٣] : كان محمد بن ينال الترجمان أكبر قواد توزون — وهو خليفته ببغداد — فلما انحدر إلى واسطٍ سعى بمحمد إليه وقَبَّح ذكره عنده[٤] فبلغ ذلك محمدا ، فنفر منه . وكان الوزير أبو الحسين ابن مقلة ضَمنَ القُرى المختصة بتوزون ببغداد فخسر فيها جملةً ، فخاف أن يطالب بها ، وانضاف إلى ذلك اتصال ابن شيرزاد بتوزون / فخافه الوزيرُ وغَيْرُه ، وظنوا أن مسيره إلى توزون ٨٤ — ١

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٩١

(٢) فى ك ٤٧ « ففرح توزون به فقلده توزون جميع أموره »

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٩٢

(٤) فى ا « وقبّح ذكره لله » ولا معنى له ، وما هنا عن الكامل ٦ : ٢٩٢ وفى ك ٤٨ « وقبّح ذكره عند المتقى لله »

باتِّفاقٍ من البريدىِّ ، فاتفق الترجمـان وابن مقلة ، وكتبا إلى ابن حمدان لينفذ عسكرًا يسير صُحْبَةَ المتقى لله ، وقالا للمتقى : قد رأيتَ ما فعل البريدىُّ معك بالأمس ، أخذ منك خمسمائة ألف دينار وأخرجْتَ على الأجناد مثلها ، وقد ضمنك البريدي من توزون بخمسمائة ألف دينار أخرى رغم أنها فى يدك من تركة بجكم ، وابن شيرزاد واصل ليتسلمك ويخلعك ويسلمك إلى البريدىّ ! فانزعج لذلك ، وعزم على الإصعاد إلى ابن حمدان ، وورد ابن شيرزاد جريدة[1] فى ثلاثمائة رجل ، فوصل فى خامس المحرم.

وفيها تزوج الأمير أبو منصور بن المتقى لله بابنة ناصر الدولة بن حمدان ، وكان الصداق ألف ألف درهم ، والحِمْل مائة ألف دينار .

وفيها صرف ناصر الدولة أبا إسحاق القراريطى عن الوزارة وقبض عليه ، واستوزر أبا العباس ، أحمد بن عبدالله الأصفهانى فى شهر رجب ، ثم استوزر المتقى لله بعد إصعاد ناصر الدولة من بغداد إلى الموصل أبا الحسين بن مقلةَ فى ثامن شهر رمضان .

وفيها أرسل ملك الروم إلى المتقى لله يطلب منديلا زعم أن المسيح مَسَحَ به وجهه فصارت صورة وجهه فيه ، وأنه فى بيعة الرُّها[2] ، وذكر أنه إن أرسل إليه أطلق عددا كبيرًا ٨٤ ـ ب

(١) جريدة : خيلا لا رجالة فيها (القاموس) وراجع أيضا R. Dozy فى Dictionnaires Arabes (I : 184)

(٢) الرها : مدينة عظيمة فى جزيرة أقور بينها وبين حران يوم .

من أسارى المسلمين ، فأحضر المتقى لله الفقهاء والقضاة واستفتاهم فاختلفوا فيه ، فقال بعضهم إنَّ فى تسليمه غَضَاضَةً على الإسلام ، وبعضهم رأى تسليمه وفكاكَ الأسرَى أَوْلَى من بقائه ، فقال على ابن عيسى الوزير : إن خلاص المسلمين من الأسر والضُّرِّ والضَّنْك الذى هم فيه أولى من حفظ هذا المندبل ! فأمر الخليفة المتقى لله بتسليمه إليهم وإطلاق الأسرَى من بلادالروم ، فأطلقوا[1] !

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة

ذكر مسير المتقى لله الى الموصل

فى هذه السنة أصعد المتقى لله إلى الموصل ، وسبب ذلك ماذكرناه من إغراء من أغراه بتوزون وخَوْفه منه ووصولِ ابنِ شيرزاد إلى بغداد فى خامس المحرم جريدة ، فازداد خوف المتقى لله . وأقام ابن شيرزاد ببغداد يأمر وينهى ولا يراجع المتقى فى شىء ، وكان المتقى قد أنفذ فى طلب جيشٍ من ناصر الدولة ليصحبه إلى الموصل ، فأنفذهم مع ابن عمه الحسين بن سعيد ، فوصلوا إلى بغداد ونزلوا بباب حرب . فاستتر ابن شيرزاد وخرج المتقى لله إليهم فى حرمه وأهله ووزيره وأعيان بغداد ، ولما سار المتقى لله من بغداد ظلم ابن شيرزاد الناس وعسفهم وصادرهم / ، وأرسل ٨٥- ا
إلى توزون وهو بواسط يخبره بذلك . فلما بلغه الخبر عقد ضمان واسط على البريدى وزوّجه ابنته وسار إلى بغداد ، وسار

(١) راجع الخبر بالتفصيل فى المنتظم ٦ : ٣٣١ .

ناصر الدولة للقاء المتقى إلى تكريت فوصل فى الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر وركب إليه الخليفة وأكرمه . وأصعد الخليفة إلى الموصل ، وأقام ناصرالدولة بتكريت ، وسار توزون نحو تكريت فالتقى هو وسيف الدولة بن حمدان تحت تكريت بفَرْسخَيْن فاقتتلوا ثلاثةَ أيام ثم انهزم سيف الدولة لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر ، وغنم توزون سواده وسواد أخيه ناصر الدَّوْلة . وعادا من تكريت إلى المَوْصل ثم التقوا مرة ثانية فانهزم سيفُ الدولة وتبعه توزون ، فسار المتقى لله وبنو حمدان إلى نصيبين ودخل توزون المَوْصلَ وسار المُتَّقى إلى الرَّقَّة ، ولحقه سيف الدولة .

وأرسل المتقى لله إلى توزون يذكر أنه استوحش منه لاتصاله بالبريدىّ ، فإن آثر رضاه يصالح ناصرَ الدولة وسيف الدولة ليعود إلى بغداد ، وترددت الرسائل بين المتقى وتوزون حتى تم الصلحُ ، وعقد الضمان على ناصر الدولة عمَّا بيده من البلاد [1] ثلاثَ سنين كلُّ سنة بثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، وعاد توزون إلى بغداد وأقام المتقى لله عند بنى حمدان .

/ ذكر قتل أبى يوسف البريدى ٨٥ـب

فى هذه السنة قَتَلَ أبو عبدالله البريدىّ أخاه أبا يوسف ، وسبب ذلك أنَّ أبا عبد الله كان نفذ ما عنده من المال فى محاربة بنى حمدان ومقامهم بواسط . ومحاربة توزون ، فلما رأى جُنْدُه

(١) كذا فى ا وفى ك ٤٨ « وعقد الضمان على ناصر الدولة بن حمدان عما بيده من البلاد »

قلةَ مالِه مالوا إلى أخيه أبى يوسف لكثرة أمواله ، فاستقرض أبو عبد الله منه المال مرة بعد أخرى فكان يعطيه القليلَ من المال ويعيبه ويذكر تضييعه وهَوجَه وتهوُّرَه ، فبلغ ذلك أبا عبد الله . ثم صَحَّ عنده أنه يريد القَبْضَ عليه والاستبدادَ بالأمر وحدَه ، واستوحش كلٌّ منهما من صاحبِه ؛ فدبَّر أبو عبد الله عليه وأقام غلمانَه فى طريقٍ مسقف بين داره والشط ، فدخل أبو يوسف فى ذلك الطريق فثار به الغلمان فقتلوه وهو يستغيث : ياأخى قتلونى ! وهو يقول : إلى لعنة الله ! ولما قتل دفنه فثار الجند وشغبوا ظَنًّا منهم أنه حى ، فأمر به فَنُبِشَ وألقاه على الطريق ، فلما رأوه سكتوا فأمر بدفنه . وانتقل أبو عبد الله إلى دار أبى يوسف ، فأخذ ما فيها ونم يحصلْ من مال أخيه على طائلٍ فإن أكثره انكسر عند الناس !

ذكر وفاة أبى عبد الله البريدى

ومن قام بعده بالأمر

وفى هذه السنة فى شوال مات أبو عبد الله البريدى بعد أن قتل أخاه بثمانية أشهر / واستقر الأمر بعدَه لأخيه أبى الحسين ؛ فأساء السيرةَ ٨٦ ـ ا
فى الجند ، فثاروا به ليقتلوه فَهَرَب إلى هَجَر واستجار بالقرامطة ، ونصب الجند أبا القاسم بن أبى عبد الله .

قال(١) : وسار أخوان لأبى طاهر مع أبى الحسين فى جيش إلى البصرة ، فرأوا أبا القاسم قد حفظها صلحوا بينه وبين ابن

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٢٩٦ .

أخيه ، وعادوا ودخل أبو الحسين البصرة ، فتجهز منها وسار إلى توزون ببغداد ، واستقام أمر أبي القاسم بن أبي عبد الله البريدى .

ودخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

ذكر ما كان من أمر المتقى لله
إلى أن خُلِع وسُمل

كان المتقى لله قد راسل توزون في طلب العود إلى بغداد ، وسبب ذلك أنه رأى من بنى حمدان تضجُّرًا[1] منه وإيثارًا لمفارقته ، فاضطر إلى مراسلة توزون . فأرسل إليه الحسن بن هارون وأبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمى فى الصلح ، فلقيهما توزون وابن شيرزاد بنهاية الرَّغْبَةِ فيه والحِرْصِ عليه واستوثقا من / توزون وحلّفاه للمتقى وحَضَرَ اليمينَ ٨٦ - ب
خلق كثير من القضاةِ والعدولِ ، والعباسيون والعلويون وغيرُهم . وحلف توزون للمتقى والوزير ، وكتبوا خطوطهم بذلك ، وكان ذلك فى سنة اثنتين وثلاثين .

وكان أيضا قد كتب إلى الإخشيد محمد بن طغج صاحب مصر يشكو إليه حالَه ويستقدمه ، فقدم إليه إلى الرَّقَّة فى منتصف المحرم من هذه السنة ووقف بين يديه ، وقف الغلمان ، ومشى بين يديه ، وحمل إلى المتقى لله هدايا جليلة وإلى الوزير أبي الحسين بن مقلة وسائر الأصحاب ، واجتهد بالمتقى ليسير معه إلى مصر والشام ويكون بين يديه فلم يفعل ، فأشار عليه

(١) كذا فى ف صفحة ٥١ - اوما فى ا ، ك مضطرب .

بالمقام مكانَه ولا يرجعُ إلى بغداد وخوفه من توزون فأبى إلا العود إلى بغداد . وَعَرَضَ على ابنِ مُقْلَةَ المسيرَ معه إلى مصر ليحكِّمَه فى جميع بلاده ، فلم يُجبْهُ إلى ذلك ، فخوّفه أيضا من توزون ، فكان ابنُ مقلةَ يقول بعد ذلك : نصحنى الإخشيد فلم أقبل نصيحته . !

ثم انحدر المتقى لله إلى بغداد لأربع بقين من المحرم ، وعاد الإخشيد إلى مصر ، فلما وصل المتقى لله إلى هيت [1] أقام بها وأنفذ من يجدِّدُ اليمينَ على توزون ، فَحَلَفَ وسار عن بغدادَ لعشر بقين من صفر للقاء المتقى لله ، فلقيه بالسندية ونزل توزون وقبَّل الأرض بين يدى المتقى وقال : ها أنا قد وفيت بيمينى والطاعة لك ! ثم وكَلَ به وبالوزير وبالجماعةِ وأنزلهم فى مضربه مع حُرَم المتقى ثم كَحلَه فأذهب عينيه ، فصاح وصاح مَنْ عنده من الحرم والخَدَم فارْتَجَّتِ الأرض فأمر توزون بضرب الدبادب [2] فخفيت الأصوات ، وعمى المتقى [3] ٨٧ - ١

وانحدر توزون من الغد إلى بغداد ، وكان خلع المتقى لله وسمله فى يوم السبت لعشر بقين من صفر ، فكانت مدة خلافته ثلاثَ سنين وأحد عشر شهرا ، وعاش إلى أيام المطيع ، وتوفى فى منتصف شعبان سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وله ستون سنة وأمر المطيع أبا تمام الزينبى فصلّى عليه وكبر خمسا ، ودفن فى

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار .
(٢) الدبادب : جمع دبداب و هو الطبل (القاموس مادة دبدب) .
(٣) راجع المنتظم ٦ : ٣٣٨ .

داره ثم ابتاعها عز الدولة بختيار من ورثته بثلا ثين ألف دينار فنقلوه إلى تربة بإزائها فامتحن فى الحياة وفى الممات .

قال أبو الحسين عياش اجتمع فى أيام المتقى إسحاقات كثيرة ؛ فانسحقت خلافة بنى العباس فى أيامه وانْهَدَمَتْ قُبَّة المنصور الخضراء التى كان فَخْرُهم بها ، قيل له ما كانت الإسحاقات ؟ قال : كان يُكنى أبا إسحاق ، وكان وزيره القراريطى يكنى بأبى إسحاق ، وكان قاضيه ابن إسحاق الخِرَقى[1] وكان محتسبه أبو إسحاق بن بطحاء ، وكان صاحبَ شرطته أبو إسحاق بن أحمد أمير خراسان ، / وكانت ٨٧ ـ ب
دار القديمة دار إسحاق بن إبراهيم المصعبى وهى دار إسحاق ابن كنداج[2]

وكان المتقى لله أبيضَ أشهل العينين[3] أشقر الشعر . قال بعض المؤرخين : كان فى أيامه غلاء وشدة حتى بيع كُرُّ الحنطة بمائتين وعشرة دنانير ، وخرج عدة من الخدم من قصر الخلافة بالرصافة ينادون : الجوع الجوع ![4] وكان نقش خاتمه « المتقى لله » .

ولده ولى عهده : أبو منصور ، وزراؤه : قد تقدم ذكرهم فى أنباء دولته ، ولم يكن لهم من الأمر شىء على ما قدمناه

---

(١) فى ا ، ك صفحة ٥٠ ، ف صفحة ٥١ ـ ب « الحرمى » وما هنا عن النجوم الزاهرة ٣ : ٢٧٤ والمنتظم ٦ : ٣١٩ : أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخرقى ، كان من وجوه البزازين بباب الطاق فعجب الناس لتقلده القضاء .

(٢) راجع الخبر فى المنتظم ٦ : ٣١٨ .

(٣) الشهل : تشرب الحدقة حمرة ، فهو أقل من الزرق (العسى) وأحسن منه كما يقول صاحب القاموس (باب اللام فصل الشين) .

(٤) ورد الخبر باختلاف يسير فى المنتظم ٦ : ٣١٨ وأورده كما هنا ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٣ : ٢٧٣ .

قضاته : أبو نصر يوسف بن عمر ، ثم أخوه أبو محمد الحسين ، ثم محمد بن عيسى بن إبراهيم ، ثم أبو طاهر محمد بن أحمد بن نصر ، ثم أبو الحسن أحمد بن أبي موسى .

حجابه : سلامة الطولوني مولى خمارويه ، ثم بدر الخرشني (١) ثم أحمد بن خاقان . الأمير بمصر : الإخشيد محمد بن طغج . القضاة بها : عبد الله بن الوليد ، ثم محمد بن بدر ، ثم أبو الذكر التمار ، ثم الحسن بن عبد الرحمن بن إسحاق ، ثم أحمد بن عبد الله الليثي ، ثم عبد الله بن وليد .

ذكر خلافة المستكفي بالله

/ هو أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بالله أبي محمد علي ٨٨ ا
ابن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق بالله بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد أبي محمد بن المهدي أبي عبد الله محمد ابن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم . يجتمع هو والمتقي لله في المعتضد بالله ، وأمه أم ولد اسمها غصن ، وهو الخليفة الثاني والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويع له بعد خلع المتقي لأمه لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

---

(١) في ا ، ف ١٥ - ب ، ك صفحة ٥٠ « الجوشني » مع النقط والضبط ، وهو ليس كذلك لأنه ينسب إلى خرشنة (بلد قرب ملطية في الروم) فيقال له الخرشني على ما قدمنا .

قال[١] : ولما قَبَضَ توزون على المتقى أحضر المستكفى إلى السندية وبايعه هو وعامّةُ الناس ، وكان سبب البيعة له ما حكاه أبو العباس التميمى الرازى وكان من خواصّ توزون قال : أنا كنت السبب فى البيعة للمستكفى ، وذلك أننى دعانى إبراهيم بن الزوبيندار[٢] الديلمى فمضيت إليه ، فذكر لى أنه تزوج إلى قوم وأن امرأةً منهم قالت له : « إن هذا المتقى قد عاداكم وعاديتموه وكاشفكم ولا يصفوا قلبه لكم ، وهاهنا رجل من أولاد الخلفاء/ من ولد ٨٨ ـ ب المكتفى » وذكرت عقله ودينه « تنصبونه للخلافة فيكون صنيعتكم وغرسَكم ، ويدلكم على أموالٍ جليلة لا يعرفها غيره ، وتستريحون من الخوف والحراسة » ـ قال ـ فعلمت أنّ هذا أمرٌ لا يتمّ إلا بك ، فدعوتك له فقلت : أريد أسمع كلامَ المرأة ، فجاءنى بها فرأيت امرأةً عاقلةً جزلة فذكرتْ لى نَحْوًا من ذلك ، فقلت : لابد أن ألقى الرجل ! فقالت : تعود [غدا][٣] إلى هاهنا حتى أجمع بينكما فعدت من الغد فوجدته قد أُخرج من دار ابنِ طاهرٍ فى زىّ امرأةٍ فعرّفنى نَفْسه وضَمنَ لى إظهار ثمانمائة ألف دينار منها مائة ألف لتوزون ، وذكر وجوهها وخاطبنى خطابَ رجل فَهِمٍ عاقل ، ورأيته يتشيع ـ قال ـ فأتيت توزونَ فأخبرته فوقع الكلام بقلبه وقال : أريد أبْصرُ الرجلَ ! فقلت : لك ذلك ، ولكن اكتم أمرنا من ابن شير زاد [فقال :

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٣٠١ .

(٢) فى الكامل « الزيندار » وفى تجارب الأمم « الربنبل » .

(٣) إضافة من الكامل ٦ : ٣٠٢ .

أفعل !] [١] — قال — وعدت إليهم وأخبرتهم الذى جرى ، ووعدتهم حضور توزون من الغد ، فلما كان ليلة الأحد لأربع عشرة خلت من صفر مشيت مع توزون مُستَخْفِيَيْن واجتمعنا به ، وخاطبه توزون وبايعه تلك الليلة وكمّ الأمر . فلما وصل المتقى قلت لتوزون : أنت على ذلك العزم ؟ قال : نعم ! قلت : فافعله الساعةَ فإنه إن دخل الدار بَعُدَ عليك مر امُه ، فوكل به وسمّله وجرى ما جرى ، وبويع للمستكفى بالخلافة ، / وأحضر المتقى فبايعه وأخذ منه ٨٩ - ا البردة والقضيب ، وصارت تلك المرأة قهرمانةَ المستكفى وسمَّت نفسَها « علم » وغلبت على أمره كلِّه ، واستوزر المستكفى بالله أبا الفرج محمد ابن على السامري[٢] يوم الأربعاء لست بقين من صفر منها ولم يكن [له] [٣] غير اسم الوزارة ومعناها لابن شيرزاد ، ثم قبض عليه المستكفى فى شهر ربيع الآخر وصادره على ثلاثمائة ألف درهم فكانت وزارته اثنين وأربعين يوما .

قال [٤] : وخلع المستكفى بالله على توزون وتَوَّجه ، وطلب أبا الفضل بن المقتدر بالله — وهو الذى ولى الخلافة ولقب المطيع لله — لأنه كان يعرفه يطلب الخلافةَ فاستَتَر مُدَّةَ خلافَة المستكفى بالله فَهُدِمَتْ دارُه حتى لم يبْقَ منها شىءٌ .

---

(١) الإضافة من الكامل ٦ : ٣٠٢

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٣٠٢ وفيه « محمد بن على السارى »

(٣) إضافة من الكامل ٦ : ٣٠٢

(٤) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٣٠٢

ودخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

فى هذه السنة فى المحرم لَقَّب المستكفى بالله نفسَه إمام الحق ، وضرب ذلك على الدنانير والدراهم ، وكان يُخطَب له بلقبين إمام الحق والمستكفى بالله .

ذكر وفاة توزون وامارة ابن شيرزاد

فى هذه السنة فى المحرم مات توزون ببغداد ، وكانت مدة إمارته سنتين وأربعة أشهرٍ وتسعةَ عشرَ يومًا . ولما مات كان ابن شيرْزَاد كاتبهُ ببغدادَ بهيت ليخلِّص أموالَها ، فلما بلغه الخبر أراد عقْـدَ / الإمارة لناصر الدولة بن حمدان فاضطرب الجند ، وعقدوا ٨٩ ـ ب
الرياسةَ عليهم لابن شيرزاد فعاد إلى بغداد ونزل بباب حرب(١) فى مستهل صفر . وخرج إليه الأجناد جميعهُمْ وحلفوا لهَ ووُجُّه إلى المستكفى بالله ليحلِّفه فأجابه إلى ذلك ، وحلَّفه بحضرة القضاة والعدول ودخل إليه وولاه إمرة الأمراء . فزاد الأجناد زيادة كثيرة فضاقت عليه الأموال ، فأرسل إلى ناصرِ الدَّوْلة يطالبه بِحمل المال ويعده بِرَدِّ الرياسة إليه ، فأرسل له خمسمائة ألف درهم ففرقها فى عسكره فلم تُغْنِ شيئا ، فقسط أرزاق الجُنْد على العمال والكُتَّاب والتجار وغيرهم ، وظلم الناس ببغداد . واستعمل على واسط ينال كوشة وعلى تكريت الفتح اليشكرى ، فأما ينال فإنه كاتب معز الدولة بن بويه واستقدمه وصار معه ، وأما الفتح فإنه الْتَحَق بناصر الدولة بن حمدان وصار معه فأقره على تكريت .

(١) أحد أبواب بغداد المشهورة .

ذكر استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد

قال[١] : لما كاتب ينال كوشة معز الدولة بن بويه وهو بالأهواز ودخل فى طاعته سار نحوه ، فاضطرب الناس فلما وصل إلى باجِسْرَي[٢] اختفى المستكفى بالله وابن شيرزاد . فلما استترا سار الأتراك إلى الموصل ، فلما بعدوا ظهر المستكفى بالله وعاد إلى دار الخلافة . وقدم أبو محمد الحسن بن محمد المهلّبى صاحب معز الدولة إلى بغداد فاجتمع بابن شيرْزَاد بمكانه الذي استتر فيه ، ثم اجتمع بالمستكفى بالله فأظهر السُّرورَ بقدوم مُعزّ الدولة بن بويه وأعلمه أنه إنما استتر من الأتراك ليتفرقوا ليحصلَ الأمرُ لمعز الدولة بغير قتال . ٩٠ـ١

ثم وصل معز الدولة إلى بغدادَ لإحدى عشرة خَلَت من جُمادى الأولى فنزل بباب الشمّاسية ودخل من الغد إلى المستكفى وبايعه ، وحلف له المستكفى . وسأله معز الدولة أن يأذن لابن شيرْزادَ بالظهور وأن يأذن له أن يستكتبه فأجابه إلى ذلك ، فظهر ولقى مُعزّ الدولة فولاّه الخراجَ وجباية الأموال . وخلع الخليفةُ على معز الدولة ولقّبه بهذا اللقب ، وأمر بضرب ألقابه وألقاب إخوته وكناهم على الدنانير والدراهم[٣] .ونزل معز الدولة بدار مؤنس ، ونزل أصحابه

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٣١٤ .

(٢) باجسرى : بليدة فى شرقى بغداد بينها وبين حلوان على عشرة فراسخ من حلوان وهى عامرة نزهة كما يقول ياقوت .

(٣) قال ابن تغرى بردى أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٣ : ٢٨٥ « هو أول من ملك من الديلم من بنى بويه » .

فى دور الناس فنال الناسُ من ذلك شدةٌ عظيمة وصار رسمًا عليهم وهو أول من فَعَله ببغداد ، ولم يعرف بها قبله .

وأقيم للمستكفى بالله فى كل يوم خمسةَ آلاف درهم لنفقاته ، وكانت ربما / تأخرت عنه فأُقرتْ له بعد ذلك ضياعٌ سُلِّمتْ إليه تولاها ٩٠ ـ ب
له أبو أحمد الشيرازى كاتبه !

ذكر خلع المستكفى بالله وسمله

فى هذه السنة خلع المستكفى بالله لثمانٍ بقين من جُمادى الآخرة ، وكان سبب ذلك أن علمَ القهرمانةَ صنعت دعوةً عظيمةً حضرها جماعةٌ من قواد الدَّيْلم والأتراك ، فاتهمها معزُّ الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ البيعةَ للمستكفى بالله ويزيلوا معز الدولة ، فساء ظنه لذلك . فلما كان فى التاريخ المذكور حضر معز الدولة والناس عند الخليفة ، وحضر رسول صاحب خراسان ومعز الدولة جالس ، ثم حضر رجلان من نُقَباء الدَّيْلم فتناولا يدَ الخليفة فَظَنَّ أنهما يريدان يُقَبِّلان يَدَه ، فجذباه عن سريره وجعلا عمامته فى حلقه .

ونهض مُعزُّ الدولة ، واضطرب النَّاسُ وأخرج الديلميان المستكفى بالله إلى دار معز الدولة ماشيا واعتُقِل بها ، ونُهِبَتْ دارُ الخلافة حتى لم يبْق فيها شىء ، وقبض على أبى أحمد الشيرازى كاتب المستكفى وأخذت علم القهرمانةُ فقطع لسانها . وكانت مدةُ خلافةِ المستكفى بالله سنةً واحدةً وأربعةَ أشهرٍ وما زال مغلوبا / على أمره . ١٩١ ـ

ولما بويع للمطيع لله سُلِّم إليه المستكفى فسمله ، وبقى محبوسا إلى أن توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وله ست

وأربعون سنة . وكان أبيضَ حسنَ الوجه قد وَخَطه الشيب ، ولقّب نفسه فى آخر سنة ثلاث وثلاثين إمامَ الحق ، ونقشه على الدنانير والدراهم وقد تقدم ذكر ذلك ، وكان نقْشُ خاتمه « المستكفى بالله » .

وزراؤه: محمد بن على السامري وهو آخر من دُعىَ بالوزارَة ، ثم استكتب أحمد بن عبد الرحمن الشيرازى . قضاته فى الجانبين : أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخِرَقى وقلّد محمد بن أبى الحسن بن أبى الشوارب [الجانب] (١) الشرقىَّ والمدينةَ ثم صرفه عن الشرقى بأبى الطّاهر محمدِ بن أحمد بن نصر ، وعن المدينة بأبى السّائبِ عُتبةَ بنِ عبد الله الهمدانى ، ثم جمع لعتبةَ الجانبين بعد وفاة ابن أبى موسى ، وجعل المدينة إلى محمد بن صالح بن شيبان الكوفى الهاشمى . حاجبُه : أحمدُ بن خاقان . الأمير بمصر : الإخشيد بن طغج . القضاة بها : الحسين بن عيسى بن هارون ، ثم الوليد من قبلِ المستكفى .

ذكر خلافة المطيع لله

هو أبو القاسم الفضل وقيل أبو العباس بن المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبى العباس أحمد ، وأمُّه أم ولد اسمها مشعلة ، وهو الخليفة الثالث والعشرون من الخلفاء العباسيين بويع له يوم خلع المستكفى ، وهو يوم الخميس لثمانٍ بقين من جُمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان مستترا كما قد مناه من /٩١ ـ ب

(١) زيادة يقتضيها السياق .

أول خلافة المستكفى بالله . فلما قَدِمَ مُعِزُّ الدَّوْلةِ إلى بغداد قيل إن المطيع انتقل إليه واستتر عنده وأغراه بالمستكفى بالله حتى قَبَضَ عليه وسمله ، وبويع للمطيع بالله ولقب بهذا اللقب ، وحضر المستكفى عنده فسلم عليه بالخلافة وأشهدَ على نفسه بالخلع .

وزاد أمْرُ الخلافةِ إدبارًا ولم يَبْقَ لهم من الأمر شيء أَلْبَتَّةَ ، وقد كانوا يراجَعون قبل ذلك والحرمةُ قائمةٌ بعضَ شيء ، فلما كان فى أيام معزِّ الدولة زال ذلك جميعُه بحيث إن الخليفةَ لم يبْقَ له وزيرٌ ، إنما كان له كاتب يدبر إقطاعَه وأخراجاتِه لا غَيْر . وصارت الوزارة إلى معزالدولة يستوزر لنفسه من يريد ، وكان الديلم يغالون فى التشيع[1] ويعتقدون أن بنى العباس قد غَصَبوا الخلافةَ وأخذوها من مستحِقِّيها فلم يكن باعثُ دينى يحثهم على الطاعة حتى قيل إنَّ معز الدولة قَصد إخراجَ الأمرِ عن بنى العباس والبيعة للمعتز لدين الله العلوى أو لغيره من العلويين . / ٩٢ ـ ا

واستشار جماعةً من خواصِّ أصحابه فكلُّهم أشار عليه بذلك إلا بعضَ خواصِّه ، فإنه قال : ليس هذا برأى فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابُك أنه ليس من أهل الخلافةِ ولو أمرتهم بقَتْلِه لقتلوه مستحلِّين دمَه ، ومتى أجلستَ بعضَ العلويين خليفةً كان معك من تَعْتَقِدُ أنتَ وأصحابُك صحةَ خلافَتِه ولو أمرتَهم بقَتْلِه لقتلوك ! فأعرض عن ذلك .

ومن حيث استقل مُعِزُّ الدَّوْلةِ بالأمر اختصرنا الأخبارَ فى أيام

(١) راجع ابن حسول فى تفضيل الأتراك على سائر الأجناد صفحة ٣٢ .

الخلفاء ، ونذكر ذلك فى أخبار الدَّوْلَةِ البويهية وغيرها من الدول ؛ فإن الأمر والنَّهْىَ صار لهم دون الخلفاء ، ولم يبق للخليفة من الأمر شىءٌ إلا ما أقطعه له مُعِزُّ الدَّوْلة ما يقوم ببَعْضِ حاجتِه . فالذى نذكره الآن فى أيام الخلفاء بنى العباس ما يتعلق بحال الخليفة وأتباعه وأقاربه ومن خرج عليه من أهل بيته ، وننبه على ابتداء دول الملوك وانقراضها ونحيل عليها فى موضعها الذى تشرح فيه ، ونذكر أيضا فى أيام الخلفاء ماغلب عليه الروم والفرنج من البلاد الإسلامية وما وقع من الحوادث العامة كالزلازل العظيمة والسيول ، وما يناسب ذلك على مايراه المطالع فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

/ وفى هذه السنة توفى القائم بن المهدى صاحب إفريقية والمغرب ، ٩٢ ـ ب
وولى بعده ابنه المنصور .

وفيها توفى الإخشيد صاحب مصر والشام وولى بعده ابنه أبو القاسم ودبر الأمر كافور الخادم بمصر(١) ، واستولى سيف الدولة بن حمدان على دمشق .

وفيها اشْتَدَّ الغلاءُ ببغدادَ حتى أكل الناسُ الميتةَ والكلاب والسنانيرَ ، وأخِذ بعضهم ومعه صبىٌّ قد شواه ليأكله ، وأعقبه وباءٌ حتى عجز النَّاسُ عن دفنِ موتاهم فكانت الكلابُ تأكل الناس والناسُ تأكل الكلابَ .

(١) فى النجوم الزاهرة ٣ : ٢٩١هو : أنوجور بن الإخشيد محمد بن جف الفرغانى ، وأنوجور اسم أعجمى معناه محمود ، وقد ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ١١ : ٢١٣ « أبوجور » ، وكان كافور المذكور يطلق فى كل سنة لابن أستاذه أربعمائة ألف دينار ويتصرف هو فيما يبقى من أموال .

قال أبو الفرج بن الجوزى [١] : وفى هذه السنة كَثُر القملُ برستاق اليمن الكبرى [٢] حتى يئس الناس من غلاتهم فانحط من الطير طائر يزيد على جرْمِ العصفور ، فكان الطائر يعلو على شجرة فيصفر فتطير الطير أفواجا ، فينحطُّ كلُّ فوجٍ منها على ضيعة فيلقط القمل حتى فنى !

ودخلت سنة خمسٍ وثلاثين وثلاثمائة . فى هذه السنة كان الفداءُ بين المسلمين والروم على يد نَصْرٍ الثملى [٣] أميرِ الثغور لسيف الدولة ، وكان عدَّة الأسرى ألْفَيْن وأربعمائةَ أسير وثمانين أسيرًا .

وفى سنة ستٍّ وثلاثين وثلاثمائة استولى مُعزّ الدولة بن بويه على البصرة وهرب أبو القاسم بن أبى عبد الله البريدي منها إلى هجر إلى القرامطة ، ثم/ استأمن بعد ذلك ، ووصل إلى بغداد فى سنة ثمانٍ وثلاثين ٩٣ ـ ا
وثلاثمائة فأحسن إليه وأقطعه .

وفى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ملك الرومُ مرعش من سيف الدولة بن حمدان ، وكان قد قاتلهم فهزموه .

وفى سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة كانت وفاة عماد الدولة أبى الحسن على بن بويه بمدينة شيراز [٤] .

---

(١) فى كتابه المنتظم ٦ : ٣٤٥ .

(٢) هكذا فى سائر النسخ ، وفى المنتظم « برستاق التيمرة الكبرى »

(٣) فى ك ٥٣ « نصر الثمل » وفى ٥٤ ـ ا « الثمل » وفى البداية والنهاية ١١ : ٢١٦ « نصر المستملى » .

(٤) قال ابن كثير فى البداية والنهاية ١١ : ٢٢١ عنه إنه أول من تملك البويهيين وكان عاقلا سديد السيرة ، بعكس معز الدولة الذى حكى أبو الفرج أن العامة كانت تشتمه شتما مسرفا (المنتظم ٦ : ٣٤٩) .

ذكر اعادة القرامطة الحجر الأسود

وفى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكة شرفها الله تعالى وقالوا : أخذناه بأمرٍ وأعدناه بأمرٍ ! وكان بجكم قـد بذل لهم فى رده خمسين ألف دينار فلم يجيبوا إلى رده وردوه الآن بغير شىء فى ذى القعدة ، وكانوا أخذوه فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة . ولمـا أرادوا رده حملوه إلى الكوفة وعلقوه بجامعها ، حتى رآه الناس ثم حلوه إلى مكة (١) .

وفى سنة تسعٍ وثلاثين أيضا توفى أبو نصر محمد بن الفارابى الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف ، وكانت وفاتـه بدمشق .

وفى سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة توفى المنصور العلوىُّ صاحبُ المغرب / ، وملَكَ بعده ابنه المعزُّ لدين الله . ٩٣ ـ ب

وفيها ملَكَ الرُّومُ مدينةَ سروج (٢) وسَبَوْا أهلها وغنموا أموالهم وخرَّبوا المساجد .

وفى سنه ست وأربعين نقص البحر ثمانين باعا فظهر فيه جبال وجزائرُ لم تعرف قبل ذلك . وفيها كان بالعراق وبلاد الجبل وقُمّ ونواحيها زلازل كثيرة متتابعة دامت نحو أربعين يوما ، تمسكن

(١) وقف ابن تغرى بردى عند هذه الحادثة وقفة متحمسة طويلة ، وقدم دفاعا عن الحق وفند حجج القرامطة بمنطق سليم (النجوم الزاهرة ٣ : ٣٠١ ، ٣٠٢) .

(٢) بلدة قريبة من حران فى ديار مضر (معجم البلدان) .

وتعود ؛ فتهدمت الأبنية ، وغارت المياه وهلَكَ تحت الرَّدْمِ مالا يُحصى من العالَم ، وكذلك كانت أيضا بالرَّىِّ والطالقان[١] .

ذكر ظهور المستجير بالله

وفى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ظهر بأذربيجان رجلٌ من أولاد عيسى بن المكتفى بالله وتَلَقَّبَ بالمستجير بالله وبايع للوصى من آل محمد ، ولَبس الصُّوف ، وأظهر العدلَ ، وأمر بالمعروف ، ونَهَى عن المنكر . وكثر أتباعه واستفحل أمره . فسار إليه جستان[٢] وإبراهيم ابنا المرزبان صاحب أذربيجان والتقوا فاقتتلوا ، فانهزم أصحاب المستجير وأخذوه أسيرًا فعدم فقيل إنه مات ! وفيها أسْلَم من الأتراك نحو مائتى ألف خركاه[٣] .

ذكر ضمان الحسبة والقضاء والشرطة ببغداد

/وفى ســـنة خمسين وثلاثمائة مات القاضى أبو السـائب[٤] ٩٤ ـ ا
عتبة بن عبد الله وقُبضت أملاكه وتولى قضاء القناة أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبى الشوارب ، وضمن أن يؤدى فى كل سنة مائتى ألف درهم ولم يسمع بمثل ذلك فيما سلف ! فلم يأذن له الخليفة المطيع لله بالدخول إليه ، وأمر أنْ لا يحضرَ الموكب لِما ارتكبه من ضَمان القضاء ، ثم ضُمِنت الحسبة والشرطة . ثم عزَلَ ابنَ أبى الشوارب عن

(١) الطالقان ؛ يقول ياقوت : إنهما بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل ، وقال الاصطخرى : الطالقان أكبر مدينة بطخارستان

(٢) فى ك صفحة ٥٤ « حسان » وفى ا غير منقوطة وما هنا من ف صفحة ٥٤ — ب

(٣) بالفارسية خارگاه ومعناها الخيمة الكبيرة .

(٤) فى ك ٥٤ « أبو الشايب » وفى ا غير منقوطة وما هنا من ف صفحة ٥٥ — ا .

القضاء وأمر بإبطال أحكامه وسجلاته ، وذلك فى سنة اثنتين وخمسين وتقلّد القضاء بعده أبو بشر بن أكثم بغير ضمان

ذكر استيلاء الروم على عين زربة

وما حولها من الحصون

وفى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة فى المحرم نزل الدمستق بالروم على عين زَرْبَة [١] ، وهى فى سفح جبل عظيم والجبل مشرف عليها . وكان فى جمع عظيم [٢] فأنفذ بعض عسكره ، فصعدوا الجبل وملكوه . فلما رأى أهلُها ذلك وأنَّ الدمستق قد ضيق عليهم ووصل إلى السور وشرع فى التقرب طلبوا الأمان ، فأمَّنهم الدمستق ففتحوا أبواب المدينة فدخلها ، فرأى أصحابه الذين فى الجبل نزلوا إلى المدينة فندم على إجابتهم إلى / الأمان ونادى فى البلد أن يخرج أهلُه ٩٤ـب
إلى المسجد الجامع ومن تأخَّرْ فى منزله قتل .

وكان ذلك فى أول الليل ، فخرج إلى الجامع مَن أمكنه الخروج ، فلما أصبح أنفذ رجَّالتَه إلى المدينة وأمرهم بِقَتْل من يجدونه فى منزله ، فقتلوا خَلْقا كثيرا . ثم أمر منْ بالمسجد أن يخرجوا من البلد حيث شاءوا ، فخرجوا على وجوههم لا يرون أين يتوجهون فماتوا فى الطرقات . وقَتَلَ الرُّومُ من وجدوه بالمدينة إلى آخر النهار ، وهُدِم سور المدينة .

وأقام الدمستقُ فى بلاد الإسلام واحدًا وعشرين يوما ، وفتح حول عين زربة أربعةً وخمسين حِصنًا للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها

(١) هكذا فى الأصل وفى أكثر المصادر ، وعين «زربى» بألف مقصورة .
(٢) كان مائة وستين ألفا على مايقول ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ٣ : ٣٣١) .

بالأمان ، فلما أدركه الصوم انصرف على أن يعود بعد العيد ، وخلف جيشه بقيسارية وراسله أهل بغراس [١] وبذلوا له مائة ألف درهم فأقرهم وترك معارضتهم .

وفيها استولى الدمستق على مدينة حلب وعاد عنها ، على ما نذكره فى أخبار ابن حمدان .

ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس

كان استيلاؤهم عليهما فى سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمائة وذلك أن الدمستق حصر المصيصة فى سنة ثلاث وخمسين [٢] وقاتل أهلها ونقب أسوارها واشتد القتال وأحرق الروم رستاقها/ورستاق[٣] أذنه ٩٥ ـ ا
وطرسوس لمساعدتهم أهلها ، وقُتِلَ من المسلمين خمسةَ عَشرَ ألف رجلٍ . ثم ضاقت الميرة على الروم فرحل الدمستق إلى بلاد الروم ، وأرسل إلى أهل المصيصة وأذنه وطرسوس « أنى منصرف عنكم لا لعجزٍ ولكن لضيق العلوفة وشدة الغلاء ، وأنا عائد إليكم ، فمن انتقل منكم فقد نجا ومن وجدته بعد عودى قتلته[٤] .

---

(١) بغراس : مدينة بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ (الفرسخ نحو ثلاثة أميال) على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب .

(٢) راجع الخبر فى الكامل ٧ : ١١ .

(٣) ذكر ياقوت الحموى عن حمزة بن الحسن أن الرستاق فارسى مشتق من روزه فستا ، وروزه اسم للسطر والصف والبساط ، وفستا اسم للحال . فالمعنى أنه على التسطير والنظام ، ولكنه لا يوافق على ذلك ويقول بالحرف الواحد « إنهم يعنون بالرستاق كل موضع فيه مزارع وقرى ، ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد ، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد ، وهو أخص من الكورة » راجع معجم البلدان صفحة ٣٨ (ط . دار صادر بيروت) .

(٤) راجع الكامل ٧ : ٩ .

ونزل ملك الروم أيضا على طرسوس وحصرها وجرى بينه وبين أهلها حروبٌ كثيرة سقط في بعضها الدمستق ابن الشمشقيق[١] إلى الأرض وكاد يؤسر فقاتل عليه الروم وخلصوه . وأسر أهلُ طرسوس بطريقا كبيرًا من بطارقة الروم ، ورحل الرومُ عنهم لاشتداد الغلاء والعناء .

وكان نقفور[٢] ملك الروم قد بنى بقَيْصَرية[٣] مدينة وأقام بها بأهله ليقرُب من بلادِ الإسلام ، فلما كان في سنة أربعٍ وخمسين أرسل أهلُ طرسوس والمصيصة إليه يبذلون الطاعةَ ويطلبون منه أن يُنْفِذَ إليهم بعضَ أصحابه ليقيم عندهم ، فعزم على إجابتهم إلى ذلك فأتاه الخبرُ أنهم قد ضعفوا وعجزوا وأنهم لا ناصرَ لهم وأن الغلاء قد اشتد عندهم وعدِموا القوتَ وأكلوا الكلابَ والميتة وكثر فيهم الوباءُ فيموت منهم في اليوم ثلاثمائةُ نفسٍ ، فرجع نقفور عن إجابتهم وأحضر الرسولَ وأحرقَ الكتاب على /رأسه فاحترقت ٩٥ ـ ب لحيته وقال لهم : أنتم كالحية في الشتاء تخدر وتذبل حتى تكاد تموت ، فإن أخذها إنسان وأحسن إليها وأدفأها انتعشت ونهشته ، وأنتم إنما أطعتم لضعفكم ، وإن تُرِكْتم حتى تستقيمَ أحوالكم تأذَّيت بكم !

(١) كذا في ف صفحة ٥٥ ـ ب وفي ا « الشمسقيق » .

(٢) كذا في ف صفحة ٥٦ ـ ا وفي ا بلا نقط وفي ك ٥٤ ، ٥٥ « نقنور » و « تقفور » والرسم الأخير هو ما اختاره ابن الأثير في الكامل في حين رسمه ابن كثير في البداية والنهاية ١١ : ٢٤٣ بالنون بزيادة ألف ولام « النقفور » .

(٣) قال العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٣ : ١٣ « وقيل قيصرية » .

وأعاد الرسولَ وجمع جيوشَ الروم وسار إلى المصيصة بنفسه ، فحاصرها وفتحها عنْوَةً يومَ السبت ثالث عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ووضع السيف فى أهلها فقتل منهم مقتلةً عظيمةً . ثم أمر برفع السيف عنهم ، ونقل كل من بقى منهم إلى بلد الروم ، وكانوا نحو مائتى ألف إنسان . ثم سار إلى طرسوس فحاصرها فأذعن أهلُها بالطاعة وطلبوا الأمان فأمّنهم ، وفتحوا له البلدَ فلقيهم بالجميل وأمرهم أن يحملوا من سلاحِهم وأموالهم ما يطيقون حمله ففعلوا ذلك بَرًّا وبحرًا ، وسير معهم من يحميهم حتى بلغوا أنطاكية .

وجعل الملِكُ المسجدَ الجامع إسطبلا لدوابه ، وأحرق المنبر ، وعمَّرَ طرسوسَ وحصَّنَها ، وجلب إليها الميرة حتى رخُصتِ الأسعارُ ورجع إليها كثيرٌ من أهلها ودخلوا فى طاعة الملك وتنصَّر بعضهم ، وأراد المقام بها ليقرب من بلاد الإسلام ثم عاد إلى القسطنطينية . وأراد الدمستق وهو ابن الشمشقيق أن يقصد ميافارقين وبها سيف الدولة بن / حمدان فأمره الملك باتباعه إلى القسطنطينية فمضى إليه . ثم فتح نقفور أذنه . ٩٦ – ا

وفى سنة أربع وخمسين أيضا قتل المتنبى الشاعر واسمه أحمد بن الحسين الجُعْفِى[1] بالقرب من النعمانية وقُتِلَ معه ابنه ، وكان قد عاد من عند عضد الدولة بفارس فقتله الأعراب وأخذوا ما معه .

(١) راجع الكامل ٧ : ١٦ وبهامشه أنه ولد فى كندة الكوفة ، وفى النجوم الزاهرة أنه ادعى النبوة (٣ : ٣٤٠) سنة ثلاث وثلا ثمائة ، وفى البداية والنهاية ١١ : ٢٥٧ أنه زعم أن قرآنا نزل عليه منه « والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ، إن الكافر لفى خسار » .

وفى سنة ست وخمسين وثلاثمائة كانت وفاة معز الدولة بن بويه وولاية ابنه عز الدولة بختيار على مانذكره فى أخباره . ومات وشمكير بن زيار ، والحسن بن الفيرزان ، وكافور الإخشيدى[١] ، ونقفور ملك الروم ، وأبو على محمد بن إلياس صاحب كرمان ، وسيف الدولة بن حمدان .

وفيها توفى أبو الفرج على بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصفهانى الأموى ، وهو من ولد مروان بن الحكم وكان شيعيا وهذا من العجب ، وهو صاحب كتاب الأغانى[٢] .

ذكر البيعة لمحمد بن المستكفى

وما كان من أمره

وفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة[٣] ظهر ببغداد بين الخاص والعام دعوةٌ إلى رجل من أهل البيت اسمه محمد بن عبد الله ، وقيل إنه الرجل الذى وعد به النبى صلىَّ الله عليه وسلم ، وإنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحدد ماعفى من أمور الدين ، فمن كان من السُّنة قال : إنه عباسى . ومن كان من الشيعة قال : إنه ٩٦ ـ ب

(١) كان صاحب مصر فى هذا العهد ، اشتراه الإخشيد وجعله أتابك ولده من بعده والمتنبى المذكور مدح فيه وهجاه .

(٢) كان يحفظ من الأغانى والأشعار والأخبار والآثار ما يدل على سعة علمه ، وقيل إنه سلب كتابة مؤلفين غيره ، وقيل كان يمتلك مكتبة أعانته على إثبات الأحاديث المسندة والنسب والروايات الصحيحة والمغازى المختلفة والخرافات العجيبة ، وقد أضاف ذلك كله إلى كتابه فى خمسين سنة !

(٣) فات النويرى أن يذكر وفاة معز الدولة الذى حطم كبرياء الخلافة وأظهر الرفض وخلع خليفة وسجن آخر (راجع تجارب الأمم ٢ : ٨٦ وما بعدها ، البداية والنهاية ١١ : ٢٦٢ ، المنتظم ٦ : ٤٣٢ ، ٣٤٩ ، ٧ : ٣٩ ، ومواضع مختلفة فى كتاب براون La Domination des Dailamites; p. 11, 12, 13 (Paris 1932) A Literary History of Persia (Cambridge 1928)

علوي . فكثرت دعاته وظهرت بيعته ، وكان الرجل بمصر وقد أكرمه كافورٌ الإخشيديّ وأحسن إليه. وكان فى جملة من بايع له سَبُكْتكين العجمى [١] من أكابر قواد معز الدولة وكان يتشيع فظنه علويا ، فكتب إليه يستدعيه من مصر . فسار حتى بلغ الأنبار ، وخرج سبكتكين إلى طريق الفرات وهو يتولى حمايتها فلقى ابن المستكفى وترجل له وخدمه وأخذه ، وعاد به إلى بغداد وهو لا يشك فى حصول الأمر له. ثم ظهر لسبكتكين أنه عباسيٌ فعاد عن رأيه فيه ، فخاف ابن المستكفى وهرب هو وأصحابه وتفرقوا ، ثم أُخِذَ ومعه أخٌ له وأُحْضِرا عند بختيار فأمنهما ثم تسلسله المطيعُ لله من بختيار فَجَدع أنفه ، ثم خَفِي خبرُه [٢] .

وفى سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة انقطعت الدعوةُ العباسيةُ من الديار المصرية والشامية ، وقامت الدعوةُ العلويةُ بها للمعز لدين الله صاحب أفريقية والمغرب ، على يد جوهرٍ القائدِ غلامِ المنصور ووالد المعز على ما نذكره — إن شاء الله تعالى — فى أخبار الدولة العُبَيْدية .

وفيها مات ناصر الدولة بن حمدان [٣] .

ذكر ما فعله الروم بالشام والجزيرة / ١ — ٩٧

فى هذه السنةِ دخل ملك الروم الشامَ فَلَمْ يَمْنَعْه أحدٌ ولا قاتله ، فسار فى البلاد إلى طرابلس وأحرق بلدَها ، وملك قلعة عرقة . وكان

(١) Sabuktakin فى تاريخ البيهقى الذى ترجمه الدكتور يحيى الخشاب وصادق نشأت صور عن هذا الأمير (ص ٩٨ ، ١٠٢ ، ٢١٥ وما بعدها) .

(٢) راجع الكامل ٧ : ٢٧ ويقول ابن تغرى بردى : وفيها ملك جوهر القائد العبيدى مصر وخطب لبنى عبيد (النجوم الزاهرة ٤ : ٢٦) .

(٣) كان صاحب الموصل ونواحيها .

صاحب طرابلس قد أخرجه الرومُ لِشِدَّةِ ظُلْمه ، فقصد عرقة فأخذه الرُّومُ وجميعَ ماله ، وقصدَ ملكُ الروم حِمْص وكان أهلها قد انتقلوا عنها وأخلوها ، فأحرقها الرومُ ورجع إلى بلد الساحل ، فأتى عليها نَهْبًا وتخريبًا وملك ثمانيةَ عشرَ شهرًا وما لا يُحْصى من القرى ، وأقام بالشام شهرين يقصد أى موضع شاء ويخرب ماشاء فلا يمنعه أحد ، وعاد إلى بلادِه ومعه من السَّبْيِ نحو مائةِ ألف رأسٍ ولم يأخذْ إلا الصِّبيان والصبايا والشبابَ ، وأما الكهول والشيوخ والعجائز فمنهم من قتله ومنهم من أطلقه ، وسيَّر سريَّةً إلى بلد الجزيرة فبلغوا كفر توثا وتعصبوا وسَبَوْا وأحرقوا وعادوا .

ذكر ملك الروم مدينة أنطاكية

وفى سنة تسعٍ وخمسين وثلاثمائة ملك الروم مدينة أنطاكية ، وسبب ذلك أنهم حَصروا حِصْنًا بالقرب منها يقال له حصن لوقا ، فوافقوا أهلَه وهم نصارى على أن يرتحلوا منه إلى أنطاكية ، ويظهر أنهم / انتقلوا منه خوفا من الروم فإذا صاروا بأنطاكية ٩٧ ـ ب
أعانوهم على فَتْحِها . وانصرف الرُّوم عنهم بعد هذا التقرير ، وانتقل أهل الحِصْن ونزلوا بأنطاكية بالقرب من الجبل الذى بها . فلما كان بعد انتقالهم بشهرين وافَى الرومُ مع أخى نقفور وكانوا نحو أربعين ألف رجل ، فأحاطوا بالسور وصعدوا الجبل إلى الناحية التى بها أهل الحصن فأخلَوْا لهم السور ، فملكه الرومُ وملكوا البلدَ ووضعوا السيفَ فى أهله ، ثم أخرجوا العجائزَ والأطفالَ والمشايخَ من البلد وقالوا لهم : اذهبوا حيث شئتم ! وأخذوا الشباب من الرجال والنساء

والصبيان والصبايا فحملوهم إلى بلاد الروم سبيا ، وكانوا يزيدون على عشرين ألف إنسان .

قال[١] : وأنفذ الرُّومُ جيشًا كثيفًا إلى حلب وبها قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان قد تغلب عليها ونزع يده من طاعة أبي المعالى بن سيف الدولة ، فملك الرّومُ المدينةَ دون القلعة وحصروا القلعةَ ، وترددتِ الوسائطِ والرسائل بينهم وبين قرعوية ، فاسْتَقَرَّ الأمرُ على هدنة مؤبدة على مالٍ يحمله قرعوية إليهم وأن يكونَ الرّومُ إذا أرادوا الغزو لا يُمكن قرعوية أهلَ القرى عن الجلاء عنها ليبتاعَ الرّومُ ما يحتاجون إليه منهم . وكان مع حلب فى الهدنة
١٩٨ - ا حماه وحمص وكفرطاب / والمعرة وأفامية وتميزر[٢] وما بين ذلك من الحصون والقلاع والقرى ، وسَلَّموا الرهائنَ إلى الروم ، وعادوا عن حلب .

ذكر ملك الروم ملازكرد

وفيها أرسل الروم جيشا إلى ملازكرد من أعمال أرمينية ، فملكها عنْوةً وقهرًا من المسلمين ، وعظمت شوكتهم ، وخافهم المسلمون فى أقطار البلاد .

ذكر مقتل ملك الروم نقفور

وفى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة قتل نقفور ولم يكن من أهـل بيت المملكة ، وإنما كان دمستقا والد مستق عندهم الذى يلى بلاد

(١) ابن الأثير الكامل فى ٧ : ٣٧ .

(٢) كل هذه من قرى الشام وبلاده ، وقد بسط الخبر عنها ابن كثير فى البداية والنهاية ١١ : ٢٦٨ .

الروم التى هى شرقى خليج قسطنطينية . وكان نقفور هذا شديداً على المسلمين ، وهو الذى فتح طرسوس والمصيصة وأذنه وعين زربة وغيرها ، ولم يكن نصرانىَّ الأصل وإنما هو من ولد رجل مسلم من أهل طرسوس يعرف بابن القفاس (١) تنصر ، وكان ابنه هذا شَهْمًا شجاعا حسنَ التدبير لما يتولاه . فلما عظم أمره وصار دمستقًا قتل الملكَ الذى كان قبلَه وملَكَ الرومَ بعده ، وتزوّج امرأة الملك المقتول على كُرْهٍ منها وكان لها ابنان من الملك/ ، فعزم على أن ٩٨ ـ ب يخصيهما ليقطع نَسْلَهما ويبقى المُلْك فيه وفى ذُرِّيته . فلما علمت أمهما ذلك احتالت فى قتله ، فأرسلت إليه ابن الشمشقيق ـ وهو الدمستق حينئذ ـ ووافقته على أن يسيرَ إليها فى زِىِّ النساء ومعه جماعةٌ وقالت لزوجها : إن نسوة من أهلها قد زرنها ! فلما سار إليها هو ومن معه جعلتهم فى بيعة تتصل بدار الملك . فلما كان فى ليلة الميلاد نام نقفور واستثقل فى نَوْمه ، ففتحت امرأته البابَ وأدخلتهم إليه فقتلوه ، وثار بهم جماعةٌ من خاصته وأهله فقُتِل منهم نيِّف وسبعون رجلا ، وأُجْلِس فى المُلْكِ الأكبرُ من ولَدَىِ الملكِ المقتول ، وصار المدبر له ابن الشمشقيق ، ويقال : إن نقفور ما بات قطُّ بغير سلاح إلا فى تلك الليلة التى قتل فيها(٢)

(١) فى مرآة الزمان ، وفى عقد الجمان « ابن النقاش » وفى ا « القفاس وما ها هنا من الكامل وف صفحة ٥٦ ـ ا .

(٢) الكامل ٧ : ٣٨ وشذرات الذهب ٣ : ٢٧ ، ٢٨ والمنتظم ٧ : ٥١ .

ذكر الفتنة ببغداد

ومصادرة الخليفة المطيع لله

وفي سنة إحدى وستين وثلاثمائة وقعت ببغداد فتنةٌ عظيمة، وكان سببها أن الرّوم استطالوا على أهل بلاد الجزيرة وامتدوا فى البلاد وعظم أمْرُهم وقويت شوكتهُم ، فسار جماعةٌ من أهل تلك البلاد إلى بغداد مستنفرين ، وقاموا فى المساجد/ والمشاهدِ واستنفروا المسلمين ١٩٩ ـ ا وذكروا ما فعله الرّومُ من النَّهْبِ والأَسْرِ والسَّبْيْ . فاستعظمه النَّاسُ واجتمع أهلُ بغداد وقصدوا دار الخليفة ، وأرادوا أن يهجموا عليه فَمُنِعوا وأُغْلِقَتِ الأَبوابُ فأسمعوه القبيح ، ثم تجمعوا وثاروا فى البلَدِ ، ونهبتِ الأَموال وقُتِلَتِ الرِّجال ، وأُحْرِقَتِ الدورُ ، وفى جملةِ ما أُحرق محلة الكرخ وكانت معدن التجار والشيعة .

فأنفد عز الدولة بختيار [1] إلى المطيع لله يطلب منه مالا يخرجه على الغزاة فقال المطيع : إنَّ النفقة على الغزاة وغيرها من مصالح المسلمين تلزمنى إذا كانت الدُّنيا فى يَدِيَّ والأَموال تُجبى إلىّ ، وأما إذا كانت حالى هذه فلا يلزمنى شىءٌ من ذلك ، وإنما يُلْزَمَ مَنِ البلادُ فى يَدِهِ وأنا ليس لى إلا الخطبةُ ، فإن شئتم أن أعتزل فعلت !

وترددتِ الرسائلُ بينهما حتى بلَغَا إلى التهديد ، فبذل المطيعُ لله أربعمائة أَلفِ درهمٍ فاحتاج إلى بيْع ثيابه وإنقاصِ داره وغير ذلك . وشاع عند النَّاسِ من أهل العراق وحجاج خرسان وغيرهم

(١) هو ابن معز الدولة المتوفى يقول عنه مسكويه فى تجارب الأمم ٢ : ٢٣٤ « اشتغل باللهو واللعب ومعاشرة المساخر والمغنين والنساء » .

أن الخليفة قد صودر فلما قَبَضَ بختيارُ المال صَرَفَه فى مصالح نَفْسه وبطُلَ حديث الغزاة ، ولم يسمع بمثل هذا فيما مضى .

وفى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة / وقعت الفتنة بين بختيار ٩٩ ـ ب وسبكتكين التركى الحاجب[1] ، فانتصر الحاجبُ عليه واستولى على بغداد ، وأخرج مَنْ فيها من أهل بختيار وأصحابِه ، وترك الأتراكَ فى دُورِ الدَّيْلَم ، وأخذوا أموالَهم على ما نذكر ذلك مبيَّنا فى أخبار الدولة البويهية إن شاء الله تعالى .

ذكر خلع المطيع لله نفسه من الخلافة

وخلافة ابنه الطائع لله

وفى منتصف ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وقيل فى الثالث عشر منه خَلَع المطيعُ لِلَّهِ نَفْسه من الخلافة . وكان سبب ذلك أنه أصابه مرض الفالج وثقُل لسانه وتَعذَّرَتِ الحركة عليه ، وكان يسْتُر ذلك ، فانكشف حاله لسبكتكين فدعاه إلى خَلْع نَفْسِه وتسليمها لولده ففعل ذلك وأشهد عليه به . فكانت مُدَّة خلافتِه تسعا وعشرين سنة وأربعةَ أشهرٍ وعشرين يومًا ، وكان له من الأولاد أبو بكر وهو الطائع وعبد العزيز وجعفر .

وزراؤه : أبو الحسن محمد بن على بن مقلة ، وأبو الفضل أحمد الشيرازى . قضاته : محمد بن الحسين بن أبى الشوارب ، ومحمد بن أمِّ شيبان الهاشمى[2] / ، وأبو السائب[3] ، وأبوبشر ١٠٠ ـ ا

(١) كانت هذه الفتنة شملت الأتراك ضد الديلم بالأهواز ثم عمت العراق كله .

(٢) كذا فى المنتظم ٧ : ٦٤ ، ا ، صفحة ٥٨ — ا ، وفى ك صفحة ٥٨ — « محمد بن شيبان » .

(٣) فى ا « وأبو الشايب » مع أنه ذكره قبل بلا تحريف .

عمر بن أكثم . حجابه : بختيار بن معز الدولة ويخلفه عبد الواحد ابن أبي عمر الشرابي [١] . الأمير بمصر : الإخشيد إلى أن مات ، ثم ثم ابنه أنوجور ، ثم أخوه ، ثم كافور الإخشيدى إلى أن مات، ثم عُقد الأمرُ لأحمدَ بنِ علىٍّ بنِ الإخشيد وهو ابن إحدى عشرةَ سنةً ، ثم خرجت مصر عن الدولة العباسية باستيلاء المغاربة عليها . القضاة بمصر : أبو الوليد ، ثم عمر بن الحسن بن عبد العزيز العباسى من قِبَلِ أخيه محمد ، واستخلف ابنَ الحدَّادِ ، ثم وَلِيَها أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخَصيب ، ثم ابنه محمد ، ثم أبو طاهر محمد بن نصر .

ذكر خلافة الطائع لله

هو أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر بالله أبى الفضل جعفر ، وأمه أم ولد اسمها عتب . وهو الخليفة الرابع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، وبويع له فى يوم الأربعاء لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلَتْ من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وسِنُّه يوم ذلك ثمانٍ وأربعون سنةً ، ولم يل الخلافةَ أكبرُ منه سِنًّا من بنى العباسى ، ولم يتقلَّدِ الخلافةَ من له / أبٌ حىٌّ بعد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه غيره [٢] ! ١٠٠ ـ ب

ذكر الحوادث فى أيام خلافته

فى هذه السنة خُطِب للمعزِّ صاحبِ مصر بمكةَ والمدينة . وفى سنة أربع وستين وثلاثمائة استولى عَضُدُ الدولة على العراق وقبض على

(١) الشرابى : كان يتولى تقديم الشراب فى القصر كالساقى .
(٢) فى المنتظم ٧ : ٦٦ تفصيل أكثر .

بختيار ، ثم عاد بختيار إلى مُلْكِهِ على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وفى سنة خمس وستين وثلاثمائة توفى المعز لدين الله صاحب مصر ، وقام بعده ابنه العزيز .

وفى سنة ست وستين وثلاثمائة توفى ركن الدولة بن بويه ، وملك ابنه عضد الدولة وفيها كان ابتداء الدولة الغزنوية وأول من ملك منهم بغزنة سَبُكْتَكِين[1] ، وسنذكر أخباره فى دولتهم إن شاء الله تعالى .

وفيها فى جُمادى الأُولى نُقِلَتْ ابنة عِزّ الدولة بختيار إلى الطائع لله ، وكان قد تَزَوَّجَها .

وفى سنة سبع وستين وثلاثمائة استولى عضد الدولة على العراق وأخرج بختيار عنها ثم قتله ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى فى أخبارهم[2] .

وفى سنة تسع وستين وثلاثمائة تزوج الطائع ابنة عضد الدولة ، وكان عضد الدولة قد زوجه بها ، وقال : لعلها / تلد منه ولدا ذكرا ١٠١ـ١
فنجعله ولى عهده فتكون الخلافة فى ولدهم ! وكان الصداق مائة ألف دينار ، وزُفت إليه فى سنة سبعين وكان معها من الجواهر والجهاز ما لا يحصى .

---

(١) فى المنتظم ٧ : ٧٦ يموت سبكتكين فى حوادث ٣٦٤ فلعل النويرى يقصد ابنه محموداً (أنظر المقريزى فى كتاب السلوك ١ : ٢٠ قسم أول) .

(٢) راجع هنا تاريخ البيهقى صفحة ٢٠٨ وتجارب الأمم ٢ : ٤٠٦ وما بعدها .

وفى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة تُوفِّىَ عضدُ الدولةِ بن بو يه[1] ، ووَلى صمصامُ الدولة ولدُه .

وفى سنةِ خمسٍ وسبعين وثلاثمائةٍ خرج طائر من البحر بعمان وهو أكبر من الفيل ، ووقف على تل هناك وصاح بصوت عالٍ ولسان فصيح : قد قرب قد قرب قد قرب ! ثلاثا ، ثم غاص في البحر ، فَعلَ ذلك ثلاثةَ أيامٍ ثم غاب ولم يُرَ بعد ذلك .

وفى سنة ست وسبعين وثلاثمائة ملك شرف الدولة العراق ، وقبض على أخيه صمصام الدولة وَسَملَه فى سنةِ تسعٍ وسبعين ، ومات شَرَفُ الدَّوْلةِ فى السنة ، وملك بعده أخوه بهاء الدولة وله إخوة .

ذكر القبض على الطائع وشىء من أخباره

وفى سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة فى يوم السبت لثمانٍ من شعبان قبض بهاءُ الدولة بن بويه على الخليفة الطائع لله ، /وكان سبب ذلك أن بهاء الدولة قَلَّتْ عنده الأموالُ وكثر شَغَبُ الجُنْدِ عليه ، فَقَبَضَ على وزيره سابورَ فلم يُغْنِ عنه شيئا . وكان أبو الحسن بن المعلم [2] قد غَلَب على بهاء الدولة وحكم فى مملكته فحسَّن له القبضَ على الطائع وأطعمه فى ماله ، وهوَّن ذلك عليه وسهَّله . فأقدم عليه بهاء الدولة وأرسل إلى الطائع لله وسأله الإذْنَ فى الحضور إليه ليجدِّد العهد ١٠١-ب

(١) انظر المنتظم ٧ : ١١٣ والبداية والنهاية ١١ : ٢٩٩ وشذرات الذهب ٣ : ٧٨ .

(٢) كذا فى ١ ، ووقف صفحة ٥٨ – ب وفى الكامل ٧ : ١٤٧ كذلك ، ولكنه ذكر قبل بأبى الحسين المعلم (٧ : ١٤٥) وفى النجوم الزاهرة (٤ : ١٥٩) أبو الحسين المعلم.

بخدمته ، فأذن له بذلك . وجلس له كما جَرتِ العادةُ ، فدخل بهاء الدولة ومعه جمعٌ كبيرٌ فلما دخل قَبَّل الأرض. فأُجلس على كرسى ، فدخل بعض الدَّيْلم كأنه يريد تقبيلَ يدِ الخليفة ، فجذبه وأنزله عن سريره والخليفة يقول : إنَّا لله وإنا إليه راجعون ! ويستغيث ولا يُلْتَفَتُ إليه ، وأخذ ما فى دار الخلافة من الذخائر ، ونهب النَّاسُ بعضُهم بعضاً . وكان فى جملتهم الشريف الرضى فبادر بالخروج فسلم وقال أبياتا من جملتها :

من بَعْدِ ماكان ربُّ المالِ مبتسما
إلىّ أدنوه فى النجوى ويدنينى[1]
أمْسَيْتُ أرْحمُ مَنْ قد كنت أغبطه
لقد تقارب بين العِزِّ والهُونِ[2]
ومنظرٍ كان بالسراء يُضْحِكنى
ياقُرْبَ ماعاد بالضَّرَّاء يُبكينى
هيهاتَ اعْتَزَّ بالسُّلْطانِ ثانيةً
قد ضَلَّ وَلَّاجُ أبوابِ السلاطينِ

/ قال[3] : ولما حُمِلَ الطائعُ إلى دار بهاء الدولة أشهد عليه ١٠٢ـ١
بالخلع ، فكانت مدة خلافته سَبْع عَشْرَةَ سنةً وتسعةَ أشهر وثمانية أيام ، وبقىَ فى حبس القادِر باللهِ إلى أن تُوفى فى يوم

(١) فى ذيل تجارب الأمم ، ف صفحة ٥٩ ـ ١ « أدنيه » .
(٢) فى ذيل تجارب الأمم « من أصبحت أغبطه » .
(٣) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ١٤٨ .

الثلاثاء سَلْخَ شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وصلّى عليه القادر بالله فى دار الخلافة وكبّر خَمْسًا ، وتحدّث النّاس فى ذلك فقال : هكذا يصلى على الخلفاء ! ودفن بالرصافة، ويقال : إن القادر بالله شيّع جنازته إليها ورثاه الشريف الرَّضِىّ بقصيدته التى أولها :

ما بَعْدَ يوْمِك مايَسْلو به السّالِى
ومثلُ يومِكَ لم يَخْطُرْ على بالِى

وكان مولدُه فى سنةِ سبعَ عشْرَةَ وثلاثمائةٍ ، وكان أبيضَ مرْبوعًا حسنَ الجسْم ، وكان أنْفه كبيرًا جدا ، وكان شديد القوة كثير الإقدام ، ولم يكن له من الحكم فى ولايته ما يُعرف به حاله ويستدَلُّ على سيرته .

ذكر خلافة القادر بالله

هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبى أحمد بن الموفق ، وأمه أم ولد اسمها دمنة وقيل تمنى [1] ، وهو الخليفة الخامس والعشرون من الخلفاء العباسيين .

١٠٢ ب وبويع له فى يوم خلع الطائع لثمان / بقين من شعبان سنةَ إحدى وثمانين وثلاثمائةٍ وكان يوم ذاك بالبطِيحةِ [2] عند مُهذّب الدولة أميرها .

(١) كذا فى ك صفحة ٥٩ وفى ف صفحة ٥٩ – ب .

(٢) أرض ضحلة بالعراق يحدد المسعودى مساحتها بخمسة وثلاثين ألف ميل ، بينما لا تزيد مساحة العراق كله على خمسة وأربعين ألفا ، وكان سكانها خليطا من النبط والزنج والأساورة والزط والسابجة يعيشون فى فقر شديد (راجع الحياة الأدبية فى البصرة صفحة ٥٦ وما بعدها) .

وكان سبب توجهه إليها أن إسحاق بن المقتدر والد القادر لما توفى جرى بين القادر وبين أخيه منازعة فى ضَيْعة ، وطال الأمرُ بينهما . ثم إن الطائع لله مرِض مرضًا شديدا أُشْفِى[1] منه ثم أبلّ[2] فسعت إليه بأخيها القادر وقالت : إنه شَرع فى طلب الخلافةِ عند مَرَضك ! فتغيّر رأيُه فيه ، وأنفذ أبا الحسن ابن حاجب النُّعمان وغيره لِلْقَبْض عليه وكان بالحريم الطاهرى ، فأصعدوا فى الماء إليه .

وكان القـادر قد رأى فى منامه كـأن رجُلاً يقرأ عليه . « الَّذِين قالَ لَهُمُ النَّاسُ إن النَّاس قد جمعُوا لكُم فاخْشَوْهُم فزادهم إيمانًا وقالوا حسْبُنا اللهُ ونِعْم الوكيلُ » [3] فهو يحكى هذا المنام لأهله ويقول : أنا خائف من طَلَبٍ يطلبنى !

ووصل أصحابُ الطائع لله وقَبضُوا عليه ، فأراد لِبْس ثيابه فمنعوه ولم يمكّنوه من مفارقتهم ، فأخذه النساءُ منهم قهْرًا وخرج من داره واستتر وذلك فى سنة تسع وسبعين . ثم سار إلى البطيحة فسار فنزل على مهذب الدولة ، فأكرم نُزُلَه ووسّع عليه وبالغ فى خِدْمته ، ولم يزَلْ عنده حتى أُفْضِىَ إليه الأمر فجعل علامته « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

قال[4] : ولما قبض على الطائع ذكر / بهاء الدولة من يصلح ١٠٣ ـ ١

(١) شفى : برأ ، شفاه يشفيه برأه وطلب له الشفاء كأشفاه (القاموس المحيط) .
(٢) بل : نجا ، وأبل من مرضه حسنت حاله بعد الهزال (المحيط) .
(٣) سورة آل عمران (٣) آية ١٧٣
(٤) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ١٤٨

للخلافة فاتفقوا على القادر بالله ، فأرسل بهاء الدولة خواص أصحابه ليحضروه إلى بغداد .

وشَغَبَ الجُنْدُ والدَّيْلَمُ ببغدادَ ، ومَنعُوا من الخُطبة له ، فقيل على المنبر : اللَّهُمَّ أصلحْ عبدك وخليفتَك القادر بالله ! ولم يُذْكَرْ اسمُه ، ثم أرضاهم بهاء الدولة [١] .

قال [٢] : ولما وصل الرسول إلى القادر بالله كان فى تلك الساعة يحكى منَامًا رآه فى تلك الليلةِ هو ما حكاه عبد الله بن عيسى كاتبُ مهذَّب الدولة قال : كنت أحضر عند القادر بالله كلَّ أسبوع مرتين ، فكان يكرمنى ، فد خلت عليه يوما فوجدته قد تأهب لم تَجْرِ به عادتُه ، ولم أر منه ما أَلِفْتُ من كرامته [٣] فاختلفت بى الظنونُ ، فسألته عن سبب دلك فإن كان لِزَلَّةٍ منى اعتذرتُ عن نفسى فقال : « بل رأيتُ البارحةَ فى منامى كأن نهركم هذا نهر الصليق قد اتَّسع فصار مثل دجلةَ دفعات ، فسرتُ على جانبه متعجبا منه ، ورأيت عليه قنطرةً عظيمةً فقلت منْ قد حدَّثَ نفسه بعمل هذه القنطرة على هذا البحر العظيم ؟ ثم صعدتها - وهى محكمة - فبينا أنا عليها أتعجب منها إذْ رأيتُ شخصًا يتأملنى من ذلك الجانب فقال : أتريد أن تعبر ؟ قلت : نعم ، فَمدَ يدَه حتَّى وصَلتْ إلىّ فأخذَنِى وعَبَرنى فهالنى ، وتعاظمنى فِعْلُه ، فقلت : / من أنت ؟ قال : علىُّ بنُ ١٠٣-ب

(١) يبدو أنه كان من نتيجة ذلك منح الخليفة بهاء الدولة لقباً جديداً هو « غياث الأمة » وخطب له بذلك على المنابر كما يقول بن الجوزى فى المنتظم ٧ : ١٦٣ .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ١٤٨ .

(٣) كرامة : عزازة كما فى القاموس ، وفى الكامل ٧ : ١٤٨ « من إكرامه » .

أبى طالبٍ وهذا الأمر صائرٌ إليك ويطول عمرك فيه فأَحْسِنْ إلى ولدي وشيعتى » !

قال[١] : فما انتهى القادر إلى هذا القول حتى سمعنا صياحَ الملأحين وغيرهم فسألنا عن ذلك فإذا هم الواردون إليه لإصعاده ليتولى الخلافةَ ، فخطابته « يا أمير المؤمنين » وقام مهذَّب الدولة بخدمته أَحْسَنَ قيام ، وحمل إليه من المال وغيرِه ما يحمله كبارُ الملوك إلى الخلفاء وشَيَّعه ، فسار القادرُ إلى بغدادا ، فلما وصلَ جَبُّل[٢] انحدر بهاء الدولة وأعيانُ الناسِ إليه واستقبلوه وساروا فى خِدْمَتِه ، فدخل دار الخلافةِ فى ثانى عشر شهر رمضان وبايعه بهاء الدولة والناس ، وخطب له فى ثالث عشر الشهر المذكور .

وجُدِّد أَمْرُ الخلافةِ وعَظُم ناموسها[٣] وحُمِل إليه ما نُهِبَ من دار الخلافة ، ولم يُخْطَبْ له فى جميع خراسان بل كانت الخطبةُ فيها للطائع لله وحلَف له بهاء الدولة على الطاعة والقيام بشروط البيعة ، وحلف القادر له بالوفاء والخلوص ، وأشهد عليه أنه قلَّده ماوراء بابه .

ذكر تسليم الطائع لله الى القادر

وما عله معه

/وفى شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائةٍ سَلَّمَ بهاءُ الدولة ١٠٤ ـ ا
الطائعَ لله إلى الخليفة القـادر بالله ، فأنزله فى حجرةٍ من خاصِّ

(١) عبد الله بن عيسى ، انظر الكامل ٧ : ١٤٩ .

(٢) بليدة بين النعمانية وواسط فى الجانب الشرق كما يقول ياقوت .

(٣) كانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والأتراك فلما وليها حقق رغائبهم جميعا فأطاعوه أحسن طاعة !

حُجَرِه ، وَوَكَّل به من ثقات خَـدَمِهِ من يقوم بِخِدْمَتِه وبالغ فى الإحسان إليـــه ، وكان الطائع يطلب الزيادة فى الخدمة كما كان أيام الخلافة فيؤمر له بذلك . حكى عنه أن القادر أرسل إليه طِيبا فقال : من هذا يتطيب أبو العباس ؟ يعنى القادر فقالوا : نعم ! فقال : قولوا له عنى : فى الموضع الفلانى كندوج [1] فيه طيب مما كنت أستعمله ، فَلْيُرْسِلْ إلىَّ بعضَه ويأخذ الباقىَ لنفسه ! ففعل ذلك ، وأرسل إليـــه القادر يوما عدسية فقال : ما هذا ؟ قالوا : عدس وسَلْق ! فقال : أوقد أكل أبو العباس من هذا ؟ قالوا : نعم ! قال : قولوا له عنى : لَمَّا أردت أن تأكل عدسية لِمَ اختفيت فما كانت العدسية تعوزك ، ولم تقلدت هذا الأمر ؟ فأمر حينئذ القادرُ أن تفْردَ له جاريةٌ من طباخاته تحضر له ما يلتمسه فى كل يوم ، فأقام على هذا إلى أن توفى .

وفى سنة ثلاثٍ وثمانين وثلاثمائة عُقِد نكاح القادر بالله على بنت بهاء الدولة [2] على صداق مبلغه مائة ألف دينار ، وماتت قبل النَّقْلَةِ إليه .

وفيها اشْتَدَّ الغلاءُ بالعراق وبيعت الكارةُ الدقيق بمائتين وستين درهما ، والكُرُّ الحنطة بستةِ آلافٍ / وستمائة درهم غياثية [3] . ١٠٤ ـب

(١) كندوج : بالفارسية صندوق أو مخزن أصله « كندو » وعرب باضافة الجيم (الحياة الأدبية فى البصرة ٣٧٠) .

(٢) اسمها سكينة وقيل ستيتة (راجع المنتظم ٧ : ١٧٢ وشذرات الذهب ٣ : ١٠٤) .

(٣) غياثية : نسبة إلى غياث الأمة لقب بهاء الدولة الذى خلع عليه عام ٣٨١ .

وفى سنةِ ستٍّ وثمانين وثلاثمائة توفى العزيز بالله صاحب مصر ، وولى بعده ابنُه الحاكم .

وفى سنةِ تسعٍ وثمانين انقرضتِ الدَّوْلةُ السامانية وملك التُّرك ما وراء النهر (١) .

وفيها عمل أهل باب البصرة ببغداد يومَ السادس والعشرين من ذى الحجة زينةً عظيمةً وفرحًا كثيرا ، وعملوا فى ثامن عشر المحرم مثلَ ما تعمل الشيعة فى يوم عاشوراء . وسبب ذلك أن الشيعة بالكرخ كانوا ينصبون القِباب ويعلِّقون الثياب للزينة فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة ، وهو يوم الغدير . وكانوا يعْملون - يومَ عاشوراء - المآتمَ والنَّوْح ، ويُظهرون الحزنَ لمقتل الحسين ، فعمل أهلُ باب البصرة مقابلَ ذلك بعد يوم الغدير بثمانيةِ أيام مثلهم وقالوا : يوم دخول النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله تعالى عنه الغار ! وعملوا بعد عاشوراء بثمانية أيام مثل عمل الشيعة يوم عاشوراء وقالوا : هذا يوم قتل مصعب بن الزبير رضى الله تعالى عنهما .

وفى سنة تسعين وثلاثمائة ظهر فى سجستان معدن الذهب الأحمر (٢) .

---

(١) كان الأمير أبو القاسم محمود بن سبكتكين قد استولى على أعمال خراسان بعد أن هزم الأمير عبد الملك بن نوح السامانى فأزال بذلك السامانية وأقام الدعوة بخراسان للخليفة القادر بعد أن كانت للطائع الذى خلع (راجع البداية والنهاية ١١ : ٣٢٥ وتاريخ البيهقى ٢١٤ ومابعدها) .

(٢) قال ابن الأثير : فكانوا يحفرون التراب ويخرجون منه الذهب الأحمر (٧ : ٢٠٧) .

ذكر البيعة لولى العهد

وفى شهر ربيع الأول سنةَ إحدى وتسعين وثلاثمائة أمر القادر بالله / بالبيعة لولَدِهِ أبى الفضـــل بولاية العهـــد ، ولقّبـــه الغالبَ بالله . وكان سبب ذلك أن أبا عبد الله بن عثمان الواثقى من ولد الواثق بالله كان من أهل نصيبين ، فَقَصد بغداد ثم سار إلى خراسان وعبر النَّهْرَ إلى هارون بن أيلك بغراخان [1] ، وصحبه الفقيه أبو الفضل التميمى وأظهر أنه رسولٌ من الخليفة إلى هارون يأمره بالْبَيْعةِ لهذا الواثقىّ وأنه ولىُّ عهْدِه . فأجاب بغراخان إلى ذلك وبايع له وخطب له ببلاده ، فبلغ ذلك القادر فعظم عليه وأرسل إلى بغراخان فى معناه فلم يُصْغ إلى رسالته . فلما توفى هارون وولى بعده أحمد بغراخان كاتَبَه الخليفةُ فى معناه ، فأُمر بإبْعادِه فحينئذ بايع القادر لولده ، وأحضر حجاج خراسان وأعلمهم ذلك . ١٠٥ ـ ا

وأما الواثِقىُّ فإنه خرَج من عند أحمد بغراخان وقصد بغداد فعُرِف بها ، فطُلِبَ منها فَهرب إلى البصرة ثم إلى فارس وكرمان ، ثم إلى بلاد الترك ، فلم يتم له ماأراد ، وأرسل الخليفةُ إلى الملوك يطلبه فضاقت عليه الأرض ، فسار إلى خوارزم فأقام بها ثم فارقها ، فأخذه يمينُ الدولة محمود بن سَبُكْتَكِين فحبسه إلى أن مـــات .

---

(١) فى ك ٦١ « بغداخاقان » وفى ف صفحة ٦١ ـ ا ، كما فى ا « بغراخانقان » وما هاهنا من تاريخ البيهقى صفحة ٢١٤ .

وفي سنة إحدى وأربعمائة خطب قرواش [١] بن المقلد أمير بني عقيل للحاكم العلوى صاحب مصر بالكوفة/ والموصل والأنبار والمدائن ١٠٥-ب
وغيرها من أعماله ثم قطعت في السنة [٢].

وفي سنة إحدى عشرة وأربعمائة مات الحاكمُ صاحبُ مصر وولى بعده ابنُه الظاهر لاعزاز دين الله [٣].

وفي سنة اثنتى عشرة وأربعمائة توفى على بن هلالٍ المعروف بابنِ البواب ، وإليه انتهى الخطُّ ، ونُقِل عنه إلى وقتنا هذا ، ودفن بجوار أحمد بن حنبل ، وكان يَقص بجامع بغداد ، وقيل إنه مات في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ورثاه المرتضى [٤].

ذكر الفتنة بمكة

وفي سنة أربعَ عشْرةَ وأربعمائةٍ في يوم النفر الأول وكان يوم الجمعة ، قام رجلٌ من أهل [مصر] [١] بإحدى يديه سيف

(١) هو أبو المنيع قرواش بن المقلد ويلقب بمعتمد الدولة للحاكم صاحب مصر بالموصل (انظر المنتظم ٧ : ٢٤٨)

(٢) يقول ابن تغرى بردى : « فلما سمع الخليفة ذلك أزعجه وأرسل عميد الجيوش فى تجهيز العساكر ، فلما بلغ قرواشا ذلك أرسل يعتذر للخليفة .وأبطل دعوة الحاكم من بلاده وأعادها للقادر على العادة » (النجوم الزاهرة ٤ : ٢٢٧) .

(٣) قيل لم يمت وقيل فقد ، وفى بعض الروايات قتل ، ونرى فى النجوم الزاهرة الشيء الكثير عن هذا الموضوع .

(٤) لأبى العلاء شعر فيه منه هذا البيت الذى رواه بن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ٤ : ٢٥٧)

ولاح هلال مثل نون أجـادها بمـاء النضار الكاتب ابن هلال

فلم يكن أكتب منه بعد ابن مقلة ! قال ابن كثير فى البداية والنهاية ١٢ : ١٤ « وأما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها ، وخطه أوضح تعريبا من خط أبى على بن مقلة »

(١) فى كل النسخ بياض فيما نقل بين الحاصرتين و التكملة عن الكامل ٧ : ٢١٤ ويبدو أن الزبيرى =

مسلول والأخرى دبوس ، بعد فراغ الإمام من الصلاه فقصد الحجر الأسود فضربه ثلاثَ ضربات بالدبوس وقال : إلى متى يُعبدُ الحجرُ الأسود ومحمدٌ وعليٌّ ؟ فليمنَعْنى مانعٌ من هذا ، فإنى أريد هدْم هذا البيت ! فخاف أكثر من حضر وتراجعوا عنه وكاد يفلت ، فثار به رجل فضربه بخنجر فقتله ، وقطّعه النّاسُ وأحرقوه ، وقُتل مِمّن اتُّهِم بمصاحبته جماعةٌ وأحرقوا ، وثارت الفتنة ، وكان الظّاهرُ من القَتْلى أكثر من عشرين رجلا غير ما أُخفى منهم .

وألَحَّ / النّاسُ فى ذلك اليوم على المغاربة والمصريين بالنّهْبِ والسّلب ، ١٠٦ ـ ا
فلما كان الغدماج النّاسُ واضطربوا وأخذوا أربعة من أصحاب ذلك الرجل فقالوا : نحن مائةُ رجلٍ ! فَضُرِبت أعناق الأربعة . وتَقَشّر بعضُ وجْهِ الحجر من الضربات ، فأُخذ ذلك الفتات وعجن بِلَك وأُعيد إلى موضعه .

وفى سنة ثمانى عشرةَ وأربعمائة سقط بالعراق جميعه بردٌ كِبارٌ وَزْنُ الواحدةِ رطلٌ ورطلان ، وأصغره كالبيضة ، فأهْلَكَ الغلّاتِ ولم يصح منها إلى القليلُ ، هكذا حكاه ابن الأثير فى تاريخه الكامل[1] .

وفيها فى آخر تشرين الثانى هبّتْ ريحٌ باردة بالعراق جَمَدَ منها الماءُ والخَلُّ ، وبطلَ دورانُ الدواليب التى على دجلة .

وفى سنةِ تسعَ عشرةَ وأربعمائةِ انقطع الحجُّ من العراق ، فمضى

= استثقل أن يلحق هذا العار واحداً من أهل بلده ! ويلاحظ أن هناك شبه إجماع على أن الواقعة كانت فى عام ٤١٣ (راجع شذرات الذهب ٣ : ١٩٧ والبداية والنهاية ١٢ : ١٣) .

(١) جزء ٧ صفحة ٢٣٠ .

بعض حجاج خراسان إلى كرمان وركبوا فى البحر إلى جـدة وحجوا ! .

ذكر البيعة لولى العهد

كان القادر بالله قد جَعَلَ ولاية العهد لولده أبى الفضل كما قدمناه فمات [1] فلما كان فى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة مرض القادر وأرجف بموته ، فجلس جلوسا عاما وأذن للخاصة والعامة / فدخـلوا عليـه . فلما اجتمعوا قام الصَّاحب أبو الغنائم فقال : ١٠٦ ـ ب
خَدمُ مولانا أميرِ المؤمنين داعون له بالبقاء وشاكرون لما بلغهم من نظره لهم وللمسلمين باختيار الأمير أبى جعفر لولاية العهد ! فقال القادر للناس : قد أذنَّا لكم فى العهد له ! وكان أراد أن يبايع له قبل ذلك فنهاه عنه الحسن ابن حاجب النعمان ، فلما عيّنه القادرُ الآن جلس على السرير الذى كان قائما عليه . وأُلقيت الستارة التى على القادر ، فتقدم الحاضرون وخدموا ولىَّ العهد وهنَّئوه ، وتقدَّم أبو الحسن ابن حاجب النعمان فَقَبَّلَ يده وهنَّأه فقال له أبو جعفر : « وردَّ اللهُ الذين كفروا بِغَيْظهم لم ينَالوا خَيْرًا وكفى الله المؤمنين القتال » [2] يعرض له بإفساده رأى القادرِ فيه فأكب على تقبيل قدميه وتعفير خدِّه بين يديه ، فَقَبِلَ عذره . ودُعِى لأبى جعفر على المنابر يوم الجمعة لستٍّ بقين من جُمادى الأُولى ، ومات أبو الحسن ابن حاجب النعمان فى نفس السنة .

(١) أنظر صفحة ٢١٢ من هذا الكتاب ، والكامل ٧ : ٣٥١ .
(٢) سورة الأحزاب (٣٣) آية ٢٥ .

ذكر ملك الروم مدينة الرها

وفى سنةِ اثنتين وعشرين وأربعمائةٍ ملَكَ الرّومُ مدينةَ الرُّها وكانت بيد نصير الدولة [١] بن مروان صاحب ديار بكر ، ملكها من صاحبها عطير فى سنة ست عشرة وأربعمائة ثم مات عطير فشَفع صـــالحُ بنُ مِرداس صـــاحبُ حلب إلى نصير الدولة فى إعادتها إلى ابن عطير وإلى ابن شبل بينهما ، فقبل شفاعته وسلمها إليهما . وكان فى الرُّهابُرجانِ حَصِينان أحـــدهما أكبر من الآخر فتسلم ابن عطير الكبير وابن شبل الصغير ، وبقيت المدينة معهما إلى هذه السنة . فراسل ابنُ عطير أرمانوس ملك الروم وباعه حِصّنَه من الرُّها بعشرين ألف دينار وعِدَّةَ قرًى من جملتها القرية التى عرفت بسن ابن عطير ، وتسلموا البرج الذى له ودخلوا البلد فملكوه وهرب منه أصحاب ابن شبل . وقَتلَ الرُّومُ المسلمين ، وخرّبوا المساجد ، فسمع نصير الدولة الخبر فسيّر جيشًا كثيفا إلى الرها فحصرها وفتحها عَنْوةً ، واعتصم منْ بها من الروم بالبرجيْن واحتمى النّصارى بالبيعة التى لهم ، فحصرهم المسلمون بها وأخرجوهم وقتلوا أكثرهم ونهبوا البلد ، وبقى الروم بالبرجين . فسيّر إليهم ملِكهم عسكرًا نَحْو عشرةِ آلافِ مقاتلٍ ، فانهزم أصحابُ ابن مروان من بين أيديهم ، ودخل الروم البلد و نهبوا ما جاورهم من بلاد المسلمين وصالحهم ابن وثّاب [النميرى] [٢] على حَرّان وسَروج وحملَ إليهم خراجًا . ١٠٧ ـ ا

(١) فى الكامل ٧ : ٣٥٣ نصر الدولة.

(٢) إضافة من الكامل ٧ : ٣٥٣ .

ذكر وفاة القادر بالله

١٠٧ـب

وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاتُه رحمه اللهُ فى اليوم الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وعمره ستٌّ وثمانون سنةً وعشرةُ أشهرٍ . وكانت مدَّةُ خِلافتِه إحدى وأربعين سنةً وأربعةَ أشهرٍ إلا أياما . وكان حليما كريما خَيِّرًا يُحِبُّ الْخَيْر وأهلَه ويأمر به ، وينْهى عن الشَّرِّ ويبغض أهلَه . وكان حسن الاعتقاد ، وصنَّف كتابا على مذهب السنة . وكان يخرج من داره فى زِىِّ العامَّةِ ويزور قبور الصالحين كَقَبْرِ معروفٍ الكرْخِىِّ و بِرِه .

قال القاضى الحسينُ بنُ هارون : كان بالكرخ مِلْكٌ ليتيمٍ وكان له قيمة جيِّدةٌ ، فأرسل إلىَّ ابن حاجب النعمان ـ وهو حاجب القادر بالله ـ يأمرنى أَفُكُّ الحجْر عنه ليشترىَ بعضُ أصحابه ذلك المِلْكَ فلم أفعلْ فأرسل إلى يستدعينى فقلت لغلامه : « تقدمنى حتى أَلْحَقَك » وخفْتُه وقصدتُ قَبْرَ معروف الكرخى فدعوت الله أن يكفَينى شَرَّه وهناك شيخ فقال : « على من تدعو ؟ » فذكرت له الْخَبر ووصلت إلى الحاجب فأغلظ لى فى القول ولم يقبلْ عُذرى ، فأتاه خادمٌ بِرُقْعةٍ ففتحها فقرأها فتغير لونُه واعتذر إلى ثم قال : « كتبتَ إلى الخليفة رقعةً ؟ » / قلت: ١٠٨ـا
« لا » وعلمت أن ذلك الشَّيْخَ كان الخليفة !

وقيل إنه كان يقسم إفطاره كلَّ ليلةٍ ثلاثةَ أقسام ؛ فقِسْمٌ يتركه بين يديْه ، وقِسم يُرْسله إلى جامع الرصافة ، وقسم يرسله إلى جامع المدينة يُفَرِّقه على المقيمين فيهما . فاتَّفق أن الفَرَّاشَ حمل

الطعام ليلةَ إلى جامع المدينة ففرَّقه على الجماعة ، فأخذوا إلا شاباً فإنه ردد ، فلما صلَّوْا المغرب خرج الشاب وتبعه الفرَّاش فوقف على بابٍ فاسْتَطْعم فأطعموه كسيرات فأخذها وعاد إلى الجامع فقال له الفراش: ويْحكَ أما تستحى . يَنْفُذُ إليك خليفةُ الله بطعام حلال فتردُّه وترجع فتأخذه من الأبواب ؟ فقال : والله ما رددْتُه إلا لأنك عرضْتَه عليّ قبل المغرب وكنت غير محتاجٍ إليه فلما احتجت طلبتُ ! فعاد الفراش وأخبر القادر بالله فبكى وقال له : راعٍ مثلَ هذا واغتنمْ أجْره وأقم إلى وقت الإفطار .

ومناقبه كثيرةٌ مشهورة وكان أبيض نقىَّ الجسم كثَّ اللحية طويلها يخضب . ودبَّر الملك فى أيامه بهاءُ الدولة إلى أن مات ، ثم ابنُه سلطان الدولة أبو شجاع إلى أن مات ، ثم أخوه أبو على شرف الدولة إلى أن مات ، ثم أخوه أبو طاهر جلال الدولة .

وكان للقادر بالله من الأولاد أبو الفضل الغالب بالله مات فى حياته ، وأبو جعفر عبد الله القائم ، وأبو القاسم ومات فى حياة أيضا . ١٠٨ ـ ب

وزراؤه : محمد بن أحمد الشيرازى الصاحب ، وسعيد بن نصر بن على الفيروزابادى ، وسعيد بن الحسن بن برتك (١) البصرى ، وعلى بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان ، ثم ابنه أبو الفضل محمد بن على .

(١) فى ا بلا نقط إطلاقا وفى ك صفحة ٦٣ « بريك » وفى ف صفحة ٥٩ « برتك » .

حجابه : أبو الفتح محمد بن الحسين السعيدى ، ثم أبو القاسم بكران ، ثم ولده أبو منصور وغيرهم ، نقش خاتمه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وقيل : « حسبى الله ونعم الوكيل » .

ذكر خلافة القائم بأمر الله

هو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق ابن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر ، وقد تقدم ذكر نسبه . وأمه أم ولد اسمها بدر الدجى ، وقيل: قطر الندى وقيل : علم ، وكانت أرمنية وقيل : رومية . وهو الخليفة السادس والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويع له البيعة العامة بعد وفاة أبيه فى الحادى والعشرين من ذى الحجة فى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة [1] . وصلى بالناس عشاء المغرب فى صحن السلام من دار الخلافة ، وكان أبوه قد بايع له بولاية العهد سنة إحدى وعشرين كما ذكرناه ، وأول من بايعه الآن الشريف أبو القاسم المرتضى ، وأنشد : /١٠٩ـ١

فإمـا مضى جبـلٌ وانقضى ... فمنكَ لنا جبـلٌ قـد رسى
وإمـا فُجِعْنَا بِبَدرِ التَّمـامِ ... فقد بقِيَتْ منه شَمْسُ الضُّحَى
فكم حزَنٌ فى محـلِّ السرور ... وكم ضَحِكٌ فى خلال البُكى [2]
فيا صارمًا أَغْمَدَتْهُ يـَـد ... لنا بعْدك الصارمُ المنتضـى

(١) فى هذه السنة تجددت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة ، ونهبت دور اليهود لأنهم أعانوا أهل الكرخ من الشيعة (البداية والنهاية ١٢ : ٣١) .

(٢) فى الكامل والبداية والنهاية « لنا حزن » وفى البداية والنهاية « فكم ضحك فى محل البكا » (الكامل ٧ : ٣٥٥ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣٢) .

وأرسل القائم بأمر الله قاضى القضاة أبا الحسن الماوردى إلى الملك أبى كاليجار ليأخذَ عليه البيعةَ ، ويخطب له فى بلاده ، فأجاب وبايع ، وخطب له فى بلاده ، وأرسل إليه هدايا جليلةً وأموالا كثيرةً .

ذكر الحوادث فى أيام القائم

فى منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة توفى الظَّاهرُ صاحبُ مصر ، وولى بعده ابنه المستنصر[١] .

وفى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة كان ابتداء الدولة السُّلجقية على ما نذكره إن شاء الله تعالى فى أخبارهم[٢] .

وفى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة أظهر المُعزُّ بن باديس الدَّعْوةَ للدولة العباسية ، وخطب ببلاده للخليفة القائم بأمر الله فَسُيِّرتْ إليه الخلع والتقليد[٣] .

وفى سنة إحدى وأربعين / وأربعمائة فى ذى القعدة ارتفعت سحابةٌ ١٠٩ ب
سوداء مظلمةٌ ليلًا فزادت ظلمتها على ظلمةِ الليل ، وظهر فى جوانب السماء كالنار المضطرمة ، وهبَّتْ ريحٌ قلعت روْشَن[٤] دار الخليفة ، ثم انكشف ذلك فى بقية الليل .

---

(١) كان الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن على فى الثالثة و الثلا ثين يوم مات ، مع أنه كان خليفة لخمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوما (الكامل ٨ : ١٠) .

(٢) من خير ما كتب عن السلاجقة ودولتهم وسياستهم العامة كتاب « راحة الصدور وآية السرور » ، وضعه بالفارسية محمد بن على بن سليمان الراوندى ، ونقله إلى العربية ثلاثة من أساتذة الجامعة بتكليف من وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٦٠ .

(٣) راجع الكامل ٨ : ٣٩ .

(٤) روشن : شرفة ، وفى الكامل « رواشن » ٨ : ٥٣

وفى سنة ثلاثٍ وأربعين وأربعمائة فى يوم الأربعاء سابع صفر وقت العصر ظهر ببغداد كوكب غَلَب نورُه على نور الشمس له ذؤابةٌ نحو ذراعين ، وسار سيرا بطيئًا ، ثم انقض والناس يشاهدونه .

وفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة زَلْزَلَتِ الأرضَ نحورستان وأرّجان وغيرها زلازلُ كثيرةٌ كان معظمها بأرجان فَخُرِّب كثيرٌ من بلادها ، وانفرج جبل كبير بالقرب من أرجان فانصدع فظهر فى وسطه درجة بالآجُرِّ والجِصِّ وقد خفيت فى الجبل ، فعجب الناس من ذلك !

وفى سنة سبع وأربعين وأربعمائة وصل طغرلبك السُّلجُقى إلى بغداد [1] وخطب له بها ، وانقرضت الدولة البويهية .

وفى سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة تَزوّج الخليفة القائم بأمر الله بأرسلان خاتون واسمها خديجة ابنة داود أخى السلطان طغرلبك ، وقبل الخليفةُ النِّكاح لنفسه .

وفى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة فى العشر / الثانى من جُمادى الآخرة ظهر وقْتَ السَّحر فى السماء ذؤابةٌ بيضاء طولها نحو عشرة أذرع فى رأى العين وعرْضها ذراع ، وبقيت كذلك إلى نصف شهر رجب واضْمحلّت . ١١٠ـ ا

(١) فى راحة الصدور ١٦٩ أنه خطب له ببغداد سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، ثم قال المؤلف « وفى رمضان من تلك السنة قصد طغرلبك إلى بغداد » فتأمل ! .

وفيها أمر الخليفةُ القائمُ بأمر الله أن يُؤَذَّن بالكَرْخ والمشهد وغيرهما « الصلاة خير من النوم » وأن يتركوا « حي على خير العمل » ففعلوا ذلك .

وفى سنة تسع وأربعين وأربعمائة اشْتَدَّ الغلاءُ ببغداد والعراقِ حتّى بيعت الكارة الدقيق السميذ بثلاثة عشر دينارا والكارة الشعير والذرة بثمانية دنانير ، ومقدار الكارة [ ][1] وأكل النَّاسُ الميْتَةَ والكلاب وغيرها وكثر الوباءُ ، حتى عجز الناسُ عن دفن الموتى فكانوا يجعلون الجماعة فى الحفيرة .

وفيها كَثر الوباء ببخارى حتى قيل: إنه مات فى يوم واحد ثمانيةَ عشر ألف إنسانٍ من أعمال بُخارى ، وهلك فى هذه الولاية فى مدة الوباء ألفُ ألفٍ وستمائة ألف وخمسون ألفا ، وكان بسمرقند مثل ذلك ، ووُجِد ميِّتٌ وقد دخل عليه تركى يأخذ لحافا عليه فمات التركى وطرُف اللِّحاف بيده ، وبقيت أموال الناس سائبةً لاتجد من يجمعها[2] !

(١) بياض فى كل النسخ ولكن ابن تغرى بردى يقول : إن الكارة خمسون رطلا بالدمشق ، وأربعا وثلاثين كارة تساوى كرا واحداً ، والكر سبعة عشر قنطارا . (النجوم الزاهرة ٣ : ٢٨٦) .

(٢) نقل ابن كثير بى عن أبى الفرج ابن الجوزى وغيره صوراً « بشعة لهذه الكارثة التى كان الطاعون يلعب الدور الأول فيها (البداية والنهاية ١٢ : ٧٠ ، ٧١)

/ ذكر أخبار أبى الحارث أرسلان البساسيرى ١١٠-ب

وابتداء حاله وما كان منه إلى أن تغلب على بغداد وقطع خطبةَ القائم بأمر الله وخَطَب للمستنصر العـــلوى صاحب مصـــــر

كان أبو الحارث البساسيرى مملوكا تركيـا من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهى ، وهو منسوب إلى مدينة بساسير من بلاد فارس ، كان سيده الأول منها فقيل له: البساسيرى لذلك (١) . وأما ما وَلِيَهُ من المناصب التى تَرَقَّى منها إلى أن صار منه ما صار ، فإنه ولِى فى سنة خمسٍ وعشرين وأربعمائةٍ حمايةَ الجانب الغربى ببغداد ، لأن العيارين كان قد اشتد أمرهم وعظم فسادُهم وعجزَ عنهم نوابُ السلطان فاستعمل لكفاءته ونَهْضَتِه وذلك فى سلطنة جلال الدولة أبى طاهر بهاء الدولة بن بويه ، فظهرت كفاءته . وتَقَلَّبتْ به الحال وصحب جلال الدولة فى حروبه وأبلى بين يديه بلاءً حسنا ، فعظم شأنه وارتفع محلُّه وعلَت رتبته وتقدَّم على الجيوش ، وكان بينه وبين العرب الذين خالفوا جلال الدولة وخرجوا عن طاعته وكاشفوه بالعداوة حروب كان [النَّصر] فى / أكثرها له ، ثم ١١١-ا صار يخلف الملكَ الرحيم ببغداد . واستولى على الأنبار فى سنةِ

(١) أبو الحارث أرسلان بن عبد الله بنسب إلى « بسا » وليس إلى بساسير لأن هذه ليست موجودة فى بلاد فارس ، والموجود « بسا » وكانت تكون النسبة صحيحة لو قلنا بسوى إلا أنها هنا نسبة شاذة فقيل « بساسيرى » (راجع شذرات الذهب ٣ : ٢٨٨) .

إحدى وأربعين وأربعمائة وملكها من قرواش بن المقلّد ، واستولى على الدَّردار ، وملكها من سعيد بن أبي الشول . ولما استولى الملك الرحيم على البصرة فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة وأخذها من أخيه أبي على بن أبي كاليجار سلَّمها إلى البساسيرى فنهض فيها وضبطها وأوقع بالأكراد والأعراب فى سنةِ خمسٍ وأربعين وأربعمائة — وكانوا قد أفسدوا فى البلاد — فقتل منهم خَلْقًا كثيرا وغنم أموالهم وأجلاهم عن البلاد . ثم أتى بغداد ووقع بينه وبين الخليفة القائم بأمر الله وحشةٌ عظيمةٌ فى سنة ستٍّ وأربعين وأربعمائة لأسباب يطول شرحُها أدَّت إلى إسقاطه مشاهراتِ الخليفة ومشاهراتِ رئيس الرؤساء [1] الوزير وحواشى الدار ، ودام ذلك من شهر رمضان إلى ذى الحجة ! ثم سار إلى الأنبار فمنعه أبو الغنائم ابن المحلبان من دخولها فحاصرها ونصب عليها المجانيق ، وفتحها عنْوةً ونهبها وأسر من أهلها خمسمائةً رجل ومائة من بنى خفاجة وأسِر أبو الغنائم . وعاد إلى بغداد وهو بين يديه على جمل وعليه قميصٌ أحمرُ وعلى رأسه برنس وهو مقيّد ، وأتى إلى مقابل التَّاج وقبّل الأرض وعاد إلى منزله وهو يجعل الذَّنْب كلَّه لرئيس الرؤساء
١١١ — ب / وزير الخليفة — ويقول لست أشكو إلا منه فإنه أخرب البلاد .

وكاتب السُّلْجوقية وأطمعهم فى البلاد ، ثم توجه البساسيري إلى واسط ، فلما كان فى سنة سبع وأربعين وضع رئيس الرؤساء

(١) هو على بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر بن المسلمة ، وقد وزر للقائم قبل ابن جهير ، ومن أجله وقعت فتنة البساسيرى .

الأتراكَ البغداديين على البساسيرى وثلبه ونسب مايقع من النقص إليه ، ففعلوا ذلك وزادوا عليه حتى حضروا إلى دار الخلافة فى شهر رمضان واستأذنوا في قصد دور البساسيرى ونهبها فأذن لهم فى ذلك ، فنهبوا دُوره وأحرقوها ، ووكلوا بنسائه وأهله ونوابه ، ونهبوا دوابَّه وجميعَ ما يملكه ببغداد . وأطلق رئيسُ الرؤساء لسانَه فى البساسيرى وذمَّه ونَسبه إلى مكاتبة المستنصر صاحبِ مصر ، وأرسل الخليفةُ إلى الملك الرحيم بأمره بإبعاد البساسيرى فأبعده ، وكانت هذه الحالة من أعظم الأسباب فى ملك السلطان طغر لبك العراق .

ووصل السلطان طغرلبك إلى بغداد إثر هذه الحادثة وملكها ، وانقرضت الدَّوْلة البويهية ، فعند ذلك أظهر البساسيرى الخلافَ وجاهر بالعصيان ، وانضم إليه نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيَد . والْتَقَوْا هم وقريشُ بن بدران [1] صاحبُ الموصل وكان مع قريش قُتُلْمِش [2] السَّلجوقى – / وهو ابن عم طغرلبك – واقتتلوا فكانت الهزيمة ١١٢–ا على قريش وقُتْلْمِش ، وكانت هذه الواقعه عند سنجار في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة . ثم صار قريش بن بدران مع البساسيرى ونور الدولة دبيس ، فساروا إلى الموصل وخطبوا بها للمستنصر بالله العلوى صاحب مصر – وكانوا قد كاتبوه بطاعتهم فأرسل إليهم الخِلَعَ عن مصر–فلما بلغ ذلك السلطان طغرلبك سار إلى الموْصل وديار بكر لإخلائها من البساسيرى وغيره من المفسدين ، فاستولى

(١) هو أبو المعالى العقيلى أمير بنى عقيل ، توفى سنة ٤٥٣ .
(٢) راجع راحة الصدور ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ .

على الموْصل وأعمالِها وسلَّمها إلى أخيه إبراهيم ينال[٣] وعاد إلى بغداد فى سنة تسع وأربعين وأربعمائة فأقام بها إلى سنة خمسين وأربعمائة . ثم فارقها وتوجه نحو بلاد الجبل فعاد البساسيرى إلى الموْصِل واستولى عليها وحصر قلعتها أربعة أشهر ، وملكَها فهدمها وعفى أثرها ، وكان السلطان قد فرق عساكره فكتب إلى أخيه إبراهيم واستدعاه ، فحضر إليه إلى بلاد الجبل فسار السلطان جريدةَ [٢] فى ألفى فارس إلى الموْصل فوجد البساسيرى وقريش بن بدران قد فارقاها .

فسار إلى نَصيبين ليتبع آثارهم ويخرجهم من البلاد ، ففارقه أخوه إبراهيم بِنال إلى همذان فكاتبه البساسيرى وأطمعه فى السلطنة ، فأظهر
١١٢ ـب إبراهيمُ العصيانَ / على السلطان طغرلبك فسار طغرلبك إلى همذان فى منتصف شهر رمضان سنةَ خمسين وأربعمائة ،واشتغل بحرب أخيه حتى ظفر به ، ثم عرض له ما شغله عن العود إلى بغداد .

ذكر استيلاء أبى الحارث البساسيرى على العراق

وخروج الخليفة القائـــم بأمر الله من بغداد والخطبـة للمُستنصر بالله العلـوى صاحب مصـــر وقطـع الدعوة العبـاسيـــة

قال [٣] : ولما اشتغل السلطانُ طغرلبك بِحرْب أخيه

(١) فى النسخ الثلاث يكتب هذا الاسم بأشكال مختلفة مثل نبال ونيال وبنال وإينال ، وفى راحة الصدور إينال : ١٦٨ .

(٢) فى النجوم الزاهرة ٥ : ٨ « بجريدة فى ألفين » .

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٨٣ .

قصد البساسيرى بغدادَ ، فلما وصل إلى هيت أمر الخليفة الناس بالعبور إلى الجانب الشرقى ، وكان الأتراك كلُّهم قد التحقوا بالسلطان إلى همذان . وكان الخليفةُ قد كتب إلى نور الدولة دُبَيْس يأمره بالوصول إلى بغداد فَورد إليها فى مائةِ فارسٍ ، فلما قَوِىَ الإرجافُ بوصول البساسيرى أرسل دُبَيْس بن مَزْيد إلى الخليفة وإلى رئيس الرؤساء والوزير يقول : الرأى عندى خروجُكما من البلد معى ، فإننى أجتمع أنا وعزاعز بواسط على دفْع عدوِّكما . فأتاه الجواب أن يقيم حتى يقع / الفكرُ فى ذلك ، فقال : العرب لا تطيعنى على المقام ، ١١٣ ـ ا وأنا أتقدم إلى دَيالى فإذا انحدرتم سرت فى خدمتكم ! وسار وأقام بدَيالى ينتظرهما فلم ير لذلك أثرا ، فسار إلى بلده .

ثم وصل البساسيرى إلى بغداد فى يوم الأحد ثامن ذى القعدة ومعه أربعمائة غلام فى غاية الضر والفقر ، فنزل بمشرعة الروايا وكان معه قريش بن بدران وهو فى مائتى فارس فنزل مشرعة باب البصرة . وركب عميدُ العراق ومعه العسكر والعوام وأقاموا بإزاء عسكر البساسيرى وعادوا ، وخطب البساسيرى بجامع المنصور للمستنصر العلوى صاحب مصر فأُذِّنَ « حى على خير العمل » وعقَد الجِسْر وعبر عسكره إلى الزاهر واجتمعوا فيه ، وخطب فى الجمعة الثانية للمصرى بجامع الرصافة ، وجرى بين الطائفتين حروب فى أثناء الأسبوع .

وكان عميدُ العراق يشير على رئيس الرؤساء وزير الخليفة بالتوقف عن المناجزة ، ويرى المحاجزة ومطاولةَ الأيام انتظارا لقدوم

طغرلبك ، ولِما يراه من ميْل العوامِ للبساسيرى . فاتّفق فى بعض الأيام أن القاضى الهمذانى حضر إلى رئيس الرؤساء واستأذنه فى الحرب
١١٣-ب وضِمن له قَتْلَ البساسيرى فأذن له من / غير علم عميد الدولة ، فخرج ومعه الخَدمُ والهاشميون والعجمُ والعوامُ إلى الخليفة فاستخرجهم البساسيرى حتى أُبعدوا ، ثم حملَ عليهم فعادوا منهزمين ، وقُتِلَ جماعةٌ منهم ، ومات فى الزَّحْمةِ جماعةٌ ، ونهب باب الأزج . وكان رئيس الرؤساء واقفا دون الباب فدخل الدار وهرب كل منْ فى الحريم ، ورجع البساسيرى إلى معسكره .

واستدعى الخليفةُ عميدَ العراق وأمره بالقتال على سور الحريم فلم يرُعْهُم إلا والزعقات قد علَت ونُهب الحريم ، ودخلوا الباب النوبى . فركب الخليفة لابِسًا السَّواد وعلى كتفه البردة وبيده سيفٌ على رأسه اللواء ، وحوله زمرةٌ من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة ، فرأى النَّهْبَ قد وصل إلى باب الفردوس من داره ، فرجع إلى ورائه ومضَى نَحْو عميدِ العراق . ، فوجده قد استأمن إلى قريش فعاد وصعد إلى المنظرة .

وصاح رئيس الدولة « ياعلم الدين » يعنى قريشا « أمير المؤمنين يستَدْنيك » فدنا منه فقال له رئيس الرؤساء : .قد أنالَكَ اللهُ منزلةً لم ينَلْها أمثالُك ، وأمير المؤمنين يستذِم [1] منك على نَفْسِه وأهلِه وأصحابه بذِمام الله تعالى وذِمام رسوله صلى الله عليه

(١) نقول استذممنا به وتذممنا به فأذم لنا ، ونقول لفلان ذمة وذمام ومذمة أى عهد ، وهو فى ذمتنا وذمامنا ، ويقال تذمم منه أى استنكف واستحيا ، وإنى أتذمم من القوم أن أتحول من عندهم إلى غيرهم (راجع أساس البلاغة ١ : ٣٠٢ طبعة دار الكتب المصرية) .

وسلم وذِمام العربية . قال : أَذَمَّ الله تعالى ! قال : ولى ولمن معه ؟
/ قال نعم ! وخلع قَلَنْسُوَتَه وأعطاها الخليفةَ ، وأعطى رئيس الرؤساء ١١٤ـ١
ذِماما . فنزل إليه الخليفة ورئيس الرؤساء وسارا معه فأرسل إليه اليساسيرى : أتخالف ما استقر بيننا وتَنْقُض ما تعاهدنا عليه ؟ (١) فقال قريش : لا ! وكانا قد تعاهدا على المشاركة فى الذى يحصل لهما وأنْ لا يستبدَّ أحدُهما دون الآخر بشىء ، فاتفقا على أن يُسلِّم قريشٌ رئيس الرؤساء إلى البساسيرى لأنه عدُوُّه ويترك الخليفة عنده !

ذكر مقتل رئيس الرؤساء وعميد العراق

قال (٢) ولما أرسل قريشٌ رئيس الرؤساء إلى البساسيرى قال له : مرحبا بمُهلكِ الدول ومخرِّبِ البلاد ! فقال : العفوُ عند المقدرة ! فقال له البساسيرى : قدرتَ فما عفوتَ وأنت صاحب طيلسان ، وركبتَ الأفعالَ الشنيعةَ مع حُرَمى وأطفالى ، فكيف أعفو أنا وأنا صاحب السيف ؟ وأمر به فحُبس إلى آخر ذى الحجة ، ثم أخرجه من محبسه مقيدا وعليه جبة صوف وطرطور من لَبَدٍ أحمر وفى رقبته ـ مُخَنَّقة / [جلد ١١٤ـب
بعير] (٣) وهو يقرأ « قل اللَّهُمَّ مالِكَ المُلْكِ تؤْتِى المُلْكَ من

(١) يعاتبه البساسيرى أن أخذ منه الخليفة ذماما ليمنعه هو وأهله ووزيره القاسم بن مسلمة .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٨٤ .

(٣) فى ا ، فى ك ٦٦ ، فى ف ٦٦ ـ ا « مخنقة جلود كالتعاويذ » ومابين حاصرتين من الكامل ٨ : ٨٤ وقد ساق ابن كثير العبارة فى البداية والنهاية ١٢ : ٧٨ هكذا « وفى رقبته مخنقة من جلود كالتعاويذ » .

تَشَاءُ وتنزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ » الآية ..[١] وطِيف به محالٌّ ببغداد وهو على جمل ووراءه منْ يصفعه .

فلما اجتاز بِالْكَرْخ بصَقَ أهل الكرخ فى وجهه لأنه كان يتعصَّبُ عليهم ! وجىء به إلى البساسيري وقد نُصِبتْ له خشبة فأُنزل من على الجمل وأُلْبِس جلدَ ثورٍ قد سُلِخَ فى ذلك اليوم ، وجُعلت قرونهُ على رأسه وعُلِّق بكلوبيْن مِنْ حديدٍ ، فلم يزَل يضطربُ إلى آخرِ النهار ومات ، فقال بعض الشعراء فى هذه الواقعة :

أقبلتِ الرَّايات مُبْيضَّـــةً يقْدمهُنَّ الأَسَـــدُ الباسلُ
وولتِ السوداءُ منكوسـةَ ليس لها من ذِلَّةٍ سائلُ
انظرْ إلى الباغِى على جدْعِهِ والدَّمُ من أوداجه سائـــلُ

يعنى رئيسَ الرؤساء ، قال : ودخل البساسيرىُّ داره ونَهب مافيها وشَهر حُرَمَه وأمر بِنَقْضِ دارِه وقال عند ذَلك : فواحدة بواحدة جزاءُ ! قال[٢] : وكان رئيس الرؤساء حسنَ التِّلاوة جيِّد المعرفة بالنَّحْوِ .

وقَتَل البساسيريُّ عميد العراقِ وكان فيه شجاعةٌ وله فتوة ، وهو الذى بنى رباط شَيْخ الشيوخ . وأما الخليفة فإن قريشًا نقله إلى معسكره / راكباً وعليه السَّوادُ والبردة وبيده السيفُ وعلى رأسه اللواءُ وأنزله فى خيمةٍ ، وأخذ أرسلان خاتون ابنة أخى السلطان طغرلبك فسلَّمها إلى أبى عبد الله بن جردة ليقوم بخدمتها . ١١٥ - ا

(١) سورة آل عمران (٣) آية ٢٦ .
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٨٤ .

ونُهِبَت دارُ الخلافة وحريمُها أياما ، ثم سلَّم قريشٌ الخليفةَ إلى ابن عمِّه مهارش بن المُجَلِّى[١] وهو رجل فيه دين وله مروءة فحمله فى هوْدج وسار به إلى حديثة عانة[٢] فنزل بها ، ولما وصل إلى الأنبار شكا البرد ، فأنفذ إلى مقدمها يطلب منه شيئا يلبسه فأرسل إليه جبة فيها قطن ولحافا .

قال[٣] وركب البساسيرى يوْم عيدِ النَّحْر وعبر إلى المصلى بالجانب الشرقى وعلى رأسه الألوية المصرية ، فأحسن إلى الناس وأجْرى الجرايات على المُتَفَقِّهةِ ولم يتعصبْ لمذهبٍ ، وأقام بالعراق إلى ذى القعدة سنةَ إحدى وخمسين وأربعمائة .

واشتغل السلطان طغرلبك فى هذا لمُدَّة بأمر أخيه إبراهيم حتى ظفر به وقتله ، ومات أخوه داود بخراسان فاحتاج طغرلبك إلى المقام حتى قَرَّر القواعدَ بعده لإلب أرسلان ابن أخيه داود[٤] ثم عاد إلى العراق

---

(١) هو أمير العرب محيى الدين أبو الحارث مهارش بن المجلى العقيلى صاحب الحديثة وعانة (شذرات الذهب ٣ : ٢٨٨

(٢) حديثة عانة . لعلها حديثة الفرات التى تعرف بحديثة النورة وتقع دون الأنبار ، . وهناك بلدة مشهورة بين الرقة وهيت تسمى عانة وتعد من أعمال الجزيرة ، بل هى مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة (راجع معجم البلدان ٢ : ٢٣٠)

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٨٥

(٤) هو داود جغرى بك بن ميكائيل بن سلجوق وقد مات سنة ٤٥٠ (انظر سلسلة النسب السلجوقية فى راحة الصدور صفحة ١٤٣ وكذلك صفحة ١٦٥)

ذكر عود الخليفة القائم بأمر الله الى بغداد

وخروج البساسيرى منها وقتـــــله

١١٥ ـ ب / قال : [١] ولما فرغ السلطان طغرلبك من أخيه إبراهيم ينال وقتله ، وقتل ابنيه معه ـ وكان قد خرج عليه مرارا فعفا عنه ، وإنما قتله فى هذه الوَقْعة لأنه علم أن الذى جرى على الخليفة كان بسببه فلهذا لم يَعْفُ عنه ـ عاد إلى العراق وليس له همٌّ إلا إعادة الخليفة القائم بأمر الله إلى داره . فأرسل إلى البساسيرىّ وقريش فى إعادة الخليفة إلى داره على أن لا يدخلَ طغرلبك العراقَ ويقنع بالخطبة والسِّكة ، فلم يُجب البساسيرىُّ إلى ذلك ، فرحل طغرلبك إلى العراق ، فلما وصلت مقدِّمَتُهُ إلى قصر شيرين خرج حُرَم البساسيرى وأولاده ، ورحل أهل الكرخ بنسائهم وأولادهم فى دجلة وعلى الظهر .

وكان دخولُ البساسيرىِّ بغدادَ فى سادس ذى القعدة سنة خمسين وأربعمائة ، وخروجه منها فى سادس ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ووصل طغرلبك إلى بغدادَ وقد أرسل من الطريق الإمامَ أبا بكر أحمد المعروف بابن فورك [٢] إلى قريش ابن بدران يشكره على فِعْلِه بالخليفة وحفْظِه وصيانَتِه ابنةَ أخيه امرأة الخليفة ، ويعرفه أنه أرسل أبا بكر بن فورك لإحضارهما . ولما سمع قريش بقصد طغرلبك العراق أرسل إلى

١١٦ ـ ا مهارش يقول له : / « إنا أودعنا الخليفة عندك ثقةً بأمانتك لينكشف بلاءُ الغزِّ عنا والآن فقد عادوا وهم عازمون على قصدك ،

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٨٥ .
(٢) أبو بكر أحمد بن محمد بن أيوب .

فارحل بأهلك إلى البرية فإنهم إذا علموا أن الخليفةَ عندنا فى البرية لم يقصدوا العراق ونتحكم عليهم بما نريد » فقال مهارش : « إن الخليفة قد استحلفنى بعهودٍ لا أخلص منها » .

وسار مهارش ومعه الخليفة فى حادى عشر ذى القعدة سنة إحدى وخمسين إلى العراق فوافيا ابن فورك فى الطريق ، وأرسل إليه طغرلبك الخيام العظيمةَ والسرادقاتِ والخيلَ بمراكبِ الذهب وغير ذلك من التحف فلقوه .

ووصل الخليفةُ إلى النهروان فى الرابع والعشرين من ذى القعدة ، وخرج السلطان إلى خدمته وقبّل الأرض بين يديه وهنّأه بالسلامة واعتذر من تأخره . فشكر له ذلك وقلّده سيفا وقال : لم يَبْقَ مع أمير المؤمنين من دارِه سواه وقد تَبَـرَّكَ أمير المؤمنين به !

قال : [1] ولم يبق ببغداد من أعيانِها مَنْ يستقبل الخليفةَ غيرُ القاضى أبى عبد الله بن الدامغانىّ وثلاثةِ نفرٍ من الشُّهود . وتقدّم السلطانُ فى المسير ووصل إلى بغدادَ ، وجلس إلى الباب النوبى مكانَ الحاجب ، ووصل القائمُ بأمرِ اللهِ فقام طغرلبك وأخذ بلجام بغلته / حتى صار إلى حجرته . وكان وصوله يومَ الإثنين لخمسٍ ١١٦ ـ ب
بقين من ذى القعدة ، وكانت السنةُ مجدبةً ، ولم ير النَّاسُ فيها مطرًا فجاء المطرُ فى تلك الليلة[2] .

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٨٦ .

(٢) راجع راحة الصدور ١٧٥ وما بعدها ثم ما كتبه براون فى
Literary History of Persia. Vol. 2.

قال [١] : ولما استقرَّ الخليفة القائم بأمر الله أنفذ السلطان جيشا عليهم خمار تكين الطُّغْرائى فى ألْفَىْ فارسٍ نحو الكوفة ، وسار فى أثرهم فلم يشعر دُبَيْس والبساسيري إلا والسَّريَّة قد وصلت إليهم فى ثامن ذى الحجة من طريق الكوفة ، فجعل أصحاب دُبيْس ابن مزْيد يرتحلون بأهليهم فيتبعهم الأتراك فيتقدم دُبيْس ليَردَّ العربَ إلى القتال فلا يرجعون ! فمضى ، ووقف البساسيرىُّ وقاتل فسقط عن فرسه ووقع فى وجهه ضربة ، ودلَّ عليه بعضُ الجرْحَى فأخذه كمشتكين ، وأتى عميد الملك الكندرى[٢] وزير السلطان وقتله ، وحمل رأسه إلى السلطان فأمر بِحمْلِهِ إلى دار الخليفة ، فطيف به على قناةٍ فى نصف ذى الحجة ، ومضى ، ومضى نور الدولة دُبَيْس إلى البطيحة .

وفى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة رتَّب الخليفةُ أبا تراب الأثيرىّ فى الأنهار وحضور المواكب ولقَّبه حاجب الحُجَّاب ، واستوزر أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست ، بعد أن شَرط على نفسه أن يخدم بغير إقطاع / ويحمل مالا . ١١٧ ـ ا

وفى سنَة أربعٍ وخمسين وأربعمائة عقَد السلطان طغرلبك على ابْنَةِ الخليفةِ القائم بأمر الله وحملَ مائَة ألف دينار ، ولم يقعْ مثل هذا فيما تقدّم ، وامتنع الخليفة من ذلك ثم أجاب إليه .

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٨٦ .

(٢) فى ا ، ك ٦٨ ، ف ٦٦ ـ ب « كشتكين دوانى » وكشتكين هذا هو الأتابك كشتكين جاندار قائد جيش بركيارق (راحة الصدور ١٧ ، ٢١٨) الذى سيأتى ذكره بعد .

وفى هذه السنة عُزِل ابن دارست عن الوزارة ووليها أبو نصر ابن جهير .

وفيها عمَّ الرخصُ جميع الأصقاع ، فبيع بالبصرة ألفُ رطلٍ من الثمر بثمانية قراريط [١] .

وفى سنةِ خمسٍ وخمسين وأربعمائةٍ وصل السلطان بابْنَةِ الخليفةِ فى شهر المحرم ، وسار من بغداد فى شهر ربيع الأول إلى الرَّىِّ فمرض بها وتوفى لثمانٍ خلون من شهر رمضان . .

وفيها ملك ألب أرسلان بعد عمِّه طغرلبك [٢] .

وفى سنة سَتٍّ وخمسين وأربعمائة عادت ابنة الخليفة زوجة السلطان طغرلبك وسيّر السلطان فى خدمتها الأمير إيتكين السليمانى، وجعله شحنةً [٣] على بغداد وسأل ألب أرسلان أن يُخْطَب له ببغداد واقترح أن يخاطب بالولد المؤيد فأجيب إلى ذلك ، ولُقِّب ضياءَ الدين عضُدالدولة وجلس الخليفةُ جلوساعاما وشافَهَ [٤] الرسل بتقديم ألب أرسلان فى السلطنة وسيّر إليه الخلع .

---

(١) فى هذه السنة توفى المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الحميرى الصنهاجى ، وكان سلطان افريقية وما والاها من الغرب (راجع النجوم الزاهرة ٥ : ٧١) وإنما ذكرنا ذلك لوروده علينا قبل .

(٢) فى راحة الصدور ١٨٥ السلطان الأعظم عضد الدولة أبو شجاع ألب أرسلان محمد برهان أمير المؤمنين .

(٣) بلا نقط فى ا وهى فى ك صفحة ٣٨ « سجنه » وما هنا عن ف ٦٧ ب لفظة ليست فى القواميس العربية المتداولة ، وهى عند Supp. Dict. or Dozzy. رئاسة الشرطة ونقول « الشحنكية » بمعنى وظيفة الشحنة .

(٤) كذا فى كل النسخ ، واللفظ عربى بمعنى نظره ، وساقه ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٩٨ .

١١٧ ـ ب وفيها / فى شهر ربيع الأول ظهر ببغداد والعراق وخوزستان وكثير من البلاد أن جماعة من الأكراد خرجوا يتصيدون فرأوا فى البرية خِيَمًا سُودًا ، وسمعوا فيها لَطْمًا شديدا وسمعوا فيها قائلاً يقول : قد مات سيدوك ملكُ الجن و أىُ بلدٍ لم يلطم أهله عليه ويعملون له المأتم قُلع أصله وأهْلِك أهله ! فخرج كثيرٌ من النساء فى البلاد إلى المقابر يلطمن ويَنُحن وينشُرْنَ شعورهن ، وخرج رجالٌ من سفلة الناس يفعلون ذلك .

قال ابن الاثير (١) : وقد جرى فى أيامنا نحن فى الموْصل وما والاها إلى العراق وغيرِه أنَّ الناس فى سنةِ ستمائة أصابهم وَجَعٌ كثير فى حُلوقهم ومات منه كثيرٌ من الناس فظهر أن امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها عنقود وأنَّ كلَّ من لا يعْمل له مأتما أصابه هذا المرض ! فكثر فعل ذلك ، وكانوا يقولون :

يا أمَّ عنقودٍ اعذرينـــا قد مات عنقود وما درينا

وكان النساءُ يلطمن و كذلك الأوباش !

وفى سنةِ سبعٍ وخمسين وأربعمائة ابتُدِئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد ، وكمُلت عمارتُها فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة .

وفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة فى العشر الأوسط من جُمادى

١١٨ ـ ا ظهر كوكبٌ كبير له ذؤابةٌ / طويلة ممتدة إلى وسط السماء عرضها نحو ثلاثة أذرع فى رأى العيْن وهو بناحية المشرق ، وبقى إلى السابع والعشرين من الشهر وغاب .

(١) فى الكامل ٨ : ١٠٠ والمعروف أنه مات حول سنة ٦٣٠ .

وفيها فى جُمادى الآخرة كان بخراسان والجبال زلزلة عظيمة بقِيتْ تتردد أياما تَصدَّعتْ منها الجبال وأهلكت خلقًا كثيرا ، وانخسفت منها عدة قرى ، وخرج النَّاسُ إلى الصحراء .

وفيها وُلِدَتْ صَبِيَّةٌ بباب الأزج لها رأسان ورقبتان ووجهان وأربعُ أيدٍ على بدن واحد (١) .

وفى سنة تسع وخمسين وأربعمائة فى ذى القعدة قُتِل الصُّلَيْحى صاحب اليمن (٢) وخُطِب بها للدولة العباسية .

وفى سنة ستين وأربعمائة كانت زلزلةٌ عظيمة بمصر وفلسطين خربت الرملة ، وطلع الماءُ من رءوس الآبار ، وهلك من أهلها خمسةٌ وعشرون ألف نسمة ، وانشقت صخرة البيت المقدس ثم عادت بإذن الله تعالى ، وانحسر البحر عن الساحل مسيرةَ يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقا كثيرا .

وفيها عزل فخر الدولة بن جهير عن الوزارة ثم أُعيد فى سنة إحدى وستين بشفاعة نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد فمدحه أبو الفضل فقال :

/ قد رَجَعَ الحقُّ إلى نصـابه وأنت من دون الورى أولى به (٣) ١١٨ـب
ماكنت إلَّا السيفَ سَلَّتْه يَدٌ ثم أعـادته إلى قِـرابه

(١) سيق هذا الخبر وما قبله عن ابن الجوزى فى البداية والنهاية ١٢ : ٩٣ .

(٢) يعتبر الصليحى واحدا من الذين حكموا بسداد، وكان طموحا فغزا مكة عام ٤٥٥ ورفع جور من تقدمه فيها فأمن الحجاج فى عهده وكسا البيت بالحرير الصينى الأبيض وابتاع حليه التى سلبها بنو حسن وردها إليه . ويقول ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٥ : ٥٨ إنه فى سنة ٤٤٧ «استولى أبو كامل على بن محمد الصليحى على اليمن وانتمى إلى المستنصر صاحب مصر » .

(٣) فى الكامل ٨ : ١٠٧ « وأنت من كل الورى أولى به » .

وهى قصيدة طويلة .

وفيها فى شعبان احترق جامع دمشق ، وكان سبب ذلك أنه وقع بين المغاربة والمشارقة حربٌ فأحرقوا داراً مجاورة للجامع فاتصل الحريق بالجامع ، فَدُثِرَت محاسِنهُ وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة .

وفى سنةِ اثنتين وستين وَرَدَ رسولُ صاحب مكة محمد بن أبى هاشم بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان بمكةَ وإسقاط خطبة صاحب مصر وترك الأذان بـ « حى على خير العمل » فأعطاه السلطان ثلاثين ألفَ دينار وخِلَعًا نفيسةً وأجرى له فى كلِّ سنة عشرةَ آلافِ دينار . وخطب محمود بن صالح بن مرداس صاحب حلب لهما أيضا فى سنة ثلاث وستين على مانشرحه فى أخبار الدولة السُّلجقية فقال أبو عبد الله بن عطية يمدح الخليفة :

كم طائعٍ لك لم تَجْلِبْ عليه ولَمْ تَعْرِفْ لطاعَتِهِ غَيْرَ التُّقَى سَبَبا
هذا البشيرُ بإذعان الحجاز وذا داعِى دمشقَ وذا المبعوثُ من حلَبا

١١٩ ـ ا وفيها خرج أرمانوس ملك الروم فى مائتى ألف إلى / خِلاط.[1] وأُسِر على ما نذكره ـ إن شاء الله ـ فى إيام ألب أرسلان .

وفى سنة أربع وستين وأربعمائة عُزل إيتكين السليمانى من شحنكية بغداد واستعمل عليها سعد الدولة كوهرآيين[2] ، وكان سبب

(١) يقرر ابن الأثير فى الكامل ٩ ؛ ١٠٩ أنه وصل إلى ملازكرد من أعمال خلاط وكان معه جند من الروس هزمهم ألب أرسلان وأسر مقدمهم ، ثم أسر ملك الروم نفسه (راجع أيضا راحة الصدور ١٨٨ ، ١٨٩) .

(٢) فى كل النسخ « كوهراتين » وما ها هنا من راحة الصدور ١٨٩ .

عزل السليمانى أنه كان قد سار إلى السلطان ألب أرسلان واستخلف ابنَه شحنةَ بغدادَ فقتل أحدَ مماليك الدارية فأنفذ قميصَه من الديوان إلى السلطان ووقع الخطاب فى عَزْله ، فورد إلى بغداد فى ربيع الأول من هذه السنة وقصد دار الخلافة وسأل العَفْو عنه وأقام أياماً فلم يُجَبْ إلى ذلك ، وكان نظام الملك يعتنى بالسليمانى فأضاف إلى إقطاعه تكريت ، فكوتب واليها من ديوان الخلافة بالتوقُّف عن تسليمها . فلما رأى السلطانُ ونظامُ الملك إصرارَ الخليفة على الْغَضَبِ على السليمانى عزلاه ، وَسَيَّرا سعدَ الدولة إليها [1] ، فتلقاه الناس وجلس له الخليفة .

وفى سنةِ خمسٍ وستين وأربعمائة قُتِلَ السلطان ألب أرسلان وملك بعده ابنُه السلطان ملكشاه . وفيها أُقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس قدسه الله ...

ذكر غرق بغداد

وفى سنة ستٍّ وستين وأربعمائة غرق الجانب الشرقى وبعضُ الغربى من بغداد ، وسببُ ذلك أن دجلة زادتْ زيادةً عظيمة ١١٩-ب / وطفح الماءُ من البرية مع ريح شديدة ، وجاء الماء إلى المنازل ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقى ، وهلك خلقٌ كثير تحت الهدم [2] ، وشدت الزواريق تحت التاج خَوْف الغَرَق . وقام

(١) يخطىء النويرى دائما فى استعمال الضمائر ، ولكنه هنا ربما قصد بغداد .

(٢) من طريف مايحكى ما يرويه ابن الأثير من أن الناس شكوا إلى أولى الأمر كثرة المجون وزيادة المواخير ، فلم يفعلوا شيئا حتى كان الغرق فكان تلبية إلهية لشكواهم (الكامل ٨ : ١١٩) .

الخليفة يتضرّع ويصلّى وعليه البردة وبيده القضيب ، وغرق من الجانب الغربى مقبرةُ أحمد بن حنبل ومشهدُ باب التنين وتهدّم سورُه ، ودخل الماءُ من شبابيك البيمارستان العضُدِيّ .

ذكر وفاة القائم بأمر الله

وشيء من سيرته

كانت وفاته فى ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنةَ سبع وستين وأربعمائة ، وكان سببُ وفاته أنه كان قد أصابه مأشر فافتصد[1] و نام ، فانتفخ فصادُه وخرج منه دمٌ كثير ولم يشعر ، فاستيقظ وقد ضَعُفَ وسقطت قوّته . فأيقن بالموت وأحضر ولىَّ عَهْدِه ووصّاه وأحضر نقيبَ العباسيين ونقيب الطالبيين وقاضىَ القُضاة وغيرَهم مع الوزير ابن جهير وأشهدهم على نفسه / أنه جعل ابن ابنه أبا القاسم ولىَّ عهده . ١٢٠ـا

ولما تُوفِّىَ غسله الشريف أبو جعفر بن أبى موسى الهاشمى ، وصلّى عليه المقتدي بأمر الله . ومات وله من العمر بِضتٌ وسبعون سنةً وثلاثةُ أشهر وخمسةُ أيام ، ومدةُ خلافته أربعٌ وأربعون سنةً وثمانية أشهر إلا أياما . وقيل كان مولدهُ فى ثامن عشر ذى القعدة سنةَ إحدى وتسعين وثلاثمائة فعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنةً وتسعةَ أشهرٍ وخمسةَ أيام .

وكان جميلا أبيضَ مشربا بحمرةٍ ، حسنَ الوجه والجسم ، ورِعا دينّا زاهِدا عالما قوىِ اليقين بالله تعالى ، وله عنايةٌ بالأدب ومعرفةٌ

(١) فى البداية والنهاية ١٢ : ١١٠ أنه افتصد من بواسير كانت تعتاده .

حسنةً بالكتابة ، ولم يكن يرضى [عن] أكثر ما يكتب من الديوان ويُصلح أشياء منه . وكان مؤثرا العدل والاحسان ، مريدًا لقضاء حوائج الناس ؛ لايرى أن يمنع ما يطلب منه ، حُكِي عن محمد بن على ابن عامر الوكيل قال : « دخلتُ يوما إلى المخزن فلم يَبْقَ أحدٌ إلا وأعطانى قصةً فامتلأت أكمامى فقلت فى نفسى لو كان الخليفة أخى لأعرض عن هذه كلِّها فألقيتها فى البِرْكة والقائمُ ينظر ولا أشعر ، فلما دخلت عليه أمر الخدم بإخراج الرِّقاع من البِركة فأُخرجت ووقف عليها ، ووقَّع بأغراض أصحابِها ثم قال لى : يا عامى[1] ما حمَلَك على هذا ؟ فقلت : خوف الضجر منها ! فقال : لاتعود إلى مثلها فإنا ما /أعطيناهم من أموالنا شيئا . ١٢٠ - ب

ومما يُحْكَى من جُمْلَةِ كَرمه أن أحدَ السلاطين فى أيَّامه سأله أن يَتَقَدَّمَ باعتقال وزرائه وذكر أنهم استَوْلَوْا على أموالِه فخرج توقيعه « ليست دارنا دارَ حَبْسٍ وسجنٍ بل هى دار طمأنينة وأمن » وكان له شعر رائق فمنه قوله :

قالوا : الرحيـــل ، فأنشبتْ أظفارَها
فى خلْـــها وقد اعتلقن خِضـــابا
واخْضَرَّ تحت بَنانِها فـكأنَّمـا
غَرَسَت بأرضٍ بَنَفْسجٍ عِنَّابا

وفى أيامه أسْلَم من كفار الأتراك ألف خركاه وضَحَّوْا بثلاثين ألفَ رأسٍ من الغنم وقيل : أكثر من ذلك .

(١) فى كل النسخ « ياعاق » أو « ياحاقى » وما هنا عن الكامل .

ولم يخلف ولدًا لأن ابنَه ذخيرةَ الدين تُوفى فى ذى القعدة سنة سبع وأربعين وعمره خمسَ عشرةَ سنةً .

وزراؤه وكتابه : كتب له عميد الرؤساء أبو طالب محمد بن أيوب ، ثم رئيس الرؤساء أبو القاسم على بن الحسن بن مسلمة - وزر له ولقّبه بهذا اللقب وبجمال الورى - ووَزَرَ له بعده أبوالفتح منصور ابن أحمد بن دارست ، ثم فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد ابن جُهير . قضاته: قاضى القضاة أبو عبد اللهالحسن بن على بن ماكولا البصرى إلى أن مات ، فَوَلَّى أبا عبدالله محمد بن على الدامغانى شيخ أصحاب أبى حنيفة . حُجّابه : أبو منصور بن بكران ثم أبوعبد الله الحسن بن على المردوسى[1] . ١ـ ٢٢١

ذكر خلافة المقتدى بأمر الله

هو أبوالقاسم عبد الله بن ذخيرة الدين أبى العباس أحمدبن القائم بأمر الله ، وأمه أمُّ ولدٍ اسمُها أرجوان وقيل شراب ، وتدْعى قرة العين . وهوالخليفة السابع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويع له بعد وفاةِ جدِّه القائم بأمر الله فى يوم وفاته وهو يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة. وكان القائم جَدُّه قد عهد له كما ذكرنا ، فلما مات القائمُ حضر مؤيد

(١) يذكره البيهقى فى تاريخه ٣١٥ ، ٣٦٤ « الأستاذ أبو عبيد الله الحسين بن ميكائيل » و« الخواجة عبد الله الحسين بن على بن ميكائيل » وفى هامش راحة الصدور ١٥٩ «أبو عبد الله الحسين بن على بن ميكا ئيل » يقول عنه ابن كثير فى البداية والنهاية ١١ : ١٢٧ « أبو عبدالله المردوسى كان رئيس أهل زمانه ، وكانت الملوك تعظمه وتكاتبه .

الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنُه عميد الدولة والشيخ أبو اسحاق وأبو نصر الصباغ ونقيبُ النقباء طرّاد والنقيب المعمر بن محمد وقاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى وغيرُهم من الأعيان والأتابكة فبايعوه ، وكان أولَ من بايعه الشريف أبو جعفر محمد بن أبى موسى الهاشمى بعد فراغه من غسل القائم وأنشد :

إذا سَيِّدٌ منا مَضَىَ قام سَيِّدُ

وأرتج عليه فقال المقتدى :

/ قوْول بما قال الكرام فعول . ١٢١ ب

ولما فرغوا من البيعة صلَّى المقتدى بأمر الله بهم العصر .

ذكر الحوادث فى أيام المقتدى

فى ذى القعدة ملك الأفسيس دمشق وخطب بها للمقتدى بأمر الله ، وكان آخر مَنْ خَطَب بها للمصريين (١) .

وفيها ملَكَ نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج من الروم .

وفيها قدم سعد الدولة بن كوهرآيين شحنةً إلى بغداد من قِبَل السلطان ملكشاه ومعه العميد أبو نصر ناظرا على أعمال بغداد .

وفى سنةِ تسعٍ وستين وأربعمائة قدِم أبو نصر ابن الأستاذ أبى القاسم القُشَيْرِىّ حاجًّا ، وجلس فى المدرسة النظامية يَعِظ النَّاس ، وفى رباط شيخ الشيوخ ، وجَرَى له مع الحنابلة فتنٌ لأنه كلَّم على مذهب

(١) ويروى ابن الأثير أنه طمع فى مصر سنة تسع وستين وأربعمائة وحاصرها فعلا ولكنه انهزم هزيمة شنيعة بغير قتال (الكامل ٨ : ١٢٣) .

الأشعرى ونَصَرَه . وكثُر أتباعُهُ والمتعصبون له ،فثار الحنابلةُ ومن تَبِعَهُم من سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعةً من المتعصبين للقشيرى كالشيخ أبي إسحاق وشيخ الشيوخ وغيرِهما من الأعيان ، فَجَرَى بين الطائفتين أمورٌ عظيمة . فنسب أصحاب / نظام الملك ١٢٢ ـ ا ذلك إلى الوزير فخر الدولة بن جُهير وكتب أبو الحسين محمد ابن على بن أبى القصر الواسطى الفقيه الشافعى إلى نظام الملك :

يا نظامَ المُلْكِ قد حلَّ ببغداد النِّظَامُ
وابنُك القاطنُ فيهـا مستلانٌ مستضامُ(١)
وبها أُوْدَى له قتلى غلامٌ فغـــلامُ
والذى منهم تَبَقَّى سالما فيه سهـامُ
ياقوامَ الدّين لم يَبْقَ ببغدادَ قـوامُ
عظُم الْخَطْبُ فَلِلْحَرْبِ اتِّصالٌ ودوامُ
فمـتى لم يُحْسَمِ الدَّاء بأيديك الحسامُ(٢)
ويكفّ القوم فى بغـداد قتلٌ وانتقامُ
فَعَلى مدرسةٍ فيها وَمَنْ فيها السـلامُ
واعتصام بحريمٍ لك من بعْـدُ حرامُ

فلما اتَّصَل ذلك بنظام الملك عَظُمَ عليه فأعاد سعد الدولة كوهر آيين شحنةً إلى العراق فى سنة إحدى وسبعين ، وحمله رسالةً إلى الخليفة

(١) فى الكامل ٨ : ١٢٨ بتصحيف « وبنى القاطن فيها مستهان مستضام » .
(٢) فى الكامل « فمتى لم تحسم الداء أياديك الحسام » وفيه تصحيف .

تتضمّن الشكْوَى من بنى جُهير ويسأل عَـزْلَ فخـر الدولة عن الوزارة ، فلما وصـل إلى بغداد وأبلغ الخليفة الرسالة أمر فخر الدولة بلزوم داره واستوزر بعده أبا شجاعٍ محمد بن الحُسين !
/قال : (١) ولما بلغ ابن جهير تغيُّرَ نظامِ الملك عليه أرسل ابنَه عميدَ ١٢٢-ب
الدولة إليه يستعطفه ، فسار إليه قبل وصول كوهرآيين إلى بغداد ، ولم يزل يستعطِفه حتّى عاد إلى ما ألفَه منه وزوّجه بابنته . فعاد إلى بغداد فلم يرُدّ الخليفةُ أباه إلى الوزارة وأمرهما بملازمة منازلهما فأرسل نظام الملك إلى الخليفة فى إعادة بنى جهير إلى الوزارة فأعيد عميدُ الدولة إليها وأذن لأبيه فخر الدولة بفتح بابه ، وذلك فى صفر سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .

وفى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ملك تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان دمشق على ما نذكره إن شاء الله تعالى فى أخبار الدولة السُّلجقية .

وفى سنةِ أربع وسبعين وأربعمائة فى شوال توفى نور الدولة أبو الأغرّ دُبَيْس بن على بن مَزْيد الأسدى ، وولى بعده أبو كامل منصور ولقّب بهاء الدولة .

وفيها أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة إلى السلطان ملكشاه بأصبهان يخطب ابْنَتَه للخليفةِ فسار إليه وخطبها ، فتقررت القاعدة على أن يكون الحِمْلُ المعجل خمسين ألف دينارٍ وأن لا يبقى الخليفة سرولا زوجة غيرها فأجيب إلى ذلك .

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ١٢٦

١٢٣ ـ ا ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة

وفى سنة خمس وسبعين كانت الفتنةُ بين الطائفيين ، وسببها أنه وَرَدَ إلى بغدادَ الشريف أبو القاسم البكرى المقرىء الواعظ وكان أشعرىَّ المذهب ، وكان قد قصد نظام الملك فأَحبَّه ومال إليه وسيّره إلى بغداد ، وأجرى عليه الجراية الوافرة . وكان يعِظ بالمدرسة النظامية ، ويذكر الحنابلةَ ويعيبهم ويقول « وما كفر سُليمانُ ولكنَّ الشياطين كفروا» (١) وما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا ثم قصد يوما دار قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى فَجَرَى بينه وبين قومٍ من الحنابلة مشاجرة أدَّتْ إلى الفتنة . وكثر جمْعُه فكبس دور بنى الفَرّاء وأخذ كتُبَهم ومنها كتاب الصفات لأبى يعلَى فكان يقرأُه بين يديه وهو جالس على الكرسى للوعظ ، وشنَّع عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن . ولقّب البكرىُّ من الديوان بِعَلَم السُّنَّةِ ، ومات ببغداد ودفن عند قبر أبى الحسن الأشعري رحمهما الله تعالى .

١٢٣ ـ ب ذكر مسير الشيخ أبى اسحاق برسالة الخليفة إلى السلطان ملكشاه

وفى ذى الحجة سنةَ خمسٍ وسبعين وأربعمائةٍ أرسل الخليفة المقتدى الشيخَ أبا إسحاق الشيرازى برسالةٍ إلى السلطان تتضمن الشكوى من العميد أبى الفتح بن أبى الليث عميد العراق ، وأمره أن يُنْهِىَ إليه وإلى نظام الملك ما يجرى على أهل البلاد من النُّظَّارِ . فسار الشَّيْخُ ، فكان الشَّيْخُ كلما وصل إلى مدينةٍ من بلاد العجم يخرج أهلها إليه بنسائهم وأولادِهم يتمسحون بركابه ويأخذون

(١) سورة البقرة (٢) الاية ١٠٢

من تراب بغلته للتبرُّك . وكان فى صُحبته جماعةٌ من أعيان أصحابه فلما وصل إلى ساوة خرج إليه جميع أهلها وسألَه كلٌّ من فقهائها أن يدخلَ بيتَه فلم يفعل . ولقِيَهُ أربابُ الصناعات ومعهم ما ينثرونه على محفته ، فخرج الخبازون ينثرون الخبز وهو ينهاهم فلم ينتهوا ، وكذلك أصحاب الفاكهة والحلوى وغيرهم ، وخرج إليه الأساكفة وقد عملوا مداسات لطافًا تصلح لأرجُلِ الأطفال ونثروها فكانت تسقط على رؤوس النَّاس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك لأصحابه بعد رجوعه ويقول : ماكان حظكم من ذلك النثار؟ فقال بعضهم : ما كان حظ سيدنا منه ! فقال الشيخ : أما أنا فتغطيت بالمحفة ! يقول ذلك وهو يضحك .

قال (١) : ولما وصل الشَّيخ إلى السلطان وإلى نظام الملك أكرماه ، وأجيب إلى جميع ما التمسه من الخليفة . ولما عاد أهين عميد العراق ، ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشى الخليفة .

وفيها قدم مؤيد الملك بن نظام الملك إلى بغداد من أصفهان ونزل بالمدرسة النظامية ، وضرب على بابه الطبول فى أوقات الصلوات الخمس ،فأُعْطِيَ مالا جزيلا حتى قَطَع ذلك ، فأرسل الطبول إلى تكريت والله تعالى أعلم .

ذكر عزل عميد الدولة عن الوزارة ١٢٤ـ١

وميسر والده إلى ديار بكر

وفى سَنَةِ سِتٍّ وسبعين وأربعمائة فى صفر عزل عميد الدولة فخر الدولة بن جهير عن الوزارة ،ووصل فى يوم عزله له رسول

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ١٣٢

من السلطان ومن نظام الملك إلى الخليفة يطلبان [معه] أن يرسل إليهما بنى جهير فأذن لهم. فساروا بجميع أهلهم ونسائهم ، فصادفوا من السلطان ومن نظام الملك الإكرام والاحترام ، وعقد السلطان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه وأعطاه الكوسات[1] وسيّر معه العساكر وأمره أن يأخذها من بنى مروان ، وأن يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السِّكَّة ، فسار إليها .

قال[2] : ولما فارق بنو جُهير بغدادَ رتّب الديوان أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء ، ثم عزله فى السنة وولى أبا شجاع محمد ابن الحسين وخلع عليه خلع الوزراء[3] .

وفى سنة سبع وسبعين وأربعمائة استولى عميد الدولة على الموصل .

وفيها فتح سليمان بن قُتُلمش السُّلجقى صاحب الروم أنطاكية وكانت بيد الروم من سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة .

وفى شهر صفرٍ انْقَضَّ كوكبٌ من الشرق إلى الغرب كان حجمه وضَوْؤه كالقمر ، وسار مدّى بعيدًا على مَهَلٍ فى نحو ساعة .

وفى سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة استولى الفَرَنْجُ على مدينة طُلَيْطلَة وأخذوها من المسلمين على ما نذكره - إن شاء الله تعالى - فى أخبار الأندلس[4] .

---

(١) الكوسات : الطبول فارسية ، أنظر . Lane (E.W.) : an arabic English Bock I. Part7. Dozy : Supplement Dic ar. 2 : 498.

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ١٢٣

(٣) ولقبه ظهير الدين (البداية والنهاية ١٢ : ١٢٤) .

(٤) سيرد ذلك فى هذا الجزء فى القسم الخاص بالأندلس .

وفيها فى شهر ربيع الأول هاجتْ رِيحٌ عظيمةٌ سوداء بعد العشاء ، وكثُرَ الرَّعْدُ والبرق وسقط على الأرض رملٌ أحمرُ وترابٌ كثير، وكانت النيران تضطرم فى أطراف السماء، وكان أكثر ذلك بالعراق والمَوْصل ، فألقتِ النخلَ ، وسقط معها صواعق فى كثير من البلاد ثم انجلى ذلك نِصف الليل .

وفيها فى شهر ربيع الأول توفى أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف الجوينى إمام الحرمين ، ومولده سنة سبع عشرة وأربعمائة (١) .

وفى سنة تسع وسبعين وأربعمائة ملك السلطان ملكشاه مدينة حلب واللاذقية وكفر طاب وأفامية (٢) .

وفيها فى شهر / ربيع الأول توفى بهاء الدولة أبو كامل منصور بن ١٢٥ - ا
دُبَيْس بن على بن مزيد الأسدى صاحب الحلة والنيل (٣) وولى ابنُه سيف الدولة صدقة .

وفيها أُسْقِطَ اسم العلوىّ صاحب مصر من الحرَمَيْن الشريفين وذُكر اسمُ الخليفة المقتدى بأمر الله .

وفيها أُسقطت المكوس من العراق .

وفى سنة ثمانين وأربعمائة فى المحرم زُفَّتْ ابنةُ السلطان ملكشاه إلى الخليفة ، ونُقل جهازُها على مائةٍ وثلاثين جملا مجللة بالديباج

(١) الجوينى : ينسب إلى جوين من قرى نيسابور ، وقد ترجم له ابن كثير فى البداية والنهاية ١٢ : ١٢٨ كما ترجم لأبيه إمام الشافعية ١٢ : ٥٥ .
(٢) انظر هنا راحة الصدور ٢٠٢ ومابعدها .
(٣) يقول عنه ابن كثير فى البداية والنهاية ١٢ : ١٣٠ كان أديبا ويروى له شعرا .

الروى ، وكان أكثر الأحمال الذهب والفضة ، وثلاث عماريات ، وعلى أربعةٍ وسبعين بغلا محلَّة بأنواع الديباج الملكى وأجراسها وقلائدها من الذهب ، وعلى ستة منها اثنا عشر صندوقًا من فضةٍ فيها من الجواهر والحلى مالا تُقَدَّر قيمتُه ، وأمام البغال ثلاث وثلاثون فرسا من الخيول السَّوابق عليها مراكبُ الذهب . وسار أمام الجهاز سعدُ الدولة والأمير برسق وغيرُهما ، وكانت ليلة مشهورة ، فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لِسماطٍ أمر بعمله حُكِىَ أنه عُمِلَ فيه أربعون ألف مَنٍّ من السكر . وخلع الخلفية على جميع أمراء السلطان ومن له ذِكْرٌ في العسكر ، وأرسل الخلع إلى جميع الخواتين . وولدت فى هذه السنة من الخليفة ولدا وهو أبو الفضل جعفر .

١٢٥ ـ ب / وفى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة فى شهر ربيع الآخر أمر الخليفةُ بإخراج الأتراك الذين مع الخاتون زوجته من حريم دار الخلافة ، وكان سبب ذلك أن تركيًّا منهم اشترى فاكهة من طواف فتكالما فشتمه الطوافُ فضربه التركى فَشَجَّه ، فاجتمعت العامَّةُ وشنَّعوا واستغاثوا ، فأمر الخليفة بإخراج الأتراك فأُجْرِخوا على أقبح صورة .

وفى سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أرسل السلطان ملكشاه إلى الخليفة يطلب ابنتَه طلبا لابُدَّ منه ، وسبب ذلك أنها كانت قد أرسلت إليه تشكو من اطراح الخليفةِ لها وإعراضِه عنها فأذن لها فى المسير ، فسارت فى شهر ربيع الأول ومعها ابنُها من الخليفة فوصلت إلى أصفهان فأقامت إلى ذى القعدة وتوفيت .

وفى سنة أربع وثمانين وأربعمائة فى شهر ربيع الأول عُزل الوزير أبو شجاع ، وكان عزله فى يوم الخميس فقال :

تولاها وليس له عَـدُوٌّ وفارقَهَـا وليس له صديق

فلما كان من الغد يومَ الجمعة خَرَج من دارِهِ إلى الجامع ماشيا فاجتمع عليه خلق كثير ، فأُمر أن لا يخرج من بيته ، واستنيب فى الوزارة أبو سعد بن موصلايا كاتب الإنشاء وأرسل الخليفةُ إلى السلطان يستدعى منه عميد الدولة بن جُهير يستوزره ، فَسُيِّر إليه فاستوزره / فى ذى الحجة من السنة . ١٢٦ - ا

وفيها ملك الفرنج جزيرةَ صِقِلية .

وفيها فى تاسع شعبان كان بالشام وكثيرٍ من البلاد زلازلُ ، ففارق النَّاسُ مساكِنَهم وانهدم بأنطاكية كثير من المساكن والدور ، وهلك تحتها خلق كثير ، وخُرِّب من بروجها تسعون برجًا .

وفى سنة خمس وثمانين وأربعمائة قُتِل نظام الملك فى عاشر شهر رمضان .

وفيها توفى السلطان ملكشاه وملك بَعْده ابنُه محمود .

وفى سنة سبع وثمانين وأربعمائة خطب للسلطان بركيارق بن ملكشاه ببغداد فى يوم الجمعة رابع المحرم (١) .

(١) فى كل النسخ « بركيازوق » وما ها هنا عن راحة الصدور ٢١٤ ، ويقول الراوندى فيه إنه تولى سنة ست وثمانين وأربعمائة .

ذكر وفاة المقتدى بأمر الله

وشيء من أخباره

كانت وفاتُه فى يوم السبت خامس عشر المحرم سنةَ سبع وثمانين وأربعمائة فجأةً ، وكان قـد أُحْضِر إليه تَقْلِيدُ السلطان بركيارق ليعلَّم عليه فقرأه ثم قُدِّم إليه الطعام فأكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانتُه شمسُ النهار فقال لها : ما هذه الأشخاص التى قد دخلت على بغير إذن — قالت — فالتفتُّ فلم أر شيئا فرأيته قد تغيَّرت حالتُه واستَرْخَت يداه ورجلاه /وانحلَّت قُوَّتُهُ فسقط إلى الأرض ، فَظَنَنْتُها غشيةً لحِقته ، ١٢٦–ب فحللت أزرار ثوبه فوجدتُهُ قد ظهرت عليه أمارات الموت ، فتماسكتُ وقلت لجارية عندى : ليس هذا وقت إظهار الجزع والبكاء ! وأحضرت الوزيرَ وأعلمته الحالَ فشرعوا فى البَيْعَةِ لولى العهد ، وجَهَّزوا المقتدى وصلَّى عليه ابنه المستظهر بالله ودُفن .

وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وثمانية أَشْهُرٍ وسبعة أيام ، وخلافَتُهُ تسعَ عشرةَ سنةً وخمسةَ أَشْهُرٍ ويومين ، وكان عظيمَ الهمة شديد العزمة ، ولم يكن له أعوان على ذلك تذبُّ عنه بل كانت له دعوة مجابة ، وكانت أيامه كثيرةَ الخير واسعةَ الرزق . وعظُمَتِ الخلافةُ فيها أكثَر ممن كان قبله ، وعُمِّرَ ببغدادَ عدة محال فى خلافته منها البصلية والقطيعية والحلبية والمعيدية والأَجمة ودرب القبار وخرانة الهراس والخاتونتين .

قال[1] : وأمر بِنَفْى المغنيّات والمفسدات من بغداد ، وأمر

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ١٧٠ .

ببيع دورهن ومنع دخول الحمّام إلا بمئزر ، وقلع الهرادى والأبراج التى للطيور ، ومنع من اللعب بها لأجل الاطلاع على حرم الناس ، ومنع من إجراء ماء الحمامات إلى دجلة ، وألزم أربابها بحفر آبار للمياه ، ومنع الملاحين / من حَمْلِ النساء والرجال مجتمعين . ١٢٧ - ا

ووزر له : من ذكرناهم. قضاته : أبو عبدالله الدامغانى إلى أن مات ، ثم أبو بكر محمد بن المظفر الشامى الشافعى . حجابه: أبو عبد الله ابن دوشتى (٢) ثم أبو منصور بن محمد محمد .

ذكر خلافة المستظهر بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله أبى القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين أبى العبّاس أحمد بن القائم بأمر الله ، وهو الخليفة الثامن والعشرون من الخلفاء العباسيين قال (١) : ولما مات المقتدى بأمر الله أُحْضِر ولدهُ المستظهر بالله وأُعْلِمَ بموته فبايعه الوزيرُ ، وركب إلى السلطان بركيارق فأعلمه الحال ، وأَخَذَ بَيْعَتَه للمستظهر بالله . فلما كان فى اليوم الثالث من وفاة المقتدى أظهر موته ، وحَضَر عِزُّ المُلْكِ بن نظام الملك وزير بركيارق ، وأمر السلطان جميعَ أربابِ المناصب بالجُلوس للعزاء والبيعةِ للمستظهر بالله. فبويع له البيعةَ العامةَ فى السادس عشر من المحرم سنةَ سبعٍ وثمانين وأربعمائة ، وله من العمر ستة عشر سنة وشهران .

---

(١) كذا فى ا ، ك ٧٤ ، ف ٧١ - ب فلعله هكذا ولعله « ابن دوست » كأحمد بن محمد بن دوست صاحب الرباط المشهور (انظر شذرات الذهب ٣ : ٣٦٣) وقد سبق أن وقفنا عند اسمه فى حوادث سنة ٤٦٧ .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ١٧٠ .

ذكر الحوادث فى أيام المستظهر بالله

١٢٧ -ب /فى سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة كان بين الملوك السلاجقة وبين بعضِهم حروب كثيرة نذكرها إن شاءَ الله تعالى فى أخبارهم[١] .

وفيها شَرَع الخليفة فى عمل سورٍ على الحريم ، وأمر الوزير عميد الملك بالجِدِّ فى عمارته .

وفيها فِى شهر ربيع الأول خُطِب لولى العَهدِ أبى الفضل منصور بن المستظهر بالله .

وفى سنةِ تسعٍ وثمانين وأربعمائة اجتمع سِتَّةُ كواكب فى برج الحوت ، وهى الشمس والقمر والمشترى والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطُوفانٍ يكون فى الناس ، وأحضر الخليفة ابنَ عسون المنجم فسأله فقال : إن فى طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة فى برج الحوت والآن فقد اجتمع منها فيه ستة وليس فيها زحل ، فلو كان فيها لكان مثلَ طوفان نوح ، ولكن أقول إنَّ مدينة أوبقعة من الأرض يجتمع فيها عالَم كثير من بلادٍ كثيرة فيغرقون ، فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها! فأُحكمت المواضعُ التى يُخْشَى منها الانفجار والغَرق . واتَّفق أنَّ الحجاج نزلوا فى المناقب[٢] فأتاهم سيل عظيم فأغرق أكثرهم ، ونجا من تعلَّق بالجبال ،

(١) فى هذه السنة يقول ابن الأثير : إن شاهملك توجه إلى مصر ثم رحل عنها إلى المغرب وفيها قتل تتش بن ألب أرسلان بعد هزيمة بركيارق (الكامل ٨ : ١٧٤ ، ١٧٥) ويسجل الراوندى هذه الواقعة ويعقبها بوقائع أخرى فى راحة الصدور ٢١٩ وما بعدها .

(٢) فى ا وفى ك ٧٥ « المثاقب » وما هنا عن ف ٧٣ موافقا لما جاء فى البداية والنهاية ١٢ : ١٥٢ .

وذهب المال والدواب والأزواد وغير ذلك ، فخلع الخليفة على المنجم !

وفى سنة تسعين وأربعمائة كان ابتداء الدولة الخوارزمية/ وفيها ١٢٨ - ا
خطب الملكُ رضوان بولايته بالشام للمستعلى صاحب مصر(١) ، ثم رجع عن ذلك وأعاد الخطبة للدولة العباسية(٢) .

وفى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة كان ابتداء استيلاء الفَرنج على بلاد السواحل الشامية ، وملكوا مدينة أنطاكية ومعرة النعمان وبيت المقدس ، وغيرَ ذلك على مانذكره فى أخبار العلويين ملوك مصر ، فإن أكثر ذلك كان فى ولايتهم .

وفى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قُتِل أبو القاسم ابن إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى بنيسابور - وكان خطيبها - فاتهم العامة أبا البركات الثعلبى أنه هو الذى سعى فى قتله ، فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه .

وفى سنة ثلاثٍ وتسعين وأربعمائة فى شهر رمضان عُزِل عميد الدولة من وزارة الخلافة وأُخِذَ من ماله خمسةُ وعشرون ألفَ دينارٍ ، وتوفى فى سادس عشر شوال .

وفى سنة أربع وتسعين وأربعمائة ملك الفرنج مدينة سروج من ديار الجزيرة ، وقتلوا كثيرا من أهلها ، ونهبوا أموالهم وسبوْا حريمَهم ، ولم يسلمْ إلا من انهزم ، وملكوا مدينة حيفا وهى بقرب

(١) راجع الكامل ٨ : ١٨٤ وأما رضوان المذكور فهو ابن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقى ومنه أخذت الفرنج أنطاكية .

(٢) قيل فى سبب إعادة الخطبة للعباسيين أن سقمان بن أرتق التركانى وباغيسيان صاحب أنطاكية زارا الملك رضوان وأنكرا عليه دعوته للمصريين فرجع .

١٢٨ـب عكا ، وملكوا أرسوف بالأمان وأخرجوا منها أهلها / ، وملكوا قَيْسارية بالسَّيْفِ وقتلوا أهلها [١] .

وفيها تقدّم أمر الخليفة للمستظهرِ بالله بفَتْح جامع القصر وأنْ يُصَلَّى فيه التراويح ولم تَجْرِ بذلك عادةٌ ، وأمر الخليفة بالجهْرِ بالبسملة وبالقنوات على مذهب الإمام الشافعى .

وفى سنةِ خمسٍ وتسعين وأربعمائة فى شهر رمضان استوزر الخليفة سديد الملك أبا المعالى بن عبد الرزاق ولقبه عَضُدَ الدوله .

وفيها بنى سَيْفُ الدَّوْلة صدقة بن مَزْيد الحلَّةَ بالجامعين وسكنها [وإنما كان يسكن هو وآباؤه فى البيوت العربية] [٢]

وفى سنة ستٍّ وتسعين وأربعمائة فى منتصف شهر رجب قُبض على الوزير سديد الملك وحُبس بدار الخليفة ، وأعيد أمينُ الدولة أبو سعيد ابن موصلايا إلى الوزارة ، ثم استَوْزَرَ فى شعبان زعيمَ الرؤساء أبا القاسم ابن جُهير واستقدمه من الحلة ، وكان عند سيفِ الدولةِ صدقة ، ولما حضَرَ خلع عليه وجلس فى الديوان ولُقِّب قوام الدين .

وفى سنة سبع وتسعين وأربعمائة ملك الفرنج جبيل [٣] وعكا .

وفى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة توفى السلطان بَرْكِيارقُ بأصفهانَ

---

(١) كان المسلمون بقيادة سقمان بن أرتق التركانى حينما ضاعت سروج وكان ضياعها إيذانا بضياع غيرها !

(٢) إضافة من الكامل ٨ : ٢١٤

(٣) جبيل : بلد خارج دمشق على ثمانية فراسخ من بيروت شرقيها كما يقول ياقوت

وخُطِب لابنه ملكشاه[1] بالجوامع ببغداد .

١٢٩ـ ا وفى سنة خمسمائة فى صفر عُزِل الوزير أبو القاسم ابن جُهير فَقَصَدَ دار سيفِ الدولة صدقة ببغدادَ ملتجئا إليها فأرسل من أخذه وحمله إليه ، فأمر الخليفة بِنَقْضِ داره ، وكان فى ذلك عبرة لمن يعتبر ، فإن أباه أبا نصرٍ كان قد بناها بأنقاضِ دورِ الناس فخُرِبَتْ عن قريب ، ولما عزل استنيب فى الوزارة قاضى القضاة أبو الحسن الدامغانى ؛ ثم تقررتِ الوزارة فى المحرم سنة إحدى وخمسمائة لأبى المعالى هبةِ الله بن محمد عبد المطلب وخلع عليه .

وفى سنة إحدى وخمسمائة فى شهر رجب قُتِل الأميرُ سيفُ الدولة صدقةُ بنُ منصور بن دُبَيْس بن مَزْيَد الأسدى أمير العرب ، وهو الذى بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظُم شأنه واتَّسع جاهُه واستجار به كبارُ الناس وصغارُهم .

وفيها فى شهر رمضان ورد القاضى فخر المُلكِ أبو على بن عمار صاحب طرابلس الشام إلى بغداد مستنفِرا على الفَرَنج ، فأنزله الخليفةُ وأكرمه وأجْرَى عليه الجِرايات العظيمة ، وأحضر معه من التقدمة والهدية من الأعلاق النفسية والخيل العربية ، وغير ذلك مالم يوجد مِثْلُه عند ملك ، وأقام ببغدادَ إلى أن رحل السلطانُ محمد عن بغداد فى شوال . فتقدم / إلى ١٢٩ـ ب الأمير حسين بن أتابك قتلغتكين أن يسيِّرَ معه العساكرَ التى سيَّرها إلى المَوْصل مع أولاد مودود ، وخَلَع عليه السلطان خِلَعًا سنيةً وأعطاه شيئا كثيراً وودعه : وسار مع الأمير حسين فلم يُجْدِ ذلك نفعا .

(١) يحسن مراجعة مادة Malik shah فى Enc of Islam علما بأن أبا بركيارق كان اسمه ملكشاه أيضا .

وفيها عَزَل الخليفةُ وزيرَه مَجْدَ الدين هبةَ الله بن المطلب برسالةٍ من السلطان، ثم أُعيد إلى الوزارة بإذن السلطان محمد، وشَرَط عليه شروطا منها العدلُ وحُسْنُ السِّيرةِ وأن لا يستعمل أحدًا من أهل الذمة.

وفى سنة اثنتين وخمسمائة فى نيسان زادت دجلةُ زيادةً عظيمة انقطعت منها الطرق، وغرقتِ الغلالُ الشَّتْوية والصيفية، وحدث غلاءٌ عظيم بالعراق، وعدم الخيرُ، وأكل الناس التَّمْر والباقلاء الأخضر، وأما أهل السَّواد فإنهم لم يأكلوا فى شهر رمضان ونصف شوال إلا الحشيشَ والتُّوتَ.

وفيها فى شهر رجب عُزِلَ وزيرُ الخليفةِ أبو المعالى هبةُ الله ابن المطلب، ووَزَرَ أبو القاسم على بن نصر بن جهير.

وفيها فى شعبان تَزَوَّج الخليفة المستظهر بالله ابنةَ السلطان ملكشاه وهى أُخت السلطان محمد، وتولَّى قَبولَ العقد بوكالة الخليفة نظامُ الملك وزير السلطان، والصداق/مائة ألفِ دينارٍ، ونثرَتِ الجواهرُ ١٣٠ ـ ا والدنانير، وكان العقدُ بأصفهانَ، وخَطَب خُطْبَةَ النِّكاح القاضى أبو العلاء صاعد بن محمد النيسابورى الحنفى.

وفيها تولى مجاهدُ الدين بهروز شَحْنكيةَ بغداد.

وفى سنة ثلاثٍ وخمسمائةٍ فى حادى عشر ذى الحجة ملك الفَرَنَج طرابلس وجبيل وبيروت وبانياس[1].

وفى سنة أربع وخمسمائة ملكوا صيدا فى شهر ربيع الأول، وفيها

(١) بانياس: رسمها ياقوت باناس وقال من أنهار دمشق.

فى شهر رمضان المبارك زُفَّت ابنةُ السلطان ملكشاه إلى الخليفة المستظهر بالله فَزُيِّنتْ بغداد لذلك

وفى سنة خمسٍ وخمسمائة تُوفى الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله[1]

وفى سنة سبع وخمسمائة توفى أبو القاسم على بن جهير وزير الخليفة ، ووزر بعده الربيب أبو منصور ابن الوزير أبى شجاع محمد بن الحسين [وزير السلطان][2] .

وفى سنة ثمان وخمسمائة فى جُمادى الآخرة كانت زلزلةٌ شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها : فَخَرَّبَتْ كثيرًا من الرُّها وحران وسميساط وبالس وغيرها ، وهلك كثيرٌ من الخَلْق تحت الرَّدَم .

وفى سنة إحدى عشرة وخمسمائة تُوفى السلطان محمد بن ملكشاة وملك ابنه محمود بن محمد .

وفيها غرقت مدينة سنجار وكان سبب / ذلك أن المطر دام فيها ليلا ونهارا واشتد ، وجاء السَّيْلُ فى واديها وأفسد الشباك الذى يجرى فيه الماء فى سورها ، فاجتمع الماء وعظم على السور حتى ألقاه ، وهَجَم على المدينة بِشِدَّةٍ وقوة فلم يطقِ الناس ينتقلون عنه ، فخرب كل ما مرَّ به من البلد ، وغرقَ جمعٌ كثير من من الناس . ومن عجيب ماحكى أن الماء حَمَل مهْدًا فيه مولود فتعلَّق المهد بشجرة زيتون ، ثم نَقَص الماء والمهد معلَّق بالشجرة ، فَسَلِم المولود . ١٣٠ ـ ب

وفيها تناثرت النجوم بديار الجزيرة جميعها ـ الْمَوْصِل وغيرِها ـ

(١) راجع ما كتبه عنه كل من ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب ٤ : ١٠ وابن كثير فى البداية والنهاية ١٢ : ١٧٣ .

(٢) زيادة من الكامل ٨ : ٢٦٧ .

وكثير من البلاد ، وكانت الكواكب تنزل حَتَّى تَقْرُبَ من الأرض ثم تضمحل فلا يوجد لها أثر .

وفيها في يوم عرفة كانت زلزلةٌ بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد ، وخَرِّبَتْ ببغدادَ دورًا كثيرةً بالجانب الغربى .

ذكر وفاة المستظهر بالله

وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاتُه في سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وكان عمره إحدى وأربعين سنةً وستةَ أشهر . خلافته خَمْسٌ وعشرون سنةً وثلاثةُ أشهر ، / وكانت دعوتُهُ قائمةً بالمغرب ، قام بها أمير ١٣١ - ا المسلمين يوسف بن تاشفين ولم تزل إلى أن ظهر محمد بن تومرت على ما نذكره فى أخبار ملوك المغرب إن شاء الله تعالى .

وكان المستظهر بالله - رحمه الله - لَيِّنَ الجانب كريم الأخلاق مشكور المساعى ، يحب اصطناع المعروف وفِعْلَ الخير ويسارع إلى أعمال البرِّ والمثوبات ، لا يردّ مكرمةً تُطْلَبُ منه . وكان كثير الوثوق بمن يُوَلِّيه ، غير مصغ إلى سعاية ساعٍ ولا راجعٍ إلى قَوْله . وكانت أيامه أيام سرور للرعية ، وكان يسره ذلك ، وكان حَسَنَ الخط جَيِّدَ التوقيعات . ولما توفى صلى عليه ابنُه المسترشد بالله ، وكبّر أربعا ، ودُفِنَ فى حجرة له كان يألفها .

أولاده : أبو منصور الفضل المسترشد ، وأبو عبد الله محمد المقتفى ، وأبو طالب ، وأبو الحسن . وكان له من الوزراء مَنْ قَدَّمنا ذِكرهم فِي أخباره ، ومضى فى أيامه ثلاثةُ سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم : تاج

الدولة تتش بن ألب أرسلان ، وبركيارق ومحمد بن ملكشاه . ومن عجب الاتفاق أنه لما تُوفى السلطان ألب أرسلان توفي معه القائم بأمر الله ، ولما توفي السلطان ملكشاة توفى بعدَه المقتدي بأمر الله ، ولما توفى السلطان محمد توفي بعده الخليفةُ المستظهر بالله .

ذكر خلافة المسترشد بالله

١٣١ـ ب

هو أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد ، وهو الخليفة التاسع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه فى سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة. وكان ولىّ عهْدِ أبيه الخليفةِ المستظهر وخُطِبَ له فى خلافةِ أبيه ثلاثا وعشرين سنة .

قال[١] وبايعه أخَوَاه أبو عبد الله محمد - وهو المقتفى لأمر الله - وأبو طالب العباسى ، وعمومتُه بنو المقتدى بأمر الله ، وغيرُهُم من الأُمراء والقضاة والأئمة والأعيان . وكان المتولى لأخذْ البيعة القاضى أبو الحسن الدامغانى - وكان نائبا عن الوزارة - فأقَرّ المسترشد عليها ، ثم عزله[٢] واستوزر أبا شجاع محمد بن الربيب أبى منصور وزير السلطان محمود .

ذكر هرب الأمير أبى الحسن

أخى المسترشد بالله وعوده

قال[٣] ولما اشتغل الناس بِبَيْعة المسترشد ركب أخوه /الأمير أبو الحسن ابن المستظهر بالله سفينةً ومعه ثلاثةُ نفرٍ وانحدروا إلى المدائن ، وسار

١٣٢ ـ ا

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٢٨١ .
(٢) أى أن المسترشد عزل قاضى القضاة عن نيابة الوزارة .
(٣) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٢٨٢ .

منها إلى دُبَيْس بن صَـدَقة بالحلة فأكرمه دُبَيْس ورتّب له الإقامات الكثيرَة . فلما علم المسترشد بالله خَبَره أهَمَّه ذلك وأقلقه ، وأرسل إلى دبيس يطلب منه إعادته فأجاب « إننى عبد الخليفة وواقفٌ عند أمره وقد اسْتذَمَّ بى ودخل منزلى ولا أكرِهُه على أمرٍ أبدا » . وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين على بن طرّاد الزينبى[1] ، فقصد الأميرَ أبا الحسنِ وتحدّث معه فى العَوْد وضمن له كل ما يريد ، فأجاب إلى ذلك وقال : إننى لم أفارق خِدْمة أخى لِشَرٍّ أريده ، وإنما الخوف حَمَلَنى على ذلك ، فإذا امَّنَنى قصدتُه !

وتكفّل له دُبَيْس إصلاحَ الحال والمسير معه إلى بغداد ، فعاد النقيب وأعلم الخليفةَ فأجاب إلى ما طلب ثم تأخّر بعد ذلك ولم يحضرْ وأقام عند دُبَيْس إلى ثانى عشر صفر سنة ثلاث عشرة . وسار عن الحلة إلى واسط وكثر جمعه وقَوِىَ الإرجافُ بأمْرِه ، وملك مدينة واسط وخيف جانبُه ، فتَقَدَّم الخليفةُ المسترشدُ بالله بالخُطْبَة لولده أبى جعفر المنصور وجَعلَه ولىَّ عهدِه وعمرُه يومئذ اثنتا عشرة سنةً . فخطب له فى ثانى شهر ربيع الأول ببغداد وكتب إلى البلاد بذلك ،
وأرسل إلى دُبَيْس فى معنى الأمير أبى الحسن وأنهْ الآن فارق جِواره ومدَّ ١٣٢ـب
يدَه إلى بلاد الخليفة وأمره بقصده ومُعَاجَلَتِه قبل قَوْته . فأرسل دُبَيْس العساكر إليه ففارق واسط وقد تحيّر هو وأصحابهُ فضلوا الطريق ، وصادفتْهُم عساكر دُبَيْس فنهبوا أثقالَه وهرب الأكرادُ من أصحابِه والأتراكُ ، وعاد الباقون .

(١) ينتهى نسبه إلى عبد الله بن العباس ، وهو من الزينبيين لأن أمهم كانت زينب بنت سليمان العباسية وقد عرفوا بها .

وبقِيَ الأميرُ أبو الحسن فى عشرةٍ من أصحابه وهو عطشانُ وبينَه وبين الماءِ خمسةُ فراسخ ، وكان الزمان قيظا فأيقن بالتلف . وكان معه بدوِيان فأرادا الهرب منهما فلم يقدِرْ ، وأخذاه وقد اشتد به العطش فسقياه الماءوحملاه إلى دُبيس فسيره إلى بغداد وسلمه إلى الخليفة بعد أن بذل له عشرة آلاف دينار . وكان بين خروجه وعوده أحَدَ عَشَرَ شهرًا ،ولما دخل على المسترشد بالله قَبَّل قدمَه وقبّلهُ المسترشدُ وبكيا ، وأنزله فى دار حسنة كان يسكنها قبل أن يلى الخلافة ، وحمل إليه الخِلَعَ والتحف وأمَّنَه .

وفيها نُقِل الخليفةُ المُسْترشد بالله من دار الخلافة إلى الرصافة ، ونُقِل كلُّ من كان مدفونا بها .

ذكر ظهور قبور الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام :

/ قال ابنُ الأثير وأحال على حمزة بنِ أسدِ بنِ على بن محمد التميمى [1] ١٣٣ ـ ١
أنه ذكر فى تاريخه : وفى سنة ثلاث عشرةَ وخمسمائة ظهر قبر إبراهيم الخليل وقبرا ولديْه إسحاق ويعقوب صلى الله عليهم وسلَّم بالقرب من المقدس ، ورآهم الناس ولم تَبْلَ أجسادُهم ،وعندهم قناديلُ من ذهبٍ وفضة .

وفيها تُوفى قاضى القُضاة أبو الحسن على بن محمد الدامغانى، ومولده فى شهر رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، وولىَ القضاء بباب الطَّاقِ من بغداد إلى المَوْصِل وعمره ست عشرة [2] سنة ولم يكن

(١) راجع الكامل ٨ : ٢٩١

(٢) فى الكامل ٨ : ٢٩١ « ست وعشرون »

ذلك لغيره . ولما توفى ولى القضاء بعده الأكمل أبو القاسم على بن طراد بن محمد الزينبى ، وخُلِعَ عليه فى ثالث صفر .

وفى سنة أربع عشرة وخمسمائة خرج الكرج[1] - وهم الخزر - إلى دار الإسلام ومعهم القفجاق و غيرهم من الأمم ، وحاصروا مدينة تفليس ، ودام الحصار إلى سنةِ خمسَ عشرةَ فملكوها عَنْوَةً .

وفى سنة خمس عشرة كانت زلزلة تضعضع منها الركن اليمانى فى البيت الحرام - زاده الله شرفا - وانْهَدَم بعضُه وتَشَعَّثَ بعضُ حرمِ النبى صلى الله عليه وسلم .

وفيها ظهر بمكةَ إنسان علوىٌّ أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وكثر جمعه ونازع / أمير مكة ابنَ أبى هاشم وقَوِىَ أمرُه ، وعزم على أن يخْطُب لنفسه ، ثم ظفر به ابن أبى هاشم ونفاه عن الحجاز إلى البحرين ، وكان هذا العَلَوِىُّ من فقهاءِ المدرسةِ النظامية ببغداد . ١٣٣-ب

وفى سنةِ ستَّ عشرة وخمسمائةٍ قبض الخليفة المسترشد بالله على وزيره جلال الدولة صدقة [2] وأقيم نقيب النقباء على بن طراد فى نيابة الوزارة ، فأرسل السلطان إلى الخليفةِ أن يستوزر نظامَ الدين أحمد بن نصر بن نظام الملك فاستوزره وخلع عليه [3]

وفيها ظهر بديار بكر بالقرب من قلعة ذى القرنين معدن نحاس .

---

(١) فى ا بلا نقط ، وجعلتها صفحة ٧٨ « الكرخ » وما ها هنا من ف ٧٦ - ا .

(٢) فى الكامل ٨ : ٣٠٩ « جلال الدين صدقة » ويحكى ابن طباطبا أن القبض عليه كان ضرورة رآها المسترشد لأن الوزير السلطان -آنذاك- كان يتعصب عليه (الفخرى ٢٦٥)

(٣) يروى أن المسترشد لما عزم على عمارة سور بغداد قسط على الناس خمسة عشر ألف دينار فأداها نظام الدين من ماله عنهم (الفخرى ٢٦٧) .

ذكر مسير المسترشد بالله

لحرب دبيس بن صدقة

وفى سنةِ سبعَ عشرةَ وخمسمائة كانت الحرب بين دُبَيْس بنِ صدقة وبين الخليفة ، وكان سبب ذلك أنَّ دُبَيْسًا كان عنده عفيف خادم الخليفة مأسورا ، فأطلقه وحمّله رسالة فيها تهديدٌ للخليفة ، وبالغ فى وعيده ولبس السوادوجزَّ شعره ، وحلف ليُنهبنّ بغدادَ ويخربها فاغتاظ الخليفةُ لهذه/ الرسالة وغضب ، وتقدم إلى البرسقىّ بالتبريز إلى حرب ١٣٤ ـ ١
دُبَيْس ، فبرز فى شهر رمضان سنه ست عشرة .

وتجهز الخليفة وبرز من بغداد ، واستدعى العساكر فأتاه سليمانُ ابنُ مهارش صاحبُ الحديثة ، وأتاه قِرواش بن مسلم وغيرهما . وأرسل دُبَيْسٌ إلى نهر الملك فنبهه وعمل أصحابه كلَّ عظيم من الفساد فوصل أهل نهر الملك إلى بغداد ، فأمر الخليفة فنُودى ببغداد « لا يتخلَّفْ من الجند أحَدٌ ومن أحبَّ الجنديةَ فليحضرْ » فجاء خلق كثير ففرّق فيهم الأموال والسِّلاح فلما علم دُبَيْسٌ الحال كتب إلى الخليفة يستعطفه ويسأله الرِّضَى عنه ، فلم يُجِبْ إلى ذلك . وأُخْرِجتْ خيامُ الخليفة فى العشرين من ذى الحجة سنة ست عشرة فنادى أهل بغداد : النفير النفير الغراة الغراة ! وكثر الضجيج من الناس وخرج عالَم كثيرٌ لا يُحْصَوْنَ كثرةً وبرز الخليفةُ لستٍّ بقين من ذى الحجة سنة ست عشرة ، وعبر دجلة وعليه قِباءٌ أسودُ وعمامةٌ سوداء وطرحة ، وعلى كتفه البردةُ وفى يده القضيبُ وفى وسطه منطقة حديد صينىّ .

وسار فى سنة سبع عشرة إلى النيل ونزل بالمباركة ، وعبأ
١٣٤ ـ ب البرسـقىُّ / أصحابَه ووقف الخليفة وراء الْجَمْع فى خاصَّته وجعـل دُبَيْس أصحابَه صفًّا واحـدًا وجعـل الرَّجَّالةَ أمام الخيّالة بالسلاح وكان قد وَعدَ أصحابَه بنَهبِ وسَبْىِ النِّساء . فَلَمَّا تراءت الفئتان بادر أصحاب دبيس وبين أيديهم الإماءُ يضربن بالدُّفوف والمخانيثُ بالملاهى ، ولم يُرَ فى عَسْكَرِ الخليفة غيرُ تمارىً ومسبِّحٍ وداعٍ . فقامت الحرب على ساق ، فلما رأى الخليفة ذلك جرَّد سيفَه وكبّر وتقدم للقتال ، فانهزم دُبَيْس وحُملت الأسرَى بين يَدَى الخليفة فأمر بِقَتْلِهم فضُرِبت أعناقُهم صَبْرًا .

وكان عسكر دبيس عشرةَ آلاف فارسٍ واثنى عشر ألفَ راجلٍ ، وعسكر البرسقى ثمانيةَ آلاف فارسٍ وخمسةَ آلافِ راجلٍ ، ولم يُقْتَلْ من أصحاب الخليفة غيرُ عشرة [1] وجُلِبَتْ نساءُ دُبَيْس وسراريه تحت الأسر .

وعاد الخليفةُ إلى بغداد فدخلها فى يوم عاشوراء من السنة وأما دُبَيْسُ بنُ صدقة فإنه لما انهزم نَجا بفرسه وسلاحِه واتبعته الخيل ففاتها . وعبر الفرات فرأته عجوز فقالت له : دبير جئت ؟ فقال دبير من لم يجىء ! واختفى خبره بعد ذلك وأُرْجِف بقتله ثم ظهر أنه
١٣٥ ـ ا قصـد غُزَيَّةَ من عربِ نجد ، وطلب منهم أن يحالفوه / فامتنعوا عن ذلك وقالوا لا نُسْخِط الخليفة والسـلطان ! ثم رحـل إلى طائفة من

(١) فى الكامل ٨ : ٣١١ « غير عشرين فارسا »

الأعراب واتّفق معهم على قصد البصرة وأخذها ، فساروا إليها ودخلوها ونهبوها وقُتِل مقدّم عسكرِها فتجهز البرسقى لقتاله. فسمع دبيس ذلك ففارق البصرةَ وسار على البرِّ إلى قلعة جعبر والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب وأطمعهم فى أخْذها فلم يظفروا وعادوا عنها فى سنة ثمانى عشرةَ ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد ، وأقام معه وحسَّن له قصد العراق[1] .

وفيها فى صفرٍ أمر المسترشد ببناء سور بغداد وأن يجبى مايخرج عليه من البلد فشقّ ذلك على النَّاس ، وجُمِع منه مال كثير . فلما علِم كراهةَ النَّاسِ لذلك أمر بإعادة ما أُخِذَ منهم فسروا بذلك ، وقيل إن الوزير أحمد ابن نظام الملك بذَل من مالِه خمسةَ عشر ألف دينار وقال « نقسط الباقى على أرباب الدولة » وكان أهل بغداد يعملون بأنفسهم فيه ويتناوبون العمل .

وفى سنة ثمانى عشرة وخمسمائةٍ ملك الفرنج مدينة صور من نواب العلوى المصرى [2]

ذكر الاختلاف الواقع بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان محمود :

/ وفى سنة عشرين وخمسمائة وقع الاختلاف بينهما وسببه أن يرنقش ١٣٥-ب
شحنةَ بغداد جرى بينه وبين نواب الخليفة منافرةٌ فهدَّده الخليفة بسببها فخاف على نفسه ، فسار عن بغداد إلى السلطان وشكا إليه وحذره جانب الخليفةِ ، وأعلمه أنه قاد العساكر وباشَر الحرب وقويتْ

(١) قتل دبيس بعد ذلك سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

(٢) هكذا فى ا ، ف صفحة ٧٧ – ا وفى ك ٧٩ « مدينة صور وهى من نواب العلوى » .

نفسُه و « متى لم تعالجه بِقَصْدِ العراقِ ودخولِ بغداد ازداد قوة وجمعًا ومنَعك عنها ، فتوجه السلطان نحو العراق ، فأرسل إليه الخليفة يعرّفه البلاد وما أهلهَا عليه من الضَّعْفِ والوَهَن بسبب دُبيس بن صدقةَ وأن الغلاء قد اشْتَدّ لعدم الغلات والأقوات ، وطلب أن تتأخر هذه الدفعة إلى أن ينصلح الحال ثم يعود إلى البلاد ولا مانع له عنها وبذل له على ذلك مالا عظيما[1] .

فلما سمع السلطان هذه الرسالةَ قَوِى عنده ما ذكر برنقش وصمَّم على العزم وجدَّ فى السَّيْر فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهلهُ وجيوشُه ومن عنده من أولادِ الخلفاء إلى الجانب الغربى فى ذى القعدة مظهِرًا الغضب والانتزاح عن بغداد إن قَصدها السلطانُ ، فَبكى النَّاس بكاءً شديدًا لخروجِهِ من دارِه فبلغ ذلك مِنَ السلطانِ كلَّ مبلغ واشْتَدَّ عليه ، وأرسل / إلى الخليفة يستعطفه ويسأله العَوْد إلى داره ١٣٦ - ا
فأعاد الجواب « أنه لابد من عودة هذه الدفعة فإنَّ الناس هلكى لشدة الغلاءِ وخراب البلاد » وأنه لا يرى فى دينه أن يُزاد مابهم ! فغضب السلطان ورحل نحو بغداد ، وأقام الخليفة بالجانب الغربى وأرسل عفيفا الخادم - وهو من خَواصِّه - فى عسكر إلى واسط ليمنع عنها نُوّاب السلطان ، وكان بهـا عماد الدين زنكى فقاتله فانهزم عسكر الخليفة وقُتِل منهم جماعةٌ وأُسِر مثلُهم ، وتغافل زنكى عن عفيف حتى نجا لمودةٍ كانت بينهما .

(١) فى ، ك ، ف « يعرفه ما البلاد وأهلها عليه من الضعف » وهو خطأ نقل !

ثم إن الخليفة جمع السُّفُنَ جميعها وسدَّ أبواب دار الخلافة سوى باب النوبى ، وأمر صاحب الباب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبْقَ من حواشى الخليفة بالجانب الغربى سواه . ووصل السلطان إلى بغداد فى العشرين من ذي الحجة ونزل بباب الشماسيَّة ودخل بعضُ عسكرِه إلى بغداد ونزلوا فى دور الناس ، فشكا الناس إليه ذلك ، وأمر بإخراجهم ، وبقى بها منْ له دار . وبقى السلطان يراسل الخليفة فى العَوْد ويطلب الصُّلْحَ وهو يمتنعُ ، وكان يجرى بين العسكرين مناوشةٌ والعامَّة من الجانب الشرقى يسبُّون السلطان أقبح سبٍّ وأفحشه .

ثم دخل جماعةٌ من عسكر السلطان إلى دار الخلافة/ ونهبوا التَّاجَ ، ١٣٦ ـب
فَضَجَّ النَّاسُ ونادوا : الغُزَاةَ الغُزَاةَ ! وأقبلوا من كلِّ ناحية ، وخرج الخليفةُ من السرادق والشمسية على رأسه والوزير بين يديه ، وأمر بضرب الكوسات والبوقات ونادى بأعلى صوته : يا آل هاشم ! وأمر بتقديم السُّفُن ، ونصب الجسر وعبرَ النَّاسُ دفعةً واحدةً وكان له فى الدار ألفُ رجلٍ قد أخفاهم فى السرداب ، فظهروا وعسكر السلطان قد اشتغل بالنَّهْب فأسر منهم جماعة من الأُمراء ، ونهب العامَّةُ دار وزير السلطان ودور جماعةٍ من الأُمراء ودارَ عز الدين المستوفى ودار الحكم أوحد الزمان ، وقُتِل خلق كثيرٌ ممَّن فى الدروب .

ثم عبر الخليفةُ إلى الجانب الشرقى ومعه ثلاثون ألف مقاتلٍ من أهل بغداد والسَّواد وأمر بحفْر الخنادق فحُفِرتْ بالليل وحُفظتْ

بغداد من عسكر السلطان ، ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الأمرُ عليهم وكان القتال كلَّ يوم عند أبواب البلد وعلى شاطئ دجلة . وعزم عسكر الخليفة أن يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكردى صاحب إرْبل (١) وخرج كأنه يريد القتال فالتحق بالسلطان !

وكان السلطان قد أرسل إلى عماد الدين زنكى وهو بواسط يأمره بالحضور بِنَفْسِه ومعه /المقاتلة فى السفن وعلى الظهر ، فجمع كلَّ سفينة ١٣٧ ـ ا بالبصرة وشحنها بالرجال المقاتلة . وسار إلى بغداد فلما قاربها أمَرَ منْ معه بلبْس السلاح وإظهار ما عنـــدهم من الجلَد والنهضة وسارت السفن فى الماء والعسكر فى البر عـــلى شاطىء دجلة وقد انتشروا وملأُوا الأرض . فرأى النَّاسُ ما ملأَ قلوبَهم هيبةً ، وعزم السلطان على الجد فى القتال ، فعندها أجاب الخليفةُ المسترشد بالله إلى الصلح ، وترددت الرسائل بينهما فاصطلحا .

وأقام السلطان ببغداد إلى عاشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين ، وحمل الخليفة إليه من المال ما استقرت القاعدة عليه ، وأهدى إليه سلاحا وخيلا وغير ذلك . ومرض السلطان ببغداد فأشار عليه الأطباء بمفارقتها فرحل إلى هَمَذَان فلما وصلها عوفى

(١) فى Enc.Ist. anl Irbil أنها عاصمة دويلة أقامها زين الدين على كوجك وتقع إلى الجنوب الشرق من الموصل بثمانين كم ، وسنرى أن هذا البلد يصمد للتتار بعد ذلك ، ولا يستسلم إلا بمساعدة الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكى لهؤلاء الغزاة .

من مرَضِه ، ودام فى الملك إلى سنة خمس وعشرين فتوفى . وملك بعده ابنه داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه على ما نذكره (١) .

وفى سنة ست وعشرين وخمسمائة قَبَضَ المسترشد بالله على وزيره شرف الدين على بن الزينبي واستوزر أنوشران بن خالد بعد الامتناع منه .

ذكر حصار الخليفة المسترشد بالله الموصل

١٣٧ـب /وفى سنة سبع وعشرين وخمسمائة حاصر الخليفةُ المسترشد بالله الموْصل فى العشرين من شهر رمضان المبارك ، وسبب ذلك أنها كانت قد صارت فى مَمْلكةِ عمادِ الدين زنكى وكان قد حضر إلى بغداد لمَّا وقعتِ الحربُ بين السلطان مسعود السُّلجقى وبين أخيه سُلجوق شاه على مانذكره فى أخبار السُّلجُقية وظهر منه مباينة للخليفة المسترشد بالله ، فلما كانت هذه السنة واشتغل الملوك السلجقية بقتَال بعضِهم بعضًا قَصدَ جماعةٌ من الأُمراء السلجقية باب المسترشد بالله وصاروا معه .

واتفق أنَّ الخليفة المسترشد بالله أرسل الشيخَ بهاء الدين أبا الفتوح الواعظ الإسفرايني برسالة إلى عماد الدين زنكى فيها خشونة فأَداها أبو الفتوح وزاد عليها ثِقةً منه بقوةِ الخليفة وناموس الخلافة فَقَبض عليه زنكى وأهانه ولقيه بما يكره . فأَرسل الخليفةُ

(١) أشار ابن سليمان الراوندى إلى هذه الواقعة فى راحة الصدور ٣٠٢ وسمَّاها « جفوة » انتهت بمحاصرة السلطان محمود بغداد والاستيلاء عليها ثم الصلح مع الخليفة .

إلى السلطان مسعود بن محمد يعرّفه ذلك وأنه على قَصْدِ الموْصل وحصْرِها ، وتمادتِ الأيام إلى شعبان فسار الخليفةُ في النصف منه في ثلاثين ألفَ مقاتل . ، فلما قارب الموصل فارقها زنكى فى بعض عساكره إلى سنجار ونزل بقية العسكر بها معَ نائبه نصير الدين جقمر فِرْدلوها (١) فنازلها الخليفة وضَيَّقَ على منْ بِها .

١٣٨ ـ ا وكان عماد الدين يركب كلَّ ليلة ويقطع الميرة عن العسكر ويأخذ من ظَفَر به من عسكر الخليفة ؛ ودام الحصار ثلاثة أشهر فتضايقتِ الأُمورُ بالعسكر الخليفى ولم يبلُغْه عَنَّ بها أنهم احتاجوا إلى ميرة ولا وهنوا ، فعاد إلى بغداد فى الماء فِي شبارة فوصل يوم عرفة من السنة .

وفى سنة سبع وعشرين أيضا اشترى الإسماعيليةُ بالشام حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون ، وصعدوا إليه ، وقاموا بِحرْب من يحاربهم من المسلمين والفَرَنْج .

وفى سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة عَزَلَ الخليفةُ أنوشروان بن خالد ، وألْزِم داره ، وأُعيد إلى الوزارة شرف الدين على ابن طرّاد الزينبي .

ذكر مسير المسترشد بالله

لحرب السلطان مسعود بن محمد وأسره

وفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة كانت الحرب بين الخليفة والسلطانِ فى شهر رمضان . وكان سبب ذلك أن السلطان مسعود

(١) دزدلو : حاكم حصن بالفارسية ، انظر Enc. of Islam and Diz .

توفى أخوه الملك طغرل فى المحرم من هذه السنة بِهَمذَان ، وكان بينهما من العداوة والحروب ما نذكره فى أخبارهم إن شاء الله . وكان الخليفةُ يُعين السلطانَ مسعود على أخيه / ويساعده ويُقَوِّيه ، وكان السلطان مسعودٌ ١٣٨ ب
قد انهزم من أخيه طغرل ورحلَ إلى بغداد ، فأعانه الخليفة لجميع ما يحتاج إليه وأمره بالمسير إلى همذان ووعده أن يسير معه ويعينه على حرب أخيه. وكان البقش السِّلاحىُّ وغَيْرُه من الأُمراء قد التحقُوا بالخليفة وصاروا معه واتَّفَقَ أن إنسانًا أُخِذَ فَوُجِد معه ملطفاتٌ من طغرل إلى بعض الأمراء وخاتمه بإقطاع لهم فلما رأى الخليفةُ ذلك قبض على أمير منهم اسمه غلبك ونَهَب مالَه فاستشعر غيرهُ من الأُمراء الذين مع الخليفة ؛ فهربوا إلى عسكر السلطان مسعود ؛ فأرسل الخليفة إليه فى إعادتهم فلم يفعل ، فعظم ذلك على الخليفة وحدث بينهما نفرةٌ ووحشةٌ أوجبت تأخُّره عن المسيرمعه فأرسل إليه يأمره بالمسير معه حتما.

فبينما هم فى ذلك إذ ورد الخبر بوفاةِ طغرل ، فسار مسعود من يوْمه واحتوى على مملكةِ الجبل ، فلما اسْتَقَرَّ بِهَمذَان فارقه جماعةٌ من أعيان الأُمراء خَوْفًا منهم على أنفسهم . منهم يرنقش البازدار ، وقزل ، وسنقر الخمارتكين والى همذان وعبد الرحمن ابن طغايرك [1] ومعهم دبيس ، وأرسلوا إلى الخليفة يطلبون أمانَة

(١) فى راحة الصدور تعريف بهؤلاء الأمراء يختزئ منه ما يأتى : يرنقش البازادر هو مظفر الدين ألب أرغون بن يرنقش الحاجب ، وقزل هو الأتابك مظفر الدين قزل أرسلان ابن إيلدكز وسنقر تغلب عليه النسبة لهمذان وهو غير سنقر الطويل شحنة أصفهان ، وعبد الرحمن هو فخر الدين عبد الرحمن بن طغايرك الحاجب .

ليحضروا إلى خدمته فقيل للخليفة إنها مكيدةٌ لأن دُبيْس بنَ صدقة
١٣٩ ـ ا معهم. فساروا نحو خوزستان / واتفقوا مع برسق بن برسق، فأرسل الخليفةُ إلى الأُمراء سديدَ الدولة بن الأنبارى بتوقيعات يطَيِّبُ قلوبهم، وأمرهم بالحضور فعزموا على قَبْض دُبيْس بن صدقة ليتقربوا به إلى الخليفة، فهرب إلى السلطان مسعود.

وسار الأُمراء إلى بغداد في شهر رجب فأكرمهم وقطع خطبةَ السلطان مسعود من بغداد. وبرز الخليفةُ فى العشرين من شهر رجب على عزم المسير لحرب مسعود، وأقام بالشفيعى [1]، فهرب منه بكبه [2] صاحب البصرة إليها، فراسلَه وبذلَ له الأمانَ فلم يعُدْ. فتوقف الخليفةُ عن المسير، فَحسَّن له الأُمراءُ الرحيلَ، وضَعَّفوا أمْر السلطان مسعود، فسيَّر مقدِّمتَه إلى حلوان فنهبوا البلاد وأفسدوا فلم يُنْكِر عليهم. ثم سار في ثامن شعبان والتحق به الأمير برسق بن برسق فبلغت عِدَّتُه سبعة آلافِ فارس، وتخلَّف بالعراق مع إقبال الخادم ثلاثةُ آلافِ فارس وكان السلطان فى ألفٍ وخمسمائة فارس.

وكان أكثر أصحابِ الأطراف يكاتبون الخليفةَ ويبْذُلون له الطاعةَ فاستصلح السلطان أكثرهم، فعادوا إليه، فصار فى نحو خمسةَ عشر ألفَ فارس. فأرسل الملك داود بن السلطان محمود

(١) فى ف صفحة ٧٩ ـ ا «وأقام بالسفيى» وفى ك صفحة ٨١ «وأقام بالسيفى».

(٢) يرد أحيانا هكذا «بك ابه»

إلى الخليفة يشير عليه بالميل إلى الدينور ليحصّن نفسه ومنْ / معه فلم ١٣٩ ـ ب
يفعل المسترشدُ بالله . وسار حتى بلغ دايمرج ، وعبأ أصحابه .

وسار السلطانُ مسعودٌ إليهم فوافاهم فى عشر رمضان ، فانحازت ميْسرةُ الخليفةِ إلى السلطان وقاتلت الميمنةُ قتالا ضعيفا ، ودارت عساكرُ السلطان حول عسكر الخليفة وهو ثابت لم يحترك من مكانه ، فانهزم عسكره وأُخِذَ هو أسيرا ومعه جمع كثير من أصحابه منهم : شرف الدين على بن طرّاد الزينبي وقاضى القضاة ، وصاحب المخزن ابن طلحة ، وابن الأنبارى ، والخطباء ، والفقهاء والشهود وغيرهم . وأُنزِل الخليفةُ فى خَيْمةٍ وأُخذ ما فى عسكره ، وحُمل الأعيان إلى قلعة سرجهان ولم يقتل فى هذه المعركة أحد ألبتةَ .

وعاد السلطان إلى همذان ، وأمر فَنُودِىَ « من تبعنا من البغداديين إلى همذان قتلناه » فرجع الناس كلُّهم على أقبح صورة وسير السلطان الأمير بكبه المحمودى شحنةً إلى بغداد فوصلها فى رمضان . فقبض جميع أملاكِ الخليفةِ وأخذ غلّاتها ، وثار جماعةٌ من عامة بغداد فكسروا المنبر والشباك ، ومنعوا من الخطبة ، وخرجوا إلى الأسواق يحثون التراب على رؤوسهم ويصيحون ويبكون ، وخرج النساء حاسراتٍ فى الأسواق يلطمن ويبكين ، واقتتل أصحابُ / الشحنة والعامة فقُتِل من العامةِ مايزيد على مائة وخمسين رجلا . ١٤٠ ـ ا

ذكر مقتل المسترشد بالله

كان مقتله فى يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائة على باب مراغة ، وذلك أن السلطانَ سار في شوال من هَمذَان إلى مراغة لقتال الملك داود ابن أخيه محمود ، وكان قد عصى عليه ، فنزل على فرسخين منها والمسترشد معه وقد وكل به من يحفظه . وترددت الرسائل بينهما فى تقرير قواعد الصلح على مال يؤديه الخليفة للسلطان ، وأنه لايعود يجمع العساكر ولا يخرج من داره فأجاب السلطان إلى ذلك . وركب الخليفة وحمل الغاشية ولم يبْقَ إلا عَوْدُ الخليفة إلى بغداد ، فوصل الخبرُ أن الأمير قرآن خوان [1] قد ورد رســولاً من السلطان سنجر فتأخَّر مسيرُ المسترشدِ لذلك وخرج النَّاسُ إلى لقائه مع السلطان. وفارق الخليفةُ بعض الموكلين به وكانت خيمتهُ منفردةً عن العسكر فقصده أربعةٌ وعشرون رجلا من الباطنية [2] فدخلوا عليه فقتلوه وجرحوه مايزيد على عشرين جراحة ، ومثلوا به فَجَدعوا أنْفَه وأذنيه
١٤٠ـب وتركوه عريانَ وقُتِل نَفَرٌ من أصحابه ، منهم : أبو عبد الله ابن سكينه وبقى الخليفة حتى دفنه أهل مراغة . وقُتِلَ من الباطنية عشرة وقيل بل قُتِلوا كلهم ، وقد قيل إن السلطان سنجر أرسلهم لِقَتْلِهِ [3] .

(١) فى كل النسخ المصورة بلا نقط وما أثبتناه عن راحة الصدور ٤٨٠ .

(٢) فى البداية والنهاية ١٢ : ٢٠٨ « عشرة من الباطنية » ويكتفى ابن سليمان الراوندى فى راحة الصدور ٣٣٠ بأن « يقول » قصد جمع من الملاحدة المخاذيل خيمة الخليفة فى مراغة وقتلوه ، فنال درجة الشهادة على أيديهم » .

(٣) يروى ابن طباطبا فى « الفخرى » أن السلطان سنجر كان قد طلب من مسعود الإحسان =

وقُتل رحمه الله تعالى وله ثلاث وأربعون سنة وثلاثة أشهر. ومُدَّةُ خِلافتِهِ سبعَ عشرةَ سنةً وسبعةُ أَشْهُرٍ ويومٌ واحد وكان رحمه الله شهما شُجاعا كبير الإقدام بعيدَ الهِمَّةِ وكان فصيحا بليغا حسن الخط .

قال(١) : ولما قُتِل حُمِل إلى باب مراغة وخرج أهلُها حُفاةً حاسرين رؤوسهم فبلغوا جنازته وكسروا المنابر . وقال : وصل الخبر إلى بغداد فى يوم الجمعة لِستٍّ بقين من ذى القعدة فاجتمع الرجالُ والنساء وناحوا عليه فى الطرقات وكسروا منابر الجوامع واكثروا الشناعات وسَبُّوا السلطان سنجر ومسعودا أقبح سَبٍّ من غير مراقبة ولاحِشْمةٍ : ولما قتل ولىَ بعده ابنُه الخليفةُ الراشد بالله .

ذكر خلافة الراشد بالله

هو أبو جعفر منصور بن المسترشد بالله أبى منصور الفضل بن المستظهر بالله وهو الخليفة الثلاثون من الخلفاء العباسيين بويع له عند وصول الخبر بمقتَل أبيه فى يوم الإثنين السابع / والعشرين ١٤١ـا من ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وكتب السلطان مسعودُ ابن محمد السُّلجُقى إلى بكبه الشحنة ببغداد ، فبايع له ، وحضَر النَّاسُ

=إلى الخليفة فاذا صح ذلك جاز أن تقبل الرواية التى تقول إن مسعودا هو الذى واطأ الباطنية على قتله (٢٦٤ ، ٢٦٥)

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٤٣٨

البيعةَ . وحضر بيعتَه واحدٌ وعشرون رجلا من أولاد الخلفاء وبايع له الشيخ أبو النجيب ووعظه وبالغ فى الموعظة .

ذكر الحرب بين عسكر الخليفة الراشد بالله

وعسكر السلطان مسعود

وفى سنة ثلاثين وخمسمائة وصل يرنقش الزكوى[1] من عند السلطان مسعود يطالب الخليفةَ بما كان استقر على أبيه المسترشد بالله من المال وهو أربعمائة ألف دينار فقال الخليفة : لا شىء عندى والمالُ جميعهُ كان مع المسترشد فَنُهب ! ثم بلغ الراشد بالله أن يرنقش يريد الهجْم على دار الخليفة وتفتيشها ليأخذَ المال ، فجمع العساكر وأعاد عملَ السور . فلما علم يرنقش بذلك اتَّفَق هو وشحنةُ بغداد على أن يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة فبلغ ذلك الراشد فاستعد لِمنْعِهم وركب يرنقش ومعه الأُمراء البكجية[2] والعسكر ، واجتمعوا فى نحو خمسة آلافِ فارسٍ ولقيهم عسكر الخليفة فاقتتلوا ، وأعان العامَّةُ عسْكَر الخليفة / فأخرجوا عسكر السلطانِ ونَهَبتِ العامَّةُ دار السلطنة . ١٤١ ـ ب

ثم حضر الملك داود بن محمود بعسكر أذربيجان واجتمع الأطراف ببغداد على الخروج عن طاعةِ السلطان مسعود وفيهم عمادُ الدين زنكى وغيرُه ، وولى الملك دواد يرنقش بازدار شحنكية بغداد . واتفق أن الخليفة قَبَضَ على ناصح الدَّوْلة أبي عبد الله الحسن

(١) فى ا « برتقش الزكوى » وفى ك صفحة ٨٢ « يرتقش الزكورى » وما هاهنا عن ف ٨٠ ـ ا وهو يوافق رسم راحة الصدور الذى بيناه قبل .

(٢) كذا فى الكامل وما فى النسخ المصورة جميعا « الكنجية » نسبة إلى گنجة ولا يةٍ فيها أران (راحة الصدور ٣٤١) .

ابن جهير أستاذ الدار وكان هو السبب فى ولايته ، وقبض على جمال الدولة إقبالٍ المسترشدىٌ وعلى غيرِهما من أعيان الدولة ، فتفرقت نِيَّاتُ أصحابِه عليه فشفع أتابك زنكى فى إقبال . وخرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين أبى الرضى بن صدقة[1] إلى عماد الدين زنكى يهنئه بالقدوم ، فأقام الوزير عنده وسأله أن يمنَعه من الخليفة فأجابه إلى ذلك . وعاد الموكب بغير وزير ، وأرسل زنكى مَنْ حرس دار الوزير ثم أصلح حاله مع الخليفة وأعاده إلى وزارته . ثم جدَّ الخليفةُ فى عمارة السور فأرسل الملك داود من قلع أبوابه وخرَّب قطعةً منه ، فانزعج الناسُ ببغداد ونقلوا أموالهم إلى دار الخلافة ، وقُطعت خطبة السلطانُ ، وخُطِب للملك داود ، وجرت الأيْمان بين الخليفةِ والملك داود وعماد الديكى زنكى . ووصلت الأخبار بمسير السلطان مسعودٍ إلى بغداد لقتال ابن أخيه داود وزنكى . ثم وصلت رُسل السلطان إلى الخليفة بالبذْل من نفسِه الطاعة والموافقةَ والتهديد لمن اجتمع عنده ، فعرض الخليفةُ الرسالة عليهم وكلمهم فى قتاله ، فكُلٌّ رأى ذلك ووافقهم الخليفة ! ١٤٢ ـ ١

ذكر مسير الراشد بالله

إلى الموصِل وخلعه

كان سبب ذلك أن السلطان مسعودًا لما بلغه اجتماع العساكر والملوك والأُمراء ببغداد على خِلافِه والخُطبة للملك داود ابن أخيه جمع العساكر وسار إلى بغداد ونزل بالملكية ، فسار بعضُ العسكر

(١) لما أفضت الخلافة للراشد استوزره فلم يظهر كفاءة ما ، ومات سنة ست وخمسين وخمسمائة .

وطاردوا عسكره وعادوا ،ونزل السلطان على بغداد وحصرها نيفًا وخمسين يوما ، فلم يظفرْ منها بشيء . ثم عاد إلى النهروان عازمًا على العوْدِ إلى همذان فوصل إليه طرنطاى صاحبُ واسط ومعه سفنٌ كثيرة ، فعاد إلى بغداد وعبر إلى غربى دجلة واختلفت كلمة العسكر البغدادى فعاد الملك داود إلى بلاده فى ذى القعدة وتفرق الأُمراء .

وكان زنكى بالجانب الغربى فعبر إلى الخليفةِ وسار إلى الموصل .

١٤٢ ـ ب ودخل / السلطان بغداد واستقر بها ، وذلك فى نصف ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة .

قال (١) وأمر السلطان فجمع القضاة والشهود والفقهاء وعُرض عليهم اليمين التى حلف بها الراشد وفيها بخط يده « إننى متى جئت أو خرجت أو لقيت أحدا من أصحاب السلطان بالسَّيف فقد خلعتُ نفسى من الأمر » فأفْتَوْا بخروجهِ من الخلافة . وقيل إن الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبى وكاتب الإنشاء ابن الأنبارى وصاحب المخزن كمال الدين طلحة كانوا منذ أسْرِهم مع المسترشد ، فحضروا الآن معه ، واجتمعوا فى يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة بقِيتْ من ذى القعدة سنة ثلاثين ، وكتبوا محضرا شهد فيه جماعةٌ من العُدول بما صدر من الراشد من الظُّلْم وأخْذِ الأموال بغير حقها وسفْكِ الدماء وشُرْبِ الخمور وارتكابِ المحارم ، واسْتَفْتَوْا الفقهاء فيمن فَعلَ ذلك هل تصِحُّ معه إمامة أم لا ؟ وهل يجوز للسلطان أن يخلعه

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٣٥٤ .

ويستبدلَ به من أهل بيته من هو خيرٌ منه طريقةً وديناً ؟ فأفْتى الفقهاءُ بِخَلْعِه وفَسْخ عهده والاستبدالِ به غيره ،وعُرضتِ الفُتيا والمحضر على السلطان فقال : هذا أمر قلدتكم إياه وأنا برىء منه عند الله ! ثم خُلع وقُطعت خطبته من بغدادَ وسائرِ البلاد فى ذى القعدة وبويع بعده للمقتفى .

١٤٣ ـ ١ /وكانت خلافَتُه أحد عشر شهرًا وأياما ، وكتب السلطانُ إلى أتابك زنكى فى القبض عليه وإرساله إلى بغداد فمنع من ذلك فارس الإسلام زين الدين على بن بكتكين صاحب إرْبِل رحمه الله وقال : والله لاسلَّمناه حتى تُراق دماؤُنا ! واعتذر إلى السلطان وقال : أنا أُخرجهُ من ولايى ؟ فأرسلْ أنت عسكرا للقبض عليه من غير جهتنا !

وأعد زينُ الدين جماعةً من الأكراد فساروا بين يديه على طريق لا يعرفها كثيرٌ من الناس فوصل إلى مراغة أذربيجان ونزل بِبِريَّةِ أبيه وتلقَّاه أهلُها وولَّوْه أمرهم فأقام بها يسيرا ثم ارتحل إلى الرَّىِّ فلما قرب من بلاد الباطنية جرَّد عسكره لِقَتْل منْ وجد منهم فقتل منهم جماعةً ثم تنقَّلَت به الحال وكابد الغربة ووصل إلى همذان وسار منها يريد إصفهان. فلما كان فى الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثَب عليه نفر من الباطنية ـ وكانوا فى خدمته على زِىِّ الخراسانية ـ فقتلوه وهو يريد القَيْلولة وكان [قد بَلَّ][1] من أثر مرض قد برأ منه ودفن فى شهرستان على فَرْسخ من إصفهان ، وقتل أصحابُه الباطنيةَ الذين قتلوه . ولما ورد الخبرُ بِمقْتَلِ

(١) زيادة يقتضيها السياق

الراشد بغداد جلسوا للعزاء فى دار النوبة يوماً واحدًا .
وكان الراشد بالله أشقر اللون حسن الصورة ، مهيبا شديد
١٤٣-ب القوة / والبطش

ذكر خلافة المقتفى لأمر الله

هو أبو عبد الله محمد وقيل الحسين بن المستظهر بالله أبى العباس أحمـد بن المقتـدى بأمر الله أبى القاسم عبـد الله ، وأمه أم ولد تدعى ياعى . وهو الخليفة الحادى والثلاثون من الخلفاء العباسيين بويع له بعد خلع ابن أخيه الراشد بالله فى ثامن عشر ذى الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة . وذلك أنه لما خُلِع الراشد بالله استشار السلطان مسعود بن محمد السلجقى جماعةً من أعيان بغداد فيهم الوزير شرف الدين على بن طرّاد الزَّيْنَبى وكمالُ الدين صاحبُ المخزن وغيرهما فيمن يصلح أن يلى الخلافةَ فقال الوزير : أحـدُ عُمومة الراشد بالله وهو رجل صالح ! قال : منْ هو ؟ قال : لا أقدر أن أفصح باسْمِهِ لئلا يُقْتَل : فَتَقَدَّم إليهم بعملِ محضرٍ فعُمِلَ المحضرُ على ما ذكرناه فلما كمُلَ المحضر أحْضِر القاضى أبو طاهرٍ الكرخى وشهدوا عندَه بما تضمَّنَه المحضرُ فحكم بفِسْق الراشد وخَلْعِه وحكم بعدَه غيرُهُ . ولم يكن قاضى القضاة ببغدادَ لِيَحْكُمَ فإنه كان بالمَوْصِل عند أتابك زنكى فلما كَمُل ذلك ذكره الوزير للسلطان وذكر دينَه وعِفَّتَه ولينَ جانبه ، فحضر السلطانُ
١٤٤-ا إلى دار الخلافة ومعه الوزيرُ وصاحب المخزن وغيرُهما وأمر / بإحضار الأمير أبى عبـد الله بن المستظهر من المكان الذى كان يسكن فيه ، فأُحْضِرَ وأُجْلِسَ فى الميمنة ودخـل السلطان وتحالفا وقررا القواعدَ

بينهما . وخرج السلطانُ من عنده وحضر الأُمراء وأربابُ المناصب والقضاة والفقهاء . ولُقِّب المقتفى بأمر الله .

وقيل فى سبب هذا اللقب أنه رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يَلِيَ الخلافةَ بستة أيام وهو يقول : إن هذا الأمر يصير إليك فاقتف بى فَلقِّبَ بذلك ولما بويع له سُيِّرتِ الكتبُ الحكيمة بخلافته إلى سائر الأمصار واستوزر شرفَ الدين على بن طراد الزينبى ، وأرسل إلى الموصل فأحضر قاضى القضاة على بن حسين الزينبى - وهو بن عم الوزير - وأعاده إلى منصبه ، وأقرَّ كمالَ الدين صاحب المخزن على منصبه ، وأجرى الأُمور على أحسن نظام .

قال[1] : وأرسل السلطان مسعود إلى الخليفة فى تقرير إقطاع يكون لخاصته فكان جوابه « إن فى الدار ثمانين بغلا تنقل الماء من دجلة ، فلينظر السلطان مايحتاج إليه مَنْ يشربُ هذا الماء فتَقَرَّرت القاعدة على أن يجْعَلَ له ما كان للمستظهر فأجاب إلى ذلك وقال السلطان لما بلغه قوله : « لقد جَعَلنا فى الخلافة رجلا عظيما نسأل الله تعالى أن يكفينا أمره » قال[2] : وخُطِبَ له على سائر / المنابر إلا فى ١٤٤-ب
المَوْصل ، فإنه لم يُخْطَبْ له فيها إلا فى شهر رجب سنةَ إحدى وثلاثين وخمسمائة .

وفى سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة تزوج الخليفة المقتفى فاطمة أخت السلطان مسعود وكان الصداق مائة ألف دينار ، والوكيل فى

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٣٥٥ .
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ٣٥٥ .

قبول النكاح وزير الخليفة على بن طراد ، ووكيل السلطان فى العقد وزيره الكمال الدُّرْكزينى .

وفيها فى الرابع والعشرين من آيار ظهر بالشام سحاب أسودُ وأظلمت له الدنيا ، وصار الجوُّ كالليل المظلم ، ثم طلع بعد ذلك سحابٌ أحمرُ كأنه نار أضاءت له الدنيا ، وهبَّ ريحٌ عاصف ألقت كثيرًا من الشَّجَر ، وكان أشد ذلك بحوران ودمشق وجاء بعد ذلكَ مطر كثير وبَرَدٌ كِبار .

وفى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وصل ملك الروم صاحب القسطنطينية إلى الشام وملك بزاغة[1] بالأمان لخمس بقين من شهر رجب ثم غدر بأهلها فقتل منهم وسبى على مانذكره إن شاء الله تعالى فى أخبار الدولة الأتابكية فى أيام زنكى .

وفيها انقطعت كسوةُ الكعبةِ للاختلاف الواقع بين الملوك السُّلجُقية فقام بكسوتها رامشت الفارسى التاجر ، وكان من التجار المسافرين إلى الهند – وهو كثير المال – فكساها من الثياب الحَبَرَة[2] وبكل ما وجد / إليه السبيل ، فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر ألف دينار مصرية . ١٤٥ – ١

وفيها كانت زلزلةٌ عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل و العراق وغير ذلك من البلاد فخُرِّبَ كثيرٌ منها ، وهلك عالم كثير تحت الرَّدْم. ثم كانت زلازلُ كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير

(١) بزاغة : مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب (ياقوت فى معجم البلدان) .
(٢) الحبرة : ضرب من برود اليمن ، وكانالنبي يلبس الحبرات (المحيط)

من البلاد فى سنة ثلاث وثلاثين ، وكانت متواليةً عِدَّة أيام كلَّ ليلة عِدَّة دفعات وكان أشدها بالشام ، فعدُّوا فى ليلة واحدة ثمانين مرةً . ففارق الناس مساكنهم ، ولم تزل تتعاهد من أربع صفر إلى تاسع عشر ، وكان معها صوت وهدة شديدة .

وفى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة جَرَى بين الخليفة المقتفى وبين الوزير على بن طراد منافرةٌ ، وسببها أن الوزير كان يعارض الخليفةَ فى جميع ما يأمر به فنفر الخليفةُ من ذلك ، فغضب الوزير ثم خاف فقصد دار السلطان واحتَمى بها ، فأرسل الخليفةُ إليه فى العَوْدِ إلى منصبه فامتنع . فاستناب قاضى القضاة الزينبى ، وأرسل الخليفةُ رسلا إلى السلطان مسعود فى معنى الوزير فأرخص السلطان للخليفة فى عَزْلِه فعزله ، ثم عزل الزينبى من النيابة ، وناب سديد الدولة بن الأنبارى .

وفيها كانت زلزلةٌ عظيمة بكنجة وغيرها من أعمال أذربيجان وأرّان ، وكان أشدها بكنجة فَخُرِّبَ منها كثيرٌ ، وهلكَ عالَم قيل كانوا مائتى ألف وثلاثين ألفا / وتهدَّمَت قلعةٌ هناك . ١٤٥ ـ ب

وفيها ابْتَنَى الخليفةُ بفاطمة أخت السلطان مسعود وكان يوم حمْلِها إلى دار الخلافة يوما مشهودا . وغُلِّقَت بغدادُ عدة أيام ، وتزوج السلطان مسعود بابْنَة الخليفة .

وفى سنة خمسٍ وثلاثين وخمسمائة وصل رسولُ السلطان سنجر ملكشاه إلى المقتفى ومعه بُردة النبى صلى الله عليه وسلم والقضيب ، وكان أخذهما من المسترشد لما قُتل .

وفيها ملك الإسماعيلية حصن مصاف بالشام وكان واليه مملوكا لبنى مُنْقذٍ أصحاب شيزر ، فاحتالوا عليه ومكَّرُوا به حتى صعدوا إليه فقتلوه وملكوا الحِصْنِ .

وفيها توفى سديد الدولة بن الأنبارى فاستوزر الخليفة بعده نظامَ الدين أبا نَصْرٍ محمد بن الأنبارى وكان قبل ذلك أستاذَ الدار .

وفيها بُنِيتْ المدرسة الكمالية ببغداد بناها كمال الدين أبو الفتوح حمزة بن على صاحب المخزن [1] .ولما فَرَغت درَّس فيها الشيخ أبو الحسن بن الخل .

وفى سنة أربعين وخمسمائة اتَّصَل بالخليفة عن أخيه أبى طالب ما كرهه فَضَيَّق عليه وعلى غَيْرِه من أقاربه .

وفى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة فى جمادى الأُولى خُطِب للمستنجد بالله يوسف بن المقتفى بِولاية العهد .

١٤٦ ـ ا /وفى سنة أربع وأربعين استوزر الخليفة أبا المظفر يحيى ابن هُبَيْرة وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزِّمام فظهرت منه كفاية عظيمة ، فرغب الخليفةُ فيه واستوزره يوم الأربعاء لأربع خلون من شهر ربيع الآخر [2] .

(١) كذا فى سائر المخطوطات ، وفى راحة الصدور ٣٣٣ (حاشية) كمال الدين محمد ابن على ويرد بالفارسية باسم محمد خزانه در

(٢) نشأ بالدور من أعمل دجيل حملا . ولكنه مازال ينتقل من خدمة إلى خدمة حتى تقلد الوزارة للمكتفى فكانت له فى قمع دولة السلجوقية يد قوية ، مات سنة ستين وخمسمائة (راجع البداية والنهاية ١٢ : ٥٢٠) .

وفيها كانت زلزلةٌ عظيمة ، فيقال إن جبلاً بالقرب من حلوان ساخ فى الأرض .

وفى سنة سبع وأربعين مات السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بِهَمذَان فلما وصل الخبرُ إلى بغداد بِمَوْتِهِ هرب شحْنَتُها مسعود بلال إلى تكريت فاستظهر الخليفةُ المقتفى على داره ودور أصحاب السلطان ببغداد وأخذ أموالهم وودائعهم واسْتَبدَّ الخليفةُ بالأمر وقطع خطبة الملوك السُّلْجُقية [1] وفوّض الأمر إلى الوزير ابنِ هبيرة !

ذكر تفويض أمور الدولة والوزارة

إلى الوزير عون الدين بن هبيرة وما أقطعه الخليفة من الإقطاعات

كان الخليفة المقتفى لأمر الله لمّا اسْتَخْلَفَ خاف أنْ ألا يُملِّكَ تركيًّا لما جرى على أخيه المسترشد ولم يمكنه المبادرة بذلك فلما تَمكَّن وقَوِىَ أمرهُ ومات السلطان مسعود فَوَّضَ الأُمور إلى الوزير عون الدين أبى المظفـــر يحيى بن هبيرة ، ولَقَّبـــه بتاج المـــلوك ملك الجيوش وأقطعه إقطاعا عظيمًا وهو : واسط وبطائحها والبصرة / ١٤٦ ـ ب والحلَّة ، والنيل ، والنعمانية ، وقرسان [2] ونهر الملك [3] ، ونهر

(١) قال ابن الأثير إنه بموت مسعود ماتت سعادة البيت السلجوق « فلم يقم له بعده راية يعد بها ولا يتلفت إليها الكامل ٩ : ٣١ .

(٢) كذا فى الأصل ولم أر فى المعاجم الجغرافية سوى « قاسان » بلدة وراء النهر قرب حدود الأتراك .

(٣) نهر الملك : كورة واسعة ببغداد تشتمل على ثلاثمائة وستين قرية .

عيسى [١] ، ودجيل ، والراذان [٢] ، وطريق خراسان ، والقرايا ، والنجف ، والبَنْدنيجَيْنَ [٣] وبادَرايا[٤] ، وباكُسايا [٥] ، وهيت [٦] والأنبار ، وعين التمر[٧] ، وشفاثا [٨] . وأقطعه إقطاع وزير السلطان وأعانَه على الإستعداد للحرب وجهزه بالجيوش فاستَوْلى على الحلة والكوفة وواسط ثم عاد إلى بغداد وكانت غيبته خمسةً وعشرين يوما.

ذكر حصر تكريت

وعود عسكر الخليفة عنها وأسرابن الوزير

وفي سنة ثمانٍ وأربعين وخمسمائة سيَّر الخليفةُ المقتفى لأمر الله عسكرا إلى تكريت [٩] وأرسل عليهم مقدّما أبا المنذر بن الوزير

---

(١) نهر عيسى : كورة بقرى كثيرة غربي بغداد مأخذها من الفرات وتنسب لعيسى ابن على بن عبد الله بن العباس .

(٢) الرازان : أوردها ياقوت بلا ألف ولا لام ، وقال إنها كورتان لهما قرى كثيرة وثمة رازان قرية باصبهان .

(٣) البندنيجين : بلدة مشهورة فى طرف النهروان ناحية الجبل من أعمال بغداد ويقول حمزة — على ما أورد ياقوت — بناحية العراق موضع يسمى وندنيكان وعرب على البندنيجين .

(٤) بادرايا : طسوج بالنهروان ، وهى بليدة قرب باكسايا بين البندنيجين ونواحى واسط يكثر فيها التمر اليابس .

(٥) باكسايا : بلدة قرب البندنيجين وبادارايا وواسط

(٦) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار وذات نخل كثير وخير غزير كما يقول ياقوت

(٧،٨) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا .

(٩) تكريت : من الأعمال الصغيرة للدولة ، وفى أواخر خلفاء بنى العباس — وكانوا قد ضعفوا — أصبح لها ولمثلها شأن ، بل كانت تجرؤ على العصيان حتى قال الشاعر :

تكريت تعجزنـــا ونحن بعقلنـــا نمضى لنأخذ ترمـــذا من سنجر

(راجع الفخرى ٢٦)

عون الدين والأمير ترشك وهو من خواصّ الخليفة وغيرهما، فجرى بين أبي المنذر وبين ترشك منافرة اقتضت أن كتب ابن الوزير يشكو منه، فأمر الخليفة بالقبض على ترشك فعرف ذلك فأرسل إلى مسعود صاحب تكريت وصالحه وقبض على / أبي المنذر ومَنْ معه من المقدمين، وسلّمهم إلى مسعود بلال فانهزم العسكر وسار مسعود وترشك من تكريت إلى طريق خراسان فهنباها وأفسدا. فسار الخليفةُ لدفعهما، فَهَرَبا من بين يديه فقصد تكريتَ وحَصَرَها أياما، ثم عاد بعد أن جرَى بينه وبين أهلها قتالٌ من وراء السور وقُتل من عسكر الخليفة جماعة بالنُّشابِ. ١٤٧ ـ ا

ذكر حصار تكريت ووقعة بكمزا

وفى سنة تسع وأربعين وخمسمائة أرسل الخليفة رسولا إلى صاحب تكريت بسبب مَنْ عنده من المأسورين فقبض على الرسول. فسيّر المقتفى عسكرا فخرج أهل تكريت فقاتلوا عسكر الخليفة، فسير عسكرا آخر، فمانعوه. فسار الخليفةُ بنفسه ونَزَل على البلد فهرب أهله، فدخل عسكر الخليفة فشغبوا ونهبوا بعضه، ونَصَبَ على القلعة ثلاثةَ عشر منجنيقا فسقط من أسوارها برجٌ، وبقى الجيش[1] كذلك إلى الخامس والعشرين من شهر ربيع الأوّل فأمر الخليفة بالقتال والزَّحْف. فاشتد القتال، وكثرت القتلى، ولم يبلغ منها غَرَضًا، فعاد إلى بغداد ودخلها فى آخر الشهر.

(١) كذا فى كل النسخ وفى الكامل ٩ : ٤٤ « وبقى الحصر » وهو أفضل.

ثم أمر الوزير عون الدين بالعَوْد إليها والاستعدادِ والاستكثار من آلات
١٤٧ـب / الحصار ، فسار إليها فى شهر ربيع الآخر وضيق عليها . فبلَغَه الخبر أن مسعود بلال وصل إلى شهرابان ومعه البغوش كون خر[١] وترشك فى عسكر كبير ونهبوا البلاد فعاد الوزيرُ إلى بغداد وكان سبب تَحَوُّل هذا العسكر أنهم حثُّوا الملكَ محمدًا[٢] على قصد العراق فلم يتهيأ له ذلك ، فسير إليه هذا العسكرَ وانضاف إليهم خلقٌ كثير من التركمان .

فخرج الخليفةُ إليهم فأرسل مسعود بلال إلى تكريت وأخرج منها الملك أرسلان ابن السلطان طغرل بن محمد وكان محبوسًا بها وقال : هذا سلطان نقاتل بين يديه بإزاء الخليفة ! والتقى العسكران عند بكمزا بالقرب من بعقوبا ، ودامت الحربُ بينهم والمناوشة ثمانيةَ عشرَ يوما ، ثم التقوْا فى آخر شهر رجب واقتتلوا فانهزمت ميمنةُ عسكرِ الخليفة وبعضُ القلب حتى بلغت الهزيمة بغدادَ . ونُهبت خزائنُه وقتل خازنُه . فحمل الخليفة بنفسه هو وولى عهده وصاح : يا آل هاشم كذب الشيطان ! وقرأ « وَرَدَّ اللهُ الذين كَفَرُوا بِغَيْظِهِم لم يَنَالُوا خَيْرًا » وحمل هو وبقيةُ العسكر فانهزم مسعودٌ ومن معه ، وظفر الخليفة ، وغنم العسكرُ جميعَ ماهو للتركمان من دوابَّ وغنمٍ وغير ذلك . وكانوا قد أحضروا نساءهم وأولادهم وخركاهاتهم فأُخِذ جميعُ ذلك . فبيع

(١) كذا فى راحة الصدور ٣٧٧ وما فى النسخ كلها مضطرب فو ا ، ف صفحة ٨٣ – ب « البغش كورخون » وفى ك صفحة ٨٦ « التقش كورخون » .

(٢) هو غياث الدنيا والدين أبو شجاع محمد بن محمود بن ملكشاه قسيم أمير المؤمنين .

كل كَبْش / بِدانِقٍ وأخذ كون خر الملكَ أرسلان وانهزم به إلى بلد النجف ١٤٨ ـ ا
وقلعة الماهكى [١]

ورجع الخليفةُ إلى بغداد فدخلها فى أوائل شعبان المبارك ، فأتاه الخبر أن مسعود بلال وترشك قصدا مدينَة واسط. فنهبا وخربا فسيّر إليهم الوزيرَ فى عسكر ، فانهزم العَجمُ ،ولحقهم عسكرُ الخليفة ونَهَب شيئا كثيرا ، وعاد إلى بغداد فَلُقِّب الوزير سلطان العراق ملكَ الجيوش ، وسيّر الخليفةُ عسكرا إلى بلد النجف فاحتوى عليه .

وفى سنةِ خمسين وخمسمائة سار الخليفة إلى دقوقا فحصرها وقاتل مَنْها ، ثم رحل عنها ولم يبلغ غرضا [٢] .

وفيها استولى شملة التركمانى على خوزستان وصاحِبُها حينئذ ملكشاه محمود . فسيرّ الخليفةُ إليه عسكرا فقاتَلَهُم شملة وهزمهم وأسر وجوهَهُم . ثم أحسن إليهم وأطلقهم . وأرسل إلى الخليفة المقتفى لأمر الله يعتذر منه فقبل عذره .

وفى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة حصر السلطان محمد بن محمود السُّلْجُقى بغدادَ ، وكان قد راسل الخليفةَ فى الخطبة له ببغداد والعراق . فامتنع الخليفةُ من إجابته ، فسار من هَمَذَان وواعده قطب الدين صاحبُ المَوْصِل أن يرسل إليه العساكرَ ، فقدم

(١) فى ك ٨٦ « إلى النجف وقلعة الماهلى » وفى ا ، ف صفحة ٨٦ ـ ا « إلى بلد النجف وقلعة الماهلى » وما ها هنا من راحة الصدور ٤٠٧ وفى لحاشية أن قلعة ما هكى كانت فى « لحف » من أعمال بغداد ، إذن فالقريب من الصحة أن يستبدل بالنجف هنا لحف

(٢) يقول ابن الأثير فى سبب ذلك : إنه بلغ الخليفة أن جيش الموصل تجهز جنده (الكامل ٩ : ٤٧)

فى ذى الحجة ودام الحصارُ والقتالُ إلى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين ، فبلغ / السلطان محمد أن أخاه ملكشاه وإيلدكز وأرسلان طغرل ١٤٨-ب
دخلوا همذان واستولَوْا عليها ، فرجع عن بغـداد ولم يبلغ رضـا ، وتفرقت العساكر .

وفى شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين أُطلق ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريت فتلقته المواكب وكان يوما مشهودا [١] .

وفيها فى شهر ربيع الآخر احترق أكثر بغداد ، واحترقت دارُ الخلافة .

وفى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كان بالشام زلازلُ كثيرةٌ خربت كثيرا من البلاد والقلاع والأسوار ، وهلك من العالم مالا يحصى كثرةً . ومما يدل على ذلك ما حكاه ابن الأثير فى تاريخه الكامل « أن معلما كان بمدينة حماه يعلِّم الصبيان ، ففارق المكتب لحاجة عرضت له فجاءت الزلزلة فخرَّبتِ البلد وسقط المكتب على الصبيان فهلكوا عن آخرهم — قال — فقال المعلم : فلم يأت أحد يسألنى عن صَبِىٍّ كان له ! فيدل على موْتِ جميع أهاليهم [٢] .

وفيها قلع الخليفة المقتفى لأمر الله بابَ الكعبة وعمل عِوَضَه بابًا

---

(١) ولكن ابن طباطبا يقول : وحبس بعد موت أبيه ولم يعلم خبره بعد الحبس (الفخرى ٢٧٦) .

(٢) عبارة ابن الأثير فى كتابه المطبوع « أن معلما كان بالمدينة — وهى مدينة حماه — ذكر عنه أنه فارق المكتب لهم عرض له ، فجاءت الزلزلة فخربت البلد ، وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، قال المعلم : فلم يأت أحد يسأل عن صبى كان له بالمكتب » الكامل (٩ : ٥٣) .

مصفحا بالفضة المذهبة ، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتا يدفن فيه إذا مات !

وفى سنة أربع وخمسين وخمسمائة فى ثامن عشر ربيع الأول كثرت الزيادة فى دجلة فغرقت بغدادُ ، وتهدّمت الدور وسور / المدينة ١٤٩ ـ ا وكثر الخرابُ ولم يعرف الناس حدودَهم على التحرير ؛ بل بالتخمين .

وفيها مات السلطان محمد الذى حاصر بغداد بِمَرَضِ السُّلِّ .

وفيها عاد ترشك إلى بغداد ولم يعرفه أحد ولا شعر به إلا وقد ألقى نَفْسَه تحت التاج ومعه سيف وكفن . فَرَضِيَ عنه الخليفةُ ، وأذِنَ له فى دخول الدار وأنعم عليه بمال !

ذكر وفاة المقتفى لأمر الله

وشىء من أخباره

كانت وفاة المقتفى لأمر الله فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وقيل لليلتين خَلَتَا من شهر رجب . ومولده فى ثانى عشر شهر ربيع الآخر سنةَ تسع وثمانين وأربعمائة . وكان عمره ستًّا وستين سنة تقريبا ، ومدّة خلافته أربعًا وعشرين سنةً وشهورا . وكان شيخًا أبيضَ الرأسِ واللحية طويلَها ، وكان حليما كريما عادلا حسَنَ السيرة جميل الرأى وافرَ العقل ، شجاعا مِقداما يباشر الحروب بنفسه . وكان يحب جَمْعَ المال . وفى أول خلافته ولّى القضاء بمدينة السلام لرجل يعرف بابن المرخم ، وجعله يتولى عقوبة عماله

١٤٩ ــ ب ووجوه دولته وأخـذ أموالهم ، فقال / بعض الشعراء فى ذلك :

ضَحِّيى ويْكِ والطُّـــمِى وَلِىَ ابنُ المرخَّمِ[1]
وَاه على الحكمِ والقَضَـا وعـــلى كلِّ مُسْـلِم
وأرى المقتفى الإمـــا م عن الحقِّ قد عَمِى

فبلغ المقتفى ذلك فأخذ الشاعر بنكاله وعذبه وما زاده ذلك إلا تماديا فى حاله . وهو أول من استبد بالعراق منفردا عن سلطانٍ يكون معه من أوَّلِ أيام الدَّيْلم وإلى هذا الوقت ، وأول خليفة تمكن من عسكره وأصحابه وحكم على الخلافة منذ تحكم المماليك على الخلفاء فى خلافةِ المستنصر بالله وإلى الآن ، إلا أن يكون المعتضد بالله . وكان المقتفى يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار فى جميع البلاد حتى لا يفوتَه منها شىءٌ ، وكانت دعوتُه بالعراق والحجاز والشام وخراسان .

ذكر خلافة المستنجد بالله

هو أبو المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله أبى عبد الله محمد بن المستظهر بالله . وأمه أم ولد تدعى طاؤس وقيل نرجس . رومية .
١٥٠ ــ ا وهو الخليفة الثانى والثلاثون من الخلفاء بويع له بعد وفاة أبيه فى شهر

(١) نقول ضخمته الشمس أى لفحته (سودته) والسخم السواد . وقد سخم وجهه (بالسين) سوده كما يقول القاموس المحيط ، ورواية البيت هذه ليست كما أثبتها النويرى ، فى ا « ضحى ومك والطمى قد »
وفى ك صفحة ٨٨ « ضحى ويك والطمى قد » .
وفى ف صفحة ٨٥ ــ ا (ضحى ويك والطمى قد » .

ربيع الأول فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة وقيل لليلتين خلَتا من شهر رجب منها والله تعالى أعلم .

قال[1] : وكان للمقتفى حظية وهى أم ولده أبى على . فلما اشتدّ مرضه وأيست منه ، أرسلت إلى جماعةٍ من الأمراء وبذلت لهم الإقطاعاتِ الكثيرةَ والأموالَ الجزيلة ليساعدوها على أن يكون ولدُها الأمير أبو على خليفةً فقالوا : كيف الحيلةُ مع ولى العهد ؟ فقررت أنها تقبض عليه إذا دخل . وكان يدخل على أبيه فى كلّ يوم فقالوا : لابد لنا من أحدِ أرباب الدَّوْلة فوقع اختيارهم على أبى المعالى بن الكيال الهراس[2] فدَعَوْه إلى ذلك فأجابهم على أن يكون وزيرا . فبذلوا له ما طلب . فلما استقرت القاعدة بينهم أحضرت عِدَّةً من الجوارى وأعطتهن السكاكين وأمرتهن بقَتْل ولى العهد المستنجد بالله . وكان له خصىٌّ صغيرٌ يرسله فى كل وقت يتعرف أخبارَ والده فرأى الجوارى وبأيديهن السكاكين وبيد أبى على وأمه سيفين . فعاد إلى المستنجد وأخبره .

وأرسلت هى إلى المستنجد تقول : « إن والدك قد حَضَرَتْهُ الوفاةُ فاحضر لتشاهده » فاستدعى أستاذ الدار عضُدَ الدين . وأخذ معه جماعةً من الفراشين ، ودخل الدار وقد لبس الدِّرْعَ والسيفُ فى يده . فلما دخل ثار به الجوارى / فضرب واحدةً منهن فجرحها وجرح ١٥٠ ـ ب
أخرى وصاح فدخل أستاذ الدار والفراشون فهرب الجوارى وأخذ أخاه

(١) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ٦٨ .
(٢) كذا فى ك صفحة ٨٨ وفى الكامل « ابن كيا الهراسى » .

أبا علي وأمَّه فَسَجَنَهُما ، وقتل من الجوارى وغَرَّق وجلد للمبايعة فبايعه أهلُه وأقاربُه .

وأول من بايعه عمُّه أبو طالب ثم أخوه أبوجعفر بن المقتفى وكان أكبر من المستنجد ، ثم بايعه الوزير ابنُ هبيرة ، وقاضى القضاة ، وأرباب الدولة والعلماء . وخُطِب له فى يوم الجمعة ، ونُثرت الدنانيرُ والدراهم .

قال ابنُ هبيرة الوزيرُ عنه : إنه قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام منذ خمسَ عشرةَ سنةَ فقال لى : يبقى أبوك فى الخلافة خَمْس عشرةَ سنة فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام » ثم قال « رأيته قبل مَوْتِ المقتفى بأربعة أشهر ، فدخل بى فى باب كبير ثم ارْتَقَى إلى رأس جبل وصلَّى بى ركعتين وألْبَسنى قميصاً ثم قال لى : قل (أللهم اهدنى فيمن هديت) وذكر دعاء القنوت . »

قال :[1] ولما وَلِىَ المستنجدُ بالله أقر ابنَ هبيرةَ على وزارته ، وأصحابَ الولايات على ولاياتهم ، وأزال المكوس والضرائب ، وقبض على ابن المرخَّم وأخذ منه مالا كثيرا وأخذ كُتُبَه فأحرق منها ماكان من علوم الفلاسفة . وقدم عضد الدين ابن رئيس الرؤساء — وكان أستاذ الدار — فَمَكَّنه وتقدَّم إلى الوزير بأن يقوم له ، وعزل قاضى القضاة على بن أحمد الدامغانى ، ورتَّب مكانه أبا جعفر عبد الواحد (الثقفى) وخلع عليه . ١٥١ — ا

(١) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ٦٩ .

ذكر ملك الخليفة قلعة الماهكى

وفى شهر رجب سنةَ سَبْعٍ وخمسين وخمسمائة ملك الخليفة قلعة الماهكى ، وسبب ذلك أن صاحبها سنقر الهَمذَانى سلَّمها إلى أحد مماليكه ومضى إلى همذان فضعف مملوكُه عن حفظها ومقاومة من حولها من الأكراد والتركمان فأُشير عليه ببيْعِهَا من الخلية فراسل فى ذلك ؛ فاستقرَّ بينهما خمسةَ عشر ألف دينارٍ وسلاحٌ ومتاعُ وعِدَّةٌ من القرى فسلَّمها وتسلَّم ما استقر له وأقام ببغداد ، ولم تزل هذه القلعة من أيام المقتدر بالله بيد التركمان إلى الآن .

ذكر اجلاء بنى أسد من العراق

وفى سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة أمر الخليفة باهلاك بنى أسد أهل الحلة المزْيدِيَّة لِما ظَهَر من فسادهم ولِما كان فى نفسه منهم من مساعدتهم للسلطان محمد فى حِصار بغداد ، فأمر يزدن بن قماج بقتالهم وإخراجهم من البلاد ، وكانوا منبسطين / فى البلاد فى البطائح . ١٥١ ب
فَتَوجَّه إليهم وجمع العساكر الكثيرةَ ، وأرسل إلى ابن معروف [مقدم المقتفى] (١) وهو بأرض البصرة فجاء فى خَلْقٍ كثير وحصرهُم وسكَّ عنهم الماءَ وضيَّق عليهم فاستسلموا ، فقتل منهم أربعةَ آلافٍ ونادى فيمن بقى « من وُجد فى الحلة المزْيدية بعد هذا فقد حل دمه فتفرقوا فى البلاد ، ولم يبْقَ فى العراق منهم مَنْ يُعرف ، وسُلِّمت بطائحهُم وبلادُهم إلى ابن معروف .

---

(١) فى ا ، ف « ابن معروف المتفق » وفى ك صفحة ٨٩ « ابن معروف النفق » وما هنا عن الكامل ٩ : ٨٣ .

وفى سنة ستين وخمسمائة فى صفر قبض المستنجد بالله على الأمير ثوبة بن العقيلى وكان قد قَرُب منه قُرْبًا عظيما حتى كان يخلو معه ، وأحبَّهُ محبةً عظيمةً ، فحسده الوزيرُ ابنُ هبيرة ، فوضع كُتُبًا من العجم مع قوم وأمرهم أن يتعرضوا ليؤخَذوا ففعلوا ذلك ، وأُخِذوا وأُحْضِروا عند الخليفة .

وأظهروا الكتب بعد الامتناع الشديد فلما وقف الخليفة عليها خرج إلى نهر الملك يتصيَّد وكانت حلل ثوبة على الفرات ، فحضر عنده فأمر بالقبض عليه ، فقُبض عليه وأُدْخِل بغداد ليلا وحُبس فكان آخر العهد به فما تمتع الوزير بعده بالحياة ، ومات بعد ثلاثة أشهر وكان ثوبة من أكمل العرب مروءةً وسخاء وعقلا وإجادة ، واجتمع فيه من خلال الكمال ما تفرق فى غيره .

وفيها فى جمادى الأولى توفى الوزير عون الدين يحيى بن محمد ابن هبيرة ومولده سنة / تسعين وأربعمائة ودفن بمدرسته التى هو ١٥٢ ـ ا
بناها للحنابلة بباب البصرة ، ولما مات قبض على أولاده وأهله !

وفى سنة ثلاث وستين وخمسمائة استوزر الخليفةُ المستنجد بالله شَرَف الدين أبا جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدى ، وكان ناظرا بواسط . وظَهَرَ عن كفاءة عظيمة ، فأحضره الخليفة واستوزره وكان عضد الدين أستاذ الدار قد تحكَّم تحكُّما عظيما ، فتقدَّم أمرُ الخليفة إلى وزيره بكَفِّ يدِه وأيدى أصحابه ففعل ذلك ، ووَكَّل بأخيه تاج الدين وطالبه بحساب نهر الملك وكان يتولاه أيام

المقتفى ، وكذلك فعل بغيره ، فحصّل أموالا جَمَّةً وخافه أستاذ الدار على نفسه فحمل مالا كثيرا وأعطاه الورقة التى بخط الخليفة فقال له : تعود إليه وتقول قد أوصلت الْخَطَّ إلى الوزير ! ففعل ذلك وأحضر أستاذ الدار قطب الدين ويزدن وأخاه تمامش وعرض عليهم الخط فاتفقوا على قتل الخليفة . فدخل عليه يزدن وقايماز فحملاه إلى الحمام وهو يستغيث وألقياه وأغلقا الباب عليه وهو يصيح حتى مات .

وقبض على الحسين بن محمد المعروف بابن البستى وعلى أخيه الصغير ، وكانا ابنَىْ عَمِّ عضد الدين . وكان الصغير عامل البيمارستان فقطع يدَه ورجله ؛ فقيل إنه كان يستخرج المال بصندوج كبار ويحمله إلى الديوان بصنجة صحيحة وقيل غير ذلك ، وحمل إلى البيمارستان فمات[1] .

ذكر وفاة المستنجد بالله ١٥٢ب

وشىء من أخباره وسيرته

كانت وفاته فى تاسع شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة ومولده فى مستهل شهر ربيع الآخر سنة عشرة وخمسمائة . وكان عمره ستاً وخمسين سنة وثمانية أيام ، ومدة خلافته أحد عشر سنة وشهرا واحداً وستة أيام على القول الأول . وكان أسمر ، تامَّ القامة ، طويل اللحية .

وكان سبب موته أنه مرض واشتد مرضه ؛ وكان بجانبه أستاذ الدار عضد الدين [أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء][2] وقطب

(١) كان ذلك فى سنة أربع وستين وخمسمائة (الكامل ٩ : ١٠٤) .
(٢) زيادة من الكامل ٩ : ١٠٨ .

الدين قايماز المقتفوى - وهما من الأُمراء ببغداد - فوصيا الطبيب على أن يصف له ما يقتله فوصف له دخول الحمام فامتنع لضعفه ؛ فأدخله وأغلق عليه بابه فمات[1] . وقيل إنه كتب إلى الوزير ... النصرانى ابن صفية يأمره بالقبض على أستاذ الدار .

وكان رحمه الله من أحسن الخلفاء سيرةً ، عادلا فى الرعية كثير
١٥٣ - ا الرِّفق بهم ، وأطلق كثيرا من المكوس / حتى لم يترك بالعراق شيئا منها . وكان شديدا على أهل العبث والفساد والسعاية قال ابن الأثير الجزرى فى تاريخه الكامل[2] « بلغنى أن المستنجد قبض على إنسان كان يَسْعَى بالناس فأطال حَبْسَه ، فشفع فيه بعض خواصّه ، وبذل عنه عشرة آلافِ دينارٍ فقال : أنا أُعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لى آخر مثله أحبسه لأكف شره عن الناس ! » ولم يطلقه وَرَدَّ كثيرا من الأموال على أصحابها رحمه الله .

ذكر خلافة المستضىء بأمر الله

هو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله أبى المظفر يوسف ابن المقتفى لأمر الله أبى عبد الله محمد بن المستظهر بالله ، وأُمّه أم ولد أرمينية تدعى غَضَّة وهو الخليفة الثالث والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، بويع له بالخلافة يومَ وفاة أبيه فى التاسع من شهر ربيع الآخر فى سنة ست وستين وخمسمائة .

قال[3] : ولما مات المستنجد بالله كان بين الوزير أبى جعفر ابن البلدى

(١) يؤيد هذه الرواية ابن طباطبا فى الفخرى ٢٧٧ .
(٢) جزء ٩ صفحة ١٠٩ .
(٣) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ١٠٨

وبين أُستاذ الدار عضد الدين وقطب الدين عداوةٌ شديدةٌ لأن المستنجد كان يأمره بأشياء تتعلق بهما فيفعلها فيظنان أنه هو الذى يسعى بهما فلما أُرْجِفَ بمَوْت المستنجد ركب الوزيرُ ومعه الأُمراءُ والأجنادُ / وغيرهم ١٥٣ب
بالعُدْوة ولم يتحققوا مَوْت الخليفةِ . فأرسل إليه أُستاذ الدار يقول : إن أمير المؤمنين قد خفَّ مابه من المرض وأقبلتِ العافية إليه ! فخاف الوزير أن يدخل دارَ الخلافة بالجُنْد فربما أنكر عليه ذلك ، فعاد إلى داره وتفرّق النَّاس عنه .

وكان عضد الدين وقطب الدين قد استعدَّا لِلْهَرَب لما ركب الوزير خَوْفًا أن يدخلَ الدار فيأْخذهما ، فلما عاد أغلق أُستاذ الدار أبوابَ دارَ الخلافة وأظهر موتَ الخليفة ، وأحضر ولدَه أبا الحسن محمدًا وبايعه هو وقطب الدين بالخلافة ، ولقباه بالمستضىء بأمر الله ، وشرطوا عليه شروطا منها : أن يكون عضد الدين وزيرا ، وابنه جمال الدين أُستاذَ الدار ، وقطبُ الدين أميرَ العسكر ، فأجابهم إلى ذلك ، وبايعه أهل بَيْتِهِ البيعةَ الخاصة فى يوم وفاة أبيه ، وبايعه النَّاسُ من الغدِ فى التاج بيعةً عامة ، وأظهر العدل وفرق أموالا جليلة المقدار .

ذكر مقتل الوزير أبى جعفر بن محمد

المعروف بابن البلدى

قال [1] : ولما علم الوزير بوفاةِ الخليفة سقط فى يده وقرع سِنَّه نَدَما على عوْدِه ، وأتاه من يستدعيه للجُلوس للعزاء والبيعة

(١) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ١٠٩

١٥٤–ا للمستضيء ، فمضى إلى دار الخلافة فلما دخلها صُرف إلى موضع وقتِل وقُطِّع وأُلقِى فى دجلة ، وأخذا جميع ما فى داره ، فرأيا خطوطَ المستنجد بالله يأمره بالقبض عليهما . وخطُّ الوزير وقد راجَعَهُ فى ذلك وصرفه عنه . فنَدِما على قتلِهِ .

وفى سنة سبع وستين وخمسمائة أُقيمت الدعوةُ العباسية بالديار المصرية وخطب للخليفة بها ، وانقرضت الدولة العُبَيْدِيَّة المنسوبة إلى العلوية بخَلْع العاضد لدين الله ، وكان ذلك على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله على ما نذكر ذلك مُبَيَّنًا – إن شاء الله تعالى – فى أخبار الدولة العُبَيْدِيَّة (١) .

وفيها عزل الخليفة وزيرَه عضد الدين من الوزارة لأن قطب الدين قايماز ألزمه ذلك فلم يمكنه مخالفة ، ثم قصد الخليفة إعادتَه فى جُمادى الأُولى سنة تسع وستين فثارت الفتنة بين الخليفة وقايماز . وأغلق قايماز باب النوبى وباب العامَّةِ وبقيت دار الخلافة محاصرةً . فأجاب الخليفة إلى ترك وزارته فقال قايماز : لا أقنع إلا بخروج عضد الدين من بغداد ! فأمر بإخراجِهِ منها فالتجأ إلى صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل وهو شيخ الشيوخ وصار فى رباطه فأجاره .
١٥٤–ب ثم عاد إلى داره فى جُمادى الآخرة .

وفى سنة تسع وستين وخمسمائة زادت دجلة فتجاوزت كلَّ زيادة كانت ببغدادَ منذ بنيت إلى الآن بذراع وكسر . وخاف الناس الغَرَق وفارقوا البلد ونبع الماء من البلاليع . وخُرِّب كثير من الدور

(١) انظر هنا النجوم الزاهرة ٦ : ٦٣ والبداية والنهاية ١٢ : ٢٦٤

وغرق البيمارستان العضدى ، ودخلت المراكب من شبابيكه وكانت قد تقلعت .

وفيها سقط الأمير أبو العباس أحمد - وهو الذى صار خليفة ولُقِّب الناصر لدين الله - من قبة عالية إلى أرض التاج ومعه غلام له اسمه نجاح ، فألقى نفسَه بعده وسَلِما جميعا فقيل لنجاح : لم ألقيتَ بنفسك ؟ فقال : ما كنت أريد البقاء بعد مَوْلاى ! فَرَعى له الأمير أبو العباس ذلك فلما صار خليفةً جعله شرابيا وحكّمه فى الدولة ولقبه الملك الرحيم عز الدين وخَدمه جميع أُمراء العراق .

وفيها فى شهر رمضان وقع ببغداد بَرَدٌ كِبار ما رأى الناس مثلَه فهدم الدُّور وقَتَل جماعةً من الناس والمواشى ، فوُزِنت بردةٌ منه فكانت سبعةَ أرطال ، وكان خامتهُ كالنارنج يكسر الأغصان ، قال ابن الأثير هكذا ذكره أبو الفرج بن الجوزى فى تاريخه والمهدة عليه فيه (١) .

ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد ١٥٥-ب

وعود عضد الدين إلى الوزارة

كان سبب ذلك وابتداؤه أن علاء الدين تمامش - وهو من أكابر الأُمراء ببغداد - وقطب الدين قايماز زَوْج أُختِهِ سيَّرا عسكرا إلى العراق فى شوال سنة سبعين وخمسمائة فَنَهَبُوا النَّاس وبالغوا فى

(١) الكامل ٩ : ١٢٨ .

أذاهم ، فجاء جماعةٌ منهم إلى بغداد واستغاثوا فلم يُغَاثوا لِضَعْفِ الخلافةِ وتحكم قايماز وتنامش على الدولة ، فقصدوا جامع القصر واستغاثوا ومنَعوا الخطيب من الخطبة فأنكر الخليفةُ ما جرى ، فلم يلتفت قايماز وتنامش إلى قَوْله .

فلما كان فى خامس ذى القعدة قصد قايماز دارَ ظهير الدين بن العطار صاحب المخزن – وللخليفة به عناية تامة وبينهما صُحبَةٌ – فلم يراع قايماز الخليفة فيه ، واستدعاه فَهَرب ، فأحرق قطب الدين قايماز دارَه وحالف الأُمراءَ على المساعدة والمعاضدة له ، وجمعهم وقَصَدَ دارالخلافةِ لِعِلْمِهِ أن ابن العطار فيها .

فلما علم الخليفة ذلك صعد إلى سطح داره وظهر للعامة وأمر خادما فصاح وقال للعامة : مالُ قطب الدين لكم ودمُه لى ! فقصد الْخَلْقُ كلُّهم دارَ قطب الدين للنهب ؛ فلم يمكنه الْمُقام لِضِيق الشوارع ، وغلبت العامةُ ، فهرب من دارِه من باب فتَحهُ من ظهرها لكثرة مَنْ على بابها مِنَ الخَلْق . وخرج من بغداد ، ونُهِبَتْ دارُه وسلبت نعمته فى / ساعة واحدة وتبعه تنامش وجماعة من الأُمراء ، ١٥٥–ب فنهبت دوُرهم وأُحْرِق بعضها ، وأَخِذَت أموالهم .

وسار قطب الدين إلى الحلة ومعه مِنَ الْتَحَق من الأُمراء ، فسيّر الخليفة إليه شيخ الشيوخ صدر الدين فَخَدعه حتى سار عن الحلة نَحْو المَوْصل على البرِّ فَلَحَقَه هو ومَنْ معه عَطَشٌ عظيم فهلك أكثرُهم ومات قيماز قبل وصولِه إلى المَوْصل . ودُفن بظاهر

باب العمادى وكانت وفاتُه فى ذى الحجة . ووصل تنامش إلى المَوْصل فأقام مدةً، ثم أمره الخليفة بالقدوم إلى بغداد فسار إليها وبقى بغير إقطاع !

قال [١] : ولما هرب قايماز أُعيد عضد الدين إلى الوزارة وقال بعض الشعراء فى قطب الدين قايمار وتنامش بن قماج :

إنْ كنت معتبرًا بمُلْكٍ زائلٍ وحوادث عنقية الإدلاج[٢]
فدعِ العجائبَ والتواريخ الأُلَى وانظرْ إلى قَيْمازَ وابنِ قماج
عَطَفَ الزّمان عليهما فسقاهُما مِنْ صرْفِهِ كأْسا بغير مزاج[٣]
فتبَدَّلوا بعد القُصورِ وظِلِّها ونَعيمها بِمَهَامِهٍ وفِجاجِ
فَلْيَحْذَرِ الباقون من أمثالِها نكبَاتِ دهرٍ خائنٍ وِزْعاج

• • •

قال [٤] : وكان قطب الدين كريما طَلْقَ الوجه ، محبا للعدل والإحسان ، كثيرَ البذل للمال ، وإنما كان يحمله على ما يقع منه تنامش بغير إرادته . ١٥٦ ـ ا

وفى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وَلّى الخليفةُ المستضيءُ حَجَبَةَ البابِ أبا نصر على بن الناقد [٥] وكان الناس تلقبه

(١) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ١٣٥
(٢) كذا فى ا ، ك ٩١ ، ف ٨٨ – ب ، فى الكامل ٩ : ١٣٥ « عنيفة الأودج) وبها الوزن يختل
(٣) فى الكامل « من كأسه صرفا بغير مزاج »
(٤) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ١٣٥
(٥) فى الكامل ٩ : ١٣٨ « أبا طالب نصر على بن الناقد »

فى صغره قنبرًا ، فصار الناس يصيحون به بهذا اللقب إذا ركب . فأمر أن يركبَ معه جماعةٌ من الأتراك يمنعون الناسَ من ذلك ، فامتنعوا فلما كان قبل العيد بثلاثة أيام خلع عليه ليركب فى الموكب ، فاشترى جماعةٌ من أهل بغداد شيئا كثيرا من القنابر وعزموا على إرسالها فى الموكب ، فأُنْهِيَ ذلك إلى الخليفة فعزله وولى ابن المعوج .

وفيها قبض الخليفة على عماد الدين صندل المقتفوى أستاذ الدار ورتَّب مكانه أبا الفضل هبة الله بن على بن هبة الله بن الصاحب[1] .

ذكر مقتل الوزير عضد الدولة[2]

وولاية ظهير الدين بن العطار

كان مقتلُه رحمه الله فى رابع ذى القعدة سنة ثلاثٍ وسبعين وخمسمائة ، وهو أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء أبى القاسم [بن المسلمة] وسبب مقتله أنه عزم على الحج وعبر دجلةَ للمسير ومعه أربابُ المناصب وهو فى موكب عظيم ، وتقدم إلى أصحابه أن لايمنعوا عنه أحدًا ، فلقيه إنسان
١٥٦-ب /كهل وقال : أنا مظلوم !

وتقدَّم إليه يسمع كلامَهُ فضربه بسكين فى خاصرته ، فصاح الوزير : قتلنى ! ووقع إلى الأرض وسقطت عمامته ، فغطَّى رأسَه بكمه وضرب الباطنىُّ بسيف ، وعاد إلى الوزير فضربه بسكين وأقبل صاحبُ الباب ابن المعوج لينصرَ الوزير . فضربه الباطنىُّ بسكين ،

(١) فى الكامل « سنجر المقتفوى ، وهبة الله بن الصامت »

(٢) فى المصورات الثلاث « عضد الدين » ويبدو اسمه فى المظان « عضد الدولة » على ما أثبتنا (راجع مثلا البداية والنهاية ١٢ : ٢٩٨ والنجوم الزاهرة ٦ : ٨١)

وقيل بل ضربه رفيق له ، وكان له رفيق ثالث فصاح وبيدهِ سكين فقُتِل ولم يصنعْ شيئا . وأُحْرِقَ الثلاثة ، وحُمل الوزير إلى دارٍ له هناك ، وحُمِلَ الحاجبُ إلى بيته فمات هو والوزير .

وكان الوزير قد رأى فى منامِه أنه يعانق عثمان بنَ عفان ، قال ابن الأثير (١) : وحكَى عنه ولدُه أنه اغتسل قبل خروجه وقال : هذا غسل الإسلام وأنا مقتول بلا شك ! وكان له معروف كثير وكانت داره مجمعا للعلماء وسمع الحديث ، وختمت أعماله بالشهادة وهو على قَصْدِ الحج رحمه الله . ولما قتل حكم فى الدولة ظهير الدين أبو بكر ابن منصور المعروف بابن العطّار ، وكان حسنَ السيرة وتمكن تَمَكُّنًا عظيما .

ذكر فتنة ببغداد

وهَدْم بيعة اليهود

١٥٧ – ا وفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة كانت الفتنة ببغداد ، وسببها أن قوما من مسلمى المدائن حضروا إلى بغداد وشَكَوْا من يهود المدائن وقالوا : لنا مسجد نؤذّن فيه ونصلّى وهو مجاور لِبَيْعَة اليهود ، فقال لنا اليهود قد آذيتمونا بِكَثْرَةِ الأذان وأنهم اختصموا هم والمؤذن ، وكادت فتنة استظهر فيها اليهودُ . فلما شَكَوْا أَمَرَ ابنُ العطّارِ بِحَبْسِهِم فَحُبِسُوا ، ثم خرجوا فقصدوا جامعَ القصر واستغاثوا قبل صلاة الجمعة فخفّف الخطيبُ الخطبةَ والصلاةَ ، فعادوا يستغيثون فأتاهم جماعةٌ من الجند ومنعوهم ، فغضب عامة بغدادَ لذلك واستغاثوا ، وخلعوا طوابيق الجامع ورجموا الجُنْدَ بها ؛

(١) الكامل ٩ : ١٤٣ .

ثم قصدوا دكاكين المخلطين لأن أكثرهم يهودٌ فنبهوها . فأراد حاجبُ الباب منْعَهم فرجموه فهرب منهم، وضربوا الكنيسةَ التى عند دار البساسيرى ،وأحرقوا الورقَ الذى فيها الذى يزعم اليهود أنه التوراة. واختفى اليهودُ فأمر الخليفةُ بنَقْض الكنيسة التى بالمدائن وتُبنَى مسجدا ونُصِبَ بالرحبةِ أخشاب ليُصْلَبَ عليها أقوامٌ من المفسدين فظنَّها العامةُ تخويفًا لهم لأجْلِ ما فعلوه باليهود ، فجعلوا عليها جرذانا ميتة ، فأُخْرِج جماعةٌ من الحبس من اللصوص فصُلِبوا عليها وسكنت الفتنة !

ذكر وفاة المستضىء بأمر الله

١٥٧ ـ ب / كانت وفاته لليلتين خلتا من ذى القعـدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، ومولده فى سنة ستٍ وثلاثين ، وكان عمره أربعين سنة تقريبًا ، ومدة خلافته تِسْعُ سنين وسبعة أشهر إلا أياما . وكان رحمه الله عادلا حسنَ السيرة فى الرعية ، كثير البذل للأموال ، حليما ، قليل المعاقبة على الذنوب ، محبا للعفو والصَّفْحِ عن المذنبين ، وأولاده أبو العباس أحمد وأبو منصور هاشم .

ذكر خلافة الناصر لدين الله

هو أبو العباس أحمد بن المستضىء بأمر الله وأمُّه أمُّ ولدٍ تركية اسمها زمُرُّد وهو الخليفة الرابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، بويع له بالْبَيعَةِ العامَّةِ فى يوم الأحد ثانى ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وقام له بالبيعة ظهيرُ الدين بن العطار وبايع له ،

فلما تَمَّتِ البيعةُ صار الحاكم فى الدولة أُستاذ الدار مجد الدين الصاحب ، وسيَّر الرسل إلى الآفاق يأخذ البيعة له .

ذكر القبض على ابن العطار وموته

١٥٨ - ا وفى سابع ذى القعدة قبض على ظهير الدين بن العطار الوزير ووُكِّلَ به فى داره ، ثم نقل إلى التاج وقُيِّد وأُخِذَت أمواله وطُلِبَتْ ودائعُه وأُخرج ميتا فى ليلة الأربعاء ثانى عشر الشهر على رأس حمَّال . فغمز به بعضَ الناس فثار به العامَّةُ وألقَوْه عن رأس الحمال وكشفوا عن سَوْأته ، وشلُّوا فى ذكره حَبْلا وسحبوه فى البلد وكانوا يضعون بيده مغرفة ويقولون : وقع لنا مولانا ! إلى غير ذلك من الأفعال القبيحة ، ثم خلص منهم ودفن .

قال (١) وفعلوا به هذه الأفعال القبيحة مع حُسْن سيرته فيهم وكفِّه عن أموالهم وأعراضهم .

وفى سنة سبع وسبعين وخمسمائة كثرت المنكرات ببغداد فأقام حاجب الباب جماعة لإراقة الخمور وأخْذِ المفسدات ، فبينما امرأة منهن فى موضع علمت بمجىء الحاجب فاضطجعت وأظهرت أنها مريضةٌ وارتفع أنينها ، فرأَوْها على ذلك فانصرفوا عنها ، فهمت بالقيام فلم تستطع وعجزت وجعلت تصيح : الكرب الكرب ! إلى أن ماتت .

وفى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قَبَضَ الخليفةُ على أُستاذ الدار مجد الدين أبى الفضل بن الصاحب وقَتَلَه ، وكان قد تحكَّم فى

(١) ابن الأثير فى الكامل : ٩ : ١٤٩ . وقد روى ابن طباطبا القصة فى الفخرى ٢٨١ .

الدولة ليس للخليفةِ معه حُكْمٌ . وكان الذى سَعَى به عند الخليفة وقبَّح آثاره رجلٌ من صنائعه وأصحابهِ يقال له عبيد الله بن يونس
١٥٨-ب فقبض /عليه الخليفة وقتله ، وأخذ أمواله وكانت عظيمة . وكان رحمه الله حسن السيرة ، واستوزر الخليفة بعدَه أبا المظفر عبيد الله بن يونس فى شوال ، ولقبه جلال الدين ، ومشى أكابرَ الدولة فى ركابه حتى قاضى القضاة ، وكان ابن يونس هذا من شهوده ، فكان يمشى ويقول : لَعَنَ الله طول العمر !

ذكر انهزام عسكر الخليفة من طغرل

كان طغرل [١] السَّلجُقى قد قوِىَ أمره فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكثر جَمْعُه ، وأرسل إلى بغداد يقول : أريد أن يتقدم إلىَّ الديوان بعمارة دار السلطنة لأنزلَ فيها إذا قدمت ! فرد الخليفة رسولَه بغير جواب ، وأمر بنَقْض دار السلطنة فَهدِّمَتْ إلى الأرض وعفى أثرها [٢] ووصل رسولُ قزل — وهو صاحب أران وأذربيجان وهمذان وإصفهان والرى وما بينهما — ببذل الطاعة والخدمة ويستنجد الخليفةَ على طغرل ، فأكرم الخليفةُ رسولَه ووعدَه بتجهيز العساكر إليه ، وجهَّزها فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة . وقدم عليها الوزير جلال الدين [عبيد الله] بن يونس وسيرهم لمساعدة قزل وكف
١٥٩-ا السلطان طغرل عن البلاد ، فسار العسكر فى ثالث صفر إلى أن

(١) هو طغرل بن ألب أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوق

(٢) راجع الخبر إلى هنا فى الكامل ٩ : ١٨٩ ، وبقيته التى سردها النويرى فى ٩ : ١٩٧ .

قارب همذان ، فـلم يصـل قزل إليهم . وأقبـل صغرك فى عساكره ، والتقوا فى ثامن شهر ربيع الأول بمرج عند همذان ، فلم تثبت عساكر الخليفة وانهزمت (١) ، وبقى الوزيرُ قائما ومعه مصحف وسيف ، فأُسِر وأُخذ ما معه من خزانة وسلاح وغيره ، وعاد العسكر إلى بغداد متفرقين .

وفى سنة خمس وثمانين وخمسمائة خُطِبَ لولى العهد أبى نصر محمد بن الخليفة الناصرلدين الله ببغداد ، ونثرت الدنانيرُ والدراهمُ ، وأُرْسِلَ إلى البلاد فى إقامة الخطبة له .

وفيها فى شوال ملك الخليفة تكريت ، وسبب ذلك أن صاحبَها الأمير عيسى قتله إخوته وملكوا القلعة بعده ، فسير الخليفةُ إليهم عسكرا فحصروها وتسلموها ، ودخل أصحابُها إلى بغداد فأعطوا إقطاعا .

وفى سنة ستٍّ وثمانين وخمسمائة فى شهر ربيع الأول ملك الخليفةُ الناصر لدين الله حديثة عانة ، وكان قد سيَّر إليها جيشًا فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة فحاصروها وقاتلوا عليها شديدًا ، وقتل من الفريقين خلْقٌ كثير ، ودام الحصار فضاقتِ الأقواتُ على أهْلِها ، فسلموها على إقطاع عَيَّنوه ، ووصل صاحبُها وأهلُها بغدادَ وأُعطوا إقطاعا ثم تفرّقوا فى البلاد ، واشتدت بهم الحاجةُ حتى تعرَّض بعضهم للسؤال، وبعضهم خدَمَ / الناسَ ١٥٩ ـ ب

(١) يصف ابن سليمان الراوندى هذه المعركة فى راحة الصدور ٤٨١ وصفاً رائعاً وقرر أن جيش العراق لم يشهد مثلها .

وفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة أمر الخليفةُ الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ببغداد ، ونَقَل إليها من الكتب النفيسة ألوفا لا يُقْدَرُ على مِثْلِها .

وفيها فى شهر ربيع الأول كملت عمارة الرباط الذى أمر الخليفة بإنشائه بالحريم الظاهرى غربى بغداد على دجلة .

وفيها ملك الخليفةُ قلعةً من بلاد خوزستان ، وسبب ذلك أن صاحبَها سوسيان بن شملة جعل عليها ذِردَارًا فأساء السيرة مع جندها فغدر به بعضهم فقتله وأرسل إلى الخليفة ، وأرسل إليها وملكها .

وفيها انْقَضَّ كوكبان عظيمان بعد طلوع الفجر واصطدما وسمع صوت هدَّة عظيمة وغلب ضوؤهما ضوءَ القمر والنهار .

وفى سنة تسعين وخمسمائة قتل السلطان طغرل السلجقى فى حرب كانت بينه وبين خوارزم شاه علاء الدين ، وملك خوارزم شاه البلاد .

ذكر ملك الخليفة خوزستان

وفى سنة تسعين أيضا خَلَع الخليفة الناصر لدين الله على نائب الوزارة مؤيد الدين أبى عبد الله محمد بن على المعروف بابن القصاب خِلَعَ الوزارةِ ، وسار فى شهر رمضان من السنة إلى بلاد خوزستان بالعساكر . وقد كان قد خدَم بها أولا وعرفها ، فلما ولى نيابة الوزارة ببغداد أشار على الخليفة الناصر لدين الله أن يرسلَه بعسكر ليملكها . واتَّفَق وفاة صاحِبها ابن شملة التركمانى واختلاف ١٦٠ – ا

أولاده ، فأرسل بعضُهم إلى مؤيد الدين يستنجده ، فَقَوِىَ طمعُهُ فيها ، فسار إليها ودخلها فى سنة إحدى وتسعين ، وملكها فى المحرّم منها ، وملك غيرها من البلادِ والقلاع : منها قلعة الناظر ، وقلعة كاكرد ، وقلعة لاموج ، وغيرها من القلاع والحصون ، وأنفذ بنى شمأة التركمانى أصحاب خوزستان إلى بغداد فوصلوا فى ربيع الأوّل .

ذكر ملك الوزير همذان

وغيرها من بلاد العجم

قال(١) : ثم ملك الوزير مؤيد الدين المذكور همذان فى شوال سنة إحدى وتسعين وخمسمائة من عسكر خوارزم شاه وولده ، فتوجه الخوارزميون إلى الرَّىِّ فتبعهم الوزيرُ ففارقوها من غير قتال وتوجهوا إلى دامغان وبسطام(٢) وجرجان . فعاد عسكرُ الخليفة إلى الرى فأقاموا بها ، ثم رحل الوزيرُ إلى همَذَان فأقام بها نحو ثلاثة أشهر وأتته رسلُ/ خوارزم شاه بِطَلَب إعادة ١٦٠ ـ ب
البلاد وتقرير قواعد الصلح فلم يُجِبِ الوزيرُ إلى ذلك . فسار خوارزم شاه محمد بن تكش إلى همذان فوجد الوزير قد توفى فى شعبان ، فوقع بينه وبيْن عسكر الخليفة الناصر لدين الله مصافٌّ فى نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين ، فقُتِل من العسكريْن خلقٌ كثير ، وانهزم عسكرُ الخليفة ، وغنم الخوارزميون منهم شيئا كثيرا ، وملك خوارزم شاه همذان ونبش الوزيرَ وقطع رأسَه وسيره إلى خوارزم وأظهر أنه قتله فى المعركة ، ثم رجع خوارزم شاه إلى خراسان لموجب عَرَضَ له .

(١) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ٢٣١

(٢) بسطام : مدينة كبيرة على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين وهى بقومس (معجم البلدان ١ : ٤٢١) .

ذكر ملك عسكر الخليفة أصفهان

وفى سنة إحدى وتسعين جَهَّز الخليفةُ جيشا وسيَّره إلى إصفهان ، ومقدم الجيش سيف الدين طغرل فقطع بلد [اللحف] [1] من العراق ، وكان بإصفهان عسكر الخوارزم شاه مع ولده ، وأهل إصفهان يكرهونهم . فكاتب صدر الدين الخجندى رئيس الشافعية الديوانَ العزيزَ ببغداد يبذل من نَفْسِه تسليمَ البلد إلى مَنْ يصل إلى الديوان العزيز بالعسكر. فلما وصلت العساكر ظاهر إصفهان فارقها العسكر الخوارزمى إلى خراسان وتبعهم عسكرُ الخليفة ، فأخذوا من قدروا عليه من ساقةِ العسكر ، ودخل عسكر الخليفة إلى إصفهان وملكوها . ١٦١-ا

قال [2] : واجتمع مماليك ابن البهلوان وقدَّموا على أَنْفُسِهم كوكجه وهو من أعيان البهلوانية ، واستولوا على الرَّىِّ وما حَوْلَها من البلاد ، وساروا إلى إصفهان لإخراج الخوارزميةِ منها ، فسمعوا بوصول عسكر الخليفة إليها . فأرسل إلى طغرل مملوك الخليفة يعرضُ نفسَه على خدمة الديوان وأظهر العبودية وأنه إنما قصد إصفهان فى طلب العسكر الخوارزمى ، وأنه ساق فى طلبهم فلم يدركهم .

قال [3] : ثم سار عسكر الخليفة من إصفهان إلى همذان ، وساق كوكجه خَلْفَ العسكر الخوارزمى إلى بلاد الإسماعيلية ، وعاد فقصد

(١) فى المصورات الثلاث « النجف » وما ها هنا عن الكامل ٩ : ٢٣٤
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ٢٣٤
(٣) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ٢٣٤

إصفهان وملكها . فأُرسل إلى بغداد يسأل أن تكون له الرى وجواره [١] وساوة [٢] وقم وقاجان وما ينضم إليها ، وتكون إصفهان وهمذان وزنجان وقزوين لديوان الخليفة . فأُجيب إلى ذلك ، وكتب منشوره بما طلب ، وأُرسلت إليه الخلع ، فعظم شأنه وقوىَ أمرُه وكثرت عساكره .

وفى سنة إحدى وستمائة يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة قُطِعَت خطبة ولىّ العهد أبى نصر بن الخليفة الناصر لدين الله ، وذلك أنه أظهر خطّه بدار الوزير نصير الدين الرازى إلى أبيه يتضمن العَجْز عن القيام بولاية العهد ، ويطلب الإقالة ، وشَهِدَ عَدلان أنه / خطه وأن الخليفة أقاله ، وعُمِل بذلك محضر تَشهد فيه ١٦١-ب
القضاة والعلماء والعدول والفقهاء .

وفى سنة أربع وستمائة عُزل وزير الخليفة نصير الدين ناصر ابن مهدى الملوى ، وكان من أهل الدين . قدم إلى بغداد لما مَلَكَ الوزير ابن القصّاب الرَّىَّ ، فَلَقِىَ نصير الدين من الخليفة قبولا فجعله نائب الوزارة ، ثم استوزره وجعل ابنَه صاحبَ المخزن . فلما كان فى الثانى والعشرين من جُمادى الآخرة ، عُزل وأُغلق بابُه . وسبب عَزْله أنه ساعات سيرته مع أكابر مماليك الخليفة حتى هرَبَ

(١) كذا فى الأصول ولعلها جرار موضع من نوحى قنسرين كما يقول ياقوت وهناك جواره موضع بافريقية وجراوه ناحية بالأندلس ولا أظن أنهما المقصودان هنا (راجع معجم البلدان ١ : ١١٧) .

(٢) ساوة : مدينة بين الرى وهمذان فى وسط وأهلها سنية شافعية (معجم البلدان ٣ : ١٧٩) .

من يده أميرُ الحج مظفر الدين سنقر المعروف برجه السبع إلى الشام فى سنة ثلاثٍ وسبعمائةٍ وكتب إلى الخليفة أن هذا الوزير لايُبقى فى خدمة الخليفة أحدًا من مماليكه ، ولا شك أنه يريد أن يدَّعى الخلافة ، وأكثرَ النَّاسُ القَوْلَ فى ذلك وقالوا فيه الشعر ، فمنه قول بعضهم :

ألا مبلغٌ عنِّى الخليفة أحْمَدًا ... تَوَقَّ وُقِيتَ السُّوء ماأنت صانع
وزيرُك هذا بَيْنَ أَمْرَيْنِ فيهمـــا ... فَعالُك ياخيرَ البَرِيَّةِ ضائِعُ
فإن كان حقًّا من سُلالةِ أحمـدٍ ... فهذا وزيرٌ فى الخلافةِ طامِعُ
وانْ كان فيما يَدَّعِى غَيْرَ صـــادقٍ ... فَأَضْيَعُ ماكانت لَدَيه الصَّنائعُ

فعزله ، وقيل فى سبب عَزْلِه غير ذلك . ولما عزل عاد أمير الحج
١٦٢ ـ ا /من مصر وعاد قشتمر ، وأقيم فى نيابة الوزارة فخر الدين أبو المنذر[1] محمد بن أمسنا الواسطى إلا أنه لم يكن متحكما .

وفيها أطلق الخليفةُ جميع حقّ البيع ، وما يؤخذ من أرباب الأمتعة من المكوس من سائر المبيعات ، وكان مبلغا كبيرًا . وسبب ذلك أن ابنة عزالدين نجاح الشرابى توفيت فاشترى بقرةً لتذبح ويتصدق بلحمها ، فرفعوا فى حسابها مؤونة البقرة – وكانت كثيرة – فوقف الخليفةُ على ذلك ، فأمر بإطلاق المؤونة جميعا .

وفيها فى شهر رمضان أمر الخليفة ببناء دور بمحال بغداد يفطر فيها الفقراء ومُسمِّيت دور الخلافة .

(١) كذا فى ا ، ك ٩٦ ، ف صفحة ٩٢ – اوفى الكامل ٩ : ٢٨٩ « أبو المظفر » .

وفى سنة ستٍّ وستمائة فى شهر ربيع الأول عُزل فخر الدين بن أمسينا عن نيابة الوزارة ، وأُلزِم بيتَه ، ثم نُقِلَ إلى المخزن ، وولى بعده لنيابة الوزارة مكين الدين محمد بن محمد بن القمى كاتب الإنشاء ولقب مؤيد الدين ، ونقل إلى دار الوزارة .

وفى سنة اثنتى عشرة وستمائة فى العشرين من ذى القعدة توفى الملك المعظم أبو الحسن على ولد الخليفة الناصر لدين الله — وهو الولد الصغير — فحصل للخليفة عليه ألم عظيم لم يسمع بمثله ، وأمر الخليفةُ أن لا يعزُّوه به وكانت له جنازة عظيمة لم يُسْمعْ بمثلها ، ولم يبق ببغداد منزل إلا وفيه نَعْىٌ .

/ ذكر وفاة الناصر لدين الله ١٦٢—ب

وشىء من أخباره وسيرته

كانت وفاته فى آخر ليلة من شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وكانت عِلَّته عشرين يوما إصابةَ دوسنطاريا . وكانت مدَّة خلافته ستا وأربعين سنةً وعشرة أشهر وثمانيةً وعشرين يوما ، قال ابن الأثير (١) : وكان قبيح السيرة فى رعيته ظالما ، فَخُرِّبَ فى أيامه العراقُ وتفرَّق أهله فى البلاد ، فأخذ أموالهم وأملاكهم . وكان كثير التلوُّن بفعل الشىء وضِدِّه ، فمن ذلك أنه عمل دور الضيافة ببغداد ثم قَطَعها ، ثم عمل دارًا لضيافة الحج وأبطلها ، وأطلق بعضَ المكوس التى جددها ببغداد ثم أعادها ، وجعلَ جُلَّ همه

(١) الكامل ٩ : ٣٦١ .

فى رمْيِ البندق والطيور المناسيب ومراويلات الفُتُوَّة ، وبطل الفتوة من البلاد أجمع إلا من لَبِس منه ، ومنع الطيور المناسيب لغيره إلا مايؤخذ من طيورهِ ، ومنع من الرَّمْى بالبندق إلا من ادَّعى له وانتسب إليه . فأجابه النَّاس إلى ذلك إلا رجلا واحدا يقال له ابن السفت فإنه فارق العراق والتَحق بالشام فأرسل إليه يرغبه بالمال الجريل / ليرمى عنه وينتسب إليه فأبى . فأنكر عليه بعض أصحابه ١٦٣ـا
ذلك فقال : يكفينى افتخارا أنَّ كل رام فى الدنيا رمى الخليفة إلا أنا ! والعجم ينسبون إلى الناصر أنه هو الذى راسل التتار وجرَّأهم على البلاد ، وهذه المصيبة العظمى إن كانت !

ذكر خلافة الظاهر بأمر الله

هو أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء بأمر الله ، وهو الخليفة الخمسون والثلاثون من الخلفاء العباسيين . بويع له البيْعة العامَّةَ بعد وفاة والده الناصر لدين الله فى شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وكان قد خلع من ولاية العهد وقطِعت خطبتُه كما تقدّم ، وإنما فعل ذلك أبوه لِميْلِهِ إلى ولده الصغير ، فلما مات اضطرُ إلى أعادته لولاية العهد .

قال (١) ولما ولِىَ الخلافةَ أظهر العدْل والإحسان وأمر بإبطال المظالم وكَفِّ الأيْدِى عن الناس ، وأعاد على الناس ماكان أبوه قد اغْتَصبه من أموالِهم وأملاكهم ، وأبطل المكوس والحوادث . فمن ذلك أن المخزن كان له صنجة للذهب تزيد على صنجة البلد نصّف

(١) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ٣٦١

قيراط فى الدينار ، فيقبضون بها المال ويصرفون بصنجة البلد ، فسمع بذلك فخرج / خطه للوزير أوله : « ويل للمطففين إلى قوله ١٦٣ ـ ب
ليوم عظيم[1] قد بلغنا الأمر كذا وكذا فتعاد صنجة المخزن إلى الصحيحة المتعامل بها . فكتب إليه بعض النواب يقول « إن هذا مبلغ كبير وقد حسبناه فكان فى السنة الماضية خمسةً وثلاثين ألف دينار » فأعاد عليه الجواب بالإنكار ويقول : لو كان ثلاثمائة ألف دينار وخمسين ألفا يطلق ، ! وأطلق زيادةَ صنجة الديوان وهى فى كل دينار حبة ، وتقدم إلى القاضى أنَّ كل من عرض كتابا قديما بمِلْك صحيح يعيده إليه من غير إذْنِهِ . وأقام رجلا صالحا لولاية الحشرى وبيت المال وكان حنبليا فقال : إن مذهبي أن أورث ذى الأرحام فإن أذن أميرُ المؤمنين أن أفعلَ ذلك وليتُ وإلا فلا ! فقال أعط كلَّ ذى حقٍّ حقَّه واتَّق اللهَ ولا تتَّقِ سواه ! وأبطل مطالعات حراس الدروب ببغداد بأخبار الناس وقال « لا يُكتب إلينا إلا فيما يتعلق بمصالح دولتنا » .

ومنه أنه لما وَلِىَ الخلافةَ وصل صاحبُ الديوان من واسطٍ وكان وُجِّه فى خلافةِ الناصر لتحصيل الأموال ، فأحضر ما يزيد على مائةِ ألف دينارٍ وطالع بذلك ، فأعاد الخليفة الظاهر الجواب بإعادة المال إلى أربابه ، فأُعيد إليهم . وأطلق مَنْ كان فى السجون وأمر أن يُحْمل إلى القاضى / عشرة آلاف دينار يوفى بها دَيْن مَنْ هو فى سجْنِ ١٦٤ ـ ا
الحاكم على شىء يعجز عنه . وتصدَّق فى ليلة عيد الفطر

(١) سورة المطففين (٨٣) الآيات الخمس الأولى .

وفرّق فى العلماء وأهل الدين مائةَ ألف دينار ، ولم تطُل مدّتُه فى الخلافة .

وكانت وفاتُه فى رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، فكانت مدةُ خلافته منذ أفضى إليه الأمر تسعة أشهر وأربعة عشر يوما . قال (١) : وأخرج قبل وفاته توقيعا بخطّه إلى الوزير ليقرأه على أرباب الدولة ، قال الرسول : إنّ أميرَ المؤمنين يقول ليس غرضنا أن يقال بَرَزَ مرسومٌ أو نَفذ مثال لا يبين له أثر ، بل أنتم إلى إمام فمّال أحوجُ منكم إلى إمام قوّال ! فقرأ المرسومَ فإذا فيه بعد البسملة ، اعلموا أنه ليس إهمالُنا إهمالا ولا إغضاؤنا إغفالا ولكن نباوكم أيكم أحسن عَمَلا ، وقد غفرنا لكم ما سَلف من إخراب البلاد وتشريدِ الرعايا وتقبيحِ الشنعة وإظهار الباطل الجَلِيّ فى صـــورةِ الْحَسَن الْخَفِيّ حيلة ومكيدة ، وتسمية الاستئصال والاحتياج استيفاءً واستدراكًا لأغراض انتهزتم فرصَتها مختلسةً من براثن لَيْثٍ باسل وأنياب أسد مهيب ، تتفقون بألفاظ مختلفة
١٦٤ـب عـــلى معنى واحـــد ، وأنتم أمناؤه وثقاته فتميلون / إلى هواكم ، وتمزجون باطلَكم بِحَقّه فيطيعكم وأنتم له عاصون ، ويوافقكم وأنتم له مخالفون . والآن فقد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا ، وبفقركم غِنًى ، وبباطلكم حقا . ورزقكم سلطانا يُقيل الْعَثرة ولا يؤاخِذ إلا مَنْ أصَرّ ، ولا ينتقم إلا ممن استمر ، يأمركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجَوْر وهو يكرهه لكم ، يخاف الله تعالى فيخوفكم

(١) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ٣٦٨

مَكْرَه ويرجو الله تعالى ويرغبكم فى طاعته فإن سلكتم مسالك نواب خلفاء الله فى أرضه وأمنائه على خلقه وإلّاهلكتم ، والسلام » قال (١) : ووجد فى داره رقاع مختومة لم يَفْتَحها فقيل له : ما عليك لو فتحتها ! فقال : لا حاجة لنا فيها كلها سعايات !

ذكر خلافة المستنصر بالله

هو أبو جعفر المنصور ولُقِّب فى خلافته بالمستنصر بن الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد بن الناصر لدين الله أبى العباس أحمد ، وهو الخليفة السادس والثلاثون من الخلفاء العباسيين . بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه الظاهر بأمر الله فى رابع عشر شهر رجب سنة ثلاثٍ وعشرين وستمائة ، فسلك من العدل والخير والإحسان مسلك والده ، ونادَى بإفاضة / العَدْلِ وأن يضالع الناس بحوائجهم . ولما كان ١٦٥ـ١
أول جمعة أتت فى خلافته أراد أن يصلى الجمعة فى القصورة التى يصلى فيها الخلفاء فقيل له إن المطبق الذى يَسْلُك إليها فيه خراب لا يُسْلَك فركب فرسا وسار إلى الجامع ظاهرا للناس بخادم وركاب دارٍ وعليه قميص أبيض وعمامة بيضاء بسكاكين حرير ، ولم يترك أحدًا يمشى فى خِدْمته . وكذلك فعل فى الجمعة الثانية حتى صلح المطبق !

وفى سنة خمس وثلاثين وستمائة كانت وقعةٌ بين التتار وعساكر الخليفة ، وكان مقدم العسكر الحليفتى (٢) جمال الدين بكلك

(١) ابن الأثير فى الكامل ٩ : ٣٦٩

(٢) نسبة خطأ ، ولكن جمهور المؤرخين يصطلح عليها ويأخذ بها (راجع شذرات الذهب ٥ : ١٧٠) .

الناصرى . وقتل من الطائفتين خلق كثير ، فانهزم عسكر الخليفة وهو أول مصاف كان بين التتار وعسكر الخلفاء، ودامت أيام المنتصر إلى سنة أربعين وستمائة .

وكانت وفاته بكرةَ يوم الجمعة لعشر خَلَوْن من جُمادى الآخرة منها ، وكان سبب وفاتِه أنه قُصِدَ بمبضعٍ مسموم فَتُوفى . وكانت مُدَّة خلافته سبعَ عشرةَ سنةً إلا ثلاثةً وثلاثين يوما ؛ وكان الناسُ فى زمن خلافته فى شُغْلٍ شاغلٍ عن ضبط أيامه بالتاريخ ؛ لما دَهَمَهم من حادثة التتار (١) . فلذلك اختَصَرْنا أيامَه وسنرد أخبارُ التتار وخروجُهم وما استَوْلَوْا عليه من الممالك وما فعلوه بأهل البلاد
١٦٥-ب مبيِّنا عند ذكرنا للدولة الخوارزمية والجنكزخانية – إن شاء الله تعالى .

ذكر خلافة المستعصم بالله

هو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبى جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبى نصرٍ محمدِ بنِ الناصر لدين الله أبى العباس أحمدَ بن المستضىء بأمر الله أبى محمدٍ الحسن بن المستنجد بالله أبى المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله أبى عبد الله بنِ المستظهر بالله أبى العباس أحمدَ بنِ المقتدى بأمر الله أبى القاسم عبد الله بن ذخيرةِ

(١) ولكن ابن طباطبا يقول فى الفخرى ٢٨٨ « وكانت أيامه طيبة ، والدنيا فى زمانه ساكنة ، والخيرات دارة ، والأعمال عامرة . وفى أيامه فتحت إربل ، أرسل المستنصر إليها إقبالا الشرابى وصحبته عارض الجيوش ، وذلك عند وفاة صاحبها مظفر الدين ابن زين الدين على كوجك وهو فى مقدمة كتابه ٢٦ ، ٢٧ يسخر من هذا الفتح المبين الذى تضرب فيه البشائر وإن يكن دليلا على مهانة ما صار إليه أمر الخلافة !

الدِّين أبي العباس أحمدَ بنِ القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بنِ الموفق بالله أبي أحمد طلحة - وهو الملقَّب بالناصر - ولم يَل الخلافة - بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن الرشيد أبي محمد هرون بن المهدى أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور بن محمدين على بن عبد الله بن العباس - رضى الله عنه - بن عبد المطلب ، وهو الخليفة السابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، بويع له بالخلافة بعد وفاةِ أبيه المستنصر بالله فى يوم الجمعةِ لِعَشْر خلون/من جُمادى ١٦٦-١
الآخرة سنة أربعين وستمائة .

وكان مُتَدَيِّنًا متمسكا بمذهب السُّنَّةِ والجماعةِ ، وحَسَّنَ له أصحابه جَمْعَ الأموال والاقتصار على بعْضِ مَنْ ببغداد من الجُنْد ، وقَطْعَ الباقى ، ومسالَمَةَ التتار وحَمْل القطيعةِ إليهم ليكفُّوا عنهم ، وقالوا له : هؤلاء ملكوا معظمَ بلادِ الإسلام ولم يقفْ أحدٌ من الملوك أمامهم » ! فأذعن إلى ذلك .

وفى سنة ثلاثٍ وأربعين وستمائة قصد التتار بغدادَ ، حتى انْتَهَوْا إلى ظاهرها ونهبوا ما مَرُّوا عليه من البلاد ، فخرجت إليهم العساكر الخليفتية فأجْفَلوا النيران بالليل ورحلوا ، ودامت أيام المستعصم بالله إلى أن ملك التتار بغدادَ .

ذكر مقتل المستعصم بالله

وانقراض الدولة العباسية واستيلاء هولاكو على بغداد

كان مقتله فى العشرين من المحرم سنةَ ستٍّ وخمسين وستمائةٍ عندما استولى هولاكو على بغداد على ما نذكره إن شاء الله فى أخبار

التتار. ولما ملك هولاكو بغدادَ أحضر الخليفةَ المستعصم بالله وأمر أن يُجْعَل
في عِدْلٍ ويداسَ بأرجُلِ الخيل حتى يموت، ففعل به ذلك[1] / ومن عادة التتار ١٦٦ـب
أن لا يسفكوا دماء الملوك والأكابر، ومَبنى كلُّ مَنْ حواه قصر الخلافة
من الحريم، واستولى على ذخائر الخلفاء، ونُهبت بغداد، وبذلوا
السيف فيها سبعةَ أيامٍ متوالية ثم رُفع في اليوم الثامن[2]. وكانت خلافة
المستعصم بالله خمسةَ عشرَ سنةً، وسبعةَ أشهُر، وعشرةَ أيام. وكان
الذي بعث هولاكو على قَصْدِ بغداد أنَّ الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي
كان شيعيا والشيعةُ يسكنون بالكرخ وهي محلة مشهورة بالجانب الغربي
من بغداد، فأحدث أهلها حَدَثًا فأمر الخليفة بنَهْبِهِمْ فَنَهبهمُ العَوَامُ،
فوجد[3] الوزير لذلك وكاتب هولاكو، وأخذ في التدبير على الخليفة وقطع
أرزاق الجند، وأضعفَهُم حتى تمكَّنَ التتارُ من أخْذِ البلاد.

قال[4]: ولما فتح هولاكو بغداد وأحضر الوزير المذكور فقال:
كيف كانت حالُك مع الخليفة؟ فذكر ما كان عليه من التقدُّم
ونفاذِ الكلمةِ وكثرةِ الأتباع وأنه كان يركب في جمعٍ عظيم، فقال:
إذا كان هذا فملكك في حقٍّ من قَدَّمَك وأحْسَنَ إليك كيف يكون منك

---

(١) يقول ابن واصل «وأما الخليفة رحمه الله فإنهم قتلوه، لكن لم يطلع أحد على قتله كيف كان، فقيل إنه خنق، وقيل وضع في عدل ورفس حتى مات، وقيل غرق في الدجلة» راجع حاشية في كتاب السلوك للمقريزي ٢ : ٤٠٩ القسم الثاني.

(٢) ورد في دائرة المعارف الإسلامية Enc. Isl. art Baghdad. «نهبت بغداد وأحرقت إلا أنها لم تخرب كلها أسوة بغيرها من البلاد التي فتحها هولاكو لأنه كان يريد أن يجعلها عاصمة له».

(٣) وجد يجد جدة وموجدة ووجدا: حزن وغضب (القاموس المحيط)

(٤) من عادة النويري أنه إذا أحال بغير تحديد أحد، عنى ابن الأثير ولكنه هنا لا يعنيه، لأن أحداث تاريخه تنتهي بنهاية عام ٦٢٨ للهجرة.

معنا ؟ وأمر بقتله . وقيل استبقاه وأنَّ امرأة رأته فى يوم وهو على برذون ليس معه أحد فنظرت إليه وقالت لبابن العلقمى هكذا كنت فى أيام أمير المؤمنين (١) ؟

١ـ١٦٧ جامع أخبار خلفاء الدولة العباسية بالعراق

ومن ولى منهم ومدة خلافتهم

وَلِىَ منهم بالعراق سبعةٌ وثلاثون خليفةً وهم : أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس وهو السفاح ، ثم المنصور أبو جعفر عبد الله أخوه ، ثم المهدى أبو عبد الله محمد بن أبى جعفر المنصور ، ثم ابنه الهادى أبو محمد موسى ، ثم أخوه الرشيد أبو محمد هارون ، ثم ابنه الأمين أبو عبد الله محمد ، ثم أخوه المأمون أبو العباس عبد الله ، ثم أخوه المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن الرشيد وهو أول مَنْ أضاف إلى لقبه اسم الله عَزَّ وجل ، ثم ابنه الواثق بالله أبو جعفر هارون ، ثم أخوه المتوكل على الله أبو الفضل جعفر ، ثم ابنه المنتصر بالله أبو جعفر محمد ، ثم المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله ، ثم المعتز بالله أبو عبد الله محمد بن المتوكل ، ثم المهتدى بالله أبو عبد الله محمد بن الواثق ، ثم المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل على الله ، ثم المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل ، ثم المكتفى بالله أبو محمد على بن المعتضد ، ثم المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن

(١) راجع كتاب السلوك ١ : ٤٠٠ القسم الثانى وبهامشه نص عن ابن واصل فى موقف هذا الوزير ، وراجع أيضا ما ذكره ابن طباطبا فى الفخرى ٢٩ وكذلك البداية والنهاية ١٣ : ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٢ ثم شذرات الذهب ٥ : ٢٧٠ ، ٢٧٢

١٦٧-ب / المعتضد وخلع مرتين فالأولى بويع لابن المعتز والثانية بويع للقاهر ، ثم القاهر بالله أبو منصـــور محمـــد بن المعتضـــد ، ثم الراضى بالله أبو العباس أحمد بن المقتـــدر ، ثم المتقى لله أبو إســـحاق إبراهيم ابن المقتدر ، ثم المستكفى بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفى ، ثم المطيع لله أبو القاسم الفضل بن المقتدر : ثم الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن المطيع ، ثم القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق ابن المقتدر ، ثم القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر ، ثم المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين أبى العباس أحمد بن القائم ، ثم المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى ، ثم المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن المستظهر ، ثم الراشد بالله أبو العباس جعفر المنصور بن المسترشد ، ثم المقتفى لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر ، ثم المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفى ثم ابنه المستضىء بأمر الله أبو محمد الحسن ، ثم ابنه الناصر لدين الله أبو العباس أحمد ، ثم ابنهُ الظاهر بأمر لله أبو نصر محمد ، ثم ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور ، ثم ابنه المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله .

وكانت مدّة خلافتهم منذ بويع أبو العباس السفاح وإلى أن ١٦٨-ا قتل المستعصم بالله / خمسمائةَ سنةٍ وثلاثًا وعشرين سنةً وعشرةَ أشْهُرٍ وستةَ أيامٍ وانقرَضتِ الدَّوْلَة العباسيةُ وانْقَطَعَتْ دعوتهم من سائر أقطار الدنيا ثلاث سنين وخمسةَ أشْهُرٍ وعشرين يوما إلى أن عادت بالدِّيار المصرية المحروسة فى الدولة الظاهرية

ذكر عود الدولة العباسية وقيامها بالديار المصرية المحروسة

ذكر خلافة المستنصر بالله

هو أبو العباس أحمد بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد، بويع له بالخلافة بالديار المصرية فى التاسع من شهر رجب سنةَ تسع وخمسين وستمائة. وذلك أنه وصل إلى الديار المصرية فى هذا اليوم، فركبَ السُّلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس للقائه فى موكب مشهودٍ، وأنزله بقَلْعَةِ الجبل وأمر بإثبات نَسَبِه. وحضر الأُمراء والوزير وقاضِى القُضاة ونُوَّابُ الحُكم والفقهاءُ والصلحاء وأكابرُ المشايخ وأعيانُ الصوفية واجتمعوا بقاعة / العمد بقلعة الجبل وأمر السُّلطانُ ١٦٨-ب بإحضار العُرْبان الذين حضروا مع الخليفة فحضروا وحضر خادمٌ من البغاددة فسئلوا عنه هل هو أحمد بن الظاهر فقالوا إنه هو !

فشهد جماعة من القضاة الأكابر بالاستفاضة وهم : جمال الدين يحيى نائب الحكم بمصر والفقيه علم الدين ابن رشيق صدر الدين مرهوب الجزرى ونجيب الدين الحرانى ، ومديد الدين التزمنتى (١) نائب الحكم بالقاهرة . أنه هو فسجل قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن الأغر وحلف على نَفْسِهِ بِثبوت

(١) كذا فى الأصل ولكن ورد فى كتاب السلوك ١ : ٤٥٠ القسم الثانى أن سديد الدين هو عثمان بن عبد الكريم بن أحمد بن خليفة ، ينسب إلى تزمنت (قرية بصعيد مصر) هو أبو عمرو بن أبى محمد الصنهاجى .

نَسَبِه وهو قائم على قدميه ، ولقّب المستنصر بالله على اسم أخيه . وبايعه السلطان على كتاب الله وسُنّة رسوله صلى الله عليه وسلم والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، والجهادِ فى سبيل الله ، وأخذِ الأموال بحقّها وصَرْفِها فى مستحقّها ، ثم بايعه النّاس على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم .

ولمّا تَمّتْ بيعته قَلّدَ السلطانُ البلادَ الإسلامية وما يضافُ إليها وما يفتحه اللهُ تعالى على يديه من البلاد ، وكتب السلطان إلى سائر الأعمال بأُخْذِ السِمة له ، وأن يُخْطَبَ باسمه على المنابر ، وتُنْقَشَ السِكّةُ باسمه واسم السلطانِ . وخطب الخليفةُ بالناس فى يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب بجامع القلعة ، ونُثرت عليه الدنانيرُ والدراهمُ ، وخَلَعَ على السلطان / وطوقه يوم الإثنين[1] . ١٦٩ - ا

واستخدم السلطان للخليفة من يحتاج إليه من أرباب الوظائف فجعل الأمير سابق الدين بوزبا [2] أتابك العسكر ، وكتب له بألف فارس وجعل الخواشى بهاء الدين صندل شرابيا وكتب له بخمسمائة فارس والأمير ناصر الدين محمد بن صريم [3] خزندارا وكتب له بمائتى فارس ، والأمير نجم الدين أستاذ الدار وكتب له

(١) كان رسم الخلعة يتضمن تسليم الطوق المذهب ليوضع فى العنق ، والقيد للقدم وهو من الذهب أيضا (راجع البداية والنهاية ١٣ : ٢٣٢) .

(٢) ذهب الدكتور محمد مصطفى زيادة فى تحقيق هذا الاسم مذاهب شتى لاختلاف الرسم فى الكتب فيحسن مراجعة كتاب السلوك ١ : ٤٠٥ ، ٤٥٨ القسم الثانى

(٣) فى السلوك ١ ق ٢ : ٤٥٨ « بن صيرم »

بخمسمائة فارس ، والأمير سيف الدين بلبان الشمسى داواداراً وكتب له بخمسمائة فارس . وأمر جماعةً من العربان بالطبلخانات واشترى للخليفة مائةَ مملوكٍ جعلهم جمدارية وسلحدارية وأعطى كلاً منهم ثلاثة أرؤس خيلٍ وجعلا لعدته . واستخدم له صاحبَ ديوان وكُتَّابَ إنشاء وأئمةً ومؤذنين ، وحكماء وجرائحية[1] ، وغلمانا . وكَمَّلَ له البيوتاتِ وجهَّزه وجهَّزَ معه ملوك الشرق الذين كانوا قد وصلوا إلى السلطان وهم : الملك الصالح عماد الدين[2] إسماعيل بن الملك الرحيم صاحب المَوْصِل ، وكتب له بالموصل وولاياتها ورساتقها ونصيبين وولاياتها ، ودارا وأعمالها ، والقلاع العمادية وبلادها ، وغير ذلك مما جاوره . وكتب للملك المجاهد سيف الدين إسحق أخيه بلاد الجزيرة ، وكتب للملك المظفر علاء الدين على سنجار وأعمالها التى كانت بيده . وأرسل إليهم الطبلخانات والسناجق ، وتقدم إليهم بسفرهم/صُحْبَتَهَ إلى الشام ١٦٩-ب ليُجَهِّزَهم إلى مستقرهم صحبَةَ الخليفة

ذكر مسير الخليفة المستنصر بالله
إلى بلاد الشرق وقتاله

قال[3] : وتوجه الخليفة والسلطان والملوك إلى الشام فى سادس شوال من السنة ، وكان مبلغ النفقة على الخليفة والملوك

(١) جرائحية : جراحون ، ولكنه بصيغته هاهنا عامى متداول .

(٢) فى السلوك ١ : ٤٦٠ القسم الثانى « ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل »

(٣) راجع تقى الدين أحمد بن على المقريزى فى كتاب السلوك ١ : ٤٦٢ القسم الثانى ، والنجوم الزاهرة ٧ : ١١٥ ، والبداية والنهاية ١٣ : ٢٣٢ وشذرات الذهب ٥ : ٢٩٧ وكلها تأخذ مما يأخذ منه النويرى عادة !

ألف ألفِ دينارٍ وستين ألفَ دينارٍ عينا ، ووصلوا إلى دمشق . ونزل الخليفة بجبل الصالحية فى برية الملك الناصر (١) ، وجرد السلطان عسكرا صحبه الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى وشمس الدين سنقر الرومى وودع السلطان الخليفة والملوك وسفرهم وأوصى الرشيدىَّ والروميَّ وَمَنْ معهما أن يقيموا بجهة حلب وبر الفرات ومتى طلبهم الخليفة ساروا إليه .

وسار الخليفة من دمشق وعبر الفرات — ولم يتأنَّ فى أمره — فوصل عانة والحديثة . فخرج عليه مقدم من مقدمى التتار اسمه أورداى ومعه تمانا (٢) ، فالتقوْا واقتتلوا فاستشهد الخليفة ، وقتل أكثر من كان معه .

وأما عن الملك الصالح (٣) فإنه دخل الموْصِلَ وملكها واستقرّ بها ، فسار إليه أورداى المذكور وحاصره ، وملك البلد ، وصلَبه هو وابنه على باب الموصل ، وانهزم أخواد الملك المجاهد والمظفر علىّ إلى الديار المصرية ، فأقاما بهـا إلى أن ماتا فى الدولة المنصورية السيفية ، رحمهما الله . ١٧٠ — ١

وانقضت الخلافة ، وانقرضت الدَّوْلَة العباسية ثانيةً من سائر

---

(١) فى سفح قاسيون بدمشق .

(٢) كذا فى ا وفى ف صفحة ٩٥ ، وليس فى ك لأن فيها سقاطا إلى أخبار الدولة الأموية بالأندلس ، ولم تذكر المظان فى هذا الموضع سوى قرابغا المقدم ومعه بهادر على الخوارزمى .

(٣) هو ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وكان قد انضم ليبرس فولاه الموصل التى كانت لأبيه .

الأرض ، وتعطّلت المنابرُ من ذكرِ دعوتِهم إلى أن عادت بالديار المصرية أيضا ببيعة الخليفة الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد .

ذكر خلافة الحاكم بأمر الله

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي الفتى بن الحسن بن الخليفة الراشد بالله بن جعفر المنصور بن المسترشد بالله وقد تقدم نسبه مستوفى . بويع له بالخلافة بالديار المصرية فى يوم الخميس الثانى من المحرم سنة إحدى وستين وستمائة . وذلك أنه وصل إلى الديار المصرية فى سنة ستين وستمائة ، فلما كان فى هذا اليوم جلس السلطان الملك الظاهر مجلسا عاما ، وحضر الخليفة راكبا إلى الإيوان الكبير بقلعة الجبل . وجلس إلى جانب السلطان . وبايعه بعد ثبوت نسبه كما بايع المستنصر ، ثم قلّد السلطان أمور البلاد والجيوش . /وبايعه النّاس ١٧٠ ـ ب على اختلاف طبقاتهم ، وكان ذلك بحضور الرسل ومَنْ وَفَدَ من التتار [1] .

وخَطَبَ يومَ الجمعة بجامع القلعة ، ثم خَطَبَ مرةً ثانية فى ثامن عشر شعبان بحضور رُسُل بركة ، ودعا للسلطان وللملك بركة [2] وصلّى بالناس . وحُجِب عن الناس ببُرْجٍ فى القلعة إلى سنةِ تسعين وستمائة ، فأخرجه السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين

(١) كانوا من قبل بركة صاحب دست القفجاق الذى ناصب هولاكو ابن عمه العداء لسلوكه البغى فى بلاد المسلمين (شذرات الذهب ٥ : ٣٠٠) .

(٢) فقد كان قد أعلن موقفه وراح يحث على الجهاد .

المنصورى من البرج وأسكنه بالمناظِر الصالحيةِ المعروفة بالكبش ووسَّع عليه فى رِزْقه ورزق أولادِه .

وحجَّ فى هذه السنة ورجع ، فكان بالمناظر إلى أن مات . وكانت وفاته فى الثامن عشر من جمادى الأُولى سنة إحدى وسبعمائة فى دولة السلطان الملك الناصر الثانية وصلَّى عليه الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأَبَّلِّى الصوفى – شيخ الصوفية بمشهد السيدة نفيسة – ودفن بجوار المشهد . وكانت مدة خلافته أربعين سنة وأربعة أشهر ، وستة عشر يوما . وهو أول خليفةٍ دُفِنَ بمصر من الخلفاء العباسيين ، رحمه الله .

ذكر خلافة المستكفى بالله

١٧١ – ١ هو أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله / وهو الثالث من خلفاء بنى العباس بمصر ، والخليفة الأربعون من خلفائهم . بويع له يوم وفاةِ والدهِ الحاكم بأمر الله فى الثامن عشر من جُمادى الأولى سنَةَ إحدى وسبعمائة وخُطِب له على المنابر وحضَر مع السلطان الملك الناصر مصافَّ مرْجِ الصُّفْر [1] الذى انهَزم فيه التَّتَارُ فى ثانى شهر رمضان سنة اثنتين وسبعمائةٍ .

---

(١) أورد الدكتور محمد مصطفى زيادة فى نهاية الجزء الأول من السلوك ١٠٢٧ الملحق رقم ١٦ يتضمن نص الكتاب المسمى « الروض الزاهر فى غزوة الملك الناصر » وهو منقول عن النويرى فى جزء آخر غير هذا الجزء ، ويعرض وقعة مرج الصفر بالتفصيل بين الناصر محمد وإيلخان غازان .

واستمر فى صحبة السلطان ، يركب معه إلى الصيد وإلى الميدان ، ويلعب الكرة . وسكن بمناظر الكبش وغيرها من المساكن الحسنة المُتْرفَةِ على نهر النيل ، ورتَّب له من النفقات والكساوى وغير ذلك ما يحتاج إليه هو ومن عنده . وكذلك رتَّب لابن أخيه إبراهيم ، ولم يحجرِ السلطان عليهما ، بل يركب كلٌّ منهما متى شاء ويزور من شاء [1] .

(١) بعد ذلك سقاط فى النسختين ، ف إلى بدء الدولة الأموية بالأندلس ، فالثلث الأخير من ١٧١ – ا ، وكل ١٧١ – ب فى ا أيضا بياض . وكذلك ثمة بياض يشمل نصف ٩٧ – ا فى ف وكل ٩٧ – ب فيها ، وأما ك فقد فرغ الكلام عنها .

١٧٢ـ ا بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس من القسم الخامس من الفن الخامس

فى أخبار الدولة الأموية ببلاد الأندلس (١)

كان ابتداءُ هذه الدولةِ فى سنة ثمانٍ وثلاثين ، وقيل تسع وثلاثينِ ومائة ، فى خلافة أبى جعفر المنصور الثانى من الخلفاء العباسيين ، وأول من ملَكَ بلاد الأندلسِ من بنى أمية أبو المظفر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . وقيل كنيته أبو المطرّف ، وقيل أبو سليمان ، وقيل أبو زيد ، وأمه بربرية من سبْيِ أفريقية واسمُها راحُ ولقّب عبدُ الرحمن بالدّاخل عند دخوله . وكان استيلاء عبد الرحمن على الأندلس فى سنةِ ثمانٍ وثلاثين ومائة . وقيل تسع وثلاثين . وكان سببُ دُخولِهِ إليها واستيلائه عليها أنه لما قتل مروان بن محمد ، وانقرضت الدولة الأموية ، وقتل من قتل من بنى أمية ، وتشتتوا فى البلاد .. ..

---

(١) فى ا صفحة ١٧٢ ـ ا ، فى ك صفحة ١٠١ ، فى ف صفحة ٩٨ ـ ا ، ويحسن هنا أن يراجع القارىء ـ إلى جانب ما يراه من كتب يرد اسمها فى الحواشى ـ كتاب « بغية الملتمس فى تاريخ أهل الأندلس » لابن عميرة الضبى ط . مجريط (مدريد) سنة ١٨٨٤ وكتاب « البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب » لابن عذارى المراكشى وكتاب « جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس » للحميدى وقد طبع فى مصر سنة ١٩٥٢ وكتاب « المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس » لحيان بن خلف ، ثم كتاب « تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين » ليوسف أشناخ ، وقد ترجمه وعلق عليه ونشره فى جزئين محمد عبد الله عنان بمصر سنة ١٩٤٠ .

/كان عبدالرحمن هذا بذات الزَّيتون[1] فَفَرَّ منها إلى فلسطين ، فأقام ١٧٢-ب
بها هو و مولاه بدرٌ يتجسَّسُ له الأخبار ، فحكى عنه أنه قال :

« لما أُعطِينا الأمان ثم نُكث بنا بنهر أبي فُطرس [2] أتاني الخبر وكنت منتبذا عن الناس . فرجعتُ إلى منزلي آيسا ونظرت فيما يصلحني وأهلي ، وخرجت خائفا حتى صرتُ إلى قريةٍ على الفرات ذات شجر وغياض . فبينا أنا ذات يوم فيها وولدي سليمان يلعب بين يدي- وهو يومئذ ابن أربع سنين-فخرج عني ثم دخل عليَّ باكيا فزعا ، فتعلق بي وجعلت أدفعه ، وخرجت لأنظر فإذا بالخَوْفِ قد نزل بالقرية والراياتُ السُّودُ منحطَّةٌ عليها وأخٌ لي حَدَثٌ يقول لي :النجاةَ النجاةَ ! فأخذتُ دنانيرَ معي ونجوت بنفسي وأخي وأعلمت أخواتي بمقصدي وأمرتهنَّ أن يُلْحِقْنَني مولاي بدرا [-قال-] وأحاطتِ الخيلُ بالقرية فلم يجدوا لي أثرا . فأتيتُ رجُلًا من معارفي وأمرتُه فاشترى لي دوابَّ وما يصلحني فدلَّ عليَّ عبدٌ له العاملَ ، فأقبل في خَيْله طلبني فخرجنا على أرْجُلِنا والخيلُ تبصرنا ، فدخلنا الفرات يفسبحنا فنجوتُ أنا والخيلُ ينادون بالأمان وأنا لا أرجع وأما أخي فإنه عجزَ عن السباحة في نصف الفرات فرجع إليهم بالأمان ، فقتلوه
وأنا أنظر إليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت ثُكْلَه /ومضيتُ ١٧٣-ا
وتواريتُ في غَيْضَة حتى انقطَع الطَّلَبُ عني . وخرجت فقصدت

(١) جبل بالشام كما يقول ياقوت (معجم البلدان ٣ : ١٦٣) .
(٢) موضع قرب الرملة من أرض فلسطين (معجم البلدان ٥ : ٣١٥) .

المغرب فبغلت أفريقية ، ثم ألحقتنى أختى أمُّ الإصبغ ،ولاى بدرًا بنَفقةٍ وجوهرٍ .

قال المؤرخ (١) : ولما بلغ أفريقية كان بها عبد الرحمن بن حبيب الفهرى عاملا لمروانَ بنِ محمد ، فَظَنَّ عبدُ الرحمن بن معاوية أن ابن حبيب يرعاهم ويحوطهم ويحسن مجاورتَهم . فلما علم ابنُ حبيب أن مروان قد قتل وأن أهلَه وولده قد تفرقوا وأن رجالَه قد استأمنوا إلى أعمال أبى العباس السَّفاح طلب لنفسه السلامة ، وكتب بالسَّمْع والطَّاعةِ ، وأراد قَتْلَ عبد الرحمن بن معاوية ومن معه والتقرُّب بهم إلى عمال السفاح . وأرسل فى طلبه فهرب منه وأتى مكناسة وهى قبيلةٌ من البربر وعندهم شدة ، ثم هرب منهم وأتى نفراوة (٢) وهم أخواله . وقيل أتى قوما من الزناتيين فأحسنوا قبولَه فيهم وأخذوا فى التدبير والمكاتبة إلى الأمويين من أهل الأندلس يعلمونهم بقدومه ويدعونهم إلى عبد الرحمن .

ووَجه بدرًا مولاه إليهم ، وكان أمير الأندلس يومذاك يوسف ابن عبد الرحمن الفِهْرى فسار بدر إليهم وأعلمهم حالَ عبد الرحمن ودعاهم إليه فأجابوه ، ووجهوا إليه مركبا فيه تمّام بن علقمة ووهب بن الأصفر وشاكر بن أبى الأسمط ، فوصلوا إليه وأبلغوه طاعتَهم ، وأخـــذوه ورجعـــوا به إلى الأندلس/ فأرسى بالمركب ١٧٣ب

(١) هوابن الأثير فى الكامل ٤ : ٣٦ .

(٢) كذا فى الأصل وفى كامل ابن الأثير ، ولكن المقرى التلمسانى يقول إنها نفزة أخواله من برابرة طرابلس (نفح الطيب ١ : ٣٠٧ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد بالتجارية سنة ١٩٤٩ .)

بالجزيرة فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة . فأتاه جماعة من رؤسائهم من أهل إشبيلية (١) ، ثم انتقل إلى كورة رية فبايعه إبراهيم بن شجرة عاملها (٢) . ثم سار إلى إشبيلية فبايعه أبو صـالح يحيى بن يحيى ، ونهض إلى قرطبة فبلغ خبره يوسف بن عبد الرحمن وكان غائبا عن قرطبة بنواحى طليطلة (٣) ، فأتاه الخبر وهو راجعٌ إلى قرطبة فتراسل هو ويوسفُ فى الصلح فخادعه ، فلم يشك أصحاب يوسف فى انتظام الصُّلْح وذلك فى يومين أحدهما يوم عرفة ، فأقبل يوسف فى إعداد الطعام ليأكله الناس فى يوم الأضحى وعبد الرحمن يرتِّب خيلَه ورجله وعبر النهر فى أصحابه .

وأنشب القتال ليلةَ الأضحى ، وصبر الفريقان حتى ارتفع النهار ، وركب عبد الرحمن على بغلة وأسرع القتْل فى أصحاب يوسف فانهزم وظفر عبد الرحمن بن معاوية . ولما انهزم يوسف

(١) Seville هى أشهر من أن يعرف بها ويكفى أن قال بعضهم « إنها قاعدة بلاد الأندلس وحاضرتها ، ومدينة الأدب واللهو والطرب ، وهى على ضفة النهر الكبير .... ولو لم يكن من الشرف إلا موضع الشرف (اسم مكان بعينه) المقابل لها المطل عليها المشهور بالزيتون الكثير الممتد فراسخ فى فراسخ لكفى » راجع نفح الطيب ١ : ١٩٣ ، ٢٢١ .

(٢) فى الكامل ٤ : ٣٦٢ « فبايعه عاملها عيسى بن مساور » وية كورة أندلسية هامة .

(٣) Toleda مملكة بين قرطبة وثغر سرقسطه Saragossa وقد أطنب المؤرخون فى وصف عظم امتناعها (راجع نفح الطيب ٢ : ٧ ، ٨) وأما عن يوسف بن عبد الرحمن فالمقرى يقول « وكان غازيا بجليقية » Galicia (نفح الطيب ١ : ٣٠٨) وجليقية هى ليون شمالى البرتغال .

أتى ماردة [١] وأتى عبد الرحمن قرطبةَ ، وأخرج حشم يوسف وأهله من القصر على تؤدة ورفق ، ودخله بعد ذلك . ثم سار فى طلب يوسف ، فلما أحس بهيوسف سار إلى قرطبة فدخلها وملك قصرها ، وأخذ جميع أهله وماله ، ولحق بمدينة إلْبيرة [٢] . ورجع عبد الرحمن إلى قرطبة فلم يجده فسار إلى إلبيرة ، وتراسلا فى الصلح فاصطلحا على أن ينزل / يوسف هو ومن معه بأمانٍ وأن يمكن مع عبد الرحمن بقرطبة ويرهنه يوسفُ ابنه أبا الأسود محمدا وسار يوسف مع عبد الرحمن إلى قرطبة فلما دخل قرطبة تمثل : ١٧٤ ـ ا

فبينا نسوس النَّاسَ والأَمْرُ أَمْرُنـا
إذا نَحْن فيهم سُوقة تَتَنَصَّفُ

قال [٣] واستقر عبد الرحمن بقرطبة وبنى القصر والمسجد الجامع ، وأنفق فيه ثمانين ألف دينارٍ ، ومات قبل تمامه [٤] .

---

(١) Merida كورة واسعة بينها وبين قرطبة ستة أيام ، وقد شهرت بحصونها الكثيرة وبقراها ذات الآثار القديمة وبرخامها الفريد .

(٢) Elvira فى نفح الطيب والمغرب ومعجم البلدان وصف سهب لها ، وقيل إنها أشبهت دمشق فنزلها الدمشقيون وسميت « دمشق » وعرفت باستخراج التوتيا من بطرنة — إحدى قراها — وتوتياها أزكى وأقوى عناصر صبغ النحاس ، هذا وكانت إلبيرة المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجى مدينة غرناطة انتقل الناس إليها ! وفى كتاب ابن الخطيب نرى أنها هى وغرناطة اسمان لمكان واحد (كتاب الإحاطة فى أخبار غرناطة ١ : ٩٩ وما بعدها (ط . القاهرة سنة ١٩٥٥) .

(٣) ابن الأثير فى الكمل ٤ : ٣٦٣

(٤) راجع هنا نفح الطيب ١ : ٣٠٨

ذكر مقتل عبد الرحمن بن يوسف الفهرى

قال [١] : وفى سنة إحدى وأربعين ومائة نكث يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن كان يضع عليه مَنْ يُهينه وينازعه فى أملاكه ، فإذا أظهر حُجَّتَهُ الشرعيةَ لا يُعمل بها ،ففطن لما يراد منه . فقصد ما رِدة واجتمع عليه عشرون ألفًا فسار نحو عبد الرحمن ، وخرج عبد الرحمن من قرطبة نحوه إلى حصن المدور [٢] ثم رأى يوسف أن يسير إلى عبد الملك ابن عمر بن مروان – وكان واليا على إشبيلية و إلى ابنه عمر بن عبد الملك وكان على المُدَوَّر – فسار نحوهما فخرجا إليه واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب يوسف ، وبقىَ متردِّدًا فى البلاد فقتله بعض أصحابِهِ فى شهر / رجب سنة اثنتين وأربعين ومائة بنواحى طلَيْطِلة ١٧٤–ب
وحُمل رأسه إلى عبد الرحمن بن معاوية فنصبه بقرطبة وقتل ابنه عبد الرحمن بن يوسف الذى كان عنده رهينةً ونصب رأسه مع رأس أبيه وبقى ابنُه الأسود عند عبد الرحمن .

وفى سنة ثلاث وأربعين ومائة ثار رِزْقُ بن النعمان الغَسَّانى وكان على الجزيرة الخضراء [٣] . فاجتمع إليه خلق كثير ، فسار

(١) ابن الأثير فى الكامل ٤ . ٣٦٤

(٢) Almodavar حصن شهير بالأندلس قرب قرطبة .

(٣) Algeciras الرأس الجنوبى للأندلس يفصله عن أفريقية مضيق جبل طارق الذى يعرف بجبل الفتح ، وتطل على بحر الزقاق (شرق البحر المتوسط) شرق والمحيط الأطلنطى غربا حيث الطرف الأغر .

إلى شَنْوَنَةَ [١] فملكها ودخل مدينة إشبيلية . وعاجله عبد الرحمن فحَصره بها وضيَّق على مَنْ فيها ، فتقربوا إليه بتسليمه له . وأمَّنهم ورجع عنهم .

وفى سنة أربع وأربعين ومائة ثار هشام بن عذرة الفهرى وهو من بنى عَمِّ يوسف بن عبد الرحمن الفهرى بطليطلة فحاصره الأمير عبد الرحمن وشدَّد عليه الحصارَ فمال إلى الصلح وأعطاه ابنه أفلحَ رهينةً فأخذه عبد الرحمن ورجع إلى قرطبة . ثم عاد هشام وخلع عبد الرحمن ، فعاد إليه وحاصره ونصب المجانيق عليها [أى على طليطلة] فلم يؤثر فيها لحصانتها فَقَتَلَ ابْنَه أفلح ورمى برأسه إلى أبيه فى المنجنيق ورحل إلى قرطبة . ولم يظفر بهشام فى هذه السنة واستمر إلى سنة سبع وأربعين ومائة فبعث عبدُ الرحمن مولاه بدرًا وتمامَ بنَ علقمَة فحصرا طليطلة وضيَّقا على هشام ثم
١٧٥ـ١ أسراه هو وحيوة بن الوليد اليحصُبى وعثمان بن حمزة / بن عبيد الله ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فأتى بهم إلى عبد الرحمن بن معاوية فى جباب صوف وقد حلقت رؤوسُهم ولحاهم . وركبوا الحميرَ وهم فى السلاسل . فصلبهم بقرطبة !

(١) Medina-Sidonia تتصل نواحيها بنواحى موزور من أعمال الأندلس على ما يقول ياقوت ولكن المقرى يذهب فى وصفها ويتعرض لها فى كل مناسبة ويقرر أنها تعرف بالمعدن الطيب وأجود أنواع القهرمان والقرمز ، وكثر فيها أهل فلسطين فسميت فلسطين (نفح الطيب ١ : ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ٢٢١) وقد ورد ذكرها فى المغرب ١ . ٢٣٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ .

ذكر خروج العلاء وقتله

وفى سنة ستٍّ وأربعين ومائةٍ سار العلاءُ بن مغيث اليحصُبى من أفريقية إلى مدينة باجة [١] من الأندلس ، ولبس السواد وقام بالدَّعْوة العباسية . وخَطَبَ لأبى جعفر المنصور ، واجتمع إليه خلْقٌ كثير . فخرج إليه الأمير عبد الرحمن فالتقيا بنواحى إشبيلية وتحاربا زمانا ، فانهزم العلاء وأصحابُهُ ، وقُتِل فى المعركة سبعة آلاف فارس وقُتل العلاء ، فأمر عبدُ الرحمن بعضَ التجارِ بحَمْل رأسه ورؤوس أصحابه إلى القيروان وإلقائها فى السُّوق سرًّا ففعل ذلك . ثم حُمل منها إلى مكة ومعه لواء أسود فوصلت والمنصور بمكة ومعه كتاب كان المنصور قد كتبه إلى العلاء [٢] .

وفى سنة سبعٍ وأربعين ومائة قدم رسول عبد الرحمن الذى أرسله إلى الشام فى إحضار ولده الأكبر سليمان ، وحضر معه سليمان .

ذكر خروج سعيد اليحصبى

المعروف بالمطرى وقتله

/ قال [٣] : وكان خروجُه فى سنة ثمان وأربعين ومائة بمدينة لبلة [٤] من الأندلس وسبب ذلك أنه سكر يوما ، فتذكَّر ١٧٥ ب

(١) Beja كورة من الكور الغربية التى كانت من أعمال إشبيلية متصلة بكورة ماردة ومشهورة بدباغة الجلد وصنع الكتان وبوجود معدن الفضة .

(٢) فى نفح الطيب ١ : ٣٦١ تفصيل مفيد

(٣) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ٢٦

(٤) Niebla قصبة إحدى الكور الكبيرة ، وبينها وبين قرطبة - عن طريق إشبيلية - خمسة أيام ، وهى بحرية برية غزيرة الزرع والشجر .

مَنْ قتل من قومه اليمانيَة مع العلاء ، فعقد لواء فلما صحا رآه معقودا ، فسأل عنه فأخبروه فأراد حَلّه ثم قال : ما كنت لأعقد لواءً ثم أحلّه بغير شيء وشرع فى الخلاف ، فاجتمعت اليمانيةُ إليه وقصد إشبيلية وتغلّب عليها وكثُرجمعُه ، فبادره عبد الرحمن فى جموعه . فامتنع المطرى فى قلعة زعواق لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول فحصره بها وضيق عليه ، ومنع أهلَ الخلاف من الوصول إليه .

وكان قد وافقه على الخلاف علقمة اللخمى وكان بمدينة شَنْذُونة وقد انضاف إليه جماعة من رؤساء القبائل وهم يريدون إمداد المطرىّ فى جمْع كثيرٍ . فلما سمع عبد الرحمن بذلك سيَّر إليهم بدْرًا مولاه فى جيشٍ فحال بينهم وبين المطرىّ ، وطال الحصار وقلّت رجالُه بالقتل ، وفارقه بعضُهم . فخرج يوما من القلعة فقاتل فُقتل وحُمِل رأسُه إلى عبد الرحمن ، فقدَّم أهلُ القلعة عليهم خليفةَ بن مروان ، فدام الحصار عليها . فأرسل أهلُها يطلبون الأمان من عبد الرحمن على أن يسلموا إليه خليفة فأجابهم إلى ذلك ، وتسلّم الحِصنَ وخرّبه وقتل خليفة وخَلْقا كثيرا مِمَّنْ معه ثم انتقل إلى غِياث الأزدى وكان مِمَّنْ وافق المطرىَّ على الخلاف / فحصره ومَنْ معه وضَيَّق عليهم فطلبوا ١٧٣ ـ ا
الأمان فأمَّنَهم إلا نفراً فقبض عليهم ، وعاد إلى قرطبةَ فلما عاد إليها خرج عليه عبد الله بن خراشة الأسدى بكورة جيَّان (١) واجتمع إليه

(١) Jean كورة واسعة بالأندلس كما يقول ياقوت تتصل بكورة إلبيرة وتجمع =

جموع فأغار على قرطبة فسيّر إليه عبد الرحمن جيشا فتفرق جمعه ، فطلب الأمان فأمّنه ووفى له .

وفى سنة تسعٍ وأربعين ومائة أغزى عبدُ الرحمن مولاه بدرًا إلى بلاد العدو فأخذ الجزية منهم .

وفيها عزل عبد الرحمن أبا الصباح حَيَّ بن يحى عن إشبيلية فدعاه إلى الخلاف ، فخدعه عبد الرحمن حتى حضر عنده فقتله .

وفيها خرج غياث بن المسيّر الأزدى ، فخرج إليه عامل عبد الرحمن وقاتله فانهزم غِياثٌ ومن معه ، وقُتِل وحُمِل رأسه إلى عبد الرحمن بقرطبة .

وفيها أمر عبد الرحمن ببناء سور مدينة قرطبة .

ذكر أخبار شقنا (١) بن عبد الواحد

وخروجه بالأندلس

كان خروجه بشرق الأندلس فى سنة إحدى وخمسين ومائة وكان من بربر مكناسة يعلّم الصبيان وكانت أمّه تُدْعَى فاطمة فادّعى أنه من ولد فاطمة رضى الله تعالى عنها وأنه من ولد الحسين ، وتَسمّى بعبد الله بن / محمد وسكن شنتبرية (٢) واجتمع ١٧٦-ب

= قرى كثيرة وبلدانا مختلفة ، وقال ابن سعيد إنها من أعظم مدن الأندلس فى المنعة وأكثر ها خصبا ، وتعرف بجيان الحرير لكثرته فيها (المغرب ٢ : ٥١) .

(١) فى ا ، ك ١٠٤ ، ف ١٠٠ - ا « شقيا » .

(٢) Santeberia شنتبرية Sante Maria وشنترية ورسمها ابن الأثير شنت برية فى الكامل ٥ : ٣٤ ويقول ياقوت ، وقد رسمها بالرسمين فى موضعين (معجم البلدان ٣ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ إنها مدينة بجوز سالم بالأندلس وهى شرق قرطبة وبها حصن اسمه شنت مرية ، وثمة فى الأندلس شنترة من أعمال لشبونة وشنترين مدينة متصلة بأعمال باجه وقرطبة .

عليه خَلْق كثير من البربر وعظُم أمرُهُ فسار إليه عبد الرحمن فلم يقف له وزاغ فى الجبال ، فكان إذا أمن انبسط وإذا خاف صعد الجبال حيث يصعُبُ طلبهُ . فاستعمل عبد الرحمن على طليطلة حبيب بن عبد الملك ، واستعمل حبيبٌ على شنتبرية سليمان بن عفان ابن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وأمر بطلب شقنا فنزل شقنا إلى سليمان فقتله . واشتَدَّ ذِكرُ شقنا وطار اسمُهُ ، وغلب على ناحية قورية [1] . وأفسد فى الأرض ، فعاد عبد الرحمن وغزاه فى سنة اثنتين وخمسين ومائة بنفسه ، فلم يثبت له شقنا ، فأعياه أمره فعاد عنه ، وسير إليه فى سنة ثلاث وخمسين بدرا مولاه ، فهرب شقنا وأخلى حصنه شيطران ، ثم غزاه عبد الرحمن بنفسه فى سنة أربع وخمسين فلم يثبت له ، فعاد عنه وبعث لِحَرْبه أباعثمان عبد الله بن عثمان فخدعه شقنا وأفسد عليه جُنْدَه . فهرب عبد الله وغنم شقنا عسكره ، وقتل جماعة من بنى أمية كانوا فى العسكر وذلك فى سنة خمس وخمسين ومائة .

وسار شقنا إلى حصن الهواريين وبه عامل لعبد الرحمن فمكر به شقنا حتى خرج إليه ، فقتله وأخذ خَيْلَه وسلاحه وما كان
١٧٧ـ١ معه . ولم يزل / شقنا كذلك وعبد الرحمن يغزوه تارةً بنفسه وتارةً بجيوشه إلى سنة ستين ومائة فاغتاله أبو مَعْن وأبو خَرَيْم وهما من أصحابه ، فقتلاه وأخذا رأسه ولحقا بعبد الرحمن واستراح الناسُ من شره !

(١) Coria مدينة فى نواحى ماردة حملت عبء قتال المسلمين للإفرنج فى سمورة مدينتهم .

ذكر عصيان أهل اشبيلية

على الأمير عبد الرحمن

قال (١) : وفى سنة خمس وخمسين ومائة خرج أهل إشبيلية عن الطاعة مع عبد الغفار وحيوة بن مُلابِس ، وكان عبد الرحمن قـد خرج من قرطبة لحرب شقنا واستخلف عليها ابنَه سليمان فأتاه كتابُة بخروجهم عن طاعته وعصيانِهم عليـه واتِّفاق من بها من اليمانية على ذلك . فرجع عبد الرحمن إليها ولم يدخلْ قرطبة ، وهاله ماسمع من اجتماعهم وكثرتهم ، فقدّم ابن عمّه عبد الملك ابن عمر ، فلما قارب عبد الملك إشبيلية قدّم ابنهُ أمية ليُعْلِمه حالَهم ، فرآهم متيقظين فرجع إلى أبيه فَلامه أبوه على رجوعه وإظهار الوهن ، فضرب عنقَه وجميعَ بنيه وخاصّته وقال : طردنا من المشرق إلىأقصى هذا الصُّقْع ونُحْسد على لقمة تبْقِى الرَّمَق ، اكسروا جُفونَ سيوفكم فالموت أولى أو الظفر ! فَفَعَلوا ، وحَمَل أمامهم فَهَزَمَ اليمانيَة / وأهل إشبيلية فلم يَقُمْ بعدها لليمانية قائمةٌ . ١٧٧-ب

وجُرِح عبدُ الملك وبلغ الخبر عبد الرحمن فأتاه وجُرحه يجرى دمًا وسيفُه يقطر وقدلصقت يده بقائمة سيفه ، فقبّل بين عينيه وجزاه خيرا وقال له : يابن عم قد أنْكَحْتُ ابنى ولىَّ عهدِى هشاما ابنتَك فلانة وأعطيتُها كذا وكذا ، وأعطيتك كذا وكذا ، وأولادُك كذا وكذا ، وأقصَعْتُك وإياهم كذا وكذا ، ووليتك الوزارة ! وعبد الملك هذا هو الذى ألزم عبد الرحمن بقَطْع خطبة

(١) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ٣٩ .

المنصور وقال له : تقطعها وإلا قتلت نفسى ! وكان قد خطب له عشرةَ أَشْهُرٍ وقطعها .

قال (١) : وفى سنة سبع وخمسين ومائة سار عبد الرحمن إلى إشبيلية وقتل خَلْقًا كثيرا مِمَّن كان مع عبد الغفار ، وبسبب هذه الوقعة و رِثَّ العَرَبِ مال عبدُ الرحمن إلى اقتناء العبيد .

وفى سنة سِتٍّ وخمسين سَخِطَ الأَمير عبد الرحمن على مولاه بدرٍ لِفَرْط إدلاله عليه ، وأَخَذ ماله وسلب نعمته ونفاه إلى الثغور ولم يَرْعَ له حقوقَ الخدمة .

وفى سنة ثمانٍ وخمسين ومائة زا الأَمير عبد الرحمن مدينة قورية وقَصد البربرَ الذين كانوا أَسلموا عاملَه إلى شقنا فقتل منهم خلقا كثيرا من أَعيانهم !

١٧٨ - ا / ذكر عبور الصقلبى الى الأندلس

وما كان من أمره إلى أن قتل

وفى سنة إحدى وستين ومائة وقيل سنة ستين عبر عبدُ الرحمن ابن حبيب الفهرى المعروف بالصقلبى - ولم يكن صقلبيا وإنما سُمِّى بذلك لطوله ورقته وشقرته من أفريقية إلى الأَندلس ليحارب عبد الرحمن ويدعوه إلى طاعة المهدى بن أبى جعفر المنصور . وكان

(١) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ٤٠ ويلاحظ أن الذهبى عاد إلى سنة ست وخمسين بعد ذلك مباشرة !

عبورُه فى ساحل تُدمير [١] ، وكاتب سليمان بن يقظان بالدُّخول معه ، وكان سليمان ببرشلونة فلم يجبه ، فاغتاظ الصقلبى وقصد بلده فيمَن معه من البربر . فقصده سليمان والتقَوْا واقتتلوا ، فهزمه سليمان ، فعاد الصقلبى إلى تُدمير ، وجاء عبد الرحمن نحوه وأحرق السفنَ ليمنَعه من الهرب ، فقصد الصقلبى جبلا منيعا بناحية بَلَنْسِية [٢] . فبذل عبدُ الرحمن ألف دينار لِمَن يأتيه برأسه فاغتاله رجل من البربر وحمل رأسه إلى عبد الرحمن ، فأعطاه ألف دينار ، وكان قتله فى سنة اثنتين وستين ومائة .

وفى سنة اثنتين وستين ومائة أرسل عبدُ الرحمن شهيدَ بنَ عيسى إلى دُحَيَّة الغسانى وكان عاصيا فى بعض حصون إلبيرة ، فقتله وسير بدرًا مولاه [٣] / إلى إبراهيم بن شجَرَة وكان قد عَصَى عليه ١٧٨ـب
فقتله . وسير تمَّام بن عَلْقَمة إلى العباس البربرى - وهو فى جمع البربر وأظهر العصيان - فقتله وفرق جموعه .

وفيها سيَّر جيشا مع حبيب بن عبد الملك القرشى إلى القائد المُسلمى ، وكان حسن المنزلة عند عبد الرحمن . فشرب ليلة وقصد باب

---

(١) Tudmir من كور الأندلس الشرقية ، غلب عليها سكان مصر فسميت مصر ، واسمها كان لملكها الذى اتخذ أريولة عاصمة له فيها (راجع نفح الطيب ١ : ١٥٥ ، و ٢٢٢ ، ٢٤٧) .

(٢) Valecia مدينة متمكنة لحضارة جليلة القدر كما جاء فى المغرب ٢ : ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، تعتبر مطيب الأندلس وحفت بالأنهار والجنان ، وأما فى معجم ياقوت فهى كورة ومدينة مشهورة تقع شرق قرطبة وهى برية بحرية بينها وبين تدمير أربعة أيام ..

(٣) سبق أن ذكر فى حوادث سنة ست وخمسين ومائة أن الأمير عبد الرحمن سخط على بدر ونكل به ، ويبدو أنه عاد فعفا عنه .

القنطرة ليفتحه على سُكْرٍ ، فمنعه الحرس فعاد . فلما صحا من سُكره خاف فهرب إلى طليطلة واجتمع إليـه كثير ممَّن يريد الخلافَ والشَّرّ فعاجله عبد الرحمن بإنفاذ الجيوش ، فحَصَره فى مكان كان قد تحصّن به ، فطلب السُّلَمى البراز فبرز إليه عبد أسودُ فاختلفا ضربتين فوقعا صريعين ومانا جميعا .

وفى سنة ثلاثٍ وستين ومائةٍ أظهر الأمير عبد الرحمن التَّجَهُّزَ إلى الخروج لِقصد الشام لطلب الثأر من بنى العباس فعَصَى عليه سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى بِسَرَقُسْطة [1] واشْتَدَّ أمرُهما فرجع عن ذلك وترك ماكان أظهره منه .

وفى سنة خمسٍ وستين ومائةٍ غدر الحسين بن يحيى بسرقسطة ونَكَثَ ، فسيَّر إليه عبد الرحمن غالبَ بن تمام بن علقمة فى جُنْدٍ كثيف فاقتتلوا ، فأسر جماعةً من أصحاب الحسين فيهم ابنُه عيسى ، فسيّرهم إلى عبد الرحمن / فقتلهم ، وأقام غالب بن تمام بن ١٧٩ـ١
علقمة يحاصر الحسين . ثم سار عبد الرحمن فى سنة ستٍّ وستين إلى سرقسطة فحَصَرها وضايقها ونصب عليها ستَّةً وثلاثين منجنيقا ، فملكها عَنْوَةً وقتل الحسين أقبح قتلة ، ونفى أهل سرقسطة منها ليمينٍ كانت تَقَدَّمَتْ منه ، ثم ردَّهم إليها .

(١) Saragossa تقع فى الأندلس الشرقى على نهر ابرة الذى يصب فى البحر المتوسط و قد افتتحها العرب عام ٧١٢ للميلاد واستردها الفرنج بعد أربعة قرون وسبع سنين ، وقد شهرت بالثياب السرقسطية .

وفى سنة بِستٍّ وَستين ومائةٍ قتل عبد الرحمن ابن أختِهِ المغيرةَ ابن الوليد بن هشام وهذيل بن الصُّمَيْل وسمرة بن جبلة لاجتماعهم على خَلْعه مع العلاء .

ذكر مخالفة أبى الأسود

محمد بن يوسف الفهرى

وفى سنة ثمانٍ وستين ومائةٍ ثار أبو الأسود محمد بن يوسف ابن عبد الرحمن الفهرى ببلاد الأندلس . وكان من خبره أنه كان فى السجن بقرطبة منذ هرب أبوه على ماتَقَدَّم ، فأظهر أنه عَمِىَ وصار لا يطرف عينه لشىء ، وبقى دهرا طويلا حتى صح عند عبد الرحمن ذلك . وكان فى أقصى السجن سردابٌ يُفْضى إلى النَّهْر الأعظم يخرج منه المسجونون يقضون حوائجهم من غسل وغيره ، وكان الموكلون يهملون أبا الأسود لعماه فإذا رجع من النهر يقول : من يدل الأعمى إلى موضعه ! وكان مولى له / بحادثه على شاطىء النهر ١٧٩ـ ب فلا ينكر عليه .

فواعده أن يأتيه بخيلٍ يحمله عليها فخرج يوما ومولاه ينتظره فعبر النهر سباحةً وركب الخيل ولحق بطليطلة فاجتمع إليه خلق كثير فرجع بهم إلى قتال عبد الرحمن . فالتقيا على الوادى الأحمر بقسطلونة [1] واشْتَدَّ القتال فانهزم ابن الفهرى ، وقتل من أصحابه أربعة آلاف سوى من تردّى فى النهر . وأتبعه عبد الرحمن فقتل

(١) Castellon فوق بلنسية على شاطىء البحر قبالة ميورقه وسورقة وهى ليست فى معجم ياقوت ولا فى صفة الأندلس للحميرى والموجود قسطلة (راجع ياقوت ٤ : ٣٤٧ وصفة جزيرة الأندلس صفحة ١٦٠) .

منْ لحق حتى جاوز قلعة رباح ، ثم جمع أبو الأسود الرجال وعاد إلى قتال عبد الرحمن سنةَ تسع وستين ومائةٍ فهلك بقرية من أعمال طليطلة . وقام بعده أخوه قاسم وجمع جمْعًا فغزاه عبد الرحمن فجاء إليه بغير أمان فقتله

وفى سنة سبعين ومائة أمر عبد الرحمن ببناء جامع قرطبة — وكان موضعه كنيسة — وأخرج عليه مائة ألف دينار، ولم يتم بناؤه فى حياته فأتمه ابنُه بعده

ذكر وفاة عبد الرحمن

وصفته وشىء من أخباره وسيرته

١٨٠ — ١ / كانت وفاته بقرطبة فى يوم الثلاثاء لستٍّ بقين من شهر ربيع الآخر سنةَ إحدى وسبعين ومائة ، وقيل توفى فى غرة جُمادى الأُولى سنة اثنتين وسبعين ومائة ، وهو الصحيح وصلَّى عليه ابنه عبد الله ، وكان قد عهد إلى ابنه هشام بمدينة ماردة واليا عليها ، وابنه سليمان بطليطلة واليا عليها ، فلم يحضرا موت أبيهما .

وكان مولد عبد الرحمن بدير حنا من عمل دمشق ، وقيل بالعلياء من ناحية تَدْمُر فى سنة ثلاثَ عشرةَ ومائةٍ فكان عمره تسعا وخمسين سنة ، ومدةُ ولايته بالأندلس ثلاثًا وثلاثين سنة وأربعةَ أشهر وأربعةَ عشر يوما . وكان أصهب [1] خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم أعور ، وكان فصيحا لَسِنا شاعرا حليما عالما حازما ، سريع النهضة فى طلب الخارجين عليه لا يخلد إلى راحة ،

(١) أصهب : من الصهبة وهى لون حمرة فى شعر الرأس (القاموس المحيط)

ولا يسكن إلى دعة ، ولا يكل أموره إلى غيره ، ولاينفرد فى إبرامها برأيه . وكان يُشَبَّه بأبى جعفر المنصور فى حزمه وشِدَّته وضَبْطه لملكه [١] ، وبنى الرصافة بقرطبة تشبها بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام ، وقال [٢] . : وكان عبد الرحمن من ذوى الآداب ، وله شِعر حسن ، فمن شعرِه ماقاله بالأندلس يتشوق معاهده بالشام :

أيُّهـا الراكبُ المُيَمِّمُ أرضى ... أقْرِ من بعضِى السَّلام لِبَعْضِى
/ إنَّ جِسمى كما علِمْتَ بأرض ... وفؤادى كما عملتَ بأرضِ ١٨٠-ب
قُدِّر البيْن بيْنَنَا فَافْترَقْنَـا ... وطوى البين عن جُفونِىَ غُمْضى
قدْ قضَى الله بالفراق علينـا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضى

ومن شعره ما قاله لما عمَّر الرصافة بقرطبة ، وقد رأى فيها نخلة منفردة ، فقال :

تَبدَّتْ لنا بينَ الرُّصافة نَخْلَةٌ
تَنَاءتْ بأرض الغَرْبِ عن بلَدِ النَّخْل
فقلت شبيهى فى التَّغَرُّب مثلها ... وطولُ اكتئابى عن بَنِيَّ وعن أهلى
نشَـأتِ بأرضٍ أنتِ فيه غريبةٌ ... فَمِثلكِ فى الإقصاء والمنتأى مثلى
سقَتْكِ غوادِى المُزْن من صوْبها الذى
يَسِحُّ ويستمرى السِّماكَيْن بالوبل [٣]

(١) راجع نفح الطيب ١ : من ٣١٠ إلى ٣١٣
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ٨٤
(٣) رويت الأبيات فى الكامل ٥ : ٨٤ باختلاف يسير .

وله غير ذلك من الشعر . وسار أحسنَ سيرة وكان نقش خاتمه « بالله يثق عبد الرحمن ويعتصمُ » . وكان له من الأولاد الذكور أحد عشر ولدًا وهم أيوب الشامي ولد بالشام ، وسليمان وهشام ولى عهده وهو الوالى بعده وُلد بالأندلس ، وعبد الله ولد ببلنسية وعرف بالبلنسى ومسلمة المعروف بكليب وأمية ، ويحيى ، والمنذر ، وسعيد الخير ، ومحمد ، والمغيرة ، ومعاوية ، وتسع بنات .

حاجبه : تمام بن علقمة وغيره .

كتّابه : أبو عثمان ، وعبد الله بن خالد ، وغيرهما

١٨١ ـ ا قضاته : يحيى بن يزيد التجيبى ومعاوية بن يوسف/ الحضرمى ، وعمر بن شراحيل ، وعبد الرحمن ابن طريف اليحصبى .

ذكر امارة هشام

هو أبو الوليد هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وأمه أم ولد واسمها حوراء [1] وهو الثانى من ملوك بنى أمية بالأندلس . بويع له فى غُرَّة جُمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة عند وفاة أبيه . وقيل فى يوم الثلاثاء لِبِستٍّ بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة والله أعلم . وكان بمارِدة متوليا عليها — كما ذكرنا — وكان أبوه قد عهد إليه قبل وفاته ، وقدّمه على سليمان وهو أكبر منه لأنه كان يَتوَسَّم فيه النَّهامة ، فلذلك عهد إليه فبايع له أخوه عبد الله وكتب إليه بنعى أبيه ويعزيه به ويعرفه أنه بايع الناسَ له فلما وصل إليه

(١) فى نفح الطيب ١ : ٣١٣ « اسمها حلل » وفى ك ١٠٦ « حوار »

الكتابُ سار من ساعته إلى قرطبة فدخلها فى ستة أيام ، واستولى على المُلْك ، وخرج عبد الله إلى داره مُظْهِرا الطاعةَ وفى نفسه خلاف ذلك !

ذكر خروج سليمان وعبد الله
ابنى عبد الرحمن على أخيهما هشام

/ وفى سنة ثلاث وسبعين ومائة خرَجَا على أخيهما ، وكان عبد الله عند ١٨١-ب
أخيه هشـام وهو يؤثره ويبرُّه ويقدمه ، فلم يُرْضِه ذلك ولا قنع إلا بمشاركته فى الأمر ، ثم خاف فهَرَب إلى أخيه سليمان وهو بطليطلة . فأرسل هشام فى أثره جماعةً ليردُّوه ، فلم يدركوه ، فجمع هشام عساكره وسار إلى طليطلة فحصر أخويه بها .

وكان سليمان قد حَشد وجمع جمْعًا كبيرا فلما حصرها هشام سار سليمان من طليطلة وترك ابنه وأخاه عبد الله يحفظان البلاد ، وسار هو إلى قرطبة ليملكها ، فعلم هشام به فلم يفارق الحصار .

وسار سليمان فوصل إلى شقُنْدَة [1] فدخلها ، وخرج إليه أهل قرطبة مقاتلين له ، ودافعوه عن المدينة . وبعث هشام فى أثر سليمان عبدَ الملك فى قطعة من الجيش ، فلما قاربه هرَب سليمان وقصد مدينة مارِدة ، فحَاربَه واليها ، فانهزم سليمانُ . وبقىَ هشام على طليطلة شهرين وأياما محاصرًا لها ، ثم عاد منها وقد قطع أشجارها ، وسار إلى قرطبة ، وأتاه أخوه عبد الله بغير أمان فأكرمه وأحسن إليه .

ثم سيَّر هشام ابنَه معاويةَ فى جيش كثيف فى سنة أربع وسبعين

---

(١) Xecunda بلدة رومانية كانت واقعة تجاه قرطبة على الشاطىء الأيسر لوادى الكبير ، ومنها إسماعيل الشقندى الأديب الأندلسى الكبير ، وفى صفة جزيرة الأندلس قرية بعلوة نهر قرطبة (صفحة ١٠٤)

إلى تُدمير وبها سليمان فحاربه ، وخرّب أعمالَ تُدمير ، فهرب سليمان منها ، فلجأ إلى البربر بناحية بَلَنسية ، فاعتصم بتلك الناحية الوعرة/ المسلك . وعاد معاويةُ إلى قرطبة ، ثم استقرّت الحال بين هشام ١٨٢ ـ ا
وسليمانَ أن يأخذ سليمانُ أهله وأولاده وأمواله ويفارق الأندلس ، وأعطاه هشام ستين ألفَ دينارٍ مصالحةً عن ميراث أبيه عبد الرحمن وسار إلى بلد البربر فأقام به .

ذكر خروج جماعة أخر على الأمير هشام

وفى سنة اثنتين وسبعين خرج عليه أيضا سعيد بن الحسين ابن يحيى الأنصارى بشاغنت ـ من أقاليم طُرطُوشة [1] فى شرق الأندلس ـ وكان قد التجأ إليها حين قُتِل أبوه ، ودعا إلى اليمانية وتعصّب لهم ، فاجتمع له خَلْقٌ كثير ، فملك مدينة طُرطوشة فأخرج عاملَها يوسف القَيْسىَّ . فعارضه موسى بن فرتون وقام بدعوة هشام ، ووافقته مُضَر ، فاقتتلا فانهزم سعيد وقُتل ، وسار موسى إلى سرقسطة فملكها فخرج عليه مولى الحسين بن يحيى واسمه جحدر فى جمع كثير فقاتله فقُتِل موسى .

وخرج أيضا مطروح بنُ سليمانَ بنِ يقظانَ بمدينة برشلونة ، وخرج معه جمع كثير ، فملك مدينة سرقسطة ومدينة وشْقَة [2] وتغلب على تلك الناحية وقَوِى أمرُهُ ، وكان هشام إذ ذاك فى حربِ /١٨٣ ـ ب

(١) Tortosa فى المغرب ٢ : ٤٢٣ مملكة فى شرق بلنسية : ثم ذكر بعد مايدل على أنها ثغر .

(٢) Huesca فى ا ، ك ، ف « أشقة » وما هنا الرسم الدائر فى المظان وجاء فى المغرب ٢ : ٤٦٠ أنها من مشاهير مدن الثغر ، وهى فوق سرقسطة وتحت جبال البرت .

أخويْهِ سليمانَ وعبدِ الله ، فلما خَلَا وجهُه من أمْرِ أخوَيْه انتدب لمطروحٍ جيشا كثيفا وجعل عليهم أبا عثمانَ عبيد الله بن عثمان . فسار إليه وهو بسرقسطة فحصروه بها فلم يظفروا به ، فرجع عنه أبو عثمان ونزل بحصن طرسونة[1] بالقرب من سرقسطة ورتّب سراياه يغيرون على أهل سرقسطة ويمنعون عنهم الميرة . ثم خرج مطروح إلى الصيد فى بعض الأيام ، فلما كان آخر النهار أرسل البازى على طائر فاقتنصه فنزل مطروح ليذبحه بيده ومعه صاحبان له قد انفرد بهما عن أصحابه فقتلاه وأتيا برأسه إلى أبى عثمان ، فسار إلى سرقسطة فكاتبه أهلها فقبل منهم وأرسل الرأس إلى هشام .

قال[2] : وأخذ أبو عثمانَ الجيشَ وسار بهم إلى بلاد الفرنج فأوقع بهم وظفر وقتل منهم خلقا كثيرا ، وبعث هشام يوسف ابن بخت فى جيش إلى جليقية فَلَقِيَ ملكهم ، فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الجلالقة وقتل منهم خلق كثير .

وفيها أيضا سَجَنَ هشامٌ ابنَه عبدَ الملك لشىء بلَغَه عنه ، فَبَقِيَ فى السجن مدةَ حياةِ أبيه وبعض ولاية أخيه إلى أن تُوفِّيَ سنة ثمان وتسعين ومائة

/وفى سنة ست وسبعين ومائة غزا عبد الملك بن عبد الواحد بلاد ١٨٣ـ١
الفَرَنْجِ فغنم وظفر .

(١) مدينة بينها وبين تطيلة أربعة فراسخ ، وفى النجوم الزاهرة ٢ : ٧٧ « طرطوشة ».
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ٨٩

وفيها استعمل هشام ابنَه الحكَم على طليطلة وسيّره إليها يضبطها ، وأقام بها ، ووُلِد له بها ابنُه عبد الرحمن .

ذكر غزو الفرنج

وفي سنة سبع وسبعين ومائةٍ أغزى هشام عبد الملك بن عبد الواحد ابن مغيث فى جيش ، فدخلوا بلاد الفَرَنج فبلغوا أربونة وجرندة [1] فبدأ بجرندة وبها حامية الفرنج فقتل رجالَها وهدم أسوارَها وأشرف على فتحها . ورحل عنها إلى أربونة ففعل مثل ذلك وأوْغل فى بلادهم ووطىء برطانية واستباح حريمها وقتل مُقاتِلتَها وجاس البلاد شهورا يُخرِّب الحصون ويحرق ويغنم . وجفل العدو بين يديه ، وأوغل فى بلادهم ورجع ومعه الغنائم وما لا يُحْصَى كثرة ، وهى أشهر مغازى المسلمين بالأندلس .

وفى سنة ثمان وسبعين ومائة بعث هشامٌ جيشا مع عبد الكريم ابن عبد الواحد بن مغيث إلى بلاد الفرنج فغزا ألبة والقلاع [2] فغنم وسلم . وسيَّر جيشا آخر مع أخيه عبد الملك بن عبد الواحد
١٨٣ ـ ب إلى بلاد الجلالقة فخرَّبَ دار ملكهم وكنائسَه وغنم ؛ فلما قفل المسلمون ضلَّ الدليل بهم فنالهم مشقة شديدة ومات منهم خلق كثير ، ونفقت دوابُّهم وتلفت آلاتهم ، وعاد من سلم منهم .

---

(١) Narbonna لا تدخل فى حيز الأندلس وإن تكن قريبة (راجع نفح الطيب ١ : ١٢٥) ويقول عنها ياقوت هى بلد فى طرف الثغر من أرض الأندلس ، بينها وبين قرطبة ألف ميل . وأما جرندة فترد فى بعض الكتب جريدة بتصحيف فهى Gerona

(٢) ذكر ياقوت ألبة بالياء وضم ضمرة وذكر أنها ناحية من نواحى إشبيلية ولكن رسمها الصحيح ما أثبتناه Alva et castella vetua

ثم بعثه فى سنة تسع وسبعين فى جيش كثيف فساروا حتى انتهوا إلى أَسْتُرْقة [١] وكان ملك الجلالقة قد جمع وحشد واستمد جيرانه من الملوك ، وصار فى جمع عظيم . فلما قدم عبد الملك رجع ملك الجلالقة هيبةً له ، وتبعهم عبد الملك يقفو أثرَهم ويخرب ، وهتك حريم ملك الجلالقة ! وبلغه أنه احتمى بواد فسار إليه وواقعه يوم الجمعة لليلتين بقيتا من جُمادى الآخرة فهزمه ، وقتل من قمامصتهم ورؤسائهم كثيرا ، ورجع سالما .

وكان هشامٌ قد سيَّر جيشا آخر من ناحية أُخرى ، فدخلوا البلاد أيضا على ميعاد من عبد الملك ، فأَخربوا ونهبوا وغنموا فلما أرادوا الخروج من بلاد العدو عارضهم عسكر الفرَنج ، فنال منهم ، وقتل من المسلمين ، ثم تخلصوا وعادوا [٢].

ذكر فتنة تاكرنا

وفى سنة ثمان وسبعين ومائة هاجمته فتنة تاكرنا [٣] بالأَندلس ، وخلع البربر الطاعة وأظهروا الفساد ، وأغاروا على البلاد وقطعوا الطريق ، فسيَّر هشامٌ إليهم جيشا كثيفا عليهم عبد القادر بن أَبان بن عبد الله مولى معاوية بن أبى سفيان ، فقصدوها وتابعو

(١) Astorga وقد رسمتها ا « أسرقه » وما ها هنا عن ك صفحة ١٠٨ وهى فى الشمال الغربى بجليقية .

(٢) راجع نفح الطيب ١ : ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٣) كذا فى وفى ك ١٠٨ وفى ف ١٠٤ – ب وما فى معجم البلدان ٥ : ٦ « تاكون» فلعلها هنا محرفة ، وقال عنها ياقوت كورة كبيرة بالأندلس ذات جبال حصينة يخرج منها عدة أنهار وفيها معقل رندة ويلاحظ أن لحميرى ضبط تاكرنى « تاكرنا » (صفة جزيرة الأندلس صفحة ٧٩) .

١٨٤ـا قتال مَنْ فيها ، / إلى أن أبادوهم قتلاً وسَبْيًا ، وفرَّ من بَقِيَ منهم فدخل فى سائر القبائل ، وبقيت كورة تاكرنا خالية سَبْع سنين !

ذكر وفاة هشام بن عبد الرحمن

وشىء من أخباره وسيرته

كانت وفاتُه فى ليلة الخميس لثلاثَ عشرةَ ليلةً خَلَتْ من صفر سنة ثمانين ومائة بقصر قرطبة وكان عمره تسعًا وثلاثين سنةً وأربعةَ أشهر ، ومدة ولايته (على القول الأول) سبع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما . وكان أبيضَ مشربا بحمرة أشهل ، بعينيه حول وكان عاقلا حازما ذا رأى وشجاعة وعدل ، محبا لأهل الخير والصلاح ، راغبا فى الجهاد . وكان يعود المرْضَى ويشهد الجنائز ، ومن محاسن أعماله أنه أخرج متصدقا يأخذ الصدقة على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وهو الذى تمَّمَ بناء جامع قرطبة وبنى عِدَّة مساجد ، وبلغ من عز الإسلام فى ولايته وذل الكفر أنَّ رجلا مات وأوْصَى بفَكِّ أسيرٍ من المسلمين من تركته ، فَطُلِب ذلك فلم يوجدْ فى دار الكفار أسيرٌ من المسلمين يُشْتَرى ويفَكُّ لضعف العدو ! وله مناقب كثيرة بالغ أهل
١٨٤ـب الأندلس فيها حتى قالوا / كان يُشبِّهُ بعمر بن عبدالعزيز ، وكان نقش خاتمه « بالله يثق هشام ويعتصم » .

وكان له من الأولاد الذكور عبد الملك الأكبر ، والحكم الوالى بعده ، ومعاوية ، والوليد ، وعبد العزيز ، وخمس بنات .

وزراؤه : أبو عثمان صاحب الأرض ، ويوسف بن بخت [1] وشهيد بن عيسى وغيرهم. حجابه : عبد الواحد بن مغيث إلى أن توفى ، ثم ولده عبد الملك وهو رجل الأندلس جمع الحجابة والوزارة والكتابة والتقدُّم على الجيوش مع حسن الأدب والعفاف والدين والتواضع والكرم والمروءة. كتابه : فطيس بن سلمة ، وخطّاب بن يزيد. قاضيه : المصعب بن عمران الهمذانى . أصحاب شرطته : الحسن ابن بسام ، ثم على بن خريم المزنى ، ثم سعيد بن عياض اليحصبى .

ذكر امارة الحكم بن هشام

الملقب بالمرتضى

هو أبو العاص الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمّه أم ولد اسمها زخرف ، وهو الثالث من ملوك بنى أمية بالأندلس . بويع له يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمانين ومائة ، وتولّى أخْذَ البيعةِ له عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، ولما ولىَ الحكم ١٨٥
كان أول ما بدأ به الغزو فى سبيل الله تعالى .

ذكر غزو الفرنج

فى هذه السنة أعنى – سنة ثمانين ومائة – بعث الحكم جيشا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى بلاد الفرنج ، فدخل البلاد وبثّ السرايا . وسيّر سرية ، فجازوا خليجا من البحر كان الماء قد جزر عنه وكان الكفار قد جعلوا أموالهم وأهلهم

(١) فى نفح الطيب ١ : ٣١٦ « ابن نجية »

وراء ذلك الخليج ظنا منهم أن أحدًا لايقدر أن يعبر إليهم . فجاءهم مالم يكن فى حسبانهم ، فغنم المسلمون جميعَ أموالِهم ، وأسروا الرجال وقتلوا منهم فأكثروا القتل ، وسبوا الحريم والذُّريَّة ، وعادوا سالمين .

وما أشبه هذه الواقعة بفتح طرابلس الشام ! فإنه لما فتحها السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحى — قدَّس اللهُ روحه — فى سنة ثمان وثمانين وستمائة جزَرَ البحرُ ساعة الفتح وانطرد عنها حتى دخل المسلمون بخيلهم إلى جزيرة النحله وهى بعيدة عن الميناء ، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى موضعه .

قال[1] : وعاد المسلمون إلى عبد الكريم وقد ملأُوا أيديهم من الغنائم . وسير طائفةً أخرى فخربوا كثيرا من بلاد فرنسية[2] وغنموا الأموال وأسروا الرجال فأخبرهم بعضُ الأسرى أن جماعةً من ملوك الفرنج قد سبقوا المسلمين إلى وادٍ وعْر المسلك على طريقهم وبلغ ذلك ١٨٥-ب عبد الكريم فجمع عساكره وسار على بغيته وَجدَّ السير ، فلم يشعر الكفارُ إلا وقد خالطهم المسلمون ووضعوا السيفَ فيهم فانهزموا ، وغنم المسلمون مامعهم وعادوا بالظفر والغنيمة والسلامة .

---

(١) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ١٠٢ .

(٢) فى النسخ الثلاث بلا نقط « فوسه » و« تنقطها » و« موسنه » و ك ١٠٩ و ف ١٠٥ — « قوسنة » فلعلها مرسيه Murcia وما هنا عن الكامل ٥ : ١٠٢ .

ذكر خلاف بهلول بن مرزوق وغيره

وفى سنة إحدى وثمانين ومائة خالف بهلول بن مرزوق المعروف بأبى الحجاج فى ناحية الثغر ، ودخل مدينة سرقسطة فملكها . وقدم على بهلول بها عبدُ الله بن عبد الرحمن عمُّ الحكم - وهو المعروف بالبلنسى - وكان متوجهًا إلى الفرنج ، ثم سار إلى مدينة طلبيرة [1] فنزل بها مع عمروس [2] بن يوسف . فسار إليهم بهلول وحاصرهم فتفرق العرب عنهم ، ودخل بهلول مدينة طلبيرة وسار عبد الله إلى مدينة بلنسية فأقام بها وذلك فى سنة أربع وثمانين .

وخالف عبيدة بن حمير بطليطلة ، فأمر الحكم القائد عمروس ابن يوسف وهو بمدينة طلبيرة أن يحارب أهل طليطلة ففعل ، وضيق عليهم ، وكاتب رجالا من أهلها يُعرفون بنى مخشى واستمالهم ، فوثبوا على عبيدةَ ، / فقتلوه وحملوا رأسه إلى عمروس فأنزلهم ١٨٦-١
عنده - وكان بينهم وبين البربر الذين بمدينة طلبيرة دخول - فتسوَّر البربر عليهم ، فقتلوهم ، وسير عمروس رؤوسهم مع رأس عبيدة إلى الحكم وأخبره الخبر

(١) فى كل النسخ « أسفه » ولا وجه لها إلا أن تكون « أسقفه » رستاق مشجر قصبة غافق كما يقول ياقوت وأما ما هنا فعن الكامل ٥ : ١٠٥ Talavera من أعمال طليطلة على نهر تاجه

(٢) فى كل النسخ « عمرويس »

ذكر مسير سليمان بن عبد الرحمن

لقتال ابن أخيه الحكم وقتل سليمان

وفى سنة اثنين وثمانين ومائة جاز سليمان بن عبد الرحمن إلى بلاد الأندلس من الشرق لحرب ابن أخيه الحكم ، فسار إليه الحكم فى جيوش كثيرة من أهل الشقاق ومَن يريد الفتنة ، والتقيا واقتتلا ، واشتدتِ الحرب فانهزم سليمانُ وأتبعه عسكر الحكم . وعادتِ الحربُ بيْنهما ثانيةً فى ذى الحجة ، فانهزم سليمانُ واعتصم بالأوعار والجبال ، فعاد الحكم ، ثم عاد سليمان فجمع بربرا وأقبل إلى جانب إستجة[1] . فسار إليه الحكم فالتقوا واقتتلوا فى سنة ثلاث وثمانين ، واشتد القتال فانهزم سليمان وقصد جهة ماردة [2] فتبعه طائفة من عسكر الحكم فأسروه ، وأحضروه إلى الحكم فقتله ، وبعث برأسه إلى قرطبة ، وكتب إلى أولاد سليمان وهم بثغرقسطة كتابَ أمانٍ واستدعاهم فحضروا عنده بقرطبة .

ذكر استيلاء الفرنج على برشلونة

وفي سنة خمس وثمانين ومائة ملَك الفَرنْجُ — لعنهم الله تعالى — مدينة برشلونة [3] بالأندلس ، وأخذوها من المسلمين ، ونقلوا

---

(١) Ecija كورة أندلسية متصلة بأعمال رية وهى واسعة الرساتيق على نهر سنجل وكانت قاعدة إقليم إشبيلية الغربى ، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ ، وقد فتحها طارق عام ٧١١ للميلاد .

(٢) فى ا « به مار » وفى الكامل ٥ : ١٠٨ « قرية » وما ها هنا عن ك صفحة ١١٠ .

(٣) Barcelona ويكتبها العرب أحيانا برشنونة ، ميناء على البحر المتوسط فى الشمال الشرقى وقال الحميرى إنها مدينة للروم بينها وبين طركونه خمسون ميلا (صفة الأندلس صفحة ٤٢)

حماة ثغورهم إليها ، وتأخر المسلمون إلى ورائهم وكان سبب ذلك اشتغال الحكم بمحاربة عمه [سليمان بن عبد الرحمن] (١) .

ذكر الاتفاق بين الحكم وبين عمه

عبد الله البلنسى

وفي سنة سِتٍّ وثمانين ومائة حصل الاتفاق بين الأمير الحكم بن هشام وبين عمِّه عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية ، وذلك أن عبد الله لما سمع بقتل أخيه سليمان عظم عليه وفُتَّ فى عضدِه ، وخاف على نفسه ، ولزم بلنسية ولم يتحرك لإثارة فتنة . وأرسل إلى الحكم يطلب المسالمةَ والدخول فى الطاعة ، وقيل بل الحكم راسله في ذلك وبذل له الأرزاق الواسعة له ولأولاده ، فأجاب إلى ذلك ، واستقر الصلح بينهما على يد يحيى بن يحيى صاحب الإمام مالك بن أنس . وزوَّج الحكم أخواته من أولاد عمه عبد الله ، وأكرم عمَّه وأجْرى له ولأولاده الأرزاق الواسعة والصلات السنية . وقيل كانت المراسلة / فى هذه السنة ، واستقر الصلح فى سنة سبع وثمانين . ١٨٧ ـ ا

ذكر استيلاء الفرنج على مدينة تطيله

وفى سنة سبع وثمانين ومائة ملك الفرنج ـ لعنهم الله ـ مدينة تُطَيْلَة (٢) . وسبب ذلك أن الحكم بن هشام استعمل على ثغور الأندلس قائدا كبيرا من قواده وهو عمروس بن يوسف . فاستعمل عمروس ابنه يوسف على تطيلة . وكان قد انهزم من الحكم

(١) زيادة من نسخة ك صفحة ١١٠ .

(٢) Tudela كورة ومدينة شرق قرطبة كثيرة الأنهار والأشجار ، وقال الحميرى إنها مدينة بالأندلس فى جوف وشقة وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة (صفة الأندلس صفحة ٦٤)

أهلُ بيت من بيوت الأندلس أولُو قُوَّةٍ وبأْسٍ ، وخرجوا عن طاعته ، والتحقوا بالمشركين فَقَوىَ أمرهم ، واشتدت شوْكتُهم ، وتقدموا إلى تُطيلة فحصروها وملكوها من المسلمين ، وأسروا أميرها يوسف بن عمروس وسجنوه وتقدموا بصخرة قيس . واستقر عمروس بمدينة سَرَقُسْطة ليحفظها من الكفار ،وجمع العساكر وسيرها مع ابن عمٍّ له ، فلقى المشركين فقاتلهم وفَضَّ جمْعَهم ، وقتل أكثرهم ، وسار إلى صخرة قيس بالجيش فحصرها وافتتحها وخلَّص يوسف منها .

ذكر ايقاع الحكم بأهل قرطبة

كان ذلك فى سنة سبعٍ وثمانين ومائة . وسببه أن الحكم فى صدْرِ ولايته كان / قد تظاهر بِشُرْب الخمر والانهماك على الملذات . وكانت قرطبة ١٨٧ـب دارَ علم وبها فضلاء أهل علم وورع ، منهم يحيى بن يحيى الليثى راوى موطأ مالك بن أنس وغيره . فثار أهل قرطبة وأنكروا فعل الحكم ورموه بالحجارة وأرادوا قَتْلَه ، فامتنع منهم ثم سكن الحال واجتمع بعد ذلك بأيامٍ وجوهُ أهلِ قرطبةَ وفقهاؤها وحضروا عند محمد بن القاسم القرشى المروانى ـ عم هشام بن حمزة ـ وأخذوا له البيعةَ على أهل البلد وعرّفوه أن الناس قد ارتضوه كافَّةً . فاستظهرهم ليلةً ليرى رأْيَه ، ويستخيرَ الله تعالى فانصرفوا ، وحضر هو عند الحكم وأعلمه الحالَ وأنه على بيْعته له لم يتغير ،فطلب الحكمُ تصحيح ذلك عنده وسيَّر مع محمد ابن القاسم بعض ثقاتِه فأجلسه محمد فى قبة فى دارِهِ وأخفى أمره . وحضر عنده القوم يستعلمون منه هل يتقلد أمرهم أم لا .

فأراهم المخافة على نفسِه وعظَّم عليهم الخَطْبَ وسألهم تعدادَ أسمائهم ومن معهم ، فذكروا له جميع مَنْ معهم من أعيان البلد وصاحبُ الحكم يكتب أسماءهم ، فقال لهم محمد بن القاسم : يكون هذا الأمر يومَ الجمعة إن شاء الله تعالى فى المسجد الجامع ! فانصرفوا ومشى إلى الحكم مع صاحِبِه فأعلماه جلية الحال . وكان ذلك يومَ الخميس . فما جاء الليل حتى حَبَسَ الجماعة عن آخرهم ، ثم أمر بهم بعد أيام فَصُلِبُوا عند قصرِه / وكانوا اثنين وسبعين رجلا ، وكان يوما شنيعا ثم كانت وقعة الرَّبض بعد ذلك على مانذكره إن شاء الله تعالى . ١٨٨ – ا

ذكر ايقاع الحكم بأهل طليطلة

وهى وقعة الحُفرة

قال (١) : وفى سنة إحدى وتسعين ومائة أوقع الحكم بأهل طليطلة ، فقتل منهم مايزيد على خمْسةِ آلافِ رجل من أعيان أهلِها . وكان سبب ذلك أن أهل طليطلة كانوا قد طمعوا فى الأُمراء وخلعوهم مرَّة بعد أُخرى ، وقويتْ نفوسُهم ؛ لِحصانة بلدِهم وكثرة أموالهم ، فلم يكونوا يطيعون أُمراءهم طاعةً مُرْضِيةً . فلما أعيا الحكمَ شأنُهم أعمل الفكرةَ . فاستعان بعمروس بن يوسف المعروف بالمولد ، وكان قد ظهر فى هذا الوقت بالثَّغْر الأعلى ، وأظهر طاعةَ الحكم ودعا إليه فاطمأن إليه لهذا السبب . واستقدمه فقدِم عليه ، فبالغ الحكم فى إكرامه وأطْلَعه على عزْمه فى أهل طليطلة فوافقه عليه .

(١) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ١٢٤

وكتب إلى أهلها يقول « إنى قد اخترت لكم فلانا وهو منكم لتطمئنَّ قلوبُكم إليه وأعْفيْتُكم مِمَّن تكرهون من عُمَّالِنا ومواليِنا ، ولتعرفوا جميل رأينا فيكم » ومضى عمروس ودخل طليطلة فأنس أهلها به واطمأنوا إليه وأحسن / عشرتهم . ١٨٨-ب

وكان أول ما احتال به عليهم أن أظهر موافقتهم على بُغْضِ بنى أمية وخلْع طاعتِهم ، فمالوا إليه ووثقوا به ورضوا بِفِعله ثم قال لهم : إن سبَبَ الشرِّ بينكم وبين أصحاب الأُمراء اختلاطُهم بكم ، وقد رأيت أن أبنى بناءً أعتزل فيه أنا وأصحابُ السلطان رفقا بكم ! فأجابوه إلى ذلك ، فبنى فى وسط البلد ما أراد .

فلما مضى لذلك مدة كتب الحَكَمُ إلى عامل له على الثغر الأعلى سِرًّا يأمره أن يرسل إليه يستغيثُ من جيوش الكفرَة ، وطلب النجدة والعساكر ، ففعل ذلك ، فحشد الحكم الجيوشَ واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن ، وجهَّز معه القوادَ والوزراءَ ، فسار الجيش حتى اجتاز مدينة طليطلة فلم يتعرض عبدُ الرحمن لدخوله إليها . وأتاه وهو عندها خبرُ العامل على الثغر الأعلى يقول « إن عساكر الكفرة قد تفرَّقتِ وكفى الله شرَّها » فوقف العسكر وعزم عبد الرحمن على الْعَوْد إلى قرطبة فقال عمروس عند ذلك لأهل طليطلة : قد ترَوْن نزول ولد الحكم إلى جانبى ، وأنه يلزمنى الخروج إليه وقضاء حقِّه ، فإن نشطتم إلى ذلك وإلا سرتُ إليه وحدى ! فقالوا : بل نكون معك .

فخرج ومعه وجوه أهل طليطلة فأكرمهم عبدُالرحمن وأحسن إليهم ، وكان الحكم قد أرسل مع ولده خادما له ومعه كتاب لطيف

إلى عمروس فَلَقِيه الخادم وصافحه وسلَّم الكتابَ إليه من غير أن
/ يحادِثه . فلما قرأ عمروسُ الكتاب رأى فيه كيف تكون الحيلة على ١٨٩-١
أهل طليطلة ، فأشار إلى عيون أهلِها أن يسألوا عبد الرحمن الدُّخولَ
إليه ليرى هو وأهـلُ عسكرِه كثرتَهم وقوتَهم ومنعَتهم فظنوا أنه
ينصحهم ، ففعلوا ذلك . وأدخلوا عبدَ الرحمن البلد ، فنزل مع
عمروس فى دارِه ، وأتاه أهل طليطلة أرسالا يسلمون عليه ، وأشاع
عمروس أن عبد الرحمن يريد أن يَتَّخِذ لهم وليمةً عظيمةً . وشرع
فى الاستعداد لذلك وواعدهم يومًا ذكره لهم ، و قرر أنهم يدخلون من
بابٍ ويخرجون من آخر ليقلَّ الزحام ففعلوا ذلك ! وأتى الناسُ أفواجا
عند الميعاد ، فكان إذا دخل فوج أُخِذوا وحُمِلوا إلى جماعةٍ من الجنْدِ
على حُفْرة كبيرةٍ فى القصر فتضرب رقابُهم . فلما تعالى النهار أتى
بعضُهم فلم يَرَ أحدًا فقال : أين الناس ؟ فقيل له : إنهم يدخلون من
هذا الباب ويخرجون من الآخر ! فقال : لم ألْق منهم أحدًا ! وعَلِم
الحال فعاد وصاح بالناس وأعْلَمَهُم هلاك أصحابِهِ ، فكان سبب
نجاة من بَقِيَ منهم ، ودانوا وحسنت طاعتُهم بقية أيام الحكم وأيام
ولدِه عبد الرحمن ثم كان منهم بعد ذلك ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عصيان أهل ماردة على الحكم

وما فعله بأهل قرطبة

/ وفى سنة إحدى وتسعين عَصى أصبغ بن عبد الله عَلَى الحكم ١٨٩-ب
ووافقه أهل ماردة وأخرجوا عامله عنها ، فاتَّصل الخبرُ بالحكم ،
فسار إليها وحصَرَها . فبينما هو فى ذلك أتاه الخبرُ عن أهل قرطبة

أنهم أعلنوا العِصْيَان له ، فرجع إلى قرطبة مبادرا ، فوصلها فى ثلاثةِ أيام وكشفَ عن الذين أثاروا الفتنة فصلبهم منكّسين ، وضرَب أعناق جماعةٍ . فارتدع الباقون بذلك واشْتدَت كراهتهم للحكم ، ولم يزل أهلُ ماردة تارةً يطيعون وتارةً يعصون إلى سنة اثنتين وتسعين ، فضعُفَ أمرُ أصبغ بن عبد الله لأن الحكم تابع إرسال الجيوش واستمال جماعةً من أهل ماردة وثقات أصحابه فمالوا إلى الحكم وفارقوا أصبغ حتى أخوه ، فضعفت نفسُه فطلب الأمان فأمّنه الحكم ، ففارق ماردة ، وحضر إلى الحكم وأقام بقرطبة .

ذكر غزو الفرنج

وفى هذه السنة تجهز لُذَريق [1] ملك الفرنج وجَمع جموعه ليسير إلى مدينة طرطوشة [2] ليحصُرَها ، فبلغ ذلك الحكم فجمع العساكر وسيَّرها مع ولده عبد الرحمن ، فاجتمعوا فى جيشٍ عظيمٍ وتبعهم كثير من المتطوعة ، فساروا حتى لقوا الفرنج فى أطراف بلادِهِم قبل أن ينالوا من بلادِ الإسلام شيئا ، فاقتتلوا وبذلَ ١٩٠ـ١ كلٌّ من الطائفتين جهده واستنفد وُسْعه فأنزل الله تعالى نَصْره على المسلمين ، وهزم الكفار وكثُر القتلُ فيهم والإسار ، وانْتُهِيتْ أموالهم ، ورجع المسلمون بالظفر .

(١) Roderic

(٢) فى الكامل وجميع النسخ ، ٤ : ٥٠ ، ف ١٠٧ – ب « طرطوشة » وفى نفح الطيب ١ : ٣١٨ طرسونة ، أما طرطوشة فهى مدينة تصل بكورة بلنسية وهى شرقيها قريبة من البحر ، وأما طرسونة فهى من أعمال تطيلة وبينها وبين هذه أربعة فراسخ .

ذكر عصيان حزم على الحكم

وفى هذه السنة خالف حزم بن وهب بناحية باجة ووافقه غيره ، وقصدوا لشبونة [١] . فلما بلغ الحكم الخبر ، سار إليه الحكم فى جمع كبير ، فنازله وقطع الأشجار وضيّق عليهم حتى أذعنوا إلى طلب الأمان ، فأمّنه وأخذ رهائنه على المصالحة والطاعة ، وعاد عنه الحكم إلى قرطبة .

ذكر عودة أهل ماردة الى العصيان

وغزو الحكم بلاد الفرنج

قال[٢] : ثم عاد أهل ماردة إلى العصيان والخلاف على الحكم فى سنة أربع وتسعين ، فسار الحكم بنفسه إليهم وقابلهم . ولم تزل سراياه وجيوشه تتردد وتقاتِلُهم إلى سنة ستٍّ وتسعين ومائة ، فطمع الفرَنج فى ثغور المسلمين وقصدوها بالغارات والقتل والنَّهْب والسَّبْى . وقد شغل الحكم بأهل ماردة عنهم حتى أتاه الخبر بشدّة الأمر على أهل الثغور وما نال العدُّو منهم ، وسمع أن امرأة مسلمة أُخِذَتْ أسيرة فقالت : واغوثاه ياحكم فعظُم عليه الأمرُ وجمع العساكرَ واستعد وحشد ، وسار إلى بلاد الفرنج فى سنة ست وتسعين ومائة فأثخن[٣] فى بلادهم ، /١٩٠ـب

(١) Lisbon وينطقها العرب أشبونة أيضا ، وقد قال ابن حوقل عنها إنها على مصب نهر شنترين إلى البحر ، ومن فم النهر إلى أشبونة إلى شنترة يومان ، وقال ياقوت إنها تتصل بشنترين قريبة من البحر وعلى ساحلها يوجد العنبر الفائق .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ١٤١

(٣) اثخن فيها : بالغ فى ضربه وأثخن فى عدوه أكثر الجرح فيه ، وأثخن خصمه أوهنه (القاموس المحيط)

وافتتح عدَّة حصون وخرَّب وقتل الرجال وسبى الحريم ونهب الأموال ، وقصد الناحية التى بها تلك المرأة فأسر لهم من الأسرى ما يفادون به أسراهم ، وبالغ فى الوصية فى تخليص تلك المرأة فخلصت من الأسر وقتل بقية الأسرى .

فلما فرغ من غزاته قال لأهل الثغور : أغاثكم الحكم ؟ قالوا : نعم ! وأثنوا عليه خيرًا ، وعاد إلى قرطبة مظفرا منصورا .

وفى سنة سبع وتسعين ومائة اشتد الغلاء بالأندلس وعمَّ البلادَ ، ومات كثير من الخلق ، وكان أكثر الناس يطوون للعدم[1] .

ذكر وقعة الربض بقرطبة

وفى سنة ثمانٍ وتسعين ومائة كانت وقعة الربض بقرطبة ، وسببها أن الحكم كان كثير التشاغل بالشُّرب واللهو والصيد وغير ذلك مما يُجانِسُه ، وقد قدَّمنا ماكان قد فعله بأهل قرطبة لما أرادوا خلْعه ومَنْ صلب منهم . فزادت كراهةُ أهلِها فيه ، وصاروا يتعرَّضون لِجُنْدِهِ بالأذى والسَّبِّ ، وبالغوا حتى إنهم كانوا ينادون عند انقضاء الأذان/ الصلاةَ يا مخمورُ الصلاةَ ! ١٩١ ـ ا وشافهوهُ بعضهم بالقول وصفقوا عليه بالأكف . فشرع فى تحصين قرطبة وعمارةِ أسوارها ، وحفْرِ خنادِقِها ، وارتبط الخيل على بابه ،

(١) يروى المقرى أنه كان يكثر فيها مواساة أهل الحاجات ، وفى ذلك يقول الجزيرى الشاعر :

نكد الزمان فآمنت أيامه ... من أن يكون بعصره عسر
ظلع الزمان بأزمة فجلا له ... تلك الكريهة جوده الغمر

(نفح الطيب ١ : ٣١٩)

واستكثر من المماليك ، ورتب جمْعًا لايفارقون باب قصرِه بالسلاح . فزاد ذلك فى حِقدِ أهلِ قرطبة ، وتحققوا أنه يفعل ذلك للانتقام منهم ، ثم وضع عليهم عُشْر الأطعمة فى كلِّ سنةٍ من غير حِرْصٍ فكرهوا ذلك .

ثم عمد إلى عشرة من رؤسائهم فقتلهم وصلبهم ، فهاج لذلك أهلُ الرَّبض ، وانضاف إلى ذلك أن مملوكا له سلَّم إلى صيْقل سيفا ليصقله له فمطله الصيقل ، فأخذ ذلك المملوك السيف ولم يزل يضرب به ذلك الصيقل إلى أن مات وذلك فى شهر رمضان من هذه السنة ، فكان أول من شهر السلاح أهل الرَّبض القبلى ، واجتمع أهلُ الأرباض جميعهم بالسلاح ، واجتمع الجندُ والأمويون والعبيد بالقصر . وفرق الحكم الخيل والسلاح ، وجعل أصحابه كتائب .

ووقع القتالُ بين الطائفتين ، فغلبهم أهل الربَض وأحاطوا بالقصر ، فنزل الحَكم من أعلى القصر ولبس سلاحَه وحرَّض الناس على القتال ، فقاتلوا قتالا شديدا . ثم أمر ابن عمِّه عبيد الله فثلم من السور ثلمة وخرج منها بقطعة من الجيش وأتى أهلَ الرَّبض من وراء ظهورهم فلم يشعروا به ، وأضرم النارَ فى الرَّبضَ . فانهزم أهله /وقتلوا قتلا ذريعا وأُسِر من وجد فى المنازل والدور فانْتَقَى ١٩١ـب
الحكمُ ثلاثمائة من وجوه الأسرى فَصَلَبَهم منكسين ، ودام النَّهْبُ القتل والحريقُ فى أرباض قرطبة ثلاثة أيام .

ثم استشار الحكم فيهم عبدَ الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، فأشار عليه بالصَّفْح عنهم والْعفْو ، وأشار غيره

بالقتل ، فقبل قولَ عبد الكريم . وأمر فَنُودِىَ بالأمان على أنه من بَقِىَ من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قُتِل وصُلِب ، فخرج من بقِىَ منهم بعد ذلك مستخفيا ، وتحمَّلُوا على الصَّعْب والذلول وخرجوا من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادِهم وما خفَّ من أموالهم . وقعد لهم الجند والسفلة بالمرصاد ، ينهبون أموالهم ، ومَن امتنع عليهم قتلوه ! .

فلما انقضتِ الأيامُ الثلاثةُ أمر الحكم بكَفِّ الأذى عن حرم الناس ، وجمعهن إلى مكان واحد ، وأمر بهدْم الرَّبَض القبلى . وكان بزيع مولى أمية بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية محبوسًا فى حبْس الدم وفى رجله قيدٌ ثقيل ، فلما رأى أهلَ قرطبةَ قد غلبوا الجُنْد سأل الحرس أن يُفرجوا عنه فأخذوا عليه العهدَ أن يعود فأطلقوه ، فخرج فقاتل قتالا شديدا لم يكن فى الجيش من قَاتَل مثله ، فلما انهزم أهلُ الربض عاد إلى السجن ، فانتَهَى خبرُه إلى الحكم فأطلقه وأحسن إليه . وقيل إن هذه الوقعة كانت فى سنة اثنتين ومائتين والله أعلم . / قال بعض المؤرخين : اجتمع فى الرَّبض أربعة آلاف فقيه وطالب ! ١٩٢_ا

وكان مِمَّن خرَج عليه يحيى بن يحيى الليثى ، فهرب ونزَلَ على حَىٍّ من البربر ، ثم أمَّنه الحكمُ بعد ذلك وحظى عنده . ومنهم الفقيه طالوت بن عبد الجبار ، ففرَّ واستتر عند رجل يهودىٍّ عاما كاملا . وكان بينه وبين أبى البسام صداقة ، فقصده فأخبر الحكم به ، وأحضره إليه فعنَّفه الحكمُ على خروجه عليه ،

ثم أمَّنه وصرفه إلى منزله وسأله أين استتر فأخبره باليهودى وبأبى البسام ، فاغتاظ على أبى البسام وعَزلهَ عن وزارته وكتب عهدًا أن لايخدمه أبدا . ومنهم عبد الملك بن حبيب ، وغيرهم [١] .

ذكر غزو الفرنج

وفى سنة مائتين جهَّزَ الحكمُ جيشًا مع عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الفرنج ، فسار حتى توسَّط بلادهم ، فخربها ونهبها وهدم عدةً من حصونهم ، واستنفد خزائن ملوكهم . فلما رأى ملكُهم ذلك كاتب جميع ملوك تلك النواحى ، واسْتَنْصر بهم فاجتمعت إليه أهلُ النصرانية من كلِّ مكان . وأقبل فى جموع عظيمةٍ ونزل بإزاء عسكر المسلمين وبينهم نهر ، فاقتتلوا عدَّة أيام والمسلمون يريدون عبور النهر إليهم وهم يمنعونهم من ذلك . فلما رأى المسلمون ذلك تأخروا عن النهر / فعبر المشـركون واقتتلوا أعظم قتال ، ١٩٢ـب
فانهزم الكفار إلى النهر وأخذهم السَّيْفُ والأسر ، فأُسِر جماعةٌ من ملوكهم وكنودهم وقماصستهم . وعاد الفَرَنْجُ لزموا جانبَ النهر يمنعون المسلمين من عبورِه فأقاموا ثلاثةَ عشرَ يوما يقتتلون فى كلِّ يوم ، فجاءت الأمطار وزاد النهر فتعذر جوازه ، فقفل عبد الكريم عنهم فى سابع ذى الحجة من السنة .

ذكر غزو البربر بناحية مورور

وفيها خرج خارجىٌّ من البربر من ناحية مورور [٢] ومعه جماعةٌ ،

(١) راجع نفح الطيب ١ : ٣١٨

(٢) كورة متصلة بأحواز قرمونة Carmone غربى شذونة ، وفى معجم ياقوت موزور ! والوقعة فى الكامل ٥ : ١٨٠

فوصل كتابُ العامِل بها إلى الحكم بخبره ، فأخفى الحكم أمْره واسْتدْعى من ساعته قائدًا من قواده فأخبره بذلك سرا وقال له : سِرْ من ساعتك إلى هذا الخارج وائتِنى برأسِه والا فرأسك عِوضه وأنا قاعدٌ فى مكانى هذا إلى أن تعود ! فسار القائد إلى الخارج ، فلما قاربه سأل عنه فأخبر أنه فى احتياط كثير واحتراز شديد ، فعجز عنه ثم تذكر قول الحكم فأعمل الحيلة حتى دخل عليه وقتله وأتى برأسه إلى الحكم ، فرآه بمكانه ذلك لم يتغيرْ ، وكانت غيبته أربعةَ أيام ، فأحسن إلى القائد وأكرمه ووصله وأعْلى محلَّه.

ذكر وفاة الحكم

١٩٣ ـ ا /كانت وفاته يومَ الخميس بعد الظهر لأربع بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين ، وكان عمره اثنتين وخمسين سنةً وقيل ثلاثاً وخمسين سنة وقيل أقل من ذلك إلى تسع وأربعين سنة ، ومدةُ إمارته ستا وعشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثةَ عشرَ يوما . وكان طويلا أسمر نحيفا ، وله شِعر جيِّدٌ ، وهو أول من جَنَّد الجنود المرتزقة بالأندلس وجمع الأسلحة والعُدَد واستكثر من الحَشَم والحواشى ، وارتبط الخيول على بابه ، واتَّخذ المماليكَ وجعلهم فى المرتزقة فبلغت عدتهم خمسةَ آلاف . وكانوا يسمون الخرس لِعُجْمةِ ألْسِنتِهم ، وكانوا نواباً على باب قصره[1] .

وكان يَطَّلع على الأمور بنفسه ماقرُب منها وما بَعُد ، وكان له نفر من ثقاة أصحابه يطالعونه بأحوال الناس ، فيردع الظالم ،

(١) انظر نفح الطيب ١ : ٣٢٠

وينصف المظلوم . وكان شجاعًا مِقْداما مُهَيْمِنًا وكان يُقرِّبُ الفقهاء وأهل العلم. وكان له من الأولاد أبو مطرف عبد الرحمن وثمانيةَ عشر ولدًا ذكرًا . كاتبه : الوزير أبو البسام .

ذكر امارة عبد الرحمن بن الحكم

هو أبو المطرف وقيل أبو المظفر عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أم ولد يقال لها حلاوة ، وهو الرابع من ملوك بنى أمية بالأندلس . بويع له بعد وفاة أبيه فى يوم الخميس لأربع بقين من ذى الحجة سَنة سِتٌّ ومائتين وذلك فى خلافة المأمون بن الرشيد العباسى . / ١٩٣-ب

قال (١) : ولما ولى خرَج عليه عمٌّ أبيه عبد الله البلنسى - من بلنسية - وطمِع فى المُلْك ، فوصل إلى تُدمير يريد قرطبة ، فتجهز له عبد الرحمن ، فلما بلغ ذلك عبد الله خاف وضَعُفَت نفسُه فرجع إلى بلنسية .

ذكر ايقاع عبد الرحمن

بأهل إلبيرة وجندها

كان ذلك فى سنة سبعٍ ومائتين وسبب ذلك أن الحكم كان قد بلغه عن عامل اسمُه ربيع أنه ظلم أبناء أهلِ الذمة فقبض عليه وصلبه ، فلما توفى الحكم وولى ولدهُ عبد الرحمن وسمع النَّاسُ بصلْب ربيع أقبلوا إلى قرطبة من النواحى يطلبون الأموال التى كان ظلمهم ربيعٌ فيها ظنًّا منهم أنها سَتُرَدُّ إليهم . وكان جُنْدُ إلبيرة

(١) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ٢٠٣

أشدَّهم وأكثرهم طلبا وأشدهم إلحاحا وتألبا ، فأرسل عبد الرحمن من يسكنهم ، فلم يقبلوا ودفعوا من أتاهم ، فخرج إليهم جمْعٌ من الجند من أصحاب عبد الرحمن فقاتلوهم فانهزم جند البيرة ومن معهم وقتلوا قتلا ذريعا ، ونجا من بقى منهم ، وأدْرَكَهم الطلبُ فقَتَلَ كثيرًا منهم .

وفيها ثارت بمدينة تُدمير فتنةٌ بين المضريَّة واليمانية فاقتتلوا بلورْقَة[1] فكان بينهم وقعة تعرف بيوم المصابرة قتل بينهم ثلاثة آلاف رجل ، ودامت الحربُ بين الفريقين سبع سنين ، ووكَل عبدُ الرحمن بكفِّهم ومنْعِهم يحيى بنَ عبد الله ابن خالد وسيَّره فى جمع من الجيش ، فكانوا إذا أحسوا بقرب يحيى افترقوا وتركوا القتال وإذا عاد عنهم رجعوا إلى الفتنة حتى أعياه أمرهم . ١٩٤ - ا

وفيها كان بالأندلس مجاعةٌ شيديدةٌ ذهب فيها خَلْقٌ كثير وبلغ المُد فى بعض المدن ثلاثين دنيارا .

وفى سنة ثمانٍ ومائتين جهز عبدُ الرحمن جيشا إلى بلاد المشركين ، واستعمل عليهم عبدَ الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، فساروا إلى بلاد ألية والقلاع فنهبوا بلاد ألَبَة وخربوها وأحرقوها ، وفتحوا حصونًا وصالحهم أهل حصون أخر على مالٍ وإطلاق أسرى المسلمين ، وذلك فى جُمادى الآخرة .

---

(١) Lorca فى الطريق من غرناطة إلى مرسية ، مدينة حصينة ، ومنعة قلمّا تضرب بها الأمثال (المغرب ٢ : ٢٧٥)

وفيها توفى عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالبلنسى .

وفي سنة عشر ومائتين سيَّر عبدُ الرحمن سَرِيَّةً كبيرةً إلى بلاد الفرنج واستعمل عليهم عبيد الله بن عبد الله البلنسى : فسار ودخل بلادهم وتردَّد فيها بالغارات والسَّبْى والقتل والأَسْر ولقى جيوشَ الأعداء فهزمهم وأكثر القتل فيهم ، وكان فتحا عظيما .

وفيها افتتح عسكر سيَّره عبد الرحمن أيضا حِصْنَ القلعة من أرض العدو فى شهر رمضان المبارك .

وفيها أمر ببناء المسجد الجامع بجيان .

وفيها أخـذ عبد الرحمن مقدم اليمانية بتُدمير / وهو رجاء بن ١٩٤-ب
الشماخ لتسكن الفتنةُ بين اليمانية والمضرية فلم تسكن ودامت ، فأمر العاملَ بتُدمير أن ينتقل منهـا ويجعل مرسية [1] قاعدة تلك البلاد .

وفى سنة اثنتى عشرة ومائتين سيَّر عبدُ الرحمن جيشا إلى برشلونة من بلاد العدو فأقام الجيش شهرين يحرقون وينهبون.

وفيها كانت سيول عظيمة وأمطار متتابعة ، فخربت أكثر أسوار مدن الأندلس وخربت قنطرة سرقسطة ، ثم جددت عمارتها

وفى سنة ثلاثَ عشرة ومائتين قتل أهلُ ماردة عاملهم فثارت

(١) Murcia من أعمال تدمير وقاعدتها بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم وهى ذات أشجار كثيرة وحدائق ، تبعد عن قرطبة إلى الشرق منها والمسافة بينها وبين البحر المتوسط ليست بعيدة وكانت تقع فى جنوبى مملكة أراجون . (صفة الأندلس صفحة ١٨١) .

الفتنة عندهم فسيَّر إليهم عبدُ الرحمن جيشًا فحَصَرهم وأفسد زرْعَهم وأشجارَهم فعادوا لطاعةوأعطَوْا رهائنهم ، وعاد الجيشُ عنهم بعد أن خربوا سورَ المدينة ، ثم أرسل إليهم منْ ينقل أحجارَ السورِ إلى النهر لئلا يطمع أهلها فى عمارته ، فلما رأوا ذلك عادوا إلى العصيان وأسروا العاملَ عليهم وبنَوْا السور وأتقنوه . فسار عبدُ الرحمن بجيوشه إليهم فى سنة أربع عشرة ومائتين ومعه رهائن أهلها فراسله أهلها وافتدَوْا رهائنهم بالعامل الذى أسروه وغيره وحصرهم وأفسد بلدَهم ثم رحل عنهم . ثم سَيَّر إلهم جيشًا فى سنة سبعَ عشرةَ فحصروهاوضيقوا على أهلها ، ودام الحصار ثم رحلوا عنهم . وسيَّر إليهم جيشا في سنة ثمانى عشرة ومائتين
١٩٥ — ا ففتحها وفارقها أهلُ الشر والفساد . وكان منأهلها / رجلٌ اسمُه محمود بن عبد الجبار المارِدى فى جماعةٍ من الجند ، فمضى بمن سَلِم من أصحابه إلى مُنْت سالوط فسيَّر إليه عبد الرحمن جيشًا فى سنةِ عشرين ومائتين فهرب بمن معه إلى جليقية فأرسل سرية فى طلبهم ، فقاتلهم محمود وهزمهم وغنم ما معهم ، وقتل عدةً منهم ثم مضى لِوَجْهِهِ فلقيهُ جَمعٌ من أصحابِ عبد الرحمن مصادفةً فقاتلوهم ، ثم كفَّ بعضُهم عن بعض وساروا فلقيته سريةٌ أخرى فانهزمت السريةُ وغنم محمود ما معهم ووصل إلى بلاد المشركين فاستولى على قلعة لهم فأقام بها خمسة أعوام وثلاثةَ أشهر فحصره أذفونس ملك الفرنج فَملك الحصن وقتلَ محمودًا ومن معه وذلك فى سنة خمس وعشرين فى شهر رجب .

وفى سنة أربعَ عشرة ومائتين سار عبد الرحمن إلى مدينة باجة [١] وكانت عاصية عليه فملكها عَنْوَةً .

وفيها خالف هاشم الضراب بمدينة طليطلة ، وكان هاشمٌ مِمن خرج من طليطلة لما أوقع الحكم بأهلها ، وسار إلى قرطبة ، فلما كان الآن سار إلى طليطلة فاجتمع إليه أهل الشر والفساد فسار إلى وادى جونيه [٢] وأغار على البربر وغيرهم فطار اسمُه واشْتدَّت شوكتُه وكثر جمعُه فأوقع بأهل شنتبريّه . وكان بينه وبين البربر وقعاتٌ كثيرة ، فسيّر إليه عبدُ الرحمن جيشا فقاتلوه فلم تستظهر إحدى الطائفتين على الأُخرى ، وغلب / هاشم على ١٩٥-ب عِدَّةِ مواضعَ وجاوز بركة العجوز وأبعدت غارةُ خَيْله . فسيّر إليه عبد الرحمن جيشا فى سنة سِتَّ عشرة ومائتين فلقيهم هاشم بالقرب من حصن سمسطا المجاور لرورية [٣] فدامت الحربُ بينهم عِدَّةَ أيَّام ثم انْهَزَمَ هاشم وقُتِل هو وكثيرٌ مِمَّن معه

ذكر محاصرة طليطلة وفتحها

وفى سنة تسعَ عشرةَ ومائتين جهز عبد الرحمن جيشًا مع ابنه أميةَ إلى مدينة طليطلة فحصرها - وكانوا قد خالفوا

(١) Beja من أقدم مدائن الأندلس بينها وبين قرطبة مائة فرسخ (صفة جزيرة الأندلس ٣٦) .

(٢) كذا فى ا ، وفى ك ١١٥ وفى ف ١١٠ - ا وليس له فيما بين أيدينا من المراجع ذكر ، ولعله محرف .

(٣) فى ا ، ك صفحة ١١٦ ، ف صفحة ١١١ - ب « حصن شميطا المجاور للورقة » وما ها هنا عن الكامل ٥ : ٢١٩ .

وخرجوا عن الطاعة – فاشتد فى حصارهم وقطع أشجارهم وأهلك زرعهم ، فلم يذعنوا إلى الطاعة فرحل عنهم وترك بقلعة رباح جيشا عليهم ميسرةُ المعروف بفَتَى أبى أيوب . فلما أبعد أُمية خرج جمع كثيرٌ من أهل مدينة طليطلة لعلّهم يجدون فرصةً وغفلةً فينالون منه ومن أصحابه غَرَضًا ، وكان قد بلغه الخبر فكمن فى عدة مواضع . فلما وصلوا إلى قلعة رباح خرج الكمين عليهم من جوانبهم ووضعوا السَّيْف فيهم فأكثروا القَتْل وعاد من سلم منهزما إلى طليطلة ، وجمعت رؤوس القتلى وحملت إلى ميسرة فلما رأى كَثْرَتَها عظم عليه وارتاع لذلك ، ووَجَد فى نفسه غمًّا شديدا ، فمات بعد أيام يسيرة !

١٩٦–ا ثم سيَّر عبد الرحمن جيشا فى سنة / عشرين ومائتين فقاتلوا ولم يظفروا منها بشىء . فلما كان فى سنة إحدى وعشرين ومائتين خرج جماعةٌ من أهلها إلى قلعة رباح وبها عسكرٌ لعبد الرحمن فاجتمعوا كلُّهم على حصار طليطة وضيَّقوا على أهلها واشْتَدُّوا فى حصارهم إلى سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، فسير عبد الرحمن أخاه الوليدَ بن الحكم فرأى أهلها وقد بلغ بهم الْجَهْدُ كلَّ مبلغ واشْتَدَّ عليهم طول الحصار وضعفوا عن القتال والدفع ، ففتحها عَنْوَةً يومَ السبت لثمان خلون من شهر رجب منها ، وأمر بتجديد القصرِ على باب الجسر الذى كان هُدِمَ أيامَ الحكم ، وأقام بها آخر شعبان سنة ثلاثٍ وعشرين حتى استقرَّتْ قواعدُ أهلِها .

وفى سنة ثلاثٍ وعشرين ومائتين سيَّر عبد الرحمن جيْشا

إلى أَلْبَة والقلاع فنازلوا حِصْن الفرات ، وقتلوا أهله ، وغنموا ما فيه وسبوا النساء والذُّرِّية وعادوا .

وفى سنة أربع وعشرين سيَّر جيشًا عليهم عبيد الله بن عبد الله البلنسى إلى بلاد العدو ، فوصلوا أَلْبة والقلاع فالْتَقَوْا هم والمشركون ، وكانت بينهم حروبٌ شديدة وقتالٌ عظيم انْهَزَمَ أهلُ الشرك ، وقتِل منهم مالا يُحْصَى كثرةً ، وجمعت الرؤوس حتى كان الفارس [لا يرى من يقاتله !

ثم سار عبدُ الرحمن فى سنة خمسٍ وعشرين فى جيش كثيفٍ إلى بلاد المشركين فدخـل بلاد جليقية وافتتح عِـدَّةَ حصونٍ منها ، وغنم وسَبى وقتل/ وخرَّب ثم عاد إلى قرطبةَ ولم تطلْ مَدَّةُ ١٩٦-ب هذه الغزاة .

وفى سنةِ أربعٍ وعشرين ومائتين سيَّر الأمير عبد الرحمن جيشًا إلى أرض العدو ، فلما كانوا بين أوشنة وشرطانية (١) تجمعتِ الرُّوم عليهم وأحاطوا بهم وقاتلوهم الليل كلَّه ، فلما أصبحوا أنزل الله نصْرَه على المسلمين وهزم عَدُوَّهم . وأبلى موسى بن موسى فى هذه الغزاة بلاء حسنا ، وكان على مقدمة العسكر وهو العامل على تطيلة ، وجرى بينه وبين جرير بن موفَّق - وهو من أكابر الدولة - أيضا شر فخرج موسى عن طاعته .

(١) كذا فى ا ، ف صفحة ١١٢ - ا ، وأما ما فى ك ١١٦ فهو « أوشنة وشرطات » وفى الكامل ٥ : ٢٦٨ « أربونه وشرطانية » فكأن الخلاف فى أوشنة ولعلها أشونه (انظر المغرب ١ : ٣١٧) .

ذكر الحرب بين موسى بن موسى
والحارث بن بزيع وما كان من أمره

قال (١) : ولما بلغ عبد الرحمن خروج موسى عن الطاعة سَيَّر إليه جيشا ، واستعمل عليهم الحارث بن بزيع فسار إليه والْتقوْا عند بَرْجَة (٢) واقتتلوا فَقُتِل أكثر أصحاب موسى ؛ وقتل ابن عم له ، وعاد الحارث إلى سرقسطة . فسيَّر موسى ابنه إلى بَرْجَة فعاد الحارث إليها فحصرها وملكها وقَتَل ابنَ موسى وتقدم إلى مدينة تطيلة فحصرها فصالحه موسى على أن يخرج عنها فانتقل موسى إلى أرنيط (٣) وبقى الحارث بتطيلة أياما ثم سار إلى موسى ليحاصرَه . فأرسل موسى إلى غرسية وهو من ملوك الأندلس (٤)

١٩٧ـ١ /واتَّفقا على الحرب واجتمعا وجعلا للحارث كمائن فى طريقه وأعدا له الخيل والرجل بموضع يقال له ثلمة على نهرٍ هناك ، فلما جاوز الحارث النهر خرج إليه الكمناء وأحدقوا به وكانت وقعة عظيمة وأصابه ضربةٌ فى جبهته قلعت عينيه ثم أُسِرَ ، وذلك فى سنة ثمانٍ وعشرين .

فلما بلغ خبره عبد الرحمن عظُم عليه وجهَّز جيشا عظيما وجعل

---

(١) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ٢٦٨

(٢) مدينة قرب النهر الأخضر الذى يصب فى البحر المتوسط وبين المرية وغرناطة فى وادى عذراء ، وفى المغرب ٢ : ٢٢٨ كان يتكرر عليها الولاة من المرية وغرناطة

(٣) فى ا « اربط » وفى ك صفحة ١١٧ « ارنط » وما أثبتناه من الكامل ، ولكنا نرى أن الصحيح « أبيط » فى جليقية .

(٤) Garcia كان صاحب بنبلونة Pamplona فى أقصى الشمال الغربى بجبال البرت بينها وبين سرقسطة مائة وسبعون ميلا (صفة الأندلس ٥٥)

عليه ابنه محمدًا وسيره لقتال موسى فى شهر رمضان سنة تسعٍ وعشرين ، فوصل إلى تطيلة وحصرها وضيق على أهلها ، وأهلك زرعها فصالحه موسى . وتقدم محمد إلى ينبلونة فأوقع عندها بجمْع كثير من المشركين وقُتِل غرسية فيمن قُتِل ، ثم عاد موسى إلى الخلاف على عبد الرحمن فجهز جيشًا كثيرا وسيَّرهم إلى موسى فطلب المسالمة فأُجيب إليها ، وأعطى ابنَه إسماعيلَ رهينةً وولاَّه عبد الرحمن مدينة تطيلةَ فسار موسى إليها وأخرج منها منْ يخافه واستقرَّ بها .

ذكر خروج المشركين الى بلاد الاسلام بالأندلس

قال [1] : فى سنة ثلاثين ومائتين خرج المجوس فى أقاصى بلاد الأندلس إلى بلاد المسلمين ، وكان أول ظهورهم فى ذى الحجة سنة/ تسعٍ وعشرين ومائتين وعند أشبونة فأقاموا بها ١٩٧-ب
ثلاثةَ عشر يوما كان بينهم وبين المسلمين فيها وقائعُ ، ثم ساروا إلى قادس [2] ثم إلى شذونة وكان بينهم وبين المسلمين وقعة عظيمة ، ثم قصدوا إشبيلية فى ثامن المحرم فنزلوا على اثنى عشر فرسخا منها ، فخرج إليهم المسلمون فهزمهم العدوُّ فى ثانى عشر المحرَّم وقُتِل كثير منهم ، ثم نزلوا على ميلين منها فخرج أهلُها إليهم وقاتلوهم فانهزموا فى رابع عشر المحرم وكثر القتلُ والأَسْرُ

(١) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ٢٧٢

(٢) Cadiz مدينة قرب شذونة ولكنها تقع مباشرة على المحيط الأطلنطى فى الجنوب الغربى من الأندلس ويقول الحميرى إنها جزيرة الأندلس عند طائفة من مدن إشبيلية (صفة الأندلس ١٤٥)

فيهم . ولم يرفع المجوسُ السَّيْف عن أحدٍ ولا عن دابَّةٍ ، ودخلوا حاضر إشبيلية وأقاموا بها يوما وليلةً وعادوا إلى مراكبهم ، فوافاهم عسكر عبد الرحمن فبادر إليهم المجوس فثبت المسلمون وقاتلوهم فقتل من المشركين سبعون رجلا وانهزموا ودخلوا مراكبهم ، واحجم المسلمون عنهم ، فسيَّر عبد الرحمن جيشا آخر فقاتلهم المجوس قتالا شديدا ورجعوا عنهم فتبعهم العسكر فى ثانى شهر ربيع الأول وقاتلوهم ، وأتاهم المدد من كل ناحية فنهضوا لقتال المجوس من كل جانب فانهزم المجوس وقتل نحو خمسمائةِ رجلٍ وأخذوا منهم أربعة مراكب فأخذوا ما فيها وأحرقوها .

ثم خرج المجوس إلى لَبْلَة[1] فأصابوا سبيا ونزلوا جزيرة بالقرب من قوويس فقسموا ما كان معهم مما غنموه ، فدخل المسلمون إليهم فى النهر فقتلوا رجلين ثم رَحَل/ المجوس فطرقوا شَذُونة فغنموا أطعِمَةً ١٩٨ـا
وسبيا وأقاموا يومين ، فوصلت مراكبُ عبد الرَّحمن إلى إشبيلية . فلما أحس بها المجوس لحقوا بلبلة فأغاروا وسبَوْا ثم لحقوا بأشبونة ثم مضوا إلى باجة ، ثم قفلوا إلى مدينة أشبونة ، ثم ساروا فانقطع خبرهم عن البلاد فسكن الناس .

وفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين سار جيش للمسلمين بقرطبة إلى بلاد المشركين وقصدوا جلِّيقية فغنموا وقتلوا وأسروا وسبَوا

(١) Nebla مدينة بين باجه وإشبيلية (انظر ما كتب عنها فى المغرب ١ : ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٥٥ ، ويقول الحميرى : إنها قاعدة من قواعد قشتاله (صفة جزيرة الأندلس ١٧٤) .

وواصلوا إلى مدينة ليون[١] فحصروها ونصبوا عليها المجانيق، فخاف أهلها وخرجوا هاربين وتركوها بما فيها، فغنم المسلمون منها ما أرادوا وأحرقوا الباقيَ، ولم يقدروا على هدْمِ سورِها لأن عَرْضَه سبعةَ عشرَ ذراعا، فَمضوْا وقد ثلموا فيه ثلمة كبيرة[٢].

وفى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين غدر موسى بن موسى، فسَيَّر إليه عبدُ الرحمن جيشا مع ابنِهِ محمدٍ.

وفيها كان بالأندلس مجاعةٌ شديدة، فهلك خلْقٌ كثير من الناس والدوابّ، ويبست الأشجار فاستسقى الناس فسُقوا وزال القحْطُ.

وفى سنة خمسٍ وثلاثين ومائتين سيَّر عبد الرحمن ابنه المنذر فى جيش كثيف إلى غزو الروم فبلغوا ألبة والقلاع.

وفيها كان سَيْلٌ عظيم بالأندلس فخرب /جسر إستجة والأرجاء ١٩٨-ب
وغرَّق نهرُ إشبيليةَ ستَّ عشرة قريةً، وخرَّب نهرُ باجة ثمانيَ عشرة قرية، وعَرُضَ حتى صار عَرْضُه ثلاثين ميلا وكان هذا حدثًا عظيما وقع فى جميع البلاد فى شهر واحد

وفى سنة سبْعٍ وثلاثين ومائتين سارت جيوشُ المسلمين إلى بلادِ العدُوِّ وكانت بينهم وقعةٌ عظيمة كان الظفر فيها للمسلمين وهى وقعة البيضاء.

---

(١) Leon مدينة من بلاد الجلالقة شمالى الأندلس.

(٢) انظر نفح الطيب ١ : ٣٢٤

ذكر وفاة عبد الرحمن

وشيء من أخباره

كانت وفاتُه فى ليلة الخميس لثلاثٍ خلون من شهر ربيع الأول سنةَ ثمانٍ وثلاثين ومائتين ، وقيل فى شهر ربيع الآخر منها . وكان مولده فى شعبان سنةَ ستٍّ وسبعين ومائة . فكان عمره اثنتين وستين سنة ومدة ولايته إحدى وثلاثين سنةً وشهرين وستةَ أيام . وكان أسمر طويلا أغرَّ أقنى عظيم الجبهة يخضب بالحناء . وكان له من صلبه من الأولاد الذكور والإناث سبعةٌ وثمانون ولدًا منهم خمسةٌ وأربعون ذَكَرًا . وكان عالما أديبا شاعرا ، يعرف علوم الفلاسفة . وفى أيامه دخل زِرْياب[1] المُغَنِّى إلى الأندلس فحضر يوما عندعبدالرحمن ١٩٩ - ا
وغنَّى وعبيد الله [بن] قزمان الشاعر حاضر فقال زرياب :

قالت ظلومُ سَمِيَّةُ الظُّلْمِ ... مالى رأيتك ناحِلَ الجِسْمِ
يامَنْ رأى قلبى فأقصده ... أنتَ العليم بموضع السَّهْمِ

فقال عبد الرحمن : البيت الثانى منقطع عن الأول غير متصل به ! فقال ابنُ قزمان بديهةً بعد البيت الأول :

فأجبتُها والدَّمْعُ منحـدِرٌ ... مثل الجُمان زها على النَّظْم

فكساه عبد الرحمن وحباه .

وهو أول من رتَّب اختلاف الفقهاء إلى قصره ، وأمرهم بالكلام بين يديْه . وكان عبدُ الرحمن بعيد الهمة ،اخترع قصورًا ومستنزهات

(١) هو على بن نافع مولى الخليفة المهدى وتلميذ إبراهيم الموصلى ويقال إنه هو الذى أورث صناعة الغناء بالأندلس .

كثيرةً ، وزاد فى الجامع بقرطبة رواقَيْن. وكانت أيامه أيام عافيه وسكونٍ ، وكثُرت الأموالُ عنده وأقام أُبَّهَة المملكة ورتَّب رسومها. وكان يُشَبَّهُ بالوليد بن عبد الملك فى أُبَّهَتِهِ . وهو أول من اجتلب الماء العذب إلى قرطبة وأدخله قصوره وجعل لفصل الماء مصنعًا كبيرا يَرِدُه النَّاسُ إذ خرج من قصوره رحمه الله تعالى .

ذكر امارة محمد بن عبد الرحمن

المنعوت بالأمين

/هو أبو عبد الله محمدبن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن ١٩٩-ب
عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن م وان ، وأمه أم ولد اسمها تهتز . وهو الخامس من أمراء بنى أمية بالأندلس ، قام بالأمر بعد أبيه فى يو م الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ وثلاثين ومائتين ، وقيل فى شهر ربيع الآخر منها ، وكانت ولايته فى خلافة المتوكل إلى بعض أيام المعتمد قال[1] : ولما ولى جَرَى فى العدل على سيرة أبيه ، وتمَّمَ زيادة بناء أبيه فى جامع قرطبة

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج

وفى سنة أربعين ومائتين كان بين المسلمين والفرنج حربٌ شديدةٌ ، وسببها أن أهل طليطلة كانوا على ماذكرناه من الخلاف على الملوك فلما وَلِىَ محمدٌ هذا سار بجيوشه إليها ، فراسل أهلُها ملك جليقية يستمدونه ،فأمدَّهم بالعساكر الكثيرة ، فبلغ محمد ذلك

(١) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ٢٩٢

وقد قارب طليطلة فعبّأ أصحابهَ وكمن الكمناء بناحية وادى سليط ، وتقدم إليهم فى قِلّةٍ من العسكر فطمع فيه أهل طليطلة والفرنجُ ، وأسرعوا إليه فلما نشبت الحرب خرجت الكمناء من كلّ جهة فقُتِل من المشركين ومن أهلِ طليطلة مالا يُحْصَى ، وجُمع من الرؤوس ثمانية آلافِ /رأس ، وذكر أهل طليطلة أن عِدّةَ القَتْلَى عشرون ألفا (١) ٢٠٠ - ا

قال (٢) : وفى سنةِ إحدى وأربعين ومائتين استكثر محمد الرجال بقلعة رباح ليُضيِّق على أهل طليطلة ، وسيّر الجيوشَ إلى غَزْوِ الفرنج مع موسى بن موسى ، فدخلوا بلادَهم ووصلوا إلى ألَبَة والقلاع ، فافتتحوا بعض حصونها وعادوا

وفى سنة ثلاثٍ وأربعين خرج أهل طليطلة واقتتلوا هم ومسعود ابن عبد الله العرّيف فانهزم أهل طليطلة وقُتِل أكثرُهم وحُمِل إلى قرطبة سبعمائةُ رأسٍ

ذكر خروج المجوس
إلى بلاد الإسلام بالأندلس

وفى سنة خمسٍ وأربعين ومائتين خرج المجوسُ فى المراكب إلى بلاد الأندلس ، فوصلوا إلى إشبيلية وحلّوا بالحاضر وأحرقوا الجامعَ ، ثم جازوا إلى العَلوة ، ثم عادوا إلى الأندلس فانهزم أهل تُدمير ، ودخلوا حصن أريوله (٣) ثم تقدموا إلى خليط أفرنجه

(١) نفح الطيب ١ : ٣٢٨ والكامل ٥ : ٢٩٤

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٥ : ٢٩٦

(٣) orihuela فى نواحى تدمير قرية من البحر المتوسط وفى موضع كما جاء فى=

فأغاروا وأصابوا من النَّهْبِ والسَّبْى كثيرا ،ثم انصرفوا فلقيهم مراكبُ الأميرِ محمدٍ فقاتلوهم وأحرقوا مركبيْن من مراكب المجوس ، وأخذوا مركبين وغنموا ما فيهما ، فَجَدَّ المجوسُ عند ذلك فى القتال واستشهد جماعةٌ من المسلمين ،/ومضت مراكب ٢٠٠-ب
المجوس حتى وصلوا إلى مدينة بنبلونة فأصابوا صاحبها غرسية الفرنجى ففَدَى نَفْسه بتسعين ألف دينارٍ .

وفى سنة سِتٍّ وأربعين ومائتين سار محمدٌ فى جيوشٍ عظيمةٍ إلى بلد بنبلونة فوطىء بلادَها ودوَّخها وخرَّب ونَهَبَ وقَتَل ، وافتتح حصونًا وأصاب فى بعضها فرتون بن غرسية فحبسه بقرطبة عشرين سنةً ثم أطلقه إلى بلده ، وأقام محمد بأرض بنبلونة اثنين وثلاثين يوما .

وفى سنة سبع وأربعين سار جيشُ المسلمين إلى بلد برشلونة وهى للفرنج فأوقعوا بأهلها ، فأرسل صاحبُها إلى ملك الفرنج يستمدُّه فأرسل إليه جيشا كثيفا ، وأرسل المسلمون يستمدون فأتاهم المَدَدُ فنازلوا برشلونة وقاتلوا قتالا شديدا ، فملكوا أرباضَها وبرجَيْن من أبراج المدينةِ ، وقُتِل من المشركين مالا يُحْصَى كثرةً وعاد المسلمون بالظفر والغنيمة .

وفى سنة تسع وأربعين ومائتين جَهَّزَ محمدٌ جيشا مع ابْنِه إلى

=المغرب ٢ : ٢٨٦ كأنه اقتطع بين جنبه الخلود ! ويقال إن لها قلعة شديدة الامتناع ، وقد وردت فى ا ، ف كافى الكامل ٥ : ٣٠٠ « أريواله » بتصحيف ، وأمافى ك ١١٩ فقد رسمت « أزبوالة » .

مدينة أَلَبَة والقلاع من بلد الفرنج فغنموا وافتتحوا حصونا منيعة .

وفى سنة إحدى وخمسين ومائتين سَيَّر محمدٌ جيشا إلى بلاد المشركين فى جُمادى الآخرة وقصدوا المِلاحة ، وكانت أموال لُذَريق بناحية أَلَبَة والقلاع . فلما عَمَّ المسلمون بلدهم بالخراب والنَّهْبِ
٢٠١ـ١ / جمع لذريق عسكره وسار إليهم فالْتَقَوْا بموضع يقال له فج المركون[1] ، به تعرف هذه الغزاه ، واقتتلوا فكانت الهزيمةُ على المشركين ثم اجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة فتبعهم المسلمون وحملوا عليهم واشتد القتال فانهزم الفرنج لا يلوون على شىء ، وتبعهم المسلمون يقتلون منهم ويأْسرون ، وكانت هذه الوقعة فى ثانى عشر شهر رجب ، وكان عدد ما أُخِذَ من رؤوس القتلى ألفين وأربعمائة رأس وتسعين رأسا ، وكان فتحا عظيما .

وفى سنة تسع وخمسين ومائتين سار محمد إلى طليطلة وحصرها ـ وكان أَهلُها قد خالفوا عليه ـ فطلبوا الأَمان فأَمَّنهم وأَخذ رهائنهم .

وفيها خرج أَهل طليطلة إلى حصن سكيان وفيه سبعمائةٌ من البربر وأَهلُ طليطلة فى عشرة آلاف ، فلما التحمت الحرب بينهم انهزم مطرّف بن عبد الرحمن بن حبيب وهو أَحد مقدّمى أَهل طليطلة

(١) كذا فى ا ، ف صفحة ١١٤ ـ ا ، ك صفحة ١١٩ وفى الكامل ٥ : ٣٧٠ « المركوبين »

فتبعة أهلها فى الهزيمة، وإنما انهزم لعداوة كانت بينه وبين مقدم آخر اسمه طريشة فأراد أن يوهنه بذلك فَقُتِلوا أعظمَ قتلٍ .

وفيها عاد عمروس بن عمر بن عمروس الأندلسى إلى طاعة الأمير محمد ، وكان مخالفا عليه عِدَّة سنين . فولّاه محمد مدينة أشقة (١) .

وفى سنة سِتٍّ وستين ومائتين أمرمحمد بإنشاء مراكب بنهر قرطبة وحملها إلى البحر وسيّرها إلى البحر المحيط ليسيرَ منه /٢٠١-ب إلى بلاد جليقية فلما دخلته تقطعت ، فلم يجتمع منها مركبان ، ولم يرجع منها إلا اليسير ! .

وفى سنة سبع وستين ومائتين خالف عمر بن حفصون عَلى الأمير محمد بن عبد الرحمن فخرج إليه جيشُ تلك الناحية وعامِلُها ، فقاتلوه فهزمهم . وقوىَ أمرُه وشاع ذكره ، وأتاه من يُريد الشَّرَّ والفساد ، فسَيَّرَ إليه محمد عاملاآخر فى جيشٍ فصالحه عمر ، وطلب العاملُ كلَّ مَنْ كان له مساعَدَةٌ لعمر ، فأهلكه ، ومنهم مَنْ أبعَدَه ، واستقامت تلك الناحية .

وفى سنة ثمان وستين سيَّر محمد جيشا إلى المخالفين مع ابنه المنذرِ فقصد مدينة سَرَقسْطة فأهلك زرْعَها وخرَّب بلدَها . وافتتح حِصْنَ رَوْطة ، وأخذ منه عبد الواحد الرَّوْطى - وهو من أشجع أهل زمانه - وتقدّم إلى دير تروجة وهتكها بالغارة ، وقصد مدينة

(١) فى الكامل ٥ : ٣٧٠ « أشقة » ولعلها وشقة التى مرت بنا قبل

لاردة وقرطاجنة وأخذ رهائنهم ، ثم قصد مدينة أَلَبة والقلاع فافتتح بهما حصونا ، وعاد بالظَّفَر والنَّصْرِ والسلامة .

ذكر وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن

كانت وفاته فى سلْخ صفر سنةَ ثلاث وسبعين ومائتين وقيل فى يوم الأحد غُرَّةَ شهر ربيع الأول منها ، وأنه خرج يوم الأحد/ إلى ٢٠٢ـ١
الرصافة متنزَّها ومعـه هشامُ بنُ عبد العزيز فقال له : يا سيدى ما أطيب الدنيا لولا الموت ! فقال له : يابن اللخناء وهل ملَّكنا هذا الذى نحن فيه إلا الموت ؟ ولو بقى مَنْ كان قبلنا فمن أين كان يصل إلينا ؟ ورجع من نزهته فحُمَّ ومات فى بقية يومه ، نقله ابن الرقيق فى تاريخ أفريقية وكان مولد محمد فى ذى القعدة سنةَ سبع ومائتين وعمره خمسًا وستين سنةً وثلاثةَ أشهر وأياما . وكانت ولايته أربعا وثلاثين سنةً وأحد عشر شهرًا .

وكان أبيضَ مشربا بحمرة ، ربع القامة أَوْقَص[1] ، يخضب بالحناء والكتَم[2] ووُلِد له مائةُ ولدٍ ذكورٌ ، مات عن ثلاثةٍ وثلاثين منهم . وكان ذكيا فطنا بالأُمور المستبهمة ، محبا للعلوم ، مؤثرا لأهل الحديث ، عارفًا حَسَن السيرةِ . قال ابن مخلد[3] الفقيه :

---

(١) أوقص : قصير العنق ، ويقال وقص عنقه أى كسرها (القاموس المحيط)

(٢) الكتَم : نبات يخلط بالحناء ويخضب به الشعر ،وإذا طبخ بالماء كان منه مداد للكتابة .

(٣) هو أبو عبد الرحمن الأندلسى بقى بن مخلد له مسند روى فيه عن ألف وستمائة صحابى (البداية والنهاية ١١ : ٥٦) .

ما كلمت أحدًا من الملوك أكمل عقلا ولا أبلغ من الأمير محمد بن عبد الرحمن ، رحمه الله تعالى . وكانت وفاة محمد فى خلافة المعتمد على الله العباسى .

ذكر امارة المنذر بن محمد

هو أبو الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أمّ ولد اسمها ايل (١) ، وهو السادس من أمراء بنى أمية بالأندلس . قام بالأمر فى يوم وفاة أبيه فى غُرَّة شهر ربيع/الأول سنة ثلاث وسبعين ٢٠٢-ب ومائتين ، وقيل بويع له بعد وفاة أبيه بثلاث ليال وخالف عليه ابن حفصون – وقد ذكرنا خلافه على أبيه – وتحصن عمر بن حفصون بطليطلة ، فسار المنذر إليها وأحدق بها ؛ فأعمل ابن حفصون الحيلة وسلك طريق المكر والخديعة ، وسأل الأمان ، وأظهر الرغبة فى سكن قرطبة بأهله وولده . فأمّنه المنذر وكتب له بما أراد ، وفصّل لأولاده الثياب . ثم سأل مائة بغل يحمل عليها أثقاله وعياله إلى قرطبة ، فأمر له المنذر بها وسُلِّمت إليه وعليها عشرة من العرفاء .

وارتحل العسكر ، فأخذ ابن حفصون البغال وقتل العرفاء ، وعاد إلى سيرته الأولى . فعقد المنذر على نفسه أنه لا أعطاه صلحا ولا عهدًا إلا أن يُلْقِى بيده وينزل على حكمه ، وأمر بالسكنى ،

(١) كذا فى ا ، ك ١٢٠ ، ف ١٥٥ – ا

وأنْ تردَّ أسواق قرطبة إلى طليطلة . ودام الحصار ، فمات المنذر وهو يحاصره .

وكانت وفاته فى يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنةَ خمسٍ وسبعين ومائتين ، وقيل فى نصف صفر . وعمره نحوا من ستٍّ وأربعين سنةووليته سنةٌ واحدةٌ وأحدَ عشرَ شهراً ،وأيامٌ .

وكان أسمر طويلا ، جَعدًا كثَّ اللحية ، بوجهه أثر جدرى ، وخلف ستة أولاد ذكورا . وقيل لم يعقب فولى بعده أخوه ! (١)

ذكر امارة عبد الله بن محمد

٢٠٣ - ١

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أمُّ ولدٍ اسمُها عشار ، وهو السابع من أمراء بنى أمية ببلاد الأندلس . بويع له بعد وفاة أخيه المنذر فى يوم السبت لثلاثَ عشرةَ ليلةً خَلَتْ من صفر سنةَ خمسٍ وسبعين ومائتين ، وقيل فى منتصفِ صفرٍ منها ، وذلك فى خلافة المعتمد على الله العباسى .

ولما بويع له كان بالمعسكر على طليطلة فرحل نحو قرطبة ، ودخل القصر بها لثلاثٍ بقين من صفر المؤرَّخ . قال إبراهيم بن الرقيق : ولما تولَّى ألَّب ابنُ حفصون عليه ، وحشد كور الأندلس حتى لم يبْق منها إلا قرطبة ، وأقبل فيمن أطاعه من أهل الكور .

(١) فى البداية والنهاية ١١ : ٥٤ « ثم قام بالأمر من بعده أخوه محمد فاستلاث بلاد الأندلس فى أيامه فتنا وشرا حتى هلك »

وخرج إليه الأمير عبد الله فى أربعة عشر ألفًا من أهل قرطبة خاصة ، وأربعةِ آلاف من حشمه ومواليه . فبرز إليه ابنُ حفصون فى سفح الجبل وثار له ، فلم تكن إلا صدمةٌ صادقةٌ حتى أزالوهم عن مراكزهم . ودخل ابن حفصون الحصن كأنه يخرج من بقى فيه ، فثلم فيه ثلمة أخرج منها أهله وما كان له . فلما انتهى ذلك إلى عسكره ولَّوْا مدبرين لا يلوى أحد منهم على أحد [1] فقتلوا قتلا ذريعا / ودخل منهم ٢٠٣ ـ ب جماعةٌ فى عسكره فأمر بالتقاطهم وجلس لهم فى مظلة فقتِل بين يديه ألفٌ صبْرا .

وكانت فى أيامه فِتَنٌ عظيمةٌ ، وكثُر قيام الثوّار عليه حتى لم يبْق فى يده إلا مدينةُ قرطبة وحدها . وخالف عليه أهل إشبيلية وشَنْونه ، ولم تبْق مدينةٌ إلا خالفت عليه . وعزموا على الدعاء على منابر الأندلس للمعتضد بالله العباسى ، فكتبوا إلى إبراهيم ابن أحمد الأغلب يسألونه أن يبعث إليهم رجلا من قِبلِه ، فتثاقل عنهم إبراهيمُ وشَغَلَه أيضًا اضطرابُ أهلِ أفريقية عليه ، فأمسكوا عن ذلك !

وقَلَّتْ رجالُ عبد اللهِ بن محمد ، وذهب من كان يصول به ـ هو وآباؤه ـ من مواليهم وأصحابهم ، وقلَّتْ الأموالُ فى يده لخروج أهل المدن وامتناعهم من أداء الخراج إليه . وكان خَراج الأندلس

(١) يقال «مر لا يلوى على أحد» لا يقيم عليه ولا ينتظره و «لوى عليه» قصدة ووقف عنده ، قال الشاعر :

فلوت خيله عليه وهابوا ليث غاب مقنعا الحديد

راجع القاموس وأساس البلاغة مادة «لوى»

الذى يُؤَدَّى إلى آبائه ثلاثمائة ألف دينارٍ فى كلِّ سنةٍ ، فكانوا يُعطون رجالَهُم وخَدمهُم مائة ألفِ دينار ، وينفقون فى أمورهم ونُوَّابِهم وجميع ما يعرض لهم مائةَ ألفٍ ، ويدّخرون مائة ألف [1] . فلما امتنع أهل مدن الأندلس من أداء الخراج إليهم رجعوا إلى تلك الذخائر ينفقونها ، واتصلت عليهم الحروبُ خَمْس عشرةَ سنةً فنفدت ذخائرهم واحتاجو للقروض !

٢٠٤-ا وكانت أيامه على هذه الحال إلى أن توفى ، وكانت وفاتُه / فى يوم الثلاثاء غُرة شهر ربيع الأول سنةَ ثلاثمائة ، وعمره سبعون سنةً إلا شهوراً ، ومدةُ ولايته خَمْس وعشرون سنةً ونصفُ شهر وكان مستبدًا بآرائه ، مخالفا لنصحائه ، ليِّنَ الجانبِ جدًا . بلغ من لينه أنَّ ابنَه مطرّفاً قتل أخاه محمد بنَ عبدالله والد الناصِر فلم ينكر عليه ذلك ، بل قال له : قد سوّغتك قَتلَ أخيك فالله الله فى ابن أمية (يعنى وزيره) فإنك إن قتلتَه قتلتُك به ! ثم حذَّر ابنَ أميةَ من مطرّف ، وكان مطرّف قد عزم على خلعه فلم يمكنه ذلك لمكان ابن أمية ، فعمل عليه حتى قتله . ولما مات عبد الله ولِى بعده ابنُ ابنه عبد الرحمن .

ذكر امارة عبد الرحمن بن محمد

هو أبو المطَرّف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أمُّ ولدٍ اسمُها مُزْنة ، وهو الثامن من أمراء بنى أميةَ بالأندلس .

(١) راجع نفح الطيب ١ : ١٤٠ ، ١٤١ ، ٣٢٩ .

بويع له بعد وفاة جدّه ، فى مستهل شهر ربيع الأول سنةَ ثلاثمائة. وقال ابن الرقيق إنه أخٌ لعبد الله بن محمد ، وليس بصحيح ! وينقض ذلك عليه أنه قال فيه : ولى وهو ابنُ أربع وعشرين سنةً ووفاةُ محمد بن عبد الرحمن قبل مولد عبد الرحمن هذا بأربع سنين ، وأظنه أُشْكِل عليه أمْرُه ، والتبس عليه محمد بن/ عبد الله ٢٠٤-ب بجدّه محمد بن عبد الرحمن ، والله تعالى أعلم . .

قال[1] : ولما ولى عبد الرحمن هذا تَلَقَّب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله ، وهو أوّلُ منْ لُقِّب بأمير المؤمنين ببلاد الأندلس . وكان منْ قَبْلَه يُسمَّوْن ببنى الخلائف ، ويُسلَّمُ عليهم ويُخطبُ لهم بالإمرة فقط . وإنما تَسمَّى هذا بأمير المؤمنين لما بلغه ضَعْفُ الخلافةِ بالعراق فى أيام المقتدر بالله ، وظهورُ الشيعةِ بالقَيْروان ، ودعاوْهم للمهدى . فكان في ذلك الوقت ثلاثةُ خلائف تَلقَّبَ كل منهم بأمير المؤمنين ؛ فالمقتدر بالعراق ، والمهدى بالقيروان ، وهذا الناصر بالأندلس .

قال : وولى والأندلس نار تضطرم ، وجمرةٌ تَتِقَّدُ شقاقا ونفاقا ، فأخمد نيرانها وسكّن زلازلها ، وغزا غَزَوات كثيرةً ، وكان يُشَبَّه بعبد الرحمن الداخل . ولم يجد من المال ما يستعين به على مصالح جيشه ، فاتفق أن صاحب الدُّوجَر[2] أغار على قرطبة فى نَحْوِ ثلاثمائة فارسٍ فهزمه عبد الرحمن وأسره . فسلَّم إليه الحصن بجميع مافيه فَتَقَوَّى به ، ثم التقى مع ابن حفصون في وادى التفاح

(١) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٣٦٠ وانظر نفح الطيب ١ : ٣٣٠ .

(٢) جاء فى المغرب ٢ : ٢٢٧ أن دوجر على وادى المرية بينهما أثنا عشر ميلا ، وهو فى الغرب منها .

بجيّان – وكان ابن حفصون في عشرين ألف فارس – فهزمه عبد الرحمن وأفنَى أكثر من معه قَتْلا وأسْرا .

وبعث إلى المغرب الأوسط ، فملك سبتة وفاس وسجلماسة وعمّرها .وغزا الروم بعد ذلك اثنتى عشرةَ غزوةً/ حتى دوّخ بلادها ، ووضع عليهم [جزية] [1] يؤدونها . وكان فيما شرط عليهم اثنا عشر ألفَ صانع يصنعون له فى مدينته التى بناها وسمّاها الزهراء ، وهى على ثلاثة أميال من قرطبة ، أسندها إلى سفح الجبل وساق المياه إليها . وقسمها أثلاثا ، فالثلث الذى يلى الجبل لقصوره ومنازله ، والثلث فيه دور خدَمِهِ وكانوا اثنى عشر ألفا بمناطق الذهب والسيوف المحلاة يركبون لركوبه وينزلون لنزوله ، والثلث بساتين تحت مناظره وقصوره . وجلب إليها أنواع الفواكه ، قال [2] : ومن غريب ما بناه فيها مجلسٌ مشرفٌ على البساتين مرفوعٌ على العمد مبنىٌ بالرخام المجزّع ، مصفّح بالذهب ، مرصّع باليواقيت والجواهر. وصنع أمام المجلس بحرًا ملأه بالزئبق فكان النور ينعكس منه إلى المجلس ، فحضر إليه القاضى بقرطبة الفقيه مُنْذِر بن سعيد البلّوطى [3] فقرأ « ولولا أن يكون النّاسُ أُمّةً واحدةً لَجَعَلْنَا لمن يكفرُ بالرحمنِ لبيُوتِهَم سُقُفًا من فِضَةٍ ومعارجَ ٢٠٥ـ١

(١) فى سائر النسخ « جاليه » بتحريف فيما يبدو ولعلها « جباية » أو « جابية » بمعنى « مجبية » وما هنا يدل على السياق فأثبتناه .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٨٢ .

(٣) ينقل المقرى للبلوطى صورة رائعة للعدل والنزاهة والذكاء والقوة والصرامة (نفح الطيب ١ : ٣٥١ ، ٣٥٢) ويصفه ابن الأثير بأنه كان إماما فقيها خطيبا شاعرا فصيحا ذا دين متين مات سنة ٣٦٦ (الكامل ٧ : ٨٢)

عليها يظهرون » إلى قوله تعالى « والآخرةُ عند ربِّك للمتَّقين » [١] فقال له وعظت فأحسنت ! وأمر بنزع الصفائح .

قال [٢] : وكمل بناء الزهراء فى اثنتى عشرةَ سنةً ، بألف بنَّاء فى كل يوم ، مع كل بنَّاء اثنا عشر رقاصا ، وسكنها خمسًا وعشرين سنةً .

وطالت أيام الناصر ، وتمكن ، واتسعت مملكته . / وكانت وفاته ٢٠٥ـب فى ليلة الأربعاء لليلتين ، وقيل لثلاثٍ خلت من شهر رمضان المعظم سنةَ خمسين وثلاثمائة بالزهراء . وحُمل إلى مدينة قرطبة ، فدُفن بها مع أسلافه من بنى أمية . ومولده فى يوم الخميس لتسعٍ بقين من شهر رمضان سنة سبعٍ وسبعين ومائتين ، وكان عمره ثلاثًا وسبعين سنةً ، ومدةُ ولايته خمسين سنةً وستة أشهر وأياما .

وكان سهما صارما ، لم يزل منذ ولى يستذل المتغلبين حتى خلصت له جميع الأندلس فى خمسٍ وعشرين سنةً من ولايته . وكان له من الأولاد الحكمُ ولىُّ عهده ، وعبد الجبار ، وسليمان ، وعبد الملك ، وعبيد الله ، والمغيرة ، ولما مات ولى بعده ابنه (الحكم)

ذكر امارة الحكم المستنصر بالله

هو أبو العاص الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله ين محمدبن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

(١) سورة الزخرف آيات ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٨٣ .

الداخل ، وأمه أم ولد اسمها مرجان ، وهو التاسع من أمراء بنى أمية ببلاد الأندلس . بويع له فى شهر رمضان سنةَ خمسين وثلاثمائة فى جميع مدن الأندلس وثغورها ، فأحسن إلى الرعية ، وعدل فيهم وضبط الثغر ، وغزا الروم فى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، ففتح
٢٠٦ـ١ مدنًا جليلة ، وسبى وغنم / وانصرف غانما .

ثم أصابه الفالج فتغيَّب عن الناس ، فلما كان فى يوم السبت لعشرٍ خلون من المحرم سنةَ ستٍّ وستين وثلاثمائة أُظْهِر موتُه ، وقيل توفى فجأة ليلة الأحد لأربعٍ خلون من صفر منها . ومولده فى يوم الجمعة مستهل شهر رجب سنة اثنتين وثلاثمائة ، فمات وله من العمر ثلاثٌ وسبعون سنة وستةُ أشهر وعشرةُ أيام ؛ ومدةُ ولايته خمس عشرةَ سنةً وأربعةُ أشهر وأيام .

وكان حسن السيرة ، جامعا للعلوم مكرمًا لأهلها ، وجمع من الكتب على اختلاف أنواعها مالم يجمعه غيره من الملوك قَبْلَه ، واشتراها من سائر الأقطار ، وغالى فى أثمانها ، فحملت إليه من كل جهة . وكان قد رام قَطْعَ الخمر ، من الأندلس ، وأمر بإراقتها وشدَّد فى استئصال شجرة العنب من جميع أعماله . فقيل له إنها تعمل من التين وغيره ، فتوقف فى ذلك . وهو الذى رحل إليه أبو على القالى البغدادى صاحب الأمالى [1] ، وأبو بكر

(١) توفى القالى بقرطبة سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، وحين وضع أماليه أهداها للحكم على ما قرر فى مقدمتها وقال عنه « فرأيته أيده الله أجل الناس بعد أبيه خطرا ، وأرفعهم قدرا ، وأوسعهم كنفا ، وأفضلهم سلفا ، وأغزرهم علما ، وأعظمهم حلما » .

الزبيدى مُخْتَصِرُ كتابَ العين [1] . وكان منذر بن سعيد البلوطى قاضيَة وقاضيَ أبيه ، فلما توفى ولى القضاء ابن بشير الفقيه ، فاشترط على المستنصر نفوذ الحكم فيه فمن دونه .

فكان من أخباره أن امرأة منقطعة كان لها أريضة تجاور بعض قصور الأمير ، فاحتاج إليها ليبنى فيها شيئا مما أراد بناءه ، فساومها الوكيل فى البيع / فامتنعت ، فأخذها الوكيل قهراً وبنى فيها ٢٠٦-ب منظرة بديعة وأنفق عليها جملة وافرة . فوقفت المرأة لابن بشير القاضى وقصّت عليه قصتها ، فركب حماره وجعل عليه خرجًا كبيرًا لايطيق حَمْله إلا جماعةٌ من الرجال . وقصد الزهراء والمستنصر فى تلك المنظرة ، فدخل عليه فقال : ماجاء بالقاضى فى هذا الوقت؟ فقال : أريد ملْء هذا الخرج من تراب هذا الموضع ! فتعجّب منه الحكم وأمر فَمُلِىء الخرج ثم خلا القاضى به فقال : أدل عليك إدلال العلماء على الملوك الحلماء أن لاينقل هذا الخرج على الحمار إلا أنا وأنت ! فضحك الحكم وقال : كيف نطيق ذلك أيها القاضى؟ فبكى ابن بشير وقال : فكيف نطيق أن نطوق هذا المكان أجمعه من سبع أرضين فى حلقى وحلقك يوم القيامة وأنا شريكك فى الإثم إن رضيت هذا الحكم ؟ وقَصّ عليه القصة .

(١) كتاب العين أحد الكشافات الخليل بن أحمد البصرى المتوفى سنة ١٧٥ رام به ضبط اللغة وحصرها فنسقه بحسب مخارج الحروف مع تقسيمه إلى أبواب ، وقد جاء الزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩ فشارك فى الأعمال التى دارت حول كتاب الخليل ، وقام باختصاره مع تنظيمه وتصحيحه . وإن يكن قد سار فيه على ترتيب العين للحروف بكل دقة ، وقال فى مقدمته على ماجاء فى النسخة التى صورد مجمع اللغوى وحفظها تحت رقم ٢٠٩٨ « هذا كتاب أمر بجمعه وتأليفه أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله » .

فبكى الحكم وقال : وعظتَ فأبلغت أيها القاضى ! ثم خرج عن المكان وسلّمه إلى المرأة بكل ما بُنى فيه وغُرِس .

قال : وكتب إليه العزيز بن المعز صاحب مصر كتابا يشتمه فيه ويسبه ، فكتب إليه « أما بعـد فإنك عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لهجوناك ، والسلام » وكتب إليه قصيدة يفتخر فيها منها :

ألسنا بنى مروانَ كيف تَبَـدَّلَتْ
بنا الحالُ أو دارتْ علينا الدوائرُ
إذا وُلِـدَ المـولودُ منـا تَهَلَّلَتْ
له الأرضُ واهتـــزتْ إليـــه المنابرُ

٢٠٧ ـ ١ /وكان للحكم من الأولاد هشام ، وسليمان ، وعبد الله . وحاجبه جعفر الصقلى ، المعروف بالفتى !

ذكر امارة هشام المؤيد بالله

هو أبو الوليد هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر بالله ؛ وهو العاشر من أمراء بنى أمية ببلاد الأندلس . بويع له بولاية العهد فى حياة أبيه فى غُرَّةِ جُمادى الأولى سنة خمس وستين وثلاثمائة . وجُدِّدَتْ له البيعةُ فى يوم الأحد لإحدى عشرةَ خلت من المحرم سنة ستٍّ وستين وثلاثمائة . وقيل فى يوم الإثنين لخمسٍ خلون من صفر منها ، وهو ابن اثنتى عشرةَ سنة باتفاق الوزراء . وعلموا أن عمَّه المغيرةَ بنَ عبد الرحمن ينازعه فى الأمر ويتطاول إلى بعض ما عُقِدَ له ويرى أنه أحقُّ بذلك منه لِصِغَرِ سِنِّه ، فَهُجِم عليه فى

منزله فَذُبح . وكان الذى تولَّى قَتْلَه محمد بن أبى عامر الوزير ، فَصَعَّبَ الأُمورَ لهشام .

ولما ولى احتيج إلى مدبرٍ للمملكة ، فوقع الاختيار على جعفر ابن عثمان المصحفى ، فقلَّده هشام حجابته وتدبيرَ أمره ، وأشرك معه فى الحجابة غالب بن عبد الرحمن . وقلَّد المنصور بن أبى عامر الوزارة – وكان على الشرط والسكة – فانحط المصحفى وارتفع ابن/أبى عامر ، ثم عزل المصحفى عن الحجابة فى يوم الإثنين لثلاثَ ٢٠٧–ب عشرةَ ليلةً خلت من شعبان سنة سبع وستين وحوقق وطولب بمائة ألف دينار ، وتوفى فى المطبق بعد خمسة أعوام ، فكانت مدة ولايته ستة أشهر وثلاثة أيام .

ذكر أخبار المنصور محمد بن أبى عامر

قال[١] : ولما عزل المصحفى اتفق الرأى على تقديم محمد بن أبى عامر المعافرى[٢] ، فولى الحجابَة فى يوم الإثنين المؤرّخ ، وبقى غالبٌ شريكهُ إلى أن قُتل وتفرَّد المنصور بالأمر .

قال بعض المؤرخين : كان محمد بن أبى عامر من الجزيرة الخضراء (٣) ، وله بها قَدْرٌ وأثرة وورد وهو شابٌّ إلى قرطبة واشتغل بالعلم والأدب ، وسمع الحديث وتميّز . وكانت له همة يحدِّث بها نفسه بإدراك معالى الأُمور ، وكان يحدِّث من يختص به

(١) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٨٣ وراجع نفح الطيب ١ : ٣٥٨ ، ٣٦٥ .
(٢) المعافرى : نسبه إلى معافر وهو حى كبير من اليمن
(٣) انظر حوادث ثلاث وأربعين ومائة بالأندلس .

بما يقع له من ذلك . وله أخبار كثيرة أورد منها أبو عبدالله الحميدى - فى كتابه المترجم بالأمالى الصادقة - كثيرا قال : ثم علت حاله ، وتعلّق بوكالةِ صُبْحٍ أمِّ هشام المؤيد ، والنظر فى أموالها ؛ فزاد أمره فى التّرقّى إلى أن مات وولى ابنُها هشام ، فخافت اضطرابَ الأمرِ عليه ، فضمن لها سكونَ الحال وزوال الخوف/ واستقرار ٢٠٨ـ١
الملك لابنها . فساعدته المقادير ، وأمدّته المرأةُ بالأموال فاستمال العساكر إليه ، فصار صاحبَ التدبير والمتغلّبَ على الأمر .

وحجب هشامًا وتلقّب بالمنصور [1] وأقام الهيبة ، فدانت له أقطار الأندلس كلها ، ولم يضطربْ عليه شىء منها لعظم هيبته وحُسْنِ سياسته . وكان يدخل إلى القصر ويخرج فيقول : أمر أميرُ المؤمنين بكذا ونهى عن كذا ! فلا يُعْتَرَضُ عليه فى مقال ولا يُنازَع فى أفعال .

وكان إذا غزا بلد الروم وكل بهشام من يمنعه من التصرف والظهور والإذْنِ فى دخول أحدٍ من الناس إلى أن يعود من سفره ، فإذا كان بعد سنين أركبه وجعل عليه بُرْنسا وألبس جواريه البرانس حتى لا يُعْرَفَ منهن ، ويوكل بالطرقات من يطرد الناس عنها حتى ينتهى إلى الزّهراء وغيرها من المتنزهات ، ثم يعيده على مثل ذلك . وليس له من الملك إلا الدعاءُ على المنابر ، وإثباتُ اسمِهِ

(١) فى نفح الطيب ١ : ٣١٤ « وتسمى بالحاجب المنصور ونفذت الكتب والمخاطبات والأوامر باسمه » .

على السكة والطرر ، والمنصور على أتمّ مايكون من الحزم وسَدّ الثغور وإقامةِ العدل وشمولِ الناس بالإحسان والفضل. فلم يُر في الضبط وحُسْنِ السياسة وأمْن السبيل وتوفية حقوق الرياسة بجزيرة الأندلس كأيامه !

ودامت له هذه الحال بضعا وعشرين سنة إلى أن توفى ، وكانت وفاته فى أقصى الثغور/ بمدينة سالم[1] فى سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاثمائة فى طريق الغزو . ٢٠٨ب

قال[2] : وكان رحمه الله تعالى له مجلس فى الأسبوع يجتمع فيه أهل العلم للكلام بحضرته مدةَ بقائه بقرطبة ، قال وختن أولاده فختن معهم من أولاد أهل دولته خمسمائه صبى ومن أولاد الضعفاء مالم تُحْص عدتهم ، وأنفق فيه خمسمائة ألف دينار .

وكان ذا همة عالية فى الجهاد ، مواصلا لغزو الروم[3] ، وربما خرج لصلاة العيد فيقع له فيه الجهاد ، فلا يرجع إلى قصده ويركب من فوره بعد انصرافه من الصلاة ، فلا يصل إلى أوائل الدروب إلا وقد لحقه كل من أراد من العساكر. وغزا ستا وخمسين غزاةً ذكرت فى المآثر العامرية بأوقاتها ، وفتح فتوحا كثيرةً ، ووصل إلى معاقل جمّةٍ امتنعت على منْ كان قبله . وملأ الأندلس بالغنائم والسبي .

---

(١) كان صاحب مدينة سالم فى أيامه شريكه غالب المصحفى ، وكان قد تزوج ابنته أسماء .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٨٤

(٣) يقال إنه غزا ستا وخمسين غزوة لم تنتكس له فيها راية (نفح الطيب ١ : ٣٧٤) .

قال [١] : وكان إذا انصرف من قتال العدو إلى سُرادقه يأمر بِنفْضِ غبار ثيابه التى شهد فيها الحرب ، ويُجمعُ ويُحتفظ به . فلما حضرته الوفاةُ أمر أن ينشر على كفنه ما جمع من ذلك إذا وضع فى قبره .

قال : وبنى مدينة الزاهرة بقرب قرطبة ، وانتقل إليها بأهله وولده وحواشيه. وكان قد يُخَوَّفُ من بنى أُمية أن يثوروا به ، فأخذ فى تقتيلهم صغارًا وكبارًا ، عملا فى الباطن لنفسه وفى الظاهر إشفاقًا على المؤيد منهم ، حتى أفْنَى من يصلح منهم/ للولاية ، ٢٠٩ ـ ١
وفرّق الباقين فى البلاد . فكان ممن هرب الوليد بن هشام الخارج على الحاكم بمصر ، الملقب بأبى زكوة .

وأخبار المنصور طويلة مشهورة لو استقصيناها لطال الكتاب ، وفيما نَبَّهنَا عليه من أخباره وذكرناه من آثاره كفاية . وأخبرنى بعض أهل الأندلس أن على قبره مكتوبا :

آثاره تُنْبيك عن أخبـــارِهِ حتى كأنك بالعِيان تَرَاهُ
تالله لا يأْتى / الزمانُ بمثـــله أبدًا ولايحمى الثغورَ سواه

ولما مات رحمة الله ـ قام بالأمر بعده ولده .

ذكر المظفر أبو مروان عبد الملك

قال [٢] : وكان الناسُ قد تجمعوا وقصدوا الزهراء وقالوا : لا بُدَّ من ظهور المؤيد وولايته الأمْرَ بنفسه ! فلما بلغه ذلك آثر

(١) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٨٧
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٩٤

الراحة والدعة ، وأحضر عبد الملك وخلع عليه وقلّده ماكان بيد أبيه من الولاية ، ونعته بالحاجب المظفر سيف الدولة . وأمر فاتن [1] الصغيرُ الخادمُ أن يخرج إلى المجتمعين فيصرفَهم ويخبرهَم برضائه بِحجْبَةِ المظفر ، فأخبرهم ، فأبوا !

وخرج المظفر فقابلته الفئة المجتمعة فهزمهم ، وأقام فى الحجبة إلى أن توفى لاثنتى عشرة ليلةً بقيت من صفر سنة / تسع وتسعين ٢٠٩-ب وثلاثمائة بموضع يقال له القبران[2] فى غزوته ، فحمل فى تابوت ودفن بالزاهرة وعمره ستٌّ وثلاثون سنة . ومدةُ ولايته ستة أعوام وأربعة أشهر وأيام وغزا الروم ثمانى غزوات وبأيامه تضرب المثُل بالأندلس عدلا وأمنا .

ولما مات وَلِىَ الحجْبَةَ عبدُالرحمن بنُ المنصور محمد بن أبى عامر وهو أخو المظفر ونُعِتَ بالحاجب المأمون ناصر الدولة ، ويلقب بشنشول فافتتح أموره بالخلاعة والمجانة . وكان يخرج من منية إلى منية ومن متنزه إلى متنزه بالملاهى والمضحكين ؛ ويجاهر بشرب الخمر والتهتُّك . ثم طلب من المؤيد أن يدعو له ويوليه العهد بعده ، وهدّده بالفَتْكِ به إن لم يفعل ، وكثر الإرجاف بذلك .

ثم ركب شنشول من الزاهرة ومعه سائر أهل الخدمة بسلاحهم ، والوزير وقاضى الجماعة ، والفقهاء والعدول ، وأصحاب الشُّرَط ؛ ووجوه الناس على طبقاتهم . وسار إلى باب القصر بقرطبة ، وحضر

(١) كذا فى ا ، ف صفحة ١١٨ - ا ، أما فى ك ١٢٥ فالاسم « قائن » .
(٢) كذا فى سائر النسخ المصورة .

المؤيد هشام ، وأخرج كتابا قُرِىء بحضرته وهو بخط الوزير أبي عمر [1] ، وفيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما عهد به هشامٌ المؤيد بالله
٢١٠-ا أمير المؤمنين /إلى النـاس عامة ، وعاهـد الله - عزَّ وجـلَّ - عليه من نفسه خاصة ، وأعطى به صفقة يمينه بيعةً تامّةً ، بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة ، وأهمه ماجعل الله إليه من الإمامة وعصب به من أمره ، واتقى حلول القدر بمالا يؤمن ، وخاف نزولَ القضاء بما لا يُصْرف ، وخشى إن هجم محتوم ونزل مقدور به ولم يرفعْ لهذه الأُمة علما تأْوى إليه وملجأً تنعطف عليه .. أن يكون بلقاء ربه - تبارك وتعالى - مفَرطا فيها ساهيا عن أدَاءِ الحقِّ إليها ونقض عند ذلك من طبقات الناس من أحياء قريش غيرها ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديه وصيانته ، بعد اطِّراح الهوى والتحرِّى للحق والتزلُّف إلى الله - جَلَّ جلاله - بما يرضيه . بعد أن قطع الأواصر وأسخط الأقارب فلم يجد أحدًا هو أجدر أن يقلده عهده ويفوِّض إليه الخلافةَ بعده ، بفضل نفسه وكرم خيمه وشرف مركبه وعلو منصبه ، مع تقواه وعفافه ، ومعرفته وإشرافه ، وحزمه وتقاته .. من المأمون الغَيْبِ الناصِح الجيْبِ ، أبي المطرِّف عبد الرحمن ابن محمد المنصور أبي عامر بن أبي عامر ، وفقه الله إذ كان أمير المؤمنين - أيده الله - قد ابتلاه واختبره ، ونظر فى شأْنه واعتبره ،
٢١٠-ب فرآه مسارعا/ فى الخيرات سابقا فى الحلبات مستوليا على الغايات جامعًا

(١) فى نفح الطيب ١ : ٤٠٠ « من إنشاء أبي حفص بن برد » صورة العهد تختلف بعض الشيء عما هو مثبت هنا .

للمأثرات ! ومن كان المنصورُ أباه ، والمظفرُ أخاه .. فلا غَرْوَ أن يبلغ من سُبُل البِرِّ مداه ، ويحوى من سبيل الخير ماحواه . مع أن أمير المؤمنين - أكرمه الله - بما طالع من مكنون العلم ، ودعاه من مخزون الأمر ، أمّل أن يكون قد ولّى عهده القحطانى الذى حدّث عنه عبد الله ابن عمرو بن العاص وأبو هريرة أنّ النبى صلى الله عليه وسلّم قال : لاتقوم الساعةُ حتى يخرجَ رجلٌ من قحطان يسوق الناسَ بعصاه . فلما استوى منه الاختيار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ، ولم يجد عنه مهربا ، ولا إلى غيره معدلا .. خرج إليه من تدبير الأمور فى حياته ، وفوّض إليه الخلافةَ بعد وفاته ، طائعا راضيا مستخيراً مجتهداً . وأمضى أمير المؤمنين عهدَه هذا وأجازه وأنفذه ، ولم يشترط فيه مثْنويةً[1] ولا خيارا ، وأعطى على الوافاء به فى سِرّه وجَهْره وقوله وفِعله عَهْدَ الله وميثاقه وذمه وذِمّةَ نبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلّم ، وذِمة الخلفاء الراشدين من آله وآبائه ، وذِمّة نفسه .. أن لا يبدّلَ ، ولا يغيرَّ ولا يحوّل ، ولا يزول ، وأشْهَدَ اللهَ تعالى وملائكته على ذلك ، وكفى بالله شهيدا .. وأشهد من وقع اسمُه فى هذا وهو جائز الأمر ، ما ضى القول والفعل / بمحضرٍ من ولى عهده ٢١١ - ا
المأمون أبى المطرف عبد الرحمن بن المنصور - وفّقه الله - وقبوله ما قلّده ، وإلزامه نفسه ما ألزمه ، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة » .

ثم كتب الوزراء والقضاة والفقهاء شهاداتهم بذلك ، فلما تَمّ

(١) مثنوية : استثناء .

له ما أراد من ولاية العهد ودُعِيَ له على المنابر ، أخذ فى التخليط وارتكاب المحرّمات . ثم عزم على الغزاة ، وتقدّم اليه هشام أن يتعمّم هو وسائر الجند ففعل ، وخرجوا فى العمائم [1] — وكانوا بها فى أقبح زِىٍّ لمخالفة العادة — وذلك فى يوم الجمعة لاثنتى عشرة خَلَتْ من جُمادى الأُولى .

وسار للغزاة وهى المعروفة بغزوة الطين ، وقيل إنه انتهى إلى طليطلة ، فأتاه الخبر بقيام محمد بن هشام بن عبد الجبار وخلعه للمؤيد . وأنه أخرب الزاهرة ، فخاف الناس لنفسه ، ثم تفرقوا عنه ، والتحقوا بمحمد بن هشام وكان من أمره وأمر المؤيد ما نذكره فى أيام محمد بن هشام بن عبد الجبار !

ذكر امارة محمد المهدى

هو أبو الوليد محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، وهو الحادى عشر من ملوك بنى أمية بالأندلس استولى على الأمر فى جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، ونحن نذكر سبب ذلك وكيف كان خروجه وكيف استولى على الأمر ، لأنّ فى ذلك من الغرائب والحوادث ما يتعين إيراده بسببه ويفيد تجرُّبه ، ويعتبر به مَنْ يتأمله ، ويعلم أنّ المقادير تجرى على غير قياس ، وإذا أراد اللهُ أمرًا هيّأ أسبابه . ٢١١-ب /

وكان ابتداء هذا الأمر أنّ هشام بن عبد الجبار والد محمد المهدى

(١) من ك صفحة ١٢٦ .

هذا قد ترشّح لطلب هذا الأمرِ لنفسه ، وعزم على خلع هشام المؤيد ، فبلغ ذلك المظفر عبد الملك فقتل هشام بن عبد الجبار قبل أن يستحكم أمره فى سنة تسع وتسعين . وكان محمد بن هشام جسوراً مقداما شجاعا ، ولم يتهيأ له أمرٌ لهيبة عبد الملك واجتماعِ جنده ، فلم يزل محمد يترصّد الأمر حتى مات عبد الملك وولى عبد الرحمن . وتطاول لولاية العهد ونالها ، وخرج للغزاة — على ما قدّمنا — فخلا البلد من الجند . وقَوِىَ عزمَ محمد رجلان وهما حسن بن حىّ الفقيه ومطرف بن ثعلبة . وكان محمد يعاشر فى مدة استتاره قوماً من الصعاليك لهم إقدامٌ على كل عظيمة ، فَدَسَّ بعضهم إلى بعضٍ وأعطاهم من خمسة مثاقيل إلى عشرة وأكثر من ذلك ، فاجتمع له منهم نحو أربعمائة رجلٍ . ٢١٢ — ا وطاوعه على ذلك جماعة من المروانيين لخروج الأمر عنهم وصَرْفِهِ إلى أبى عامر .

وكان عبد الرحمن قد رتّب أمورَ البلد قبل مسيره ، وجعل النظر فى الأموال وتدبير البلد إلى أحمد بن حزم وعبد الله بن سلمة المعروف بابن الشرس ، وجعل على المدينة عبد الله بن عمرو المعروفَ بابن عُسْفلاجة وهو أحد بنى أبى عامر . وظن شنشول أن الأمور لاتتغير وأن دولتهم قداستحكم أمرُها ، هذا ومحمد فى تقرير حاله ، فشنع الناس أنّ قائما يقوم على بنى الأغلب ، فبلغ ابن عسفلاجة الخبر فأظهر البحث وبالغ فى الكشف فلم يتبيّن له شىء وهجم دوراً كثيرة فلم يقف على أمرٍ واضحٍ .

فلما كان فى يوم الثلاثاء النصف من جمادى الآخرة مات ابنُ عبد الجبار بقرطبة ، وتقدم إلى ثلاثين رجلا من كُفَاة أصحابه

أن يشتملوا على سيوفهم ويدخلوا من باب القنطرة متفرقين حتى يقفوا على السترة التي تشرف على الرصيف والوادى ، كما يفعل من يريد التفرّج بذلك المكان . وأمرهم أن لا يحدثوا حدثًا حتى يأمرهم وأنذر سفهاءه وواعدهم ساعةً قبل زوال الشمس ، ففعل أولئك النَّفَرُ ما أمرهم به ، وكان من سواهم على انتظار الوقت الذي حدّده لهم . وركب محمد بغلته وعبر القنطرة وحده حتى انتهى إلى باب الشكال ومعـه نفرٌ من أصحابه كانوا قياما عـلى باب القنطرة

٢١٢-ب / فاقتحموا باب الشكال فأنكرهم حَرَسُ الباب وأرادوا مَنْعَهُمْ ، فبادر محمدٌ ودخل . وسلَّ أولئك النَّفرُ سيوفهم وقصدوه ، فقصدهم صاحب المدينة ابن عسفلاجة ، فيقال إنه كان يشرب مع حارسين له ، فأتاه محمد وهو على أهْبةٍ فقتله واحتزُّوا رأسه . وتتابع أصحاب محمد من جهاتهم إليه .

واتصل الخبر بأهل الزاهرة عند العصر وقد عظم جمع محمد من أصحابه ومَنِ اجتمع إليه من العوام وأهل البادية ، فنُقب القصر من ناحية باب السباع ومن ناحية باب الجنان ، ولم يقدر حرس القصر على مقاومته .. ووصل إلى القصر من جهة باب السدة وأهل الزاهرة غير مصدقين بالأمر ، وظنوا أنه أمر يدفعه صاحب المدينة إلى أن قوى عندهم الخبر بدخول محمدٍ القصر ؛ فكان حسبهم اعتصامهم بالزاهرة في ليلتهم .

فلما صار محمد داخل القصر أرسل إليه المؤيد هشام يقول له : تؤمنني على نفسي وأنخلع لك من الأمر ! فقال « سبحان الله

أترانى إنما قمت في هذا الأمر لأقتل أهل بيتي ، وإنما قمت غضبًا له ولنفسي وبني عمي ، فإن خلع نفسه طائعا قبلت ذلك ، وليس له عندى إلا مايحبّ .

وأرسل محمد إلى الفقهاء ووجوه الناس فأحضرهم ، وكتب كتاب الخلع والبيعة لمحمد ، وبات تلك الليلة في القصر وأهل بالس وهي الزهراء لم يتحرك / منهم أحد ، وكانوا جمعًا كبيرًا منهم أبو عمرو بن حزم ٢١٣ـ١
وعبد الله بن سلمة وابن أبي عبيدة وابن جهور ، وجماعة من الفقهاء والوزراء والصقالبة - وهم الخصيان - ونفر من الجند والخزان والكتاب .

وأصبح محمد فجعل حجابته إلى ابن عمه محمد بن المغيرة ، وجعل على المدينة ابنَ عمّه أُمَيَّةَ بن إسحاق . وأمرهما بإثبات كل من جاءهما في الديوان ، فلم يبق أحد حتى أثبت نفسه حتى الزهاد والعباد وأئمة المساجد وغيرهم وقبضوا العطاء ، وكذلك التجار الأغنياء . واتّبعه سائر أهل البوادى والأطراف ، وأرسل حاجبه محمد بن المغيرة في خَلْقٍ من العامة لمحاربة أهل بالس فردّوه أقبح ردٍّ وهزموه إلى داخل قرطبة . ثم كثر العامة فهزموهم إلى بالس ، ودخلها الحاجب ونُهبت ، فسأل الوزراء والصقالبةُ الأمانَ فأمّنهم محمد ، فساروا إليه فوبخهم ثم عفا عنهم ورد ابن الشرس مع الحاجب لِنَقْلِ ما ببالس من الأموال والأمتعه والأثاث وقد نُهِبَ منه مالا يُحصى ، ونُهِبَتْ ليْلةَ الأربعاء دورٌ كثيرةٌ للعامرية ، ونهب ما جاوز بالس من دور الوزراء ، وانْتُهِبَ ما في الزاهرة حتى قُلِعتْ الأبوابُ والأخشابُ ، والحاجب مع ذلك ينقل .

ثم أمر محمد بعْدَ أربعةِ أيام بِكَفِّ أيْدى العامةِ عن النَّهْب فمنعوا ،
٢١٣ ـ ب / وتَفَرَّد بعقل ما يريد ، فيقال إن الذى وصل إليه من الزاهرة فى ثلاثة أيام ألفُ ألفٍ وخمسمائة ألفِ دينارٍ ، ومن الدراهم الأندلسية ألفا ألف ومائة ألف ، ووجد بعد ذلك خَوابِئُ فيها نَحْوٌ من مائتى ألف دينار ، وأطلقت النارُ فى الزاهرة لعشر بقين من جمادى الآخرة .

وخُطِب لمحمد بالخلافة وقطعت خطبةُ هشام وشنشول ، وقُرِئَ بعد صلاة الجمعه كتابٌ بِلَعْنِ شنشول وذِكْرِ مساوئة ، وقُرِئَ كتابٌ آخرُ من محمد بإسقاط رسوم جارية وقبالات محدثة . وصلَّى محمدبالناس الجمعةَ لأربع من جمادى الآخرة ودعا لنفسه وتلقَّب بالمهدىّ ، وقُرِئَ بعد نزوله كتابٌ على المنبر بالنفير لقتال شنشول . ووصل أهل الأقاليم من أقصى الأندلس مظهرين عُدَّةَ الحرب ، ووَلَّى محمدٌ جُنْدَه قوادًا من طبيب وحائك وجزار وسرّاج ، وخرج بهم ونزل يفحص السُّرادقَ ، وأمر أهلَ النواحى بالنزول حول سرادِقه .

ذكر أخبار شنشول ومقتله

قال (١) : وأما شنشول فإنه لما بلغه الخبر ـ وكان قد انتهى إلى طليطلة ـ عاد إلى قلعة رباح (٢) وقد تخاذل عنه الناس ؛ فعزم

(١) ابن الأثير فى الكامل .

(٢) Calatrava فى المغرب ٢ : ٣٩ أنها أحد معاقل الأندلس وولاتها كانت تتردد عليها من طليطله ، فلما أخذت هذه تردد الولاة عليها من قرطبة

على / استجلاب الناس لنفسه فامتنعوا وقالوا : قد خَلَفنا مرةً ولا يخلف ٢١٤-ا
أخرى ! فعلم أنهم خاذلوه ، فدعا محمد بن يعلى الزناتى وكان عزم على خذلانه فقال له : ماترى فيما نحن فيه ؟ فقال له : أصدقك عن نفسى وعن الجند ليس والله يقاتل معك أحدٌ منهم ! قال ما الدليل على ذلك ؟ قال : تأمر بتقديم مطبخك إلى طريق طليطلة وتظهر الرحيل إليها فتعلم مَنْ يتبعك ومن يتخلّف عنك ! قال : صدقت .

وكان ابن عومس القومس [1] مع شنشول يريد قرطبةَ معاقدًا له يستنصر به على مَنْ بناوئه من القمامسة . فلما رأى اضطرابَ حال شنشول أشار عليه أن يرحل معه إلى بلده ، ويكونوا يدًا واحدة ، ويلجأوا إلى مكانٍ ، فأبى ذلك وقال : لابُدَّ من الإشراف على قرطبة فإنى أرجو أننى إذا اطلعت عليها اختلفتْ كلمةُ محمدٍ ، ولى أنصارٌ يميلون إلى سلطانى ويحبون ظهورى ! فقال له القومس : خذ باليقين ودع الظن ، أمرك والله مُختَلٌّ وجندك عليك لا لك ! فقال : لابُدَّ من المسير إلى قرطبة ! فقال : أنا معك على كراهية لرأيك وعِلْمٍ بخطاياك .

وسار شنشول من قلعة رباح والأخبار تتواتر بتظاهر أهل قرطبة مع ابن عبد الجبار ، فلما بلغ منزل هانئٍ فارقه عامَّةُ البربرِ ليلا ، وذلك فى سلخ جُمادى الآخرة ، ثم فارقه الناسُ بعد ذلك وبقى ٢١٤-ب
فى نَفَرٍ يسيرٍ مِنْ خَدَمِهِ ، وابن عومس فى نَفَرٍ من النصارى ،

(١) تكتب أحيانا « القومص » أى القمص برسمنا المعروف .

فقال له : سِرْ بنا مِنْ هنا قبل أن يدهمنا ما يمنعُنا من ذلك ! فأبى شنشول وقال : قد بعثتُ القاضى فى طلب الأمان لى . ثم تجبر فى أمره وسار إلى ديرٍ يعرف بدير شَوْش [1] ليلةَ الجمعة لثلاث خلون من شهر رجب .

وبلغ خبره محمد ، فأرسل إليه حاجبه فى مائتى فارس ، فأرسل الحاجبُ ابنَ ذرى مولى الحكم فسبقه إلى الدير فصبحه فى يوم الجمعة ، فقال شنشول لما عاينه ومن معه : مالكم علىّ سبيلٌ ، أنا فى طاعة المهدى ! فاستنزلوه من الدير ومعه ابن عومس ومن تبعهما ، وأخذَ نساء شنشول — وهن سبعون جارية — فبعث بهن إلى قرطبة ، ولحق الحاجب بابن ذرى قبل العصر من يوم الجمعة . فلما أقبل عليهم نزل شنشول فقبّل الأرض بين يدى الحاجب مرارًا ، فقيل له : قَبِّلْ حافِرَ فَرسِهِ ! ففعل وقبّل رِجْلَه ويده . ثم حُمِل على غير فرسه وابنُ عومس ساكت لم ينطق ، وأشار الحاجب بانتزاع قلنسوة شنشول عن رأسه فانتزِعت .

ورجع يريد قرطبة ، فسار إلى أن غربت الشمس ، فنزل وأمر أن يكتف شنشول فعطفت يده عطفا شديدًا فقال : نَفِّسُوا عنى وأطْلِقُوا يدىَ لأستريح ساعة ! فنفسوا عن يده ، فأخرج من خُفّه سكينا كالبرق فعوجـــل قبـــل / أن يصنع شيئا ، ثم أضجعه ٢١٥—ا
الحاجب وذبحه . وقتل ابن عومس وأخذ رأسيهما ، وحمل جثة

(١) فى المغرب ٢ : ١٢٣ أن شوش قرية مشهورة على نهر كبير يمر على مدينة إستجة ويصب فى نهر قرطبة .

شنشول ، وسار بها إلى القصر بقرطبة . فأمر محمد بِشَقِّ بَطْنِهِ ونَزْعِ مافيه وحُشِيَ بعقاقير تحفظه ، ثم نصب رأسه على قناة ووقف به على باب السدة ثم رُكِّبَ على جسده ، وكُسِى قميصا وسراويل ، وأخرِج فَسُمِّرَ على خشبةٍ على باب السدة . وأمر الرَّسَّانَ صاحب شرطه شنشول أن ينادى : هذا شنشول المأمون ! ثم يلعنه ويلعن نفسَه ، وذلك فى يوم السبت لأربع خلون من شهر رجب .

وكانت مدةُ ولاية شنشول أربعةَ أشهر وأيامًا ، وكان قبيح الفعال كثير التخليط متجاهرًا بالفِسْق ، شُهِدَ عليه بأشياء لاتصدر عن مسلم ، منها أنه سمع المؤذن يقول « حىّ على الصلاة » فقال : لو قال حىّ على الكبير لكان خيرًا له ! وكثيرٍ من هذا القول وما يناسبه ، وانقرضت الدولة العامرية بمقتل شنشول .

قال إبراهيم بن الرقيق [1] : ومن أعجب ما رأيناه أنه كان من نِصْفِ نهار يوم الثلاثاء لأربعَ عشرةَ بقيت من جُمادى الآخرة إلى نصف نهار الأربعاء الذى يليه ، فُتحت مدينةُ قرطبة وهُدِمتْ مدينةُ الزاهرة ، وخُلع خليفة وهو هشام بن الحكم ، وولى خليفةٌ وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار ، وزالت دولة / بنى عامر ، وحدثت ٢١٥-ب
دولةُ بنى أمية ، وقُتل وزيرٌ وهو ابن عُسفلاجة ، وأُقيمت جيوش من العامة ، ونُكِبَ خَلْقٌ من الوزراء ، وولى الوزارة آخرون ، وكان ذلك على أيدى عشرة رجالٍ حجّامين وجزارين وحاكة وزبالين ، وهم جندُ ابنِ عبد الجبار !

(١) صاحب تاريخ أفريقية على ما مر بنا .

قال[1] : وفى يوم الخميس لسبعٍ خلون من شهر رجب وصل كتابٌ واضحٍ من مدينة سالم إلى محمد بِسَمْعِهِ وطاعته وإظهارِ الاستبشارِ بمقتل شنشول ، فَسُرَّ به محمدٌ وشكر ذلك لواضح ، وحمل إليه مالا كثيرًا وكساءً وفُرُشًا وطرائف ، وولاَّه سائر الثغر .

قال : ولما استوثق الأَمرُ لمحمدٍ أسقط من جنده نَحْوًا من سبعة آلاف وعادوا إلى بنيهم فانتفع بهم الناس ، ثم نفى جماعةً من من الصقالبة العامرية ، ثم أخرج بعد ذلك صقالبة القصر وسدَّ أبوابه . وأظهر محمدٌ من الخلاعة واللَّهْوِ والشُّرْبِ ما كان يفعله شنشول ، واستعمل مائة عود ومائة بوق . وفى شعبان توفى رجل يهودىٌّ فأَخذه محمد وأوقف عليه رجالا من أصحابه ، وكان يشبه بهشام فشهدوا عند العامة أنهم وقفوا على هشام ميِّتًا لا جُرْحَ به ولا أثرٌ وأنه مات حَتْفَ أنفه . وحضر الفقهاء والعدول وخَلْقٌ من العامة
٢١٦ـ١ إلى القصر وصَلُّوا عليه يومَ الإثنين لأربع بقين/ من شعبان وأخفاه عند وزيره الحسن بن حىّ .

وفي شهر رمضان سَجَنَ محمدٌ سليمانَ بن عبد الرحمن ـ وكان قد جعله ولىَّ عهده ـ وسجن جماعةً من قريش ، وأظهر بُغْضَ البربر فكان يسبُّهم فى مجلسه .

---

(١) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٨٣ .

ذكر قيام هشام بن سليمان
عَلَى محمدٍ وما كان من أمره إلى أن قُتِل

قال[١] : ولما شرع محمد بنُ عبد الجبار فى اطِّراح البربر ودبّر فى قَتْل عشرةٍ منهم ، سعى هشام بنُ سليمان بن عبد الرحمن فى خَلْع محمدٍ ووافَقَه جماعةٌ من الجند واحتفل أمره ، وخرج إلى فحص السرادق وانضم إليه الذين أسقطهم محمد من جنده ، فراسله محمدٌ وقَبَّح عليه فِعْلَه فقال : سُجِنَ والدى على غير شىء ولا أدرى ما صُنِع به ! فأطلقه محمد فلم يرجع هشام عن رأيه ، وتحرّك بالجند وأحرق سوق السَّرَّاجين . ثم خذله جنده وأخذوه أسيرًا هو وأخوه أبو بكر وأبوه سليمان ، فسلموهم إلى محمد ؛ فقتل هشامًا وأبا بكر صَبْرًا ، وذلك لأربعٍ بقين من شوال . ونُهِبتْ دور البربر ، ونودِىَ فى البلد « من أتى برأسٍ بربرىٍّ فله كذا وكذا » فشرع أهل قرطبةَ فى قَتْلِ مَنْ قدروا عليه منهم ، وسُبِيَتْ نساؤهم ، وهرب من سلم من البربر إلى أزملاط[٢] ثم جَلَوْا إلى / الثَّغْرِ . وكان من فَرَّ بعد قَتْل هشامٍ سليمانُ بنُ الحكم ٢١٦-ب
ابنِ سليمان بنِ الناصر ، فنصبه البربرُ خليفةً .

ذكر قيام سليمان بن الحكم المستعين بالله

قال[٣] : لما نصبه البربرُ خليفةً نَعتَ نفسه المستعينَ بالله ، واستوزر أحمد بن سعيد ، ونهض بمن معه إلى وادي الحجارة

(١) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٨٤ .
(٢) كذا فى الأصل ولم يذكرها ياقوت ولا غيره .
(٣) ابن الاثير فى الكامل ٧ : ٨٤ .

فدخلوه عَنْوةً ، وعرضوا أنفسهم على واضح العامرىٍّ غلام المنصور ابن أبى عامر صاحبِ مدينة سالم ، فلم يقبلهم ، وبعث إليه محمد ابن هشام المهدى قيصر الفتى فى جيشٍ ليُعينه على سليمان ، فالتَقَوْا واقتتلوا ، فانهزم واضحٌ وقتل قيصر . ولحق واضح بمدينة سالم فتحصن بها ، ومنع الميرة عن البربر ، فأقاموا خمسةَ عشر يومًا يأكلون الحشيش . فلما اشتد ذلك عليهم أرسلوا إلى ابن مادويه الرومى (١) واستُنْجِدَ به ، وسأله سليمان أن يدخل بينهم وبين ابن عبد الجبار وواضح فى الصلح وقال : يخرج معنا إلى واضح ويرغبُ إليه فى الإصلاح بيننا وبينه وبين صاحبه ، فإن أبى ذلك سرنا إلى قرطبةَ وناجزنا ابنَ عبدِ الجبار !

فسارت الرسل إليه فوجدوا رُسَلَ ابنِ عبد الجبار وواضح عنده يسألونه الصلح معهما على أن يعطياه ما اشترط من مدائن الثَّغْـر ، / وأتوه بخيْلٍ وبغـالٍ ومالٍ وكسـاءٍ وجـوهرٍ وطيبٍ ٢١٧ـ١
وتحفٍ كثيرةٍ . فأجاب البربر إلى ما أرادوه من الصلح أو الاتفاق معهم على أن يعطوه مابذل واضحٍ والمهدىُّ من مدائن الثغور إذا ظفروا . فقبلوا ذلك منه ، وَرَدَّ رُسُلَ واضحٍ وابنِ عبد الجبار ، ثم أرسل إلى البربر ألْفَ عجلةٍ تحمل الدقيق والشعير وأنواع المأكل وألف ثور وخمسةَ آلاف شاة وجميع ما يصلحهم من الملبس وغير ذلك. فقويت البربر بذلك ، وسار إليهم فى جموعه وساروا إلى مدينة سالم ، وأرسلوا واضحًا فى الصلح فأبى ، فساروا إلى قرطبة فى المحرم

(١) فى نفح الطيب ١ : ٤٠٣ « ابن أدفونش » .

سنةَ أربعمائة . واتبعهم واضح بمن معه وقابلهم ، فانهزم وقُتل خَلْقٌ كثير من أصحابه ، ووصل المنهزمون من أصحابه إلى قرطبة ، وملك البربر جميعَ ماكان فى عَسْكر واضح. هذا وابن عبد الجبار فى لَهْوِه واستهتاره ، ثم خرج إلى فحص السرادق وخندق عليه ، وأتاه واضحٌ فى أربعمائةٍ فارسٍ من أهل مدينة سالم ، ووصل غلامه يلبق في مائتى فارس .

وأقبل سليمان بالبربر فنادى ابنَ عبد الجبار أن يُخْرِجَ كل من بلغ به الحُلُمُ [1] من سائر الناس ، فلم يتخلف أحدٌ فلا ترى إلا شيخا ضعيفا أو حَدَثًا غِرًّا وبقّالا ونسّاجا . فلما كان فى يوم السبت منتصف شهر ربيع الأول التقى البربرُ وأهلُ قرطبة فحمل عليهم من البربر نحو/ ثلاثين فارسا فلم يقفوا لهم وانهزموا ، ٢١٧-ب وسقط بعضهم على بعض . ومضى واضحٌ من فَوْره إلى الثَّغْر لم يعرج على شىء .. ووضع البربر السيف فى أهل قرطبة فقتلوا خلقًا كثيرًا [2] ، وغرق فى وادى قرطبة مالا يُحْصى .

وسار ابن عبد الجبار إلى القصر وأظهر هشاما المؤيد وأقعده حيث يراه الناس فى مكان يشرف على باب الشكال والقنطرة ، وأرسل القاضى ابن ذكوان إلى البربر يقول :إنما أنا قائم دون هشام ونائبٌ عنه كما يحجبه الحاجب والأمر له ، وهو أمير المؤمنين ! فلما أبلغهم

(١) كناية عن البلوغ .

(٢) يقول المقرى فى نفح الطيب ١ : ٤٠٤ « وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدنتها ومؤذنيها عالم » .

القاضى الرسالةَ قالوا : بالأمس يموت هشامٌ وتصلِّى عليه أنت وأميرُك ، واليوم يعيش وتُرجع الخلافة إليه ! فاعتذر القاضى من ذلك .

ثم خرج أهلُ قرطبةَ بأجمعهم إلى سليمانَ فأكرمهم ، وأحسن لقاءهم . ودخل سليمانُ القصرَ ، وهرب ابنُ عبد الجبار فكانت مدةُ ولايته تسعةَ أشهر . واستنجز ابن مادوية البربرَ أن يعطوه الحصونَ التى شرطوها له فقالوا : ليست الآنَ بأيدينا فإذا عهد سلطاننا أنجزنا لك ما وافقناك عليه ! ورحل يومَ الإثنين لسبع بقين من شهر ربيع الأول .

قال : ثم فَرَّق سليمانُ العمال فى الولايات ، وأنزل البربر بالزهراء ، وأعاد المؤيد إلى السجن ، وأنزل شنشول عن خشبته وأمر بغَسْلِه
٢١٨-ا والصلاةِ عليه / ودفنه ، فدفن فى دار أبيه .

وأما المهدى محمد بن هشام فإنه هرب إلى طليطلة بعد اختفائه بقرطبة ، فوصل فى أول جمادى الأولى فقبله أهلُها أحْسَنَ قَبُولٍ ، وخالفوا هشامَ بنَ سليمان . فتأهب لقصد طليطلة . ورحل يوم الإثنين لإحدى عشرةَ خَلَتْ من جُمادى الآخرة . فلما قرب منها أرسل الفقهاء إلى أهلها ليعذر إليهم فرجعوا بخلافهم ، فسار إليهم . وكان رجلٌ يعرف بالقرشى الحرّانى قد جمع جموعًا عظيمةً ودعا لِنَفْسِه ، فسرح إليه سليمانُ علىَّ بن وداعة فى جيش كثيف فهزم جموع القرشى وأسره وأحضره إلى سليمان ، فاعتقله ثم قتله .

قال : وتجاوز سليمانُ طليطلة رجاءَ أن يرجعوا إلى الطاعة ، ورحل إلى الثغر ونزل على مدينة سالم . ثم التحق بمحمد بن عبد الجبار

فى جماعةٍ من العبيد ، وانضم إليه ابن مسلمة صاحب الشرطة . وخرج واضحٌ من مدينة سالم إلى طرطوشة وكتب إلى سليمان يرغب فى المعافاة من الخدمة ويكون فى ميورقة [1] مرابطا وينقطع عن الناس ، وإنما يفعل ذلك تطمينًا لسليمان حتى يحكم أمره . فأرسل سليمانُ إليه بالنظر فى سائر الثغر وجهادِ العدوِّ ، فأخذ واضح فى الاتفاق مع الفرنج وشرط لهم ما أرادوه ، واجتمعوا كلهم مع المهدى بطيلطلة .

/وبلغ سليمان ذلك فاستنفر النـاسَ فاستعفاه أهـل قرطبة ، ٢١٨-ب
وذكروا عجزهم عن القتال فأعفاهم بشفاعةِ البربر . وخرج لقتال القوم ، فالتَقَوْا عند عقبة الثغر فى العُشْر الأخير من شوّال ، فجعل البربرُ سليمانَ فى ساقتهم وجعلوا معه خيلا من المغاربة وقالوا له: لاتبرح موضعك ولو وطئتك الخيل !ثم تقدموا فحملت !الفرنج عليهم حملةً منكرة فأخرجوا لهم ليتمكنوا منهم ، فرأى سليمانُ خيل الفرنج وقد خرقت صفوفَ البربر فلم يشك أن البربر قد اصطلمو [2] ، فانهزم فيمن معه . ثم عطف البربر على الفرنج فقتلوا ملكهم أرمغند ، وستين من وجوههم . ورأى البربر هزيمة سليمان فانحازوا إلى الزَّهراء ، ثر خرجوا منها ليلا . ومضى سليمان إلى مدينة شَاطِبة [3] ، فكانت مدة ولاية سليمان سبعة أشهر .

---

(١) Majorca جزيرة فى البحر المتوسط شرق بلنسية طولها كما ورد فى المغرب ٢ : ٤٦٦ أربعون ميلا وتكثر بها الحصون .

(٢) اصطلموا : قطعوا أو استؤصلوا ، ويقال وقعة صليمة أى مستأصلة .

(٣) مدينة عظيمة مشهورة وردت فى المغرب ٢ : ٣٨٠ على أنها نشزت على بلنسيه فى مدة ملوك الطوائف ، تغلب عليها موالى العامرية ثم بنوهود ثم الملثمون .

ذكر دولة المهدى محمد الثانية

قال [١] : ولما انهزم سليمان دخل محمد بن هشام بن عبد الجبار قرطبة ومعه الفرنج فأفسدوا غايةَ الفساد ، ونهبوا الأموال ، واستطالوا على الناس ثم سألهم المهدىُّ وواضحٌ المسير معهما لقتال البربر فخرجوا كلُّهم ، والتَقَوْا بالبربر بوادى لدة [٢] لِسِتٍّ خلون من ذى القعدة ، واقتتلوا قتالا شديداً فانهزم واضحٌ وابنُ عبد الجبارِ والفرنجُ أقبح هزيمة ، وقتل فى المعركه يلبق غلام واضح ومؤمن الصقلبى ، وتَخَلَّف ابن زُرْزور مولى الحكم وغيرهم . وقتل من الفرنج أكثرُ من ثلاثةِ آلافٍ وغرق فى البحر كثيرٌ ، واحْتَوى البربرُ على مافى معسكرِهم ، ووصل المنهزمون إلى قرطبةَ فى اليوم الثانى من الْوَقْعَةِ فزاد حنقُ الفرنج وعاثوا بقرطبَةَ وقتلوا كلَّ من يُشَبَّهُ بالبربر بها . فسألهم محمد وواضحٌ ، ورغِبا إليهم فى الرجوع معهم لقتال البربر ، فأَبَوْا عليهما وقالوا : قد قُتل ملكُنا وخيارُنا ووجوهُنا ! وفارقوا مدينةَ قرطبة وعادوا إلى بلادهم ، وكان رحيلُهم عنها لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ من البربر ، حتى كان الرجل من أهلها يلقَى الآخر فيعزيه كما يُعَزَّى مَنْ فَقَدَ أهلَه وماله !

ثم فرض محمد بن عبد الجبار على أهل قرطبةَ مالاً فأَدَّوْه ، وتهيأ للخروج وخرج بواضحٍ وأهلِ قرطبةَ والعبيد لقصْد البربر . فلما ساروا ثلاثين ميلا كرُّوا راجعين إلى قرطبة ، وأقام من ورائه سوراً

٢١٩ـ١ /

(١) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٨٥ .
(٢) كذا فى ا وفى ك ١٣٠ وفى ف ١٢٤ — ا .

وتحصن به . هذا والبربر يغيرون فى نواحى قرطبة ، وأخذوا الجبل المعروف/ بابن حفصون - وهو كثيرُ الماء والمرعى والثمار والزرْع - فزاد ذلك فى قُوَّتهم . وابن عبد الجبار وجندُه فى انهماك على اللَّهو وارتكابِ المحارم وإظهار الفسق ، وإفساد ما قدروا عليه ، والنزول على الناس فى دورهم ، وقتْل من دافعهم ، فكره واضح ذلك منه - وكان قد حقد عليه ما أتاه إلى بنى أبى عامر - فأخذ فى التدبير عليه . ٢١٩ ب

وبلغ ذلك محمد فجمع ما فى القصر من النفائس وسلمها إلى ابن رافعِ رأسِه - رجل من أهل طليطلة - وأمره بالخروج إليها ،وتحيّل فى الخروج فى أثره . فلما كان فى يوم الأحد الحادى عشر ن ذى الحجة سنة أربعمائة - وقيل لثمان خلون منه - ركب واضح والعبيدُ وأهل الثغر وصاحوا : لا طاعة إلا طاعة المؤيد !

ثم قصدوا القصر وأخرجوا المؤيد ، وأجلسوه على منبر الخلافة وألبسوه لباسَها . وكان محمدبن عبدالجبار فى الحمام ،فدخل عليه ابن وداعة وأخبره الخبر ، فخرج وجاء إلى هشام وأراد أن يجلس إلى جانبه ، فأخذ عنبرٌ الخادمُ بيده ورمى به من على المنبر وأجلسه بين يدى المؤيد . فسَبَّهُ المؤيدُ ووبَّخه وعدَّد عليه ما أتاه وما فعله معه ، فأخذ عنبرٌ بيده وأقامه وأصعده إلى السطح وأراد ضرْب عُنُقةِ فتعلق به ، فتعاورته سيوفُ العبيدِ والخدم والصقالبة / فقتلوه ، وأخذوا رأسه ورموا بجثته ، فسقطت فى الموضع الذى كانت فيه جثة ابن عُسفلاجة لما قتله . فكانت مدةُ ولايته هذه نحو شهرٍ ، ٢٢٠ ا

ومدةُ مملكته الأُولى والثانية عشرة أشهر ، وعمره خمساً وثلاثين سنة !

ذكر دولة المؤيد هشام الثانية

قال[١] : وبايع الأَجناد هشاما المؤيد فى يوم الأَحد الحادى عشر من ذى الحجة سنة أربعمائة وأُحْضِر بين يديه رأسُ محمدٍ المهدى ، فأَمر بإرساله إلى البربر وهم يومئذ بوادى شوش فى خدمة المستعين بالله سليمان بن الحكم ، طمعاً أَنَّ البربر يفعلون به كما فعل هو بالمهدى ، ويعودون إلى طاعته فيتم أَمرُه وتستقيم دولتُه . فلما وصل إليهم مع جماعة من أَهل قرطبةَ كادوا يقتلونهم ، فمنعهم المستعين بالله بعد أَن أَفرط فى توبيخهم ، فعادوا إلى قرطبة .

وتولى واضحٌ العامرىُّ حجابة المؤيد ، وأَمره بحفْر الخندق على قرطبة فحفره ، وحصنها ، قال[٢] : وكان لمحمدِ بنِ عبد الجبار ولدٌ بقرطبةَ عمرُه نحو ستَّ عشرة سنةً فاحتال له شيعةُ أَبيه حتى أَوصلوه إلى مدينة طليطلة ، فقبله أَهلُها ، وأَمّروه عليهم . فأَغار على بعض ما كان لواضح ، فلقيه محاربٌ التجيبى فقهره وأَسره وأَرسل به إلى واضح ، فقتله .

قال[٣] : ثم / قصد المستعينُ قرطبةَ فى جموعه من البربر ، ٢٢٠-ب

(١) ابن الأثير فى الكامل٧ : ٨٥ ونقل عنه الخبر فى البداية والنهاية ١١ : ٣٤٢ .
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٤٨ .
(٣) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٤٨

فلم يتمكنْ منها ، فقصد الزهراء فاستولى عليها فى يوم السبت لستٍّ بقين من شهر ربيع الأول سنةَ إحدى وأربعمائة ، وقتل منْ بها من الجند ، وأخذ فى قتال أهل قرطبة ، وواضحٌ يتولىّ حرْبَه . ثم رحل البربر من الزهراء لخمسٍ بقين من شعبان ، وجعلوا يغيرون على البلاد ويخرِّبون ، فانضم أهلُ البوادى إلى قرطبةَ خوفاً منهم ، فصاروا أكثرَ من أهلها ، وغلت الأسعار فمات أكثرهم جوعا . وقطع البربر الميرة عن قرطبة ، فاشتد بها الغلاء فبيع مُدُّ القمح - وهو قفيزان ونصف بالقروى - بثلاثمائة دينار دراهم وهى مائة مثقال عينا . وجاءت رسل ابن مادويه يستنجزون تسليمَ الحصون إليه على أن لا يغزوهم ولا يتعرض لشىء من ثغورهم ، فرَضُوا بهدنة وسلَّموا إليه مدناً كثيرة وأكثرَ من مائتى حصنٍ مما افتتحه الحكم بن عبد الرحمن ومحمد بن أبى عامر . وسمع ابنُ شالوس [1] بما تسلَّم ابن مادويه من الحصون ، فكاتبَ على حصونٍ أخرى وتَوعَّد وتهدَّد ، فأُجيب إلى ما سأل وسُلِّمت إليه .

وأخرب البربرُ مدنا جليلة ، وقتلوا أكثر أهلها ، ولم تسلم منهم إلا طليطلة ومدينةُ سالم ، وبلغت خيلهم أندراوه [2] وما وراءها حتى إنَّ الراكب يسير شهوراً لا يرى أحدًا فى قريةٍ ولا طريق . قال [3] : واستخف جندُ قرطبةَ بواضح حتى صاروا / يصرحون بَرَسَبِّه ، ٢٢١ ـ ا
فعزم على مراسلة البربر فى الصلح لما رأى من اضطراب الجند عليه

(١) عن ك ١٣٢ ورسم ا ، ف ١٢٥ - ب « شالس » وهو أحد ملوك الفرنج .
(٢) كذا فى سائر النسخ وفى صفة جزيرة العرب صفحة ٣١ « أندارة » مدينة عظيمة فى شرق الأندلس .
(٣) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٤٩ .

وطمعهم فيه ، وأظهر أن ذلك عن رأى هشام لما فيه من الصلاح للعامة والخاصة . فبعث واضحٌ إلى البربر رجلا يعرف بابن بكر فاجتمع بسليمان وعاد بجوابه فقتله الجند فى المجلس – ولم يقدر هشام ولا واضحٌ على مَنعهم – واحتزُّوا رأسه ، وطافوا به البلد . فعزم واضحٌ على الهرب إلى البربر ، وكان ابن أبى وداعة يعاديه فزحف إلى داره فى عِدةٍ من الجند فأخرجوه حاسراً وعاتبوه على ما أتلف من الأموال وما عزم عليه من مصالحة البربر . وضربه ابنُ أبى وداعة بسيفه وحمل عليه القوم فقتلوه ، واحتزوا رأسه وطافوا به ، وألقوا جثته في الرصيف بالموضع الذى أُلقِىَ فيه ابنُ عُسقلاجة وابنُ عبد الجبار ، ونُهبت دور أصحابه .

وولّى هشام ابنَ أبى وداعة المدينة ، فاشتدَّ على أهل الريب وهاب الجند وغيرهم ، وكان مقتل واضح فى يوم الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعمائة .

ثم قدم البربر وسليمان ، ونازلوا قرطبة وظاهرها وقد امتلأت أيديهم بالغنائم ، وقلَّت الأقواتُ على أهل قرطبة ، وعظم عليهم الخطب ، واشتد الأمر ، وكان بين أهلها والبربر مراسلاتٌ وأمورٌ يطول شرحها . كان آخر ذلك أن سليمان ملك قرطبة فى يوم / الأحد لثلاث خلون ٢٢١ ـ ب من شوّال سنةَ ثلاثٍ وأربعمائة ، وكانت مدةُ ولاية المؤيد الثانية سنتين وتسعةَ أشهر واثنين وعشرين يومًا وفُقِد المؤيد لخمس خلون من شوال سنة ثلاث وأربعمائة .

ذكر دولة المستعين بالله الثانية

قال [١] : ولما فتح سليمانُ بنُ الحكم المستعينُ قرطبةَ دخل القصر لخمسٍ خلون من شوّال وتلقّب بالظافر بحول الله ، وأحضر هشاماً ووبخه وقال : قد كنتَ تبرأتَ لى من الخلافة فأعطيت صفقةَ يمينك فما حملك على نَقْضِ عهدِك ؟ فاعتذر أنه مغلوب عليه ، وتبرأ له ، وسلّم الأمر إليه . وضرب سرادق سليمان بشقنده ، ونزل البربر حوله ، وهرب كثير من موالى بنى أمية فاحتوى البربر عليها واقتسموا البلد بينهم . وطالب سليمانُ الناسَ بالأموال فغرمهم فوق طاقتهم ، واشتد أمر البربر على الناس فاستباحوا الأموالَ والحريم وسليمانُ لايمكنه دفعهم وليس فى يده مع قرطبة غيرُ إشبيليه ولبلة والشنبة وباجة .

وكان فى عسكره رجلان [٢] من ولد الحسن بن على بن أبى طالب وهما القاسم وعلى ابنا حمّود بن ميمون فقوّدهما على المغاربة ، ثم ولّى عليا الأصغر منهما سبتة [٣] وطنجة [٤] ، / وولى ١ـ٢٢٢ القاسم الجزيرةَ الخضراء ، وبين الموضعين المجاز المعروف بالزقاق [٥] ، وسعة البحر هناك ثمانية عشرة ميلا .

(١) بن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٦٨ وانظر البداية والنهاية ١١ : ٣٤٨ .

(٢) هما من عقب إدريس ملك فاس وبانيها وكانا قد اجتازا مع البربر مضيق جبل طارق إلى الأندلس (نفح الطيب ١ : ٤٠٦) .

(٣) Ceuta سبته بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ، وهى على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق (معجم البلدان ٣ : ١٨٢) .

(٤) Tangier بلد البربر على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء (معجم البلدان ٤ : ٤٣) .

(٥) هو مضيق جبل طارق اليوم .

وكانت العبيد لما خرجوا من قرطبة عند دخول البربر إليها ملكوا مدنا عظيمة وتحصّنوا فيها ، فراسلهم على بن حمّود وذكر أنّ هشام بنَ الحكم لما كان محاصَرًا بقرطبة كتب إليه يوليه عهده فاستجاب له العبيد وبايعوه . فزحف من سبتة إلى مالقة (١) وفيها عامر بن فتوح الفائقى مولى فائق – مولى المستنصر – فأطاعه وأدخله مالقة . فملكها علىٌّ بن حمود وأخرج عنها عامر بن فتوح ثم زحف بمن معه من البربر وجمهور العبيد إلى قرطبة ، فأخرج له المستعين ولده – ولى عهده محمد بن سليمان – فى عساكر البربر ، ومعه أحمد بن سعيد الوزير . فانهزموا ، ورجع محمد بن عبد الله الزناتى إلى قرطبة ، وأخرج المستعين بالله وضمن له أن يقاتل بين يديه . فلما قربوا من عسكر على بن حمود قادوه بلجام بلغلته وسلموه لعلى ، فلما حصل فى يده دخل القصر فى يوم الأحد لسبع بقين من المحرم سنةَ سبع وأربعمائة ، وضَرب عنقَ سليمان بيده وقتل أباه الحكم – وهو شيخ كبير له اثنتان وسبعون سنة – فكانت مدةُ وَلايةِ سليمانَ ثلاثَ سنين وثلاثة أشهر وأياما . وكان مولده سنة أربع / وخمسين وثلاثمائة ، وكان أديبًا شاعرًا ، فمن شعره : ٢٢٢ – ب

عجبًا يهابُ اللَّيْث حدّ سِنانى وأهابُ لَحْظَ فَوَاتِرِ الأجفانِ

وهى أبيات عارض بها العباس بن الأحنف فى أبياته التى أنشدها على لسان الرشيد التى أولها :

ملَكَ الثلاثُ الآنسات عنانى وحلَلْنَ من قلبى بكلِّ مكانِ

(١) Malaga مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء وألمريه (معجم البلدان ٥ : ٤٣) .

وقد ذكرنا ذلك فى باب الغزل والنسيب ، قال[1] : ولما قُتِل سليمانُ بن الحكم هذا انقطعت دعوة بنى أمية من سائر اقطار الأندلس وقامت دعوة الفاطميين بها . وولى منهم ثلاثة ملوك وهم على بن حمود ، والقاسم بن حمود أخوه ، ويحيى بن على ، ثم عادت بعد ذلك الدعوةُ الأمويه على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر امارة الناصر على بن حمود

ابن ميمون بن أحمد بن على بن عبد الله بن عمر بن إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، ملك قرطبة لسبعٍ بقين من المحرم سنةَ سبع وأربعمائة على ما ذكرناه ، وخوطب بأمير المؤمنين ، وتلقّب بالناصر[2] . ولما دخل قرطبةَ أحضر الفقهاء والوزراء وسألهم سليمانَ بحضرتهم عن المؤيد فقال « مات » فألزمه أن يُرِيَه قبره فأخرجه دفينا لا أثَر فيه فأمر بتكفينه ودفنه فى الروضة . ثم استفتى الفقهاء فى قَتْلِ سليمانَ ، فقتله هو وأباه الحكم وأخاه عبد الله وولده سليمانَ فى وقت واحدٍ ، وتَمّ لعلى ما أراد واستقامت أموره . ٢٢٣ـ١/

وفى سنة ثمانٍ وأربعمائة خَالَف عليه العبيدُ الذين كانوا بايعوه ، وقَدّموا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر [أخا المهدى] وسمّوه المرتضى وزحفوا به إلى قرطبة ، ثم ندموا على إقامته لِما رأوه من صرامته ، وخافوا عواقب تَمكُّنِهِ فانهزموا عنه

(١) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٨٥ .

(٢) بولايته تبدأ دولة العلويين ببلاد الأندلس (البداية والنهاية ١٢ : ٢٥) .

ودسُّوا عليه من قتلة غيلةً . وبقى علىُّ بن حمود بقرطبةَ إلى آخر سنةِ ثمانٍ وأربعمائة فقتله صقالبتُه فى الحمام ، فكانت مدة ولا يته سنةً واحدةً و عشرةَ أشهر ، وكان له من الوالد يحيى وإدريس .

ذكر ولاية المأمون

القاسم بن حمود بن ميمون الفاطمىّ

ولى بعد مقتَلِ أخيه الناصر فى أواخر سنةِ ثمانٍ وأربعمائة ، وكان أسنَّ من الناصر بعشرة أعوام ، ونعت نسفه بالمأمون/ وكان يحبّ ٢٢٣ ـ ب
الموادعةَ ، فأمن الناس معه . وكان يذكر عنه أنه يتشيّع ولم يُظْهِرْ ذلك ، ولا غيَّر للناس عادةً ولا مذهبا ، وكذلك سائر من ولِى منهم بالأندلس . فبقى القاسمُ إلى شهر ربيع الأول سنةَ اثنتى عشرة وأربعمائة ، فقام عليه ابن أخيه يحيى بن على بن حمّود بمالقة[1] ، فهرب القاسم عن قرطبةَ بغير قتال ، وصار إلى إشبيلية .

وزحف ابن أخيه المذكور من مالقة بالعساكر ، فدخل قرطبةَ دون مانع ، وتسمَّى بالخلافة وتَلَقَّب ، فبقى كذلك إلى أن اجتمع للقاسم أمره واستمال البربر ، وزحف بهم إلى قرطبة فدخلها فى سنةِ ثلاثَ عشرةَ وأربعمائة . وهرب يحيى بن على إلى مالقة ، فبقى القاسم بقرطبةَ شهورًا . ثم اضطرب أمره ، وغلب ابنُ أخيه يحيى على الجزيرة الخضراء وكانت معقل القاسم وبها كانت امرأته وذخائره . وغلب ابنُ أخيه إدريس بن على [شقيق يحيى] صاحب سبتة على طنجة ، وكانت عدة القاسم يلجأ إليها إن رأى

(١) فى نفح الطيب ١ : ٤٠٧ أنه كان على سبتة ، ثم احتل مالقة .

ما يخاف . وقام عليه جماعة أهل قرطبة فى المدينة ، وأغلقوا أبوابه دونه ، فحاصرها نَيِّفًا وخمسين يوما ، ثم زحف أهلُ قرطبةَ فانهزموا عن القاسم . ولحقت كلُّ طائفةٍ ببلدٍ فغلبت عليه ، وذلك فى شعبان سنة أربعَ عشرةَ وأربعمائة وأعاد أهلُ قرطبةَ الدولةَ الأُمويةَ / على ما نذكره إن شاء الله تعالى . ٢٢٤ ـ ا

قال [١] : وأما القاسم فقصد إشبيليةَ وبها ابناه محمدٌ والحسن فلما عرف أهل إشبيليةَ خروجَه عن قرطبة ومجيئه إليهم طردوا ابنيْهِ ومنْ كان معهما ، وضبطوا بلدهم وقدَّموا على أنفسهم ثلاثةَ رجال ، منهم القاضى أبو القاسم محمد بن إسماعِيل بن عبّاد اللخمى ، ومحمد بن مرثم الإهانى ، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدى ، ومكثوا كذلك أيامًا مشتركين فى سياسة البلد وتدبيره ، ثم انفرد القاضى أبو القاسم بن عباد على ما نذكره إن شاء الله .

ولحق القاسم بشريش [٢] ، واجتمع البربر على تقديم ابن أخيه يحيى ، وحصروا القاسم حتى صار فى قبضة ابنِ أخيه . وانفرد بولاية البربر ، وبقى القاسم أسيرًا عنده وعند أخيه إدريس إلى أن مات إدريس ، فقُتل القاسم خَنْقًا فى سنةِ إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وحُمِل إلى ابنه محمد بن القاسم بالجزيرة فدفنه هناك .

---

(١) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٨٧ .

(٢) Xeres مدينة كبيرة من كورة شذونة ، وتسمى أيضا « شرش » (معجم البلدان ٣ : ٣٤٠) .

وكانت ولايةُ القاسم تُسمَّى بالخلافة بقرطبةَ إلى أن أسَرهَ ابنُ أخيه ستَّةَ أعوام ، ثم كان مقبوضًا عليه ستَّ عشرةَ سنةً عند ابنَىْ أخيه إلى أن مات — قيل ومات وهو ابن ثمانين سنة — وله من الولد محمد والحسن وأمهما أميرة بنت الحسن بن فنون بن إبراهيم العلوى .

ذكر ولاية المعتلى يحيى بن على

٢٢٤-ب

وكنيته أبو إسحاق ، وقيل أبو محمد تَسمَّى بالخلافة بقرطبة فى سنةِ ثلاثَ عشرةَ وأربعائة ، ثم هرب منها إلى مالقة فى سنة أربع عشرة . ثم سعى قومٌ من المفسدين فى إعادة دعوته بقرطبة فى سنةِ ستَّ عشرةَ ولم يدخلها ، واستخلف عليها عبد الرحمن بن عطاف ، ثم قطعت خطبته من قرطبة فى سنة سبع عشرة . وبقى يتردد إليها بالعساكر إلى أن اتفق جماعة البربر على طاعته ، وسلموا إليه الحصونَ والقلاع والمدن ، وعظم أمره فصار بقرمونة ليحاصر مدينة إشبيليه . فخرج يوما وهو سكران إلى خَيْلٍ ظهرت من إشبيلية بقرب قرمونة ،[1] فلقيها وقد كمن له كمناء ، فلم يكن بأسرع من أن قتل ، وذلك فى يوم الأحد لسبعٍ خلون من المحرم سنة سبع وعشرين وأربعائة ، وكان له من الولد الحسن وإدريس .

---

(١) Carmona مدينة بالأندلس فى الشرق من إشبيلية (صفحة جزيرة العرب ١٥٨) .

ذكر عود الدولة الأموية بمدينة قرطبة

ومن ولى منهم

(أ) ذكر امارة المستظهر بالله ١-٢٢٥

هو أبو المطرّف عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار – أخو المهدى – بويع له بالخلافة بقرطبةَ لثلاثَ عشرةَ من شهر رمضان سنةَ أربع عشرةَ وأربعمائة . وذلك أن أهل قرطبة لما هزموا البربر وأخرجوا القاسم – كما قدمنا – اتفق رأيُهم على ردِّ الأمرِ إلى بنى أمية . فاختاروا منهم ثلاثة ، وهم عبد الرحمن هذا ، وسليمان بن المرتضى، ومحمد بن عبد الرحمن . فاتفق رأيهم على إمارة عبد الرحمن فبايعوه ، وتلقب بالمستظهر ، وكان مولده فى ذى القعدة سنةَ اثنتين وتسعين وثلاثمائة . وقام عليه محمد بن عبد الرحمن مع طائفةٍ من أرذال العوام فقتل عبد الرحمن لثلاثٍ بقين من ذى القعدة منها ، وقيل لثلاثٍ خلون منه . وكان فى غاية الأدب ، وله شعر . وزيره الفقيه أبو محمد على بن أحمد بن حزم[1] .

(ب) ذكر امارة المستكفى بالله

هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر بن هشام المستظهر ، وأمه أم ولد اسمها

(١) يذكر المقرى فى نفح الطيب ١ : ٤١٢ أن حسان بن أبى عبدة – وكان شخصية بارزة ويقول الشعر – وزر له أيضا ، ولم يكن يوافقه على تفرده بالسلطة ، وكان يعالبه بالقريض !

٢٢٥ـب حوراء[1] ولِي بعد قَتْل المستظهر لثلاثٍ خلون أو بقين من ذى القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وله ثمان وأربعون سنةً . وكان أبوه ممن قتله الوزير محمد بن أبى عامر فى أوّل دولة المؤيدِ هشام لِسَعْيِه فى القيام وطلبه الأمرَ ، فولِىَ محمدٌ هذا عشرةَ أشهرٍ وأياما ، وخُلع . وقيل بل خلع فى يوم الثلاثاء لخمسٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة ستّ عشرةَ ، وخرج من قرطبة يريد الثَّغْرَ فمات بقريةٍ من قُرى شنت مرية فى أول شهر ربيع الآخر منها ، فكانت مدةُ مملكته بقرطبةَ على هذا القول سنةً وأربعة أشهر . وكان الحاكم فى أيامه صاحب المظالم محمد بن عبد الرؤوف .

وكان محمد بن عبد الرحمن فى نهاية التخلف ، صاحب أكْلٍ وشرْبٍ ونكاح ، ولم يزل مُتَغَلَّبًا عليه طولَ ولايته لا يُنفذ له أمر ، ولا عقب له . وقيل فى وفاته إنه لما هرب من قرطبة سار حتى انتهى إلى قرية يقال لها سمّونت من أعمال مدينة سالم ، فجلس ليأكل وكان معه عبد الرحمن بن محمد بن السليم — من ولد سعيد بن المنذر — فكره التمادِى معه ، فَسمَّه فى دجاجةٍ فمات لوقته ، فَقَبْرُه هناك . ولما خلع أعيدت خطبةُ يحيى ابن علىٍّ الفاطمىّ ، ثم قطعت وأعيدت الخطبة للدولة الأُموية .

(ج) / ذكر ولاية المعتمد على الله

٢٢٦ـ١ هو أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، وهو أخو المرتضى [2] ، بويع له فى شهر ربيع الأول

(١) وابنه الأديبة المشهورة ولادة .

(٢) لقبه هنا المعتمد على الله ، على أنه يلقب فى كتب أخرى بالمعتد بالله ، وفى نفح الطيب ١ : ٤١٣ المعتد بالله .

سنةَ ثمانى عشرةَ وأربعمائة ، وقيل فى يوم الجمعة سلخ شهر ربيع الآخر منها . وذلك أنه لما قُطِعت خطبة يحيى بن على [١] فى سنةِ سبعَ عشرةَ وأربعمائةٍ اجتمع رأى أهل قرطبة على ردِّ الأمر إلى بنى أميه ، وكان عميدهم فى ذلك الوزير أبو الحزم جهْور بن محمد بن جهور . فراسل أهل الثغورِ فى ذلك فاتفقوا عليه بعد مُدةٍ ،فبايعوا لأبى بكرٍ وهو بالثغر فى حصن البُونت[٢] عند أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم .

فبقى يتردّد فى الثغور سنتين وعشرةَ أشهر - وقيل سبعة أشهر وثارت هناك فتَنٌ كثيرةٌ يطول شَرْحُها ، واضطرابٌ شا يدٌ من الرؤساء بها ، إلى أن اتفق رأيهم على أن يسير إلى قرطبة الملكُ . فسار إليها ، ودخلها فى يوم منى ثامن ذى الحجة سنةَ عشرين وأربعمائة . ولم يُقم إلا يسيرًا حتى قامت عليه فرقةٌ من الجند ، فخلع !

قال بعض المؤرخين : كان سبب خلعه أنَّ وزيره ومدبِّر أمره أبا العاص الحكم بن سعيد كان فاسدَ /الطريقة ، ولم يكن له سابقة رئاسة . فكرهه ٢٢٦ ب
الناس فَدسُّوا عليه فى بعض الطرق من قال نصيحة تقربه منه - وكان أطروشا - فأصغى إليه ليقولها فى أذنه ، فَجرَّه عن دابته فقتل .

وخلع المعتمد ، وخرج إلى الثغر لينتزعه من يد المنذر بن يحيى ،

---

(١) هو يحيى بن على بن حمود ويلقب بالمعتلى ، ملك لما خلع أهل قرطبة المستكفى ، وقد خلعه القرطبيون بدوره بزعامة الوزير جهور بن محمد بن جهور .

(٢) أحد معاقل إقليم بلنسيه ، جاء فى المغرب ٢ : ٣٩٥ أنه صار شجى فى حلق صاحب بلنسية وعنده أطال المكث هشام المعتد المروانى الذى صار خليفة بقرطبة .

فمات بِلارِدَةَ [١] – وهى فى مملكة سليمان بن هود – فى يوم الجمعة لأربع بقين من صفر سنةَ ثمانٍ وعشرين وأربعمائة .

قال : وولى قرطبة بعده قريب من سِتَّةٍ ، ثم دُعِى للمؤيد هشام – وذُكر أنه حىٌّ – فى يوم الخميس لليلتين خَلَتَا من المحرم سنة سبعٍ وعشرين وأربعمائة إلى أن أُشيع موت هشامٍ هـذا . فتَغلب على قرطبةَ أبو الحزم بن جهْور – على ماسنورده – وانقطعت دعوة بنى أمية من سائر البلاد إلى هلم . وكانت مدة مُلْكِ بنى أميةَ ببلاد الأندلس – من سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة وإلى هذا التاريخ – مائتى ستةٍ وتسعين ، وعدة من ملك منهم خمسةَ عشر ملكا وهم [٢] :

عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، هشام بن عبد الرحمن ، الحكم بن هشام المرتضى ، عبد الرحمن بن الحكم ، محمد ابن عبد الرحمن الأمين ، المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، /الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن ، هشام المؤيد ١ – ٢٢٧ بالله (دفعتين) ، محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدى (دفعتين) سليمان بن الحكم المستعين بالله (دفعتين) . ثم انقطعت دعوتهم بقيام العلويين سبْعَ سنين ، وعادت بقرطبة بإمارة المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ، ثم المستكفى بالله

(١) Lerida مدينة مشهورة من مدن الثغر قرب طرسونة ، يقول الحميرى إنها فى ثغر الأندلس الشرقى (صفة الأندلس صفحة ١٦٨) .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٩٠

محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ، ثم المعتمد على الله أبو بكر هشام ابن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم . .

ذكر أخبار الأندلس

ومن ملكها بعد انقطاع الدعوة الأُموية

قال[1] : ولما انقطعت دعوةُ بنى أُمية بعد خَلع هشام تغلَّب كلُّ رئيسٍ على بلدٍ ، واستولى عليها ، ونحن نذكر ذلك على سبيل الاختصار . فأما قرطبة فاستولى عليها الوزير أبو الحزم جهْور ابن محمد بن جهور بن عبد الله بن محمد بن العمر بن يحيى بن عبد الغافر بن أبى عبيدة . قال : / وكان من وزراء الدولة العامرية قديم ٢٢٧ـ ب
الرئاسة موصوفًا بالدهاء والعقل ، لم يدخل فى شىء من الفِتَنِ قبل ذلك. فلما خلا له الجوُّ وأمكنته الفرصة وثب عليها ، فتولَّى الأمر واستقلَّ به ، ولم ينتقلْ عن رتبة الوزارة إلى الإمارة ظاهرًا ، بل دبَّر تدبيرًا حسنا لم يُسْبقْ إليه . وجعل نفسه مُمْسِكا للوضع إلى أن يجىء مستحقٌّ يتفق عليه الناسُ فيسلمه إليه ، ورتَّب البوابين والحشم على أبواب تلك القصور – على ما كانت عليه أيام الدولة – ولم يتحول عن داره إليها . وجعل ما يُرْفَعُ من الأموال السلطانية بأيْدى رجالٍ رتَّبهُم لذلك وهو المشرف عليهم ، وصيَّر أهلَ الأسواق جندًا وجعل أرزاقهم رؤوس أموالٍ تكون بأيديهم

(١) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٩٠ .

يأخذون ربحها خاصةً ورؤوس الأموال باقية ،يؤخذون ويراعون فى الوقت بعد الوقت كيف حِفْظُهم لها . وفرق السلاح عليهم وأمرهم أن يجعلوه فى الدكاكين والبيوت ، حتى إذا دهَم أمرٌ ليلا أو نهارً كان سلاح كلِّ واحدٍ معه ، وكان يشهد الجنائز ويعود المرضى .

وكانت قرطبةُ فى أيامه حرمًا يأمن فيه كلُّ خائف ، ولم تزل أيامه على أحسن نظام وأكمل اتِّساق إلى أن توفى فى صفر سنة خمسٍ وثلاثين وأربعمائة ، وتولى بعده ابنهُ محمدٌ .

ذكر ولاية أبى الوليد محمد بن جهور

١ ـ ٢٢٨ ا

ولى بعده أبيه فجرى على سُنَّتِهِ فى تدبير الأُمور ورعايةِ قلوبِ الرعية إلى أن مات ، وغلب عليها الأمير المُلَقَّب بالمأمون صاحبُ طليطلة إلى أن مات ، ثم استولى ابن عبّاد على قرطبة على ما نذكره .

ذكر أخبار مدينة طليطلة

ومن ملكها بعد بنى أمية وكيف كان استيلاء الفرنج عليها

أول من تغلَّب عليها بعد بنى أمية مع بقائهم بقرطبة رجل يقال له ابن يعيش ، وذلك أن أهلها لما خلعوا طاعةَ بنى أمية قَدَّموه على أنفسهم وولَّوْه أمرهم ، فلم تَطُلْ مدته . وصارت رئاسته إلى إسماعيل ابن عبد الرحمن بن عامر بن مطرّف بن ذى النون الهوارى [1] ، فتغلب على طليطلة . ولم تزل بيده إلى أن توفى فى سنة خمسٍ وثلاثين وأربعمائة ، فقام بعده ابنُهُ .

(١) يعتبر بنو ذى النون من أعظم ملوك طليطلة ، وقد بلغوا الغاية فى البذخ والكرم ، ولهم الإعذار المشهور الذى يقال له « الإعذار الذنونى » وبه يضرب المثل عند الأندلسيين .

ذكر ولاية المأمون يحيى بن اسماعيل

وَلِيَ طليطلة بعد أبيه ، ولما ولى أراد أن يستعين بالفرنج على ما
/حوله من المدائن والحصون لينتزعها ممن هى بيده . فكتب إلى ملك ٢٢٨ ـ ب
من ملوك الفرنج – كان قريبا منه وبينهما مودةٌ ومُرَاسلةٌ – يُقال له شنشكند[1] وقال له « اخرج إلىّ فى مائة من فرسانك وإننى فى مكان كذا لأجتمع بك فى أمرٍ لك فيه راحة » فخرج إليه شنشكند فى ستة آلاف فارس ، وخرج ابن ذى النون فى مائتى فارس من عسكر طليطلة .

وكمّن الفرنجىُّ أصحابَه خلف جبل بالقرب من الموضع وقال لهم : إذا رأيتمونا قد اجتمعنا فاخرجوا إلينا بأجمكم ! فلما فعلوا ذلك ورآهم المأمونُ سُقِط فى يده ، وحيل بينه وبين عَقْله فقال له شنشكند : يايحيى وحقِّ الإنجيل ماكنتُ أظنُّك إلاَّ عاقلا وإذا بك أحمقُ خلْقِ الله ، خرجتَ إلىّ فى هذا العدد القليل وسلَّمت إلىّ مُهْجَتَك بغير عهدٍ كان بينى وبينك قبل خروجك ولا دين بجمعنا وقد أمكننى اللهُ منك ، وحقِّ الإنجيل لا نجوت منى حتى تعطينى الحِصْن الفلانى والحصن الفلانى – وسمَّى حصونا من حصون المسلمين بين طليطلة وبينه – وتجعل لى عليك مالاً فى كل سنة ! .

فأجابه يحيى إلى ما طلب ، وسلَّمَ إليه الحصون ، ورجع إلى طليطلة شر رجوع . وتواتر الخِذْلانُ عليه إلى أن مات فى سنة ستين

(١) هو بن الفونش Alphonso أو اذفنش .

وأربعمائه ، وصارت ولايتهُ إلى ابنه القادر يحيى ، فدام بطليطلة
/ إلى أن ملكها الفرنج . ٢٢٩-ا

قال : ولما ملك امتدت يدُه إلى أموال الرعية ، واستعمل السفلة وأهلَ الثغور ، ولم تزل النصارى تطوى حصونَه حصنا بعد حصن حتى اسْتَوْلوْا على طليطلة فى سنة ثمانٍ وسبعين بعد أن حاصره ألفونش (١) سبْعَ سنين وملكها ، واتخذها دارَ مُلْكٍ ، وغَيَّرَ جامِعَها كنيسة وردَّ المسلمين إلى مسجدٍ غيرهُ وعَوَّضَهم مالا وقال : هذه كنيسةٌ كانت لنا فردّها اللهُ علينا ! وانتقل القادر بالله إلى بلنْسِية فقبله القاضى الأحنف بنُ حجاب .

ذكر أخبار دولة بنى عباد

وابتداء أمرهم ومن ملك منهم إلى أن انقضت مُدَّتُهم وانقرضت دولتهم

أول من قام منهم القاضى محمد بن إسماعيل بن قريش بن عبّاد ابن عمرو بن عطاف بن نُعَيْم - ونعيم وابنُهُ عطاف هما دخلا إلى الأندلس من المشرق - وهم من لخم من بنى المنذر بن المنذر ، وفيهم يقول الشاعر :

منْ بنِى المنْذِرِ وهو انْتِسَابٌ زادَ فى فَخْـــرِهِ بنو عبّاد
فيه لمـا تَلِدْ سِواها المعـالى والمعـالى قليـــلةُ الأولادِ

/ وكان محمد بن إسماعيل هذا قد تقدّم بإشبيلية إلى أن ولِى القضاء ، ٢٢٩-ب
فأحسن السياسة مع الرعية والملاطفةَ بهم ؛ فرمقته العيون ، ومالت

(١) الصحيح « ابن ألفونش » على ما فى نفح الطيب ١ : ٤١٦ .

إليه القلوب . فلما كان فى سنة ثلاثَ عشرةَ وأربعمائة ولى يحيى ابن علىٍّ الفاطمى قرطبة ، وكان من أمره وأمرِ عمِّه القاسم ما ذكرناه . ثم إنَّ أهلَ قرطبةَ أخرجوا القاسم بنَ حمّود فقصد مدينةَ إشبيلية ثم فارقها ، وقصدها بعد ذلك يحيى بن علىٍّ المعتلى ونزل بقرمونة لحصار مدينة إشبيلية وكانت الرئاسةُ بها بين ثلاثة — كما ذكرنا ذلك — فاجتمع وجوه المدينة وفيهم حبيب ابن عامر القرشى ومحمد بن مرثم الإهابى ومحمد الزبيدى وغيرهم . وأتَوْا إلى أبى القاسم محمد بن إسماعيل وقالوا : ما ترى ما نحن فيه وما حلَّ بنا من هذا الكافر وما أفْسد من أموال الناس ، فَقُمْ بنا نخرجْ إليه ونملكك ونجعلْ الأمر لك وننتصر لهشام !

ففعل ، وخرجوا لقتال يحيى بن على المعتلى ، فركب إليهم وهو سكران فقتل كما قَدَّمْنا . وملك محمد بن إسماعيل إشبيلية ؛ وقالوا له : نخرج إلى قرمونة من قبل أن يسبقك إليها إسحاق ابن عبد الله البرزالى ! فَهَمَّ محمد بذلك فسبقه إسحاق وملكها ، فكتب محمد إلى يحيى بن ذى النون الهوارى صاحبِ طليطلة يقول له : اخرج بعسكرك أو ابعث إلى بعسكر مع / قائدٍ من عندك ٢٣٠ـ١
حتى أُخْرج إسحاقَ بنَ عبدالله من قرمونة ، وأنا أُعينك على أخْذِ قرطبة وأجعلها لك مِلْكا !

فلما وصل كتابه إلى المأمون خرج إليه بنفسه فى عسكرٍ كبير ، فاجتمعا ونزلا على قرمونة ، وحاصراها وأخرجها عنها إسحاق . وأخذها محمدُ بنُ إسماعيل وأدخل ولده إليها ، وسارا إلى قرطبة وحاصراها .

فلما رأى [أهلها] [1] ما حلَّ بهم كاتبوا محمد بنَ إسماعيل وقالوا أنتَ أَوْلى من المأمون بالبلد وأحبُّ إلينا منه ! فاستوثق منهم ودخلها ليلا ويحيي لا علم له بذلك . . فلما أصبح وعلم الحال رجع بعسكره إلى طليطلة وكتب إلى ابن عكاشة – وهو رجل شجاع كان بيده بعضُ حصون الأندلس ، يقطع حوله السبيل ويقتل التجار ويأخذ الأموال ، وهو يظهر ليحيي طاعةً مشوبةً بمعصية – فأمره أن يجمع أصحابه وعضَّده بعسكر كبير ووجههم إلى قرطبة ، فتوجهوا إليها وقد فارقها محمد بنُ إسماعيل إلى إشبيلية وترك ولده بها .

فدخلها ابن عكاشة ليلا ، ودخل القصر ، وقتل كلَّ منْ وجَد من الحرس ، وذبح ولدَ محمد بنِ إسماعيل بيده . فلما بلغ ذلك محمد جمع العساكر وخرج إلى قرطبة ، فحصر ابنَ عكاشة وضيق عليه ، فخرج هاربا . واستوثق من الرعية وعاد إلى إشبيلية ، فوصل إليها يحيي بن ذى النون / وتغلَّب عليها . فَدَسَّ عليه محمد بنُ إسماعيل ٢٣٠ – ب طبيبه ، فَسَمَّه ، فمات ! فعندها خلص الأمرُ لمحمد بن إسماعيل : وذلك فى سنةِ أربع وعشرين .. هكذا نقل عز الدين عبد العزيز ابن شدّاد بن تميم بن المعز بن باديس فى كتابه المترجم بالجمع والبيان ، وذكر أيضا فى هذا الكتاب أنَّ يحيي توفي فى سنة ستين وأربعمائة ، وهذا فيه تنافٍ والله تعالى أعلم .

(١) إضافة يقتضيها السياق .

ذكر أخبار خلف الحصرى

المشبّه بالمؤيد هشام وقيام دعوتة بمملكة محمد ابن إسماعيل ، وما قيل فى ذلك

فأما قيام دعوته فإن محمد بن إسماعيل لما استولى على الأمر فى سنة أربعٍ وعشرين وأربعمائة وتعاظم أمره ، حسده أمثاله وكثُر الكلام فيه وقالوا « قتل يحيى بن على الحسنى من أهل البيت وقتل يحيى بن ذى النون ظلما » واتّسع القول فيه فبقى يفكر فيما يفعله . فبينما هو كذلك إذ جاءه رجل من أهل قرطبة فقال له : إنى رأيت - هشامًا فى قلعة رباح ! فقال له محمد : انظرْ ماتقول ! فقال ! إنى واللهِ رأيتُهُ وهو هشام بلا شك !

وكان عند محمد بن إسماعيل عَبدٌ من عبيد هشام يسمى تومرت ، - وهو الذى كان يقوم على رأس هشام - فقال له محمد : / إذا رأيتَ مولاك ٢٣١ - ١ تعرفه ؟ فقال : نعم ولى فيه علامات

فأرسل محمدٌ رجلين من الذين ذكروا أنهم رأوا هشامًا وقال : تَوجّها إلى قلعة رباح وائتيانى بهشام ! وأسرعا ، فَتَوَجّهَا فوجداه فى مسجد فى قلعة رباح ، فدخلا عليه وأعلماه أنهما رسولا القاضى محمد بن إسماعيل إليه . فسار معهما إلى إشبيلية . فلما دخل على القاضى قام إليه وسلم عليه وأنزله ووكل بخدمته تومرت مولاه . فلما رآه تومرت قَبَّل يديه ورجليه وقال للقاضى : هو والله مولاى هشام ابن الحكم .

فعند ذلك قام إليه القاضى محمد بن إسماعيل وقَبَّلَ رأسه ويديه ، وأمر بنيه فدخلوا عليه وفعلوا كفعله ، وسلّموا عليه بالخلافة . وأخرجه

محمد بن إسماعيل فى يوم الجمعة إلى الجامع بمدينة إشبيلية ، ومشى هو وبنوه بين يديه رجّالةً حتى أتى المسجد ، فخطب الناس وصلى بهم الجمعة . وبايعه محمد بن إسماعيل وبنوه وجميعُ أهل البلد ورجع إلى موضعه ، وتولّى محمد بن إسماعيل الخدمةَ بين يديه وجرى فى ذلك على طريقة ابن أبى عامر ، غير أنه يخرج إلى الجمعة والأعياد ويصلى طولَ مدته ، ومحمد فى رتبة الوزارة آمرًا وناهيا عنه ، واستقام لمحمد أكثر مدن الأندلس ، فهذا كان سبب قيام دعوته .

٢٣١ ـ ب وأما ما نقل من أخباره فقد ذكرنا فى أخبار بنى أمية أن / المستعين بالله سليمانَ بن الحكم لما فتح قرطبةَ المرةَ الثانيةَ فى شوّال سنةَ ثلاث وأربعمائة أحضره وَوبّخه ، وأن المؤيد فُقِدَ لخمسٍ خلون من شوال . وذكرنا أيضا أنَّ الناصرَ علىَّ بنَ حمّود الفاطمىّ لما ملك قرطبةَ أحضر المستعين وسأله بحضرة الفقهاء والوزراء عن المؤيد هشام فقال « مات فألزمه أن يُرِيَهُ قبره فأخرجه دفينًا لا أثر فيهِ فأمر الناصر بتكفينه ودفنه فى الروضة .

وقيل بل هرب بنفسه إلى المشرق مستخفيا حتى وصل إلى مكة ـ شَرَّفها الله ـ وكان معه كيسٌ فيه جوهر وياقوت ونفقة ، فشعر به حَرَابة مكة ، فأخذوه منه ، فمال إلى جهةٍ من الحرم وأقام يومين لم يُطْعَمْ طعامًا . فمضى إلى المروة فأتاه رجل فقال له تُحسن عَمَلَ الطين ؟ قال : نعم ! فمضى به إلى تراب ليعجنه ووافقه على درهم وقرصة ، فقال له : عجّل القرصةَ فإنى جائع ! فأتاه بها فأكلها ، ثم عمد إلى التراب فكان مرةً يعجن ومرةً يجلس ، فلما طال عليه ذلك تركه ومضى هاربا على وجهه .

وخرج مع القافلة إلى الشام على أسوإ حالٍ، فوصل إلى بيت المقدس، فمشى في السوق فرأى رجلا يعمل الحصر الحلفاء فنظر إليه فقال له الحصرى: كأنَّك تحسن هذه الصناعة! قال: لا! قال: فتقيم عندى/ تناولنى الحلفاء وأجعل لك أجرة على ذلك. قال: أفعل ٢٣٢ـا

فأقام عنده يناوله ويعاونه على ما يأمره به من أمور صناعته، فتعلم هشامٌ صناعة الحصر، فصار يعملها ويتقوّت منها. وأقام ببيت المقدس أعواما كثيرةً لم يعلمْ به أحدٌ، ثم رجع إلى الأندلس فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة.. هكذا روى جماعة من مشايخ الأندلس!

وقال الإمام الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم فى كتابه المسمى «نقط العروس فى هذه الحكاية: أخلوقة لم يقع فى الدهر مثلها، وإنما ظهر رجل يقال له خلف الحصرى بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المؤيد وادَّعى أنه هشام، وبويع له على جميع منابر الأندلس فى أوقات شتى، وسفكت الدماء وتصادمت الجيوش فى أمره.

وقال أبو محمد بن حزم: وفضيحة لم يقع فى الدهر مثلها، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام فى مثلها يُسَمَّى كلُّ واحدٍ منهم بأمير المؤمنين، ويخطب لهم فى زمن واحد أحدهم خَلَفٌ الحصريّ المذكور بإشبيلة على أنه هشام بن الحكم المؤيد، والثانى محمد ابن القاسم بن حمّود بالجزيرة الخضراء، والثالث محمد بن إدريس بن على

ابن حمّود بمدينة مالقه ، والرابع إدريس بن يحيى بن على بشنتيرين[1] .

٢٣٢ ـ ب /وأقام المدّعى أنه هشام بن الحكم نيّفا وعشرين سنةً والقاضى محمد ابن إسماعيل فى رتبة الوزير بين يديه ، والأمر إليه . وقد استقام لمحمد أكثرُ بلاد الأندلس ، ودفع به كلام الحسّاد وأهل العناد ، إلى أن توفى هشامٌ المذكورُ . فاستبد القاضى بالأمر بعده وملك أكثر مدن الأندلس وحصونها . ولم ينتقل عن مدينة إشبيلية بل جعلها دار ملكه ، واستقامت له الأمور ، وأطاعته المدن والثغور ، واجتهد فى جهاد الفرنج . وكان له فى ذلك القدم المشهور ، ومات محمد فى عشر الخمسين وأربعمائة ، وولى بعده ابنُه عباد .

ذكر ولاية أبى عمرو عباد بن محمد

ولى بعد أبيه وتلقّب المعتضد بالله ، وكان فيه كرم وبأس . فطابت أيامه ، وحسنت أفعاله ، واستقامت له الأحوال ، ورُفعت له من بلاد الأندلس الأموال . قال[2] : واتفق له واقعة غريبة فى سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وهى أنه شرب ليلةً مع رجاله وندمائه فلما عملت فيه الخمر صَرَفهم وخرج فى الليل ومعه رجلٌ واحدٌ من عَبيدِه . وسار نحو قرمونة وهى [تبعد][3] عن مدينة إشبيلية ثمانية عشر ميلا ، وكان صاحبُ قرمونة إسحاق بن سليمان البرزالى وقد

٢٣٣ ـ ا /جرت بينه وبينه حروب .

(١) Santarein مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجه فى غرب قرطبة وعلى نهر تاجه قرب انصبابه فى البحر المحيط (معجم البلدان ٣ : ٣٦٧) .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٩١ .

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

فسار عبّاد حتى أتى قرمونة ، وكان إسحاق تلك الليلة فى جماعة من أهل بَيْتِهِ يشربون ، فدخل عليه بعضُ خُدّامه فقال : إن صاحبَ الحرس ذكر أنّ المعتضد عبّاداً قائم على باب المدينة ليس معه إلا رجلٌ واحدٌ وهو يستأذن عليك ! فعجب القومُ من ذلك غايةَ العجب ، وخرج إسحاق ومَنْ عنده إلى باب المدينة فسلّم على عبّاد وأدخله إلى القصر ، وأمر بتجديد الطعام والشراب . فلما شرع فى الأكل تذكر مافعل فسقط فى يده ولم يطق أن يسفه ، وندم على ماصنع لما يعلم بينه وبين برزال من الحرب وسفك الدماء ، فأظهر التجلّد والانشراحَ ثم قال لإسحاق : أريد أن أنام !

فرفعه على الفراش ، فأراهم عبّاد أنه نائم ، فقال بعض القوم لبعض : هذا كبشٌ سمينٌ حصل لكم ، والله لو أنفقتم عليه مُلْكَ الأندلس ماقدرتم على حصوله فى أيديكم ، وهوشيطانُ الأندلس وإذا قُتل خلصت لكم البلاد !

فقام معاذ بن أبى قُرَّةَ وكان من كُبَرائهم فقال : والله لا فعلنا هذا ولا رضينا به ، رجلٌ قصدنا ونزل بنا ، ولو علم أنّا نرضى فيه بقبيح لما أتانا مستأْمنا إلينا ، كيف تتحدث القبائلُ عنّا أننا قتلنا ضيْفنا وخَفَرْنا ذِمّتَنَا ، فَعَلَى مَنْ يَرْضَى هذا لعنةُ الله ! وهو يسمع فنزل عن السرير فقام القوم بأجمعهم /فقبّلوا رأسه وجددوا السلام ٢٣٣-ب
عليه فقال لحاجبه : أين نحن ؟ قال : فى منزلك وبين أهلك وإخوانك ! قال : ائتونى بدواة وقرطاس .

فأتوه بهما ، فكتب أسماء القوم ، وكتب لكلّ واحدٍ بخلعةٍ ودنانير وأفراسٍ وعبيد وجوارٍ ، وأمر أن يرسل كلُّ واحدٍ منهم رسولًا ليقبض

ذلك . ثم ركب وخرج القوم يشيّعونه إلى قرْب إشبيْلية ، فصرفهم ودخل. وأرسلوا منْ قَبضَ لهم ما كتب به ، ثم أغفلهم سِتّة أشهر وكتب إليهم بستدعيهم لوليمةٍ ، فجاءه سبعون رجلا منهم فأنزلهم عند رجاله ، وأنزل معاذًا عنده . وأمر بهم فأُدْخِلوا حمامًا ، وبنَى عليهم بابه ، فماتوا جميعا ، فَعزَّ ذلك على معاذ بن أبي قرة فقال له عبّاد : لا تُرَعْ فإنهم قدحضَرتْ آجالهم وقد أرادوا قتلى ، ولولاك ما كنتُ ناجيا منهم ، وإنما جعل اللهُ صيانَه دمى بك ، فإن أردتَ الرجوع إلى بلدِك رددتُك على أجملِ الوجوه وأحسنِها وأسرِّها ! فقال له معاذ : بأىِّ وجْه أرجع أنا دونهم ؟

فأمر له المعتضد بألف دينارة وعشرة أفراس وثلاثين جارية وعشرة أعْبُدٍ ، وأنزله فى قصرٍ من أعظم قصوره ، وأقطعه فى كلِّ عام اثنى عشر ألف دينار ، وكان ينفذ إليه فى كل يوم التُّحَفَ والطرف . ولم يكن يحضر مجلسه أحدٌ قبله /إلى أن مات عبّاد فأوصى ٢٣٤ـ ا
ولده بمعاذ وقال : يابنى احفظنى فيه ! فجرى فيه على عاده أبيه ، ودام بإشلبية حتى انقرضت دولة بنى عبّاد .

قال بعض أهل إشبيلية : رأيت معاذ بن أبي قرة يوم دخل يوسف بن تاشفين إشبيلية أوّل النهار وعليه ثوب ديباج مخرطم بالذهب وأمامه نحوٌ من ثلاثين عَبْدًا ، ورأيته آخرَ النهار عليه مُليسٌ (١) مشتمل به فسبحان من لا يزول مُلْكه ، نسأل اللهَ تعالى أن لا يسلبنا ثوب نعمةٍ أنعمها علينا بمَنِّه وكرمه .

(١) المليس : شيء من قماش (القاموس المحيط) .

وفى أيام عبّاد توفى الإمام الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن سعدان بن سفيان بن يزيد الفارسى مولى يزيد بن أبى سفيان بن حرب بن أمية . أصل آبائه من قرية مُنت ليسم من عمل الولبة [1] من كورغرب الأندلس ، وسكن هو وآباؤه قرطبة ونالوا بها جاهاً عريضًا ومالا وممدودًا . وولّى ابنُ أبى عامر جدَّه سعيدًا الوزارة ، وولى أبومحمد هذا الوزارة فى أيام المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار الأموى . وكان مولده يومَ الأربعاء سلخَ شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، ووفاته فى سلخ شعبان سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وكانت مدة حياته اثنتين وسبعين سنةً وأحد عشرَ شهرًا . وله كثير من لصنّفات ، ذكرِ أنه اجتمع مع الإمام أبى الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجى صاحب التو اليف - وقيل بل الفقيه إبراهيم الخفاجى - فجرت بينهما مناظرة ، فلما انقضت قال الفقيه أبو الوليد : تعذرنى فإن أكثر مطالعتى كانت على سُرُج الحُرَّاس ! فقال له ابنُ حزم : وتعذرنى أيضا فإن أكثر مطالعتى كانت على منابر الذهب والفضة ! [2] ٢٣٤ ب/

وفى سنة ستين وأربعمائة توفى المعتضد بالله عبّاد بن محمد ، وحُكِى أنه استحضر مغنيا يغنيه ليجعل أوّل ما يبدأ به فأُلا فكان أول شعر قاله :

نطوِى الليالىَ عِلْما أنْ ستطوينا فشعشعينا بماء المُزْنِ واسقينا

(١) ولبة جنوب غربى لبلة على شاطىء المحيط الأطلنطى ، وفى ا ، ك ١٤٠ ، ف ١٣٢ ب « الوليمة » بتصحيف .

(٢) ذكر ابن كثير طرفا من أخباره فى البداية والنهاية ١٢ : ٩١ تحت اسم « ابن حزم الظاهرى »

فمات بعد خمسةِ أيام رحمه الله ، ولما مات ولى بعده ابنه محمد .

ذكر ولاية المعتمد على الله

محمد بن عباد

ابن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عبّاد ، وكنيته أبو القاسم . ولى بعد وفاة أبيه فى سنة ستين وأربعمائة ، وقيل فى سنة إحدى وستين ، وكان مولده بباجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، فكان عمره حين وَلِىَ ثلاثين سنة . وكان فيه أدب وشعر وكرم / وتواضع ٢٣٥ـ١
وشجاعة ، قال أبو بكر محمد بن عيسى المعروف بابن اللبانة كاتبه يصف الدولة العبادية « كانت الدولة العبادية تشبه العباسية ، بها وسعة ملك ووثاق عهد وانتظام عقد ، وعدل أئمة واعتدال أمة ، كان أربابها يتنافسون فى المكارم ويتغايرون على الشرف المتقادم . .

من حلْبة السَّبْق لا برقٌ يخاطِفُها إلى مداها ولا ريحٌ يجاريها
تردُّهم نِسْبَةٌ نحْوَ السماء فهُمْ من مائها ، وعُلاهُم من دراريها

يشير إلى المنذر بن ماء السماء ، ثم قال « جمعوا كرم الأخلاق إلى شرف الأعراق ، وحملوا حلى الآداب على الأحساب ، وعضّدوا البأس بالكرم وأيّدوا بالسيف والقلم ..

نفرٌ إلى مـاءِ السماء نمَـاهمُ نسَبٌ على أوج النجومِ مُخيَّمُ
بالبِيضِ والبَيْضَاتِ والخُلُقِ اكْتَسَوْا
فَتَوَشَّحُوا وتَتَوَّجُوا وتَعَمَّموا

وكان بهذا البيت سريرُ الفلك الدائر وغريبُه البحر الزاخر المعتمد على الله المؤيد بنصر الله أبو القاسم محمد ، وذكر نَسَبَه ، ثم قال : من بنى المنذر وهو انتساب ... البيتين ، وقد ذكرناهما آنفا ، وقال تِلْوهَمًا : وكذلك يطَّرِد النَّسَبُ اطرادَ / الشآبيب ، ويتَّسقُ ٢٣٥-ب
إتِّساق الأَنابيب ، فهو كما قيل :

شَرَفٌ يُنَقِّلُ كابِرًا عن كابـرٍ كالرُّمْح أُنبوبٌ على أُنبوب

إلى مركز الدائرة من لخم وواسطة المنتخبين من يعرب وقحطان! ثم ذكر مولده وولايته على ماقدمنا وذكر خَلْعَهُ في سنة أربع وثمانين على ما نذكره إن شاء الله .

وكان سبب خلعه وانقراض دولته أن الفرنج - لعنهم الله - لما استَوْلَوْا على طليطلة وملكها الأذفونش - وهو أَلْفُنْش- فى سنة ثمان وسبعن وأربعمائة على ماقدمناه. وكان المعتمد . يؤدِّى إليه ضريبةً فى كلِّ سنة ، فلما سيّرها إليه بعد استيلائه على طليطلة لم يقبلْها وأعادها ، وأرسل إليه يتوعده ويقول له : أنا آخذ مدينة قرطبةَ كما أخذت طليطلة إلا أن ترفع يدَكَ عن جميع الحصونِ وتُسَلِّمَها إلينا ويكونَ لك السَّهْلُ من البلاد !

وكان الرسولُ شلبيب اليهودىَّ ومعه خمسمائةُ فارس ، وطلب منه اثنى عشر ألفَ دينار ، فأمر المعتمد بإنزال الخيالة على أهل العسكر متفرقين وأمر كلَّ من عنده فارس منهم أن يقتله . ولما جنَّ الليل أحضر اليهودىَّ وكشف رأسه ، وأمر بضربه بالنعال المسمرة ، حتى خرجت عيناه من رأسه . وهرب من الخيالة ثلاثة ، فوصلوا

إلى الأذفونش وأعلموه بِقَتْلِ أصحابه وكان متوجها إلى قرطبة يريد ٢٣٦-ا
حصارها - فلمـا جاءه الخبر وجـع إلى طليطلة ليستعد ويُهَيِّئ آلات الحصار .

فلما سمع المعتمد برحيله إلى طليطلة سار هو إلى إشبيلية فبَلَغَ مشايخ قرطبة ما جرى ، فاجتمعوا بالفقهاء وقالوا : هذه مدائن الأندلس قد غلبَ عليها الفرنج ولم يبق منها إلا القليل ، وإن استمرّت الأحوال على مانرى عادت نصرانيةً كما كانت ! ثم ساروا إلى القاضى عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له : ألا تَنْظُر إلى مافيه المسلمون من الصّغار والذلة وإعطائهم الجزيةَ إلى الفرنج بعد أن كانوا يأْخذونها منهم ، وابن عبّاد هو الذى حمل الفرنجَ على المسلمين حتى جرى ماجرى وطلب منه ماطلب ، وقد دَبَّرْنا رأيا نعرضه عليك ! قال : وما هو ؟ قالوا : نكتب إلى عرب أفريقية ونعلمهم أنهم إن وصلوا إلينا قاسمناهم فى أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين فى سبيل الله تعالى ! قال : أخافُ أن يخربوا الأندلسَ كما فعلوا بأفريقية ويتركوا الفرنج ويبدأوا بكم والمرابطون أقْرَبُ إلينا وأصلح حالًا . قالوا : فكاتِبْ يوسف بن تاشفين ورغِّب إليه أن يدخل إلينا بنفسه أو يرسل إلينا قائدا من قُوّاده . قال : أمّا الآن فقد أشرتم برأى فيه السّداد !

وقدم المعتمد إلى قرطبةَ فى أثَرِ ذلك ، فدخل عليه القاضى وأعلمه بما دار بينه وبين أهل قرطبة وما اتفقوا عليه ، فقال المعتمد: ٢٣٦-ب
نِعْمَ ما أشاروا به وأنت رسولى / إليه ! فامتنع القاضى واستعفاه

وإنما أراد أن يقوّىَ عزمه على إرساله فقال : لا أجـد لهـا غيرك .

فسار القاضى ، وصحبه أبو بكر بن القصيرة الكاتب إلى أمير المسلمين ، فوجداه بسبتة ،فأبلغاه الرسالة . وأعلماه بحال المسلمين وما هم عليه من الخوف والجزع من الأذفونش ،وأنهم يستنصرون بالله ثم به ؛ وأن المعتمد يستنجده عليه . فأمر يوسف في الحال بإدخال العساكر إلى الجزيرة الخضراء ، وأقام بسبتة وأنفذ إلى مراكش في طلب من بقى ، ودخل فى آخر العساكر .. هذا ما نقله أهل التاريخ ، أن القاضى وابن القصيرة كانا رسولين إليه ، وقيل إن المعتمد بن عبّاد سار بنفسه بغيْرِ واسطةٍ وتلطّف فى الدخول عليه إلى أن انتهى إلى آخر بواب فقال له : قل لأمير المسلمين إن ابن عبّاد بالباب ! فلما أعلمه بذلك ارتاع وظن أنه قدم بعساكره ، وسأله عن حقيقة الحال فقال : هو ببابك وَحْدَهُ فأذن له ، فدخل عليه ، فأكرمه ووعده النصر . وعاد ابن عباد ، ولحقه أمير المسلمين .

ذكر وقعة الزلاقة

وانهزام الفرنج لعنهم الله

/قال [1] : وجمع المعتمـد العسـاكر وأقبـل أمير المسـلمين ٢٣٧ ـ ١
بعساكره ، واجتمعوا كلهم بإشبيلية ، وخرج من أهل قرطبة ـ من المتطوعين ـ أربعةُ آلاف فارس وراجل . وجاء المسلمون من بلاد الأندلس ، من كل بلد وحصن . واتصلت الأخبار بالأذفونش ،

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ١٤٢

فخرج من طليطلة فى أربعين ألف فارس غير من انضاف إليها، وكتب إلى يوسف كتابا كتبه عنه رجل من أدباء المسلمين يغلظ فيه القول ويصف ماعنده من القوة والعُدَد والعَدَد ، ووسّع وأطال وبالغ . ووصل الكتاب إلى يوسف بن تاشفين فأمر الكاتب أبا بكر ابن القصيرة أن يجاوبه . وكان كاتبا مجيدا ـ فكتب وأطال وبالغ، فلما قرأه على يوسفَ استطاله وكتب على ظهر كتابه « الذى يكون ستراه »

ولا كُتْبَ إلى المشْرَفيَّةُ والقنا ولا رُسْل إلا بالخميسِ العَرَمْرَمِ

وردّه إليه ، فلما قرأ الجواب ارتاع وقال : هذا رجلٌ له عزم ! قال [1] : ولما استعد الأذفونش لِلِّقاء رأى في منامه كأنه راكبٌ فيلا وبين يديه طبل صغير ينقر فيه ، فقصّ ذلك على القسيسين فلم يعرفوا تأويله ، فاستحضر رجلا مسلما عالما ديِّنا فاستعفاه من القول فأمّنه وعزم عليه ، فقال : تأويل هذه الرؤيا فى آيتين من كتابِ الله عَزَّ وجَلَّ ! وقرأ سورة الفيل ، وقوله تعالى « فإذا نُقِر فى /النّاقُورِ فذلِك يومئذٍ يومٌ عسيرٌ عَلى الكافرين غيرُ يَسيرٍ »[2] وذلك ٢٣٧ ـ ب
يقتضى هلاك الجيش الذى تجمعه .

فلما اجتمع الجيشُ وعبّأه أعجبته كثرتُه ، فاستحضر المُعبِّر وقال له : هذا الجيشُ الذى ترى ألقى به محمدًا صاحبَ كتابِكم ! فانصرف المُعبِّرُ عنه وقال : هذا الملكُ هالكٌ لا محالة وكلُّ مَنْ معه

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ١٤٢
(٢) سورة المدثرة الإيتان ٨، ٩

فإنه قد أعْجِبَ بِجَمْعِهِ ... وذكر قوْل النبيِّ صلى الله عليه وسلّم « ثلاث مهلكات » الحديث ...

قال [١] : وسار المعتمدُ بنُ عبّاد وأميرُ المسلمين بالعساكر حتى أتوْا موضعا يقال له الزّلّاقة من بلد بطَلْيَوْس [٢] وأتى الأذفونش فنزل موضعًا بينه وبينهم - ثمانيةَ عشرَ ميلا ، فقيل ليوسف بن تاشفين إنَّ ابنَ عبّاد ربما لم يُنْصَحْ ولا يبذل نفسَه دونك ، فأرسِلْ تقول له « كُنْ فى المقدمة ونكون نحن فى أثرِك » . فتقدّم ابنُ عباد .

وضرب الأذفونش خيامه فى سفح جبل والمعتمدُ بن عبّاد فى سفح جبل آخر بحيث يتراءان ، ونزل يوسف بن تاشفين فى جبل من وراء الجبل الذى فيه المعتمد . وظَنَّ الأذفونش أن عسكر المسلمين ليس إلّا ذاك الذى يَظْهرُ له مع المعتمد والأذفونش فى زهاء خمسين ألف فارس ، فما شَكَّ أنه الغالب واستعمل الخدعة . وأرسل ابنُ عبّاد فى ميقات اللقاء يوم الخميس ، وقال : نحن قد وصلنا على حال تعَبٍ وأمامكم الجمعة وأمامنا الأحد فيكون اللقاءُ يوم / الإثنين بعد أَهُبَةٍ ! فاستقر الأمرُ بينهما على ذلك . ٢٣٨ - ا

ثم ركب الأذفونش صبيحة الجمعة ليلا ، وصبَّحَ بجيشه جيش المعتمد ، فوقع القتال بينهم ، فصبر المسلمون وقتل منهم خلقٌ كثيرٌ ، وأشرفوا على الانهزام . وقد كان المعتمد أرسل إلى ابن

(١) ابن الأثير فى الكامل ٨ : ١٤٢

(٢) Badajoz وكان صاحبها إذ ذاك ابن الأفطس وقال ياقوت إنها مدينة كبيرة بالإندلس من أعمال ماردة على نهر آنه غربى قرطبه (معجم البلدان ١ : ٤٤٧) .

تاشفين فقال للأَدِلَّةِ : احملونى إلى مضارب الأذفونش ! فما شعر الفرنج إلا وقد نُهِبَتْ خيامُهم وخزائنُ الأذفونش وعُدَدُه ، والقتْلُ يُعمل فيهم من رواء ظهورهم . فلم يتمالك الفرنج أن انهزموا وأخذهم السيف من كلِّ مكان ، فقُتلوا عن آخرهم ؛ فما سَلِم إلا آحاد ! وهرب الأذفونش فى نَفَرٍ يسيرٍ ودخل طليطلة فى سبعةِ فوارس ، ولم يرجع من الفرنج إلى بلادهم غيرُ ثلاثمائة نفرٍ أكثرهم رجّالة .

وكانت هذه الوقعةُ فى يوم الجمعة فى العشر الأول من شهر رمضان سنةَ تسع وسبعين وأربعمائة ؛ وأصاب المعتمد جراحاً فى وجهه ، ووُصِفَ فى ذلك اليوم بالشجاعة . وغنم المسلمون من أموال الفرنج وأسلحتهم مالا يُحْصَى كثرةً ، وجعل المسلمون رؤوسَ القَتْلَى كَوْما كبيرًا وصعدوا عليه وأذَّنوا إلى أن جافت فأحرقوها ! .

وعاد المعتمدُ إلى إشبيلية ، ورجع أميرُ المسلمين إلى الجزيرة الخضراء وعدّى إلى سبته وسار إلى مراكش . وعاد فى السنة الثانية إلى جزيرة الأندلس وحاصر / ليطة [1] هو وابنُ عباد وصاحبُ ٢٣٨-ب غَرْناطة [2] ، فلم يتهيأْ لهم فتْحُه ، فرجع وأخذ غرْناطة من صاحبها عبد الله بن بلكمين ، وهى أول ما ملكك من بلاد الأندلس على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا فى جميع النسخ ولعلها لبطيط التى ذكرها ياقوت وقال إنها بالأندلس من أعمال الجزيرة الخضراء (٥ : ١٠) .

(٢) Granada وقد سبق الإشارة أليها ، ونذكر هنا أن صاحبها كان باديس بن حبوس قبل مجىء يوسف المرابط ، واستولى على مالقه ، وكان مزاحما خطيراً للمعتضد أبى المعتمد بن عباد .

ذكر انقراض الدولة العبادية

وشيء من أخبـار المعتمـد وشـعره

فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة أتى يوسف بن تاشفين إلى سبتة و دخل العساكر إلى الأندلس مع سيرين [بن] [1] أبى بكر ، فقصدوا مدينة إشبيلية ، فحصروا المعتمد وضيقوا عليه . فقاتل قتالا شديدًا ، وظهر من شجاعته وشِدَّةِ بأْسه وحُسْنِ دفاعِهِ عن بلدِهِ مالم يُشاهَدْ من غيره فسمع الفرنج بِقصدعساكر المرابطين بلادَ الأندلس ، فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم ، فجمعوا وأكثروا وساروا لمساعدة المعتمد وإغاثته على المرابطين . فلما سمع بمسيرهم [2] فارق إشبيلية وتوجّه إلى لقاء الفرنج ، وقابلهم وهزمهم ، ورجع إلى إشبيلية . وداوم الحصار والقتال إلىالعشرين من شهر رجب من السنة ، فعظُمُ الخطْبُ واشتد الأمر على أهل البلد . ودخله المرابطرن من واديه ونهبوا الأموال ، ولم يُبْقُوا على
/ شيء حتى سلبوا الناسَ ثيابهم ، وخرجوا من مساكنهم يستُرون ١ـ٢٣٩
عوراتهم بأيديهم .

وأُسِر المعتمد ومعه أولادُه الذكورُ والإناثُ ، بعد أن استأْصلوا جميع أموالهم . وقيل إن المعمتد سلَّم البلد بأمان ، وكتب نسخة الأمان والعهد ، واشتحلفهم على نفسِه وأهله وماله وعبيده وجميع مايتعلق به . فلما سلَّم إليهم إشبيلية لم يفوا له ، وسيِّر المعتمد

(١) زيادة من ك صفحة ١٤٣ .

(٢) فى ا « فلما سمع سير خبرهم » يعنى سيرين بن أبى بكر .

إلى مدينة أغمات [١] ، فحُبِسوا بها ، وفعَل بهم أميرُ المسلمين أفعالا قبيحةً لم يفعلها أحد قبله . وذلك أنه سجنهم ولم يُجْرِ عليهم مايقوم بهم ، حتى كان بناتُ المعتمد يغزلن للناس بأُجرة ينفقونها على أنفسهم ، فأبان أمير المسلمين فى ذلك عن لؤم طباع وضيق نفس .

قال [٢] : وبقى المعتمد فى حَبْسه بأغمات إلى سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة ، فتوفى فيها ، وقبره بأغمات . فكان من بنى عبّاد ثلاثة ؛ القاضى محمد ابن إسماعيل ، وابنه عباد ، ومحمد بن عبّاد هذا ، ومدة مُلْكهم ستون سنةً ، وكان له من الأولاد الذكور والإناث [ ] [٣]

وكان رحمــه الله من محاســن الزمان كرما وعلما ورئاســةً وأخباره مشهورة وآثاره مدوَّنة . وقد ذكره ابنُ خاقان فى « قلائد العقيان » ، وذكر شيئا من نظمه ونثره . وكان شاعرُه أبا بكر
٢٣٩ــب / محمد بن عيسى الدانى المعروف بابن اللبّانة [٤] يأتيه فى سجنه فيمدحه لإحسانِه القديم إليه وبِرِّه الذى بقيت آثارُه مع طول الزمن عليه ، قال ابن اللبّانة : فأمضيت عزيمتى بعد انقضاء

(١) مدينة قرب مراكش .
(٢) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٩١
(٣) بياض فى الأصل ، وفى ك ، ف أيضا .
(٤) لم يكن هذا الشاعر منقطعا لابن عباد ، وإنما كان يتنقل بين ملوك الأندلس وقصته هنا دليل على وفائه ، ومما قاله فى صاحب ميورقة :
وغمرت بالإحسان أرض ميورقة وبنيت مالم يبنه الإسكندر

الدولة فى زيارته ، فوصلت إليه بأغمات ، فقلت فى ذلك أبياتا عند دخولى عليه .

لم أقُلْ فى النِّقافِ كان نِقافًا كنتُ قلبا له وكان شغافا
يمكث الزَّهْرُ فى الكِمام ولكن بعد مُكْثِ الكِمام يدنو قطافا
وإذا ما الهلالُ غاب بغَيْمٍ لم يكنْ ذلك المغيبُ انكسافا
إنما أنت درَّةٌ للمعـــالى ركَّب الدَّهْرُ فوْقها أَصْدَافا
حَجَبَ البيتُ منك شخصًا كريما مثل ما يحجب الدِّنانُ السلافا
أنت للفضْل كعبةٌ ولـــو انِّى كنتُ أستطيع لالتزمتُ الطَّوافا

قال : وجرت بينى وبينه مخاطباتٌ ألذُّ من غفلات الرقيب ، وأشهى من رشَفَات الحبيب ، وأدلُّ على السماح ، من فجرٍ على صباح – قال – فلما قاربت الصدَر وأزمعت السفر ، صرف حبله واستنفذ ما قبله ، وبعث إلىّ شرفَ الدولة ابنَه – وكان من أحسن الناس سمتا وأكثرهم صمتا ، تخجله اللفظة وتجرحه اللحظة ، حريصا على طلب الأدب مسارعا فى اقتناء الكتب ، مثابرا على نَسْخ الدواوين ففتَّح من خطِّه فيها زَهْر البساتين – بعشرين مثقالا مرابطية[1] وثوبين / غير مخيطين ، وكتب مع ذلك أبياتا منها : ٢٤٠ – ١

إليكَ النَّزْرَ من كفِّ الأسيرِ وإن تَقْنَعْ نكُنْ عَينَ الشَّكور
تَقَبَّلْ ما ندوتُ به جِباءً وإن غَدَرَتْه حالات الفقـير

(١) فى ك صفحة ١٤٤ « بعشرين ديناراً »

قال ابن اللبّانة فأجبته :

حاش لله أنْ أحيجَ كريمـا يَتَشَكّى فقرًا وكم سَدَّ فَقْرا
وكفاني كلامُك الرطب نَيْلا كيف ألقى دُرًّا وأطلب تِبْرا
لم تَمُتْ إنما المكارم ماتت لا سَقَى اللهُ بعدك الأرضَ قَطْرا

مما قاله المعتمد من شعره فى مدة أسره — فمن ذلك — قوله :

سَلَّتْ علىَّ يَدُ الخُطوب سُيوفَها فَجَرَرْنَ من جسدى الخصيف الأمْتَنا
ضَرَبَتْ بها أيْدى الضروبِ وإنما ضربت رقاب الآمنين بها المنى
يا آمِلِى العادات مِنْ نفحاتِنا كُفُّوا فإن الدهر كَفَّ أكُفَّنَا

وقال فى قصيدة يصف القيد فى رجليه :

تعَطَّفَ من ساق تعَطُّفَ أرْقَمٍ يساورها عَضًّا بأنياب ضيْغم
وإنِّىَ مَنْ كان الرجالُ بِسَيْبِهِ منْ سَيْفِهِ فى جَنَّةٍ وجهنم

وقال فى يوم عيدٍ :

فيما مضى كنتُ بالأعياد مسرورا فَصِرْتُ كالعبد فى أغْمات مأسورا
قد كان دهرُكَ إن يأمُره ممتثلا فَردَّكَ الدَّهْرُ مَنْهِيًّا ومأْمورا
/مَنْ بات بَعْدَكَ فى مُلْكٍ يُسَرُّ به فإنما بات بالأحلام مغرورا ٢٤٠ــب

وتعرَّض له أهل الكُدْية وهو فى الحبس فقال :

سألوا اليسير من الأسيرِ وإنه بسؤالهم لأحقُّ منهم فاعْجبِ
لولا الحياءُ وعِزَّة لخْمِيةٌ طىُّ الحشا لحكاهمُ فى المطلب

ورثا ولديْه وقد ذُبحا بين يديْه فقال :

يقولون صبرًا .. لا سبيل إلى الصَّبرِ
سأبكى وأبكى ما تطاول من عُمْرِى

أفتْح .. لقـد فتّحْت لى بابَ رحمةٍ
كمـا بيزيدَ اللهُ قـد زاد فى أجْرِى
هوًى بِكُمـا المقـدارُ عنّى ولم أمُتْ
فأُدْعى وفِيًا قد نكصتُ إلى الغدْرِ
ولو عُدْتمـا لاخترتمـا العوْدَ فى الثّرى
إذا أنتُما أبْصَرْتُمـانِىَ فى الأَسْرِ
أبا خالدٍ أوْرثتَـنى البثَّ خـالدًا
أبا النّصْرِ مُذْ وَدّعتَ وَدّعنى نصرى

قال : وكان الشيخ عبد الجبار بن أبى بكر بن محمد بن حمد يس توجه من المغرب إلى الأندلس فِي سنةِ إحدى وسبعين وأربعمائة ، فقصد المعتمد ، وأقام عنده إلى أن خُلع ، فكتب إليه المعتمد بعد أن عاد إلى المهدية :

غريبٌ بأقصى المغربين أسيرُ يُبكّى عليه منبرٌ وسريرُ
أذلّ بنى ماء السماء زمـانُهم وذلّ بنى مـاء السماء كثير
فما ماؤهـا إلا بكاءٌ عليهم يفيض على الآفاقِ منه بحور

فأجابه محمد بن حمد يس : ٢٤١ ـ ا

جرى لك جدٌّ بالكرام عَثورُ وجار زمانٌ كنت منه تجير
لقد أصبحتْ بيض الظُّبا فى غُمودها إناثا بِترْكِ الضَّرْبِ وهى ذكور

ولما رحلتُم بالنَّدى فى أكُفِّكم وقُلْقِلَ رضوى منكمُ وثبير
رفعتُ لسانى بالقيامة قد دنتْ ألا فانظُروا كيف الجبالُ تسير؟

قال ولما توفى المعتمد وقف ابنُ اللبانة على قبره فى يوم عيدٍ - والناسُ عند قبور أهاليهم - وأنشد بصوتٍ عال :

مالك الملوكِ أسامعٌ فأُنـــادِى أم قدْ عداك عن الجواب عوادِ
لما خلَتْ منك القصورُ ولم تـكن فيها كما قد كنت فى الأعيادِ
قبَّلْتُ فى هذا الثرى لك خاضعاً وتخِذتُ قبرك مَوْضعَ الإنشادِ

وأخذ فى إتمام القصيدة ، فاجتمع الناسُ كلُّهم عليه يبكون لبكائه وإنشاده . وحكى بعض المعتنين بأخبارهم أن فخر الدولة ابن المعتمد على الله مَرَّ يومًا فى بعض شوارع مدينة إشبيلية ، فطمحت عينه إلى رَوشنٍ فرأى وجها حسنًا فتعلَّق قلبهُ به ، ولم يمكنه الوصول ، فخامره الهوى ومرض من ذلك . فاتصل خبره بأبيه ، فسأل عن المرأة فقيل إنها ابنةُ رجلٍ خبازٍ ، فأمر الوزيرُ أن ينفذ إلى أبيها ويخطبها منه . فأرسل إليه الوزير فعلم ما يُراد به ، فامتنع من الوصول إليه وقال : هو أحقُّ بالوصول إلىَّ فى هذه الحالة !

فأعلم المقتدر بذلك فقال : تصِلُ إليه وتخطبها . فلما وصل إليه وخطبها قال الخباز للوزير : ألَهُ صنعةٌ ؟ فقال الوزير : ابنُ المعتمد يُطْلَبُ منه صنعة وهو سلطان الأندلس ؟ فقال له : أمها طالق إن زوجتها إلا مَنْ له صناعةٌ يَسْتُر حالَه وحالها بها إن احتاج إليها .

فأعلم الوزيرُ المعتمدَ فقال : هذا رجل عاقل ! فأمر بإحضار الصاغة إلى القصر وعلَّم فخر الدولة الصياغة وحذق فيها فلما جرى

عليهم ماجرى دخل حوانيت الصاغة ، وصاغ بالأُجره فرآه ابنُ اللبّانة وهو ينفخ فى بعض الحوانيت فقال :

أذكى القلوبَ أسًى ، أبكى العيونَ دمًا
خَطْبٌ وُجُـودُك فيه يشبه العـدَما
صرَّفْتَ فى آلـةِ الصيّـاغ أنْمَلَةً
لم تَدْرِ إلا النـدى والسيفَ والقلما
ياصائغًا كانت الـدنيا تُصاغُ له
حَلْيًـا وكان عـليه الحَلْىُ منتظمـا
النَّفْخُ فى الصور هَوْلٌ مـا حكاه سوى
هَوْلٌ رأيتُك فيـه تَنْفُخُ الفحمـا

قال : ولما انقرضت الدولة العبادية صار مُلْكُ بلاد المسلمين إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب مراكش والمغرب ، وسنذكر ذلك إن شاء الله فى أخباره .

[ذكر ممالك الأندلس الأخرى] (١)

وأما سرقسطة والثغر الأعلى/فكان ذلك بيد منذر بن يحيى إلى أن ٢٤٢ـ١
توفى وولى بعده ابنه يحيى ، ثم ولى بعده سليمان بن أحمد بن محمد ابن هود الجذامى ، وكان يُلقَّبُ بالمستعين ، وكان من قواد منذر على مدينة لاردة ، وله وقعة مشهورة مع الفرنج فى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة . ثم توفى وَوَلِى بعده ابنُه أحمد المقتدر بالله ، وولى بعده

(١) عنوان ليس موجوداً فى النسخ ولكن المقام يقتضيه (ك ١٤٦ ، ف ١٣٧ – ب)

يوسف المؤتمن ، ثم ولى بعده أحمد المستعين على لقب جدّه ، ثم ولى ابنه عماد الدولة . ثم ابنهُ أحمد المستنصر بالله ، وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسمائة ، وصارت للملثمين .

وأما طُرْطوشة فوليها الفتى العامرى .

وأما بَلَنسية فكان بها المنصور أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن محمد بن المنصور بن أبى عامر ، ثم انضاف إليه إلمرية ، وما كان إليها . وبعده ابنهُ محمد ، ودام فيها إلى أن غدَرَ به صهره المأمون بن إسماعيل بن ذى النون فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة . .

وأما السَّهْلة [1] فملكها عبُّود بن رَزين ، وأصله بربرى ، ومولده بالأندلس . فلما هلك ولى بعده ابنُه عبد الملك ، ثم ابنُه عِزُّ الدولةِ ، ثم الملثمون .

وأما دَانِيَةُ [2] والجزائر فكانتا بيد الموفق أبى الجيش مجاهد العامرى ، وسار إليه من/قرطبة الفقيه أبو محمد عبد الله المعيطى ومعه ٢٤٢–ب
خلْقٌ كثير . فأقامه مجاهدٌ مَنَبْه خليفةٍ يصدر عن رأيه ، وبايعه فى جُمادى الآخرة سنة خمسٍ وأربعمائة . وأقام المعيطى معه بدانية نحوَ ثلاثةِ أشهر ، ثم سار هو ومجاهد فى البحر إلى الجزائر وهى

(١) جاء فى المغرب ٢ : ٤٢٧ « هى بين مملكة بلنسية وجهات ثغر سرقسطة ، وحضرتها مدينة شنتمرية ، ملكها فى مدة ملوك الطوائف هذيل بن خلف بن رزين البربرى » فقارن بين مانى النصين !

(٢) بلد فى مقاطعة بلنسيه ولكنه كما ورد فى المغرب ٢ : ٤٠٠ كاد يكون « مملكة منقطعة عن بلنسيه لعظم ما احتوى عليه » وقد سمى الموفق هنا « ملك الجزر لغزوه النصارى فى البحر ولا سيما سردانية .

ميورقة ومنورقة ويابسة[1] . ثم بعث المعيطى بعد ذلك مجاهدًا إلى سردانية فى مائةٍ وعشرين فارسًا ومعه ألف فرسٍ ، ففتحها فى شهر ربيع الأول سنة ستٍّ وأربعين وأربعمائة وقتل بها خلقًا كثيرًا من النصارى ، وسبى . فسار إليه الفرنج والروم فى آخر السنة فأخرجوه منها ، فرجع إلى الأندلس فوجد المعيطى قد مات . وبقى مجاهدٌ إلى أن مات ، وولى بعده ابنُه علىٌّ بن مجاهد ثم مات ، فولى بعده ابنُه أبو عامر . ثم صارت دانية وسائرُ بلادِه إلى المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود ، فى شهر رمضان سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة .

وأما مُرْسِية فوليها بنو طاهر ، واستقامت رئاستُها لأبى عبد الرحمن المدعو بالرئيس إلى أن أخذها منه المعتمد بن عباد على يد وزيره أبى بكر بن عمّار الفهرى ، فلما ملكها عصى على المعتمد فيها ، فوجّه إليه عسكرًا مقدّمهم أبو محمد عبد الرحمن بن رشيق العشيرى فحصره . وضيقوا
/عليه فهرب منها ، ودخلها العشيرى وملكها فعصى فيها على المعتمد ابن ٢٤٣ ـ ا
عبّاد إلى أن دخل فى طاعة الملثمين ، وبقى بها إلى أن مات فى سنة سبعٍ وخمسمائة .

وأما المرية فملكها خيران العامرىّ إلى أن توفى ، وملكها زهير العامرى واتسع ملكه إلى شاطبة إلى ما يجاور عمل طليطلة . ودام إلى أن قتل وصارت مملكته إلى المنصور أبى الحسن بن أبى عامر ـ

(١) يابسة جزيرة تلى منورقة Minorca ويقال لهذه الجزيرة ولمنورقة بنتا جزيرة ميورقة Majorca (صفة جزيرة الأندلس ١٩٨) .

صاحب بلنسية ، فولّى عليها محمدًا ابنَه ، فأقام بها مدةً فى حياة أبيه وبعد وفاته إلى أن أخذها منه صهره ذو الوزارتين أبو الأحوص معن بن محمد ابن صمادح التجيبى . ودانت له لورقة وبيّاسه[1] وجيّان وغيرها ، إلى أن توفى فى سنه ثلاث وأربعين وأربعمائة ، وولى بعده ابنُه أبو يحيى محمد ابن معن - وهو ابنُ أربع عشْرة سنة - فكفّله عمه أبو عتبة بن محمد إلى أن توفى فى سنةٍ ستٍّ وأربعين وأربعمائة . فبقى أبو يحيى مستضألًا لصغره ، وأُخِذ ما بَعُدَ من بلاده عنه ، ولم يبق له غير إلمرية وما جاورها . فلما كبر أخذ نفسه بالاشتغال بالعلوم ومكارم الأخلاق ، فامتد صيته واشتهر ذكره وعظم سلطانه والتحق بالأكابر الملوك . ودام بها إلى أن نازله جيشُ الملثمين فمرض فى أثناء ذلك ،
وكان القتال/ تحت قصره فسمع يومًا صياحًا وجلبه فقال : يغصّ ٢٤٣-ب
علينا كلُّ شىء حتى الموت ! وتوفى فى مرضه ذلك لثمانٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وملك الملثمون إلمرية . ودخل أولاده وأهله فى البحر إلى بجاية[2] ، والتحقوا ببنى حمّاد .

وأما مالقة فملكها بنو على بن حمّود ، فلم تزل فى مملكة العلويين يُخطب لهم فيها بالخلافة إلى أن أخذها منهم باديس بن حبّوس صاحب غَرْناطة .

---

(١) بياسة على النهر الذى يفضى إلى إشبيلية ، وبينها وبين جيان عشرون ميلا (صفة الأندلس ٥٧) .

(٢) بجاية مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب ، وهى فى لحف جبل شاهق (معجم البلدان ١ : ٣٣٩)

وأما أَغَرْناطة فملكها حيوس بن ماكسن الصنهاجى ، ثم مات فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة وولى بعده ابنه باديس إلى أن توفى وولى بعده ابنُ أخيه عبد الله بن بُلَكِّين [1]. وبقى إلى أن ملكها منه الملثمون فى شهر رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة .

وانقرضت جميع هذه الدول ، وصارت الأَندلس جميعها للملثمين على ما نذكره إن شاء اللهُ - عَزَّ وجل - فى أخبارهم أيام أمير المسلمين . يوسف بن تاشفين . ولما كانت جزيرة الأَندلس بيد هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم ، كانوا يُسَمَّوْن بملوك الطوائف وبسبب انفرادِ كلِّ ملكٍ منهم بجهةٍ استولى الفرنج على طليطلة كما ذكرنا .

(١) يرد فى المظان بلقين ، بن حبوس الزيرى .

ثبت بأسماء المراجع العربية
المذكورة فى الحواشى

١ — مسكويه : تجارب الأمم وتعاقب الهمم ط القاهرة سنة ١٩٢٠

٢ — الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ط . الاستقامة سنة ١٩٣٩

٣ — عريب القرطبى : صلة الطبرى ط . الاستقامة سنة ١٩٣٩

٤ — على بن موسى : المغرب فى حلى المغرب ط . دار المعارف بمصر

٥ — الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ط . بيروت سنة ١٩٠٤

٦ — ابن طباطا : الفخرى فى الآداب السلطانية ط . دار المعارف (الثانية)

٧ — البيهقى : تاريخ البيهقى ط . الانجلو سنة ١٩٥٦

٨ — ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم . ط . حيدر اباد الدكن (الأولى)

٩ — العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ط . القدسى سنة ١٣٥٠

١٠ — ابن كثير : البداية والنهاية ط . السعادة بمصر .

١١ — أبو المحاسن بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ط . دار الكتب (الأولى)

١٢— المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك — ط . دار الكتب المصرية

١٣— ابن حسول : تفضيل الأتراك على سائر الأجناد — ط . استنبول سنة ١٩٤٠

١٤— ابن الأثير : الكامل — ط . المنيرية سنة ١٣٤٨

١٥— ابن سليمان الراوندى : راحة الصدور وآية السرور — ط . دار القلم بالقاهرة

١٦— المقرى : نفح الطيب ج ١ — ط . التجارية ١٩٤٩

١٧— ياقوت : معجم البلدان — ط . دار صار بيروت سنة ١٩٥٢

١٨ — الحميرى : صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار — ط . لجنه التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧

فهـــرس

الجزء الثالث والعشرين

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى

صفحة

مقدمة ٥
ذكر خلافة المكتفى بالله ١١
ذكر قتل بدر غلام المعتضد بالله ١٢
ذكر وفاة المكتفى بالله ٢٢
ذكر خلافة المقتدر بالله ٢٢
ذكر خلافة المقتدر بالله ٢٣
ذكر خلع المقتدر وولاية ابن المعتز ، وانتقاض ذلك وعودة المقتدر ووفاة عبد الله ابن المعتز ٢٦
ذكر القبض على ابن الفرات ووزارة الخاقانى ٣٤
ذكر عزل الخاقانى عن الوزارة ووزارة على بن عيسى ٣٧
ذكر خروج الحسين بن حمدان عن طاعة المقتدر ٤١
ذكر وزارة ابن الفرات الثانية وعزل على بن عيسى ٤٢
ذكر أمر يوسف بن أبى الساج ٤٥
ذكر عزل ابن الفرات عن الوزارة ووزارة حامد بن العباس ٥١
ذكر قتل الحسين بن منصور الحلاج وشىء من أخباره ٥٧
ذكر عزل حامد بن العباس وولاية ابن الفرات ٦٢
ذكر القبض على ابن الفرات الوزير وولده المحسن ٦٨
ذكر وزارة أبى القاسم الخاقانى ٧٠
ذكر مقتل ابن الفرات وولده ٧٠
ذكر عزل الخاقانى عن الوزارة ووزارة أبى العباس الخصيبى ٧٤
ذكر عزل أبى العباس الخصيبى ووزارة على بن عيسى ٧٥
ذكر ابتداء الوحشة بين المقتدر بالله وبين مؤنس ٧٧
ذكر عزل على بن عيسى عن الوزارة ووزارة أبى على بن مقلة ٧٩
ذكر الحرب بين نازوك وهارون بن غريب الخال واستيحاش مؤنس ٧٩

ذكر خلع المقتدر بالله وبيعة القاهر ٨١
ذكر عود المقتدر بالله إلى الخلافة وقتل نازوك وابن حمدان ٨٤
ذكر هلاك الرجالة المصافية ٨٩
ذكر عزل ابن مقلة ووزارة سليمان ٩٠
ذكر خروج صالح والأغر ٩١
ذكر عزل سليمان عن الوزارة وتولية أبي القاسم الكلوذاني الوزارة ٩٣
ذكر عزل الكلوذاني ووزارة الحسين ٩٤
ذكر تأكيد الوحشة بين مؤنس والمقتدر ٩٥
ذكر مسير مؤنس إلى الموصل ٩٦
ذكر عزل الحسين عن الوزارة ووزارة ابن الفرات ٩٧
ذكر استيلاء مؤنس على الموصل ٩٧
ذكر مقتل المقتدر بالله ٩٨
ذكر خلافة القاهر بالله ١٠٥
ذكر خبر عبد الواحد بن المقتدر ومن معه ١٠٧
ذكر استيحاش مؤنس وأصحابه من القاهر ١٠٩
ذكر القبض على مؤنس المظفر ويلبق الحاجب وابنه ١١٠
ذكر مقتل مؤنس ويلبق وابنه علي والنوبختي ١١٤
ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم وعزله وولاية الخصيبي ١١٥
ذكر القبض على طريف السبكري ١١٥
ذكر خلع القاهر وسمله وشيء من أخباره ١١٦
ذكر خلافة الراضي بالله ١٢١
ذكر مقتل هارون بن غريب ١٢٣
ذكر مقتل الشلمغاني ومذهبه ١٢٤
ذكر ظهور إنسان ادعى النبوة ١٢٨
ذكر القبض على ابني ياقوت ١٢٩
ذكر حال أبي عبد الله محمد البريدي وتقدمه ١٣٠
ذكر مسير ابن مقلة إلى الموصل ١٣٦
ذكر القبض على الوزير ابن مقلة ووزارة عبد الرحمن بن عيسى وغيره ١٣٩
ذكر عزل أبي جعفر ووزارة سليمان بن الحسن ١٣٩
ذكر وزارة الفضل بن جعفر (بن الفرات) ١٣٩
ذكر مسير الراضي بالله لحرب البريدي ١٣٧
ذكر استيلاء معز الدولة بن بويه على الأهواز ١٤٢
ذكر الحرب بين بجكم والبريدي والصلح بعد ذلك ١٤٤

ذكر قطع يد ابن مقلة ولسانه ١٤٥
ذكر استيلاء بجكم على بغداد وشيء من أخباره ١٤٧
ذكر مسير الراضي بالله وبجكم إلى الموصل وظهور ابن رائق ومسيره إلى الشام ١٤٩
ذكر وزارة أبي عبد الله البريدي للخليفة الراضي بالله ١٥١
ذكر وفاة الراضي بالله وشيء من أخباره ١٥٢
ذكر خلافة المتقي لله ١٥٤
ذكر مقتل بجكم ١٥٦
ذكر إصعاد أبي عبد الله البريدي إلى بغداد ١٥٧
ذكر عود البريدي إلى واسط هاربا ١٥٨
ذكر إمارة كور تكين الديلمي ١٥٩
ذكر عود محمد بن رائق إلى بغداد وولايته إمرة الأمراء ١٦٠
ذكر وزارة أبي عبدالله البريدي ١٦٣
ذكر استيلاء البريدي على بغداد وإصعاد المتقي لله إلى الموصل ١٦٤
ذكر قتل ابن رائق وولاية ابن حمدان إمرة الأمراء ١٦٦
ذكر عود المتقي لله إلى بغداد وهرب البريدي عنها ١٦٧
ذكر الحرب بين ابن حمدان والبريدي ١٦٨
ذكر ماانفق لسيف الدولة بواسط ورجوع ناصر الدولة إلى الموصل ١٦٨
ذكر حال الأتراك بعد إصعاد سيف الدولة من واسط ١٧٠
ذكر عود سيف الدولة إلى بغداد وهربه منها ١٧٠
ذكر إمارة توزون ١٧١
ذكر الوحشة بين المتقي وتوزون ١٧١
ذكر مسير المتقي لله إلى الموصل ١٧٣
ذكر قتل أبي يوسف البريدي ١٧٤
ذكر وفاة أبي عبدالله البريدي ومن قام بعده بالأمر ١٧٥
ذكر ماكان من أمر المتقي لله إلى أن خلع وسمل ١٧٦
ذكر خلافة المستكفي بالله ١٧٩
ذكر وفاة توزون وإمارة ابن شيرزاد ١٨٢
ذكر استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد ١٨٣
ذكر خلع المستكفي بالله وسمله ١٨٤
ذكر خلافة المطيع لله ١٨٥
ذكر إعادة القرامطة الحجر الأسود ١٨٩
ذكر ظهور المستجير بالله ١٩٠
ذكر فساد الحسبة والقضاء والشرطة ببغداد ١٩٠

ذكر استيلاء الروم على عين زربة وما حولها من الحصون ١٩١
ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس ١٩٢
ذكر البيعة لمحمد بن المستكفى وماكان من أمره ١٩٥
ذكر مافعله الروم بالشام والجزيرة ١٩٦
ذكر ملك الروم مدينة أنطاكية ١٩٧
ذكر ملك الروم ملازكرد ١٩٨
ذكر مقتل ملك الروم نقفور ١٩٨
ذكر الفتنة ببغداد ومصادرة الخليفة المطيع لله ٢٠٠
ذكر خلع المطيع لله نفسه من الخلافة وخلافة ابنه الطائع لله ٢٠١
ذكر خلافة الطائع لله ٢٠٢
ذكر الحوادث فى أيام خلافته ٢٠٢
ذكر القبض على الطائع وشىء من أخباره ٢٠٤
ذكر خلافة القادر بالله ٢٠٦
ذكر تسليم الطائع لله إلى القادر وما فعله معه ٢٠٩
ذكر البيعة لولى العهد ٢١٢
ذكر الفتنة بمكة ٢١٣
ذكر البيعة لولى العهد ٢١٥
ذكر ملك الروم مدينة الرها ٢١٦
ذكر وفاة القادر بالله وشىء عن أخباره وسيرته ٢١٧
ذكر خلافة القائم بأمر الله ٢١٩
ذكر الحوادث فى أيام القائم ٢٢٠
ذكر أخبار أبى الحارث أرسلان البساسيرى ٢٢٢
ذكر استيلاء أبى الحارث البساسيرى على العراق وخروج الخليفة القائم بأمر الله من بغداد والخطبة للمستنصر بالله العلوى صاحب مصر وقطع الدعوة العباسية ٢٢٦
ذكر مقتل رئيس الرؤساء وعميد العراق ٢٢٩
ذكر عود الخليفة القائم بأمر الله إلى بغداد وخروج البساسيرى منها وقتله ٢٣٢
ذكر غرق بغداد ٢٣٩
ذكر وفاة القائم بأمر الله وشىء من سيرته ٢٤٠
ذكر خلافة المقتدى بأمر الله ٢٤٢
ذكر الحوادث فى أيام المقتدى ٢٤٣
ذكر الفتنه ببغداد بين الشافعية والحنابلة ٢٤٦
ذكر مسير الشيخ أبى إسحاق برسالة الخليفة إلى السلطان ملكشاه ٢٤٦

ذكر عزل عميد الدولة عن الوزارة ومسير والده إلى ديار بكر ٢٤٧
ذكر وفاة المقتدى بأمر الله وشيء من أخباره ٢٥٢
ذكر خلافة المستظهر بالله... ... ... ٢٥٣
ذكر الحوادث فى أيام المستظهر بالله ٢٥٤
ذكر وفاة المستظهر بالله وشيء من أخباره وسيرته ٢٦٠
ذكر خلافة المسترشد بالله ٢٦١
ذكر ظهور قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٢٦٢
ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دبيس بن صدقة ٢٦٥
ذكر الاختلاف الواقع بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان محمود ٢٦٧
ذكر حصار الخليفة المسترشد بالله الموصل ١٧١
ذكر سير المسترشد بالله لحرب السلطان مسعود بن محمد وأسره ٢٧٢
ذكر مقتل المسترشد بالله ٢٧٦
ذكر خلافة الراشد بالله ٢٧٧
ذكر الحرب بين عسكر الخليفة الراشد بالله وعسكر السلطان مسعود ٢٧٨
ذكر مسير الراشد بالله إلى الموصل وخلعه ٢٧٩
ذكر خلافة المقتفى لأمر الله ٢٨٢
ذكر تفويض أمور الدولة والوزارة إلى الوزير عون الدين بن هبيرة وما أقطعه الخليفة من الأقطاعات ٢٨٧
ذكر حصر تكريت وعود عسكر الخليفه عنها وأسر ابن الوزير ٢٨٨
ذكر حصر تكريت ووقعة بكمزا ٢٨٩
ذكر وفاة المقتفى لأمر الله وشيء من أخباره ٢٩٣
ذكر خلافة المستنجد بالله ٢٩٤
ذكر ملك الخليفة قلمة الماهكى ٢٩٧
ذكر إجلاء بنى أسد من العراق ٢٩٧
ذكر وفاة المستنجد بالله وشيء من أخباره وسيرته ٢٩٩
ذكر خلافة المستضيء بأمر الله ٣٠٠
ذكر مقتل الوزير أبى جعفر بن محمد المعروف بابن البلدى ٣٠١
ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد وعود عضد الدين إلى الوزارة ٣٠٣
ذكر مقتل الوزير عضد الدولة وولاية ظهير الدين بن العطار ٣٠٦
ذكر فتنة ببغداد وهدم بيعة اليهود ٣٠٧
ذكر وفاة المستضيء بأمر الله ٣٠٨
ذكر خلافة الناصر لدين الله ٣٠٨
ذكر القبض على بن العطار وموته ٣٠٩

ذكر انهزام عسكر الخليفة من طغرل ٣١٠
ذكر ملك الخليفة خوزستان ٣١٢
ذكر ملك الوزير همذان وغيرها من بلاد العجم ٣١٣
ذكر ملك عسكر الخليفة إصفهان ٣١٤
ذكر وفاة الناصر لدين الله وشيء من أخباره وسيرته ٣١٧
ذكر خلافة الظاهر بأمر الله ٣١٨
ذكر خلافة المستنصر بالله ٣٢١
ذكر خلافة المستعصم بالله ٣٢٢
ذكر مقتل المستعصم بالله وانقراض الدولة العباسية واستيلاء هولاكو على بغداد ٣٢٣
جامع أخبار خلفاء الدولة العباسية ومن ولى منهم ومدة خلافتهم ٣٢٥
ذكر خلافة المستنصر بالله ٣٢٧
ذكر مسير الخلفية المستنصر بالله إلى بلاد الشرق وقتله ٣٢٩
ذكر خلافة الحاكم بأمر الله ٣٣١
ذكر خلافة المستكفى بالله ٣٣٢
الباب الخامس من القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الدولة الأموية ببلاد الأندلس .. ٣٣٤
ذكر مقتل عبد الرحمن بن يوسف الفهرى ٣٣٩
ذكر خروج العلاء وقتله ٣٤١
ذكر خروج سعيد اليحصبى المعروف بالمطرى وقتله ٣٤١
ذكر أخبار شقنا بن عبد الواحد وخروجه بالأندلس ٣٤٣
ذكر عصيان أهل إشبيلية على الأمير عبد الرحمن ٣٤٥
ذكر عبور الصقلبى إلى الأندلس وما كان من أمره إلى أن قتل ٣٤٦
ذكر مخالفة أبى الأسود محمد بن يوسف الفهرى ٣٤٩
ذكر وفاة عبد الرحمن وصفته وشى من أخباره وسيرته ٣٥٠
ذكر إمارة هشام ٣٥٢
ذكر خروج سليمان وعبد الله ابنى عبد الرحمن على أخيهما هشام ٣٥٣
ذكر خروج جماعة أخر على الأمير هشام ٣٥٤
ذكر غزو الفرنج ٣٥٦
ذكر فتنة تاكرنا ٣٥٧
ذكر وفاة هشام بن عبد الرحمن وشيء من أخباره وسيرته ٣٥٨
ذكر إمارة الحكم من هشام الملقب بالمرتضى ٣٥٧
ذكر غزو الفرنج ٣٥٩
ذكر خلاف بهلول بن مرزوق وغيره ٣٦١

ذكر مسير سليمان بن عبد الرحمن لقتال ابن أخيه الحكم وقتل سليمان ٣٦٢
ذكر استيلاء الفرنج على برشلونه ٣٦٢
ذكر الاتفاق بين الحكم وبين عمه عبد الله البلنسى ٣٦٣
ذكر استيلاء الفرنج على مدينة تطيلة ٣٦٣
ذكر إيقاع الحكم بأهل قرطبة ٣٦٤
ذكر إيقاع الحكم بأهل طليطلة وهى وقعة الحفرة ٣٦٥
ذكر عصيان أهل ماردة على الحكم وما فعله بأهل قرطبة ٣٦٧
ذكر غزو الفرنج ٣٦٨
ذكر عصيان حزم على الحكم ٣٦٩
ذكر عودة أهل ماردة إلى العصيان وغزو الحكم بلاد الفرنج ٣٦٩
ذكر وقعة الربض بقرطبة ٣٧٠
ذكر غزو الفرنج ٣٧٣
ذكر غزو البربر بناحية موروو ٣٧٣
ذكر وفاة الحكم ٣٧٤
ذكر إمارة عبد الرحمن بن الحكم ٣٧٥
ذكر إيقاع عبد الرحمن بأهل البيرة وجندها ٣٧٥
ذكر محاصرة طليطلة وفتحها ٣٧٩
ذكر الحرب بين موسى بن موسى والحارث بن بزيع وما كان من أمره ٣٨٢
ذكر خروج المشركين إلى بلاد الإسلام بالأندلس ٣٨٣
ذكر وفاة عبد الرحمن وشىء من أخباره ٣٨٦
ذكر إمارة محمد بن عبد الرحمن المنعوت بالأمين ٨٨٧
ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج ٣٨٧
ذكر خروج المجوس إلى بلاد الإسلام بالأندلس ٣٨٨
ذكر وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن ٣٩٢
ذكر إمارة المنذر بن محمد ٣٩٣
ذكر إمارة عبد الله بن محمد ٣٩٤
ذكر إمارة عبد الرحمن بن محمد ٣٩٦
ذكر إمارة الحكم المستنصر بالله ٣٩٩
ذكر إمارة هشام المؤيد بالله ٤٠٢
ذكر أخبار المنصور محمد بن أبى عامر ٤٠٣
ذكر المظفر أبى مروان عبد الملك ٤٠٦
ذكر إمارة محمد المهدى ٤١٠

ذكر أخبار شنشول ومقتله ٤١٤
ذكر قيام هشام بن سليمان على محمد وما كان من أمره إلى أن قتل ٤١٩
ذكر قيام سليمان بن الحكم المستعين بالله ٤١٩
ذكر دولة المهدى محمد الثانية ٤٢٤
ذكر دولة المؤيد هشام الثانية ٤٢٦
ذكر دولة المستعين بالله الثانية ٤٢٩
ذكر إمارة الناصر على بن حمود ٤٣١
ذكر ولاية المأمون القاسم بن حمود بن ميمون الفاطمى ٤٣٢
ذكر ولاية المعتل يحيى بن على ٤٣٤
ذكر عود الدولة الأموية بمدينة قرطبة ومن ولى منهم ٤٣٥
(ا) ذكر إمارة المستظهر بالله ٤٣٥
(ب) ذكر إمارة المستكفى بالله ٤٣٥
(ج) ذكر ولاية المعتمد على الله ٤٣٦
ذكر أخبار الأندلس ومن ملكها بعد انقطاع الدعوة الأموية ٤٣٩
ذكر ولاية أبى الوليد محمد بن جهور ٤٤٠
ذكر أخبار مدينة طليطلة ٤٤٠
ذكر ولاية المأمون يحيى بن إسماعيل ٤٤١
ذكر أخبار دولة بنى عباد ... ...
ذكر أخبار خلف الحصرى المشبه بالمؤيد هشـام وقيام دعوته بمملكة محمد بن إسماعيل ،
وما قيل فى ذلك ٤٤٥
ذكر ولاية أبى عمرو عباد بن محمد ٤٤٨
ذكر ولاية المعتمد على الله محمد بن عباد ٤٥٢
ذكر وقعة الزلاقة وانهزام الفرنج لعنهم الله ٤٥٥
ذكر إنقراض الدولة العبادية وشىء من أخبار المعتمد وشعره - ٤٥٩
ذكر ممالك الأندلس الأخرى ٤٦٥
ثبت بأسماء المراجع العربية المذكورة فى المراجع ٤٧١

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨١/٣٨٥٢

ISBN ٩٧٧ ٧٣٤٠ ١٩ ٢